

تراثنا

مَخْتَارُ الْأَخْبَارِ

فِي

الْأَخْبَارِ وَالنِّهَايَةِ

اِخْتِيَار

ابْنُ مَنْظُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُكْرَمٍ

٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ

الجزء السابع

تحقيق

عبد العزيز أحمد

الدار المصرية للتأليف والترجمة

خرج هذا الكتاب بالتعاون

مع

معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية

القاهرة

١٩٨٦م - ١٩٦٦م

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

ج ٢٠٠٠

حرف الميم

مغيرة الأقيشر^(١)

هو المغيرة بن عبد الله بن معرّض بن عمرو بن معرّض بن أسد بن خزّيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر . وكنيته أبو معرّض ، والأقيشر لقبٌ لُقّبَ به ، لأنه كان أحمر الوجه أقشّر^(٢) ، ومن شعره الدالّ على كُنيتِه قوله :

فإنّ أبا معرّضٍ إذ حسّا من الحمر^(٣) كأسًا على المنبرِ
خطيبٌ لبيبٌ أبو معرّضٍ فإنّ ليمَ في الحمرِ لم يصبرِ
وعمرٌ عمرًا طويلا ، وكان أقعد^(٤) بنى أسد نسبا ، وما أخلقه بأن يكون وليد
في الجاهلية ، ونشأ في الإسلام ، لأن سِمَاكَ بْنَ مَخْرَمَةَ الْأَسَدِيَّ صاحبَ مسجدِ
سِمَاكَ بالكوفةِ بناءً في أيام عمر ، وكان عثمانيا ، وأهلُ تلك المَحِلَّةِ إلى اليوم كذلك .
وعليّ بن أبي طالب لم يُصلِّ فيه ، وأهل الكوفة إلى اليوم يجتنبونه . ويقال
إن الذي بناه سِمَاكَ بْنَ مُحَيَّدٍ بن بُلث بن عوف بن عمرو بن معرّض بن أسد ،
وقد قال الأقيشر في المسجد شعرا ، وهو أكبرُ مسجد لبني أسد ، وهو في خِطَّة
بني نصر بن قُعَيْن :

(١) الأغاني : ١١ : ٢٥١ دار الكتب تجريد ١٢٩٧ .

(٢) الأقيشر : الشديد الحمرة . - الأبرص .

(٣) الراح (أغاني - تجريد) .

(٤) يقال هو قعيد النسب وأقعدته : قريب الآباء من الجد الأكبر (قاموس) .

عَجِبَتْ^(١) دودانُ من مَسْجِدِنَا وبه يَعْرِفُهُمْ كُلُّ أَحَدٍ
لو هَدَمْنَا غُدُوَّةَ بُنْيَانِهِ لَانْمَحَتْ أَسْمَاؤُهُمْ طَوْلَ الْأَبَدِ
اسمه^(٢) فِيهِمْ وَهُم جِيرَانُهُ واسمُهُ الدَّهْرَ لِعَمْرٍو بْنِ أَسَدٍ
كَلِمًا صَالُوا قَسَمْنَا أَجْرَهُ فَلَمَّا النِّصْفُ عَلَى كُلِّ جَسَدٍ^(٣)
خَلَفْتُ بَنُو دودانَ لِيَضْرِبْنَهُ . فَأَتَاهُمْ فَقَالَ : قَدْ قَلْتُ بَيْتًا مَحْوًى بِهِ مَا كُنْتُ
قُلْتُ . قَالُوا : وَمَا هُوَ يَا فَاسِقُ ؟ قَالَ : قُلْتُ :
وَبَنُو دُودَانَ حَيْثُ سَادَةٌ حَلَّ بَيْتُ الْمَجْدِ فِيهِمْ وَالْعَدَدُ
فَتَرَكَوهُ .

وكان الأفيشر كوفيًّا خليعًا ماجنًا مدمنًا تُرِبَ الحِجْرِ ، وكان يكره هذا اللقب .
قال المدائني : مر الأفيشرُ يريدُ الحيرةَ ، فاجتاز على مجلسِ لبني عَبَسَ . فناده أحدُهم
يا أَفَيْشِرُ ، فزجره الأشياخ ، ومضى الأفيشرُ ثم عاد إليه ومعه رجل ، وقد قال له :
قف معي فإذا أنشدتُ بيتًا فقلْ لي : ولمَ ذلك ؟ ثم أنصرفَ وخذُ هذين الدرهمين .
فقال له : أنا أصيرُ معك يا أبا مُعْرِضٍ إلى حيثُ شئتُ ولا [أرزوك]^(٤) شيئًا .
قال : فاقبلْ . فأقبلَ معه حتى أتى مجلسَ القومِ فوقَ عليهم ثم تأملهم ، وقد عرف
الشابُّ فأقبلَ عليه وقال :

أَتَدْعُونِي الْأَفَيْشِرَ ذَلِكَ اسْمِي وأدعوك ابنَ مُطَفِّئَةِ السَّراجِ
فقال له الرجل : ولمَ ذاك ؟ قال :
تُنَاجِي خِدَنَهَا فِي اللَّيْلِ سِرًّا وَرَبُّ النَّاسِ يَعْلَمُ مَا تُنَاجِي
فَلَقَّبَ ذَلِكَ الرَّجُلُ ابْنَ مُطَفِّئَةِ السَّراجِ .

(١) غضبت (أغانى — تجريد) .

(٢) اسمهم فيه (أغانى) .

(٣) أحد (مختار الأغانى) .

(٤) غير واضحة في الأصل وما بين القوسين عن الأغانى .

وكان الأقيشر عَفِينًا لَا يَأْتِي النِّسَاءَ ، وكان كثيرًا مَا يَصِفُ ضِدَّ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ ،
فَجَلَسَ إِلَيْهِ يَوْمًا رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ فَأَنشَدَهُ الْأَقْيِشِرَ :

وَلَقَدْ أَرَوْحُ بِمُشْرِفٍ ذِي مَيْمَةٍ ^(١) عَسِرَ الْمَكْرَةِ مَأْوُهُ يَتَفَصَّدُ
مَرَحٍ يَطِيرُ مِنَ الْمَرَّاحِ ^(٢) لُعَابُهُ وَيَكَادُ جِلْدُهُ إِهَابَهُ يَتَقَدَّدُ ^(٣)

ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ : أَتَبْصُرُ الشَّعْرَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَإِذَا وَصَفْتَ ؟ قَالَ : فَرَسًا ،
قَالَ : أَفَكُنْتَ لَوْ رَأَيْتَهُ تَرَكْبُهُ ؟ قَالَ : أَيْ وَاللَّهِ ، وَأَتْنِي عِطْفَهُ ، فَكَشَفَ الْأَقْيِشِرُ
عَنْ أَيْرِهِ ، وَقَالَ : هَذَا الَّذِي وَصَفْتَهُ فَقُمْ فَارْكَبْهُ ، فَوَثَبَ الرَّجُلُ عَنْ مَجْلِسِهِ ، وَقَالَ :
قَبَّحَكَ اللَّهُ مِنْ جَلِيسٍ سَارَرَ الْيَوْمَ .

وكان الأقيشر لَا يَسْأَلُ أَحَدًا أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةِ دِرَاهِمٍ ؛ يَجْمَلُ دِرْهَمَيْنِ لِلشَّرَابِ
وَدِرْهَمًا لِلطَّعَامِ وَدِرْهَمَيْنِ فِي كِرَاءِ بَقْلٍ إِلَى الْحَيْرَةِ . وَكَانَ لَهُ جَارٌ يُكْنَى أَبَا الْمَضَاءِ لَهُ
بَقْلٌ يَكْرِيه مِنْهُ فَيَرْكَبُهُ إِلَى الْحَيْرَةِ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْحَمَّارِ وَيَرْبِطُهُ بِسَرِّجِهِ وَلِجَامِهِ -
فَيَقَالُ : إِنَّهُ أَعْطَاهُ ثَمَنَهُ فِي الْكِرَاءِ - وَيَجْلِسُ يَشْرَبُ حَتَّى يُجْشِي ثُمَّ يَرْكَبُهُ وَيَنْصَرِفُ .
فَأَتَى يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ بَيْتَ الْحَمَّارِ الَّذِي كَانَ يَأْتِيهِ فَلَمْ يُصَادِفْهُ فَجَمَلَ يَنْتَظِرُهُ ، وَدَخَلَتْ
الِدَارَ امْرَأَةٌ عِبَادِيَّةٌ فَقَالَ لَهَا : مَا فَعَلَ فُلَانٌ ؟ قَالَتْ : مَضَى فِي حَاجَتِهِ وَأَنَا أُمُّهُ فَمَا
تَرِيدُ ؟ فَقَالَ : نَبِيذًا قَالَتْ : بَكْمٌ ؟ قَالَ : بِدِرْهَمَيْنِ . قَالَتْ : هَلُمَّ دِرْهَمِيكَ وَانْتَظِرْنِي .
قَالَ : لَا بَلْ أَكُونُ مَعَكَ . قَالَتْ : أَنْتَ وَذَلِكَ ، وَمَضَتْ وَتَبِعَهَا فَأَدْخَلَتْهُ دَارًا لَهَا
بَابَانِ وَخَرَجَتْ مِنْ أَحَدِهِمَا وَتَرَكَتْهُ . فَلَمَّا طَالَ جُلُوسُهُ خَرَجَ إِلَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ الدَّارِ
وَقَالُوا : مَا الَّذِي يَجْلِسُكَ ؟ فَأَخْبَرَهُمْ . فَقَالُوا : تِلْكَ الْمَرْأَةُ مُحْتَمَلَةٌ ، يَقَالُ لَهَا أُمُّ حُنَيْنٍ

(١) رَوَى : ذِي شَعْرَةٍ وَذِي كُرَّةٍ (أَغَانِي) .

(٢) الْمَرَّاحُ : النَّشَاطُ .

(٣) وَلِ الْأَغَانِي : وَتَسْكَادُ جِلْدَتَهُ بِهِ تَتَقَدَّدُ .

من العباديين . فلم أنه قد خُدع وانصرف إلى حماره فأخبره بالقصة وقال : أنشدني اليوم واسقني ففعل . وأنشأ الأقبشر يقول :

لم يُغَرَّر ^(١) بذات خَفٍ سوانا	بمدا ^(٢) أم العباد أم حنين
وعدتنا بدرهمين طلاء ^(٣)	أو طلاء مُعَجَّلًا غير دين
ثم ألوت بالدرهمين جميعاً	يا قنوى لضيمعة الدرهمين
عاهدت زوجها وقد قال إن	سوف أغدو لحاجتي ولد يني
فدعت كالحصان أبيض جلدأ	وافر الأبر مرسل الخصيتين
قال ما أجر ذا هديت فقلت	سوف أعطيك أجره مرّتين
فابدأ الآن بالسفاح فلما	سافحته أرخته بالأخرين
تلها ^(٤) للجبين ثم امتطأها	عالم الأبر أفحج الحالين
بينما ذاك منهما وهي تحوى	ظهره بالبنان والمعصمين
جاءها زوجها وقد شام فيها	ذا انتصاب ^(٥) موثق الأخدعين
فتأسّى وقال : ويل طويل	لحنين من عار أم حنين

فجاء حنين الحمار وقال : يا هذا ما أردت إلا هيجائي وهجاء أمي . قال : أخذت مني درهمين ولم تعطني شرابا . قال : لا والله ما تعرفك أمي ، ولا أخذت منك شيئا ، فانظر إلى أمي فإن كانت هي صاحبتك غرمت لك الدرهمين . قال : لا ، [والله] ما أعرف غير أم حنين . فإن كانت أمك فإياها أعني ، وإن كانت

(١) لا تعرف ذات (تجريد) .

(٢) أخت العباد (أغاني - تجريد) .

(٣) نبيذا (أغاني - تجريد) .

(٤) تلها : ألقاها على وجهها - وأفحج الحالين : متباعد ما بينهما .

(٥) شيم منها . . ذو انتصاب (تجريد) .

أَمْ حَنِينٍ أُخْرَى . فإياها أعنى . فقال : إذا لا يُفَرِّقُ الناسُ بينهما ، فقال : ما على إذا !!
أَتُرَى يَضْمَعُ الدرهمانِ عَلَى ! فقال له : هلم إذا أغرمهما لك وأقم ما تحتاج إليه ،
لا بارك الله لك ! ففعل .

قال رجلٌ من بنى أسد : سمعت عَمَّةَ الأقيشر تقول للأقيشر يوماً : اتَّقِ اللهَ
وَقُمْ فَصَلِّ ، فقال : لا أَصَلِّي . فأكثرَتْ عليه ، فقال : أَبْرَمْتَنِي فاختارى خصلةً
من خصلتين : إما أن أَصَلِّيَ ولا أَتَطَهَّرَ أو أَتَطَهَّرَ ولا أَصَلِّي . قالت : قبحك الله !
إن لم يكن غيرُ هذا فصلٌ بغير وضوء .

كان قيسُ بنُ محمد بن الأشعث تَدَسَّكَ وكان ضريراً فأتاه الأقيشرُ فسأله ،
فأمرَ قهرمانُهُ أن يُعطيه ثلاثمائةَ درهم ، فقال : لا أريدُها جملةً ولكن مر القهرمانُ
أن يُعطيني في كل يوم ثلاثةَ دراهم حتى تَنفَدَ ، ففعل ، فكان يأخذها درهماً للطعام
ودرهما لشرا به ودرهما لدابة تَحْمِلُهُ إلى بيتِ الخمارين . فلما نَفَدَتِ الدراهمُ أتاه فسأله
فأعطاه ، ففعل بها مثل ذلك . وأتاه الثالثة فأعطاه ففعل مثل ذلك . فأتاه الرابعة
فقال له قيس : لا أبا لك ! كأنك قد جعلتَ هذا خراجاً علينا . فأنصَرَفَ وهو يقول :

أَلَمْ تَرِ قَيْسَ الْاَكْمَةِ ابْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ وَلَا تَلْقَاهُ لِلْخَيْرِ يَفْعَلُ
رَأَيْتُكَ أَعْمَى الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ مُمَسْكَاً وَمَا خَيْرُ أَعْمَى الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ يَبْخُلُ
وَلَوْ صَمٌّ تَمَّتْ لِمَنَّةُ اللَّهِ كُدَّهَا عَلَيْهِ وَمَا فِيهِ مِنَ الشَّرِّ أَفْضَلُ

فقال قيس : لو نجا أحدٌ من الأقيشر لنجوتُ منه .

اختصم قوم بالكوفة في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي [رضوان الله عليهم] ^(١) .
فقالوا : نجعلُ بيننا أولَ من يَطْلُعَ علينا . فطلع الأقيشرُ عليهم وهو سكران ،
فقال بعضهم لبعض : انظروا من حَكَمْنَا . فقالوا : يا أبا مُعْرِضٍ قد حَكَمْنَاكَ . قال :
فماذا ؟ فأخبروه . فكث ساعة . ثم أنشأ يقول :

(١) غير واضحة في الأصل وما أثبتناه عن الأغاني .

إِذَا صَلَّيْتُ خَمْسًا كُلَّ يَوْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِي مُسَوِّقٍ
وَلَمْ أَشْرِكْ رَبَّ النَّاسِ شَيْئًا فَقَدْ أَمَسَكَ بِالْحَبْلِ الْوَثِيقِ
فَهَذَا الْحَقُّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءٌ فَدَعْنِي مِنْ بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ
تَزُوجُ الْأَفِيشَرُ ابْنَةَ عَمِّ لَه يَقَالُ لَهَا الرَّبَّابُ ، عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ ، وَيَقَالُ :
عَلَى عَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَسَأَلَهُمْ فَلَمْ يُعْطَوْهُ شَيْئًا فَأَتَى ابْنَ رَأْسِ الْبَغْلِ ،
وَهُوَ دَهْقَانُ لِلصَّيْنِ ، وَكَانَ مَجُوسِيًّا فَسَأَلَهُ فَأَعْطَاهُ الصَّدَاقَ كَامِلًا فَقَالَ الْأَفِيشَرُ :
كَفَانِي الْمَجُوسِيُّ مَهْرَ الرَّبَّابِ فَدَنَى لِلْمَجُوسِيِّ خَالِي وَعَمِّ
نَهَدْتُ بِأَنْكَ رَطْبُ اللِّسَانِ ^(١) وَأَنْ أَبَاكَ الْجَوَادُ الْخَضَمُ
وَأَنْكَ سَيِّدُ أَهْلِ الْجَحِيمِ إِذَا مَا تَرَدَّيْتُ فَيَمْنِ ظَلَمَ
تَجَاوَرُ هَامَانَ ^(٢) فِي قَعْرِهَا وَفِرْعَوْنَ وَالْمُكْتَتَى بِالْحَكَمِ
فَقَالَ لَهُ الْمَجُوسِيُّ : وَيْحَكَ ! سَأَلْتَ قَوْمَكَ فَلَمْ يُعْطَوْكَ شَيْئًا ، وَجِئْتَنِي فَأَعْطَيْتُكَ ،
فَجَزَيْتَنِي هَذَا الْقَوْلَ : وَلَمْ أَفْلِتْ مِنْ شَرِّكَ ! قَالَ : أَوْ مَا تَرْضَى أَنْ جَعَلْتُكَ مَعَ الْمُلُوكِ
وَقَرِينَ أَبِي جَهْلٍ ! . وَجَاءَ إِلَى عِكْرَمَةَ بْنِ رَبِيعٍ التَّمِيمِيِّ فَسَأَلَهُ فَلَمْ يُعْطِهِ فَقَالَ فِيهِ :
سَأَلْتُ رَبِيعَةَ مَنْ شَرُّهَا أَبَا نَمٍ أَمَا فَقَالُوا إِمَّةً
فَقُلْتُ لِأَعْلَمَ مَنْ شَرُّكُمْ وَأَجْمَلَ بِالسَّبِّ فَيَكُمُ ^(٣) سِمَةٌ
فَقَالُوا لِعِكْرَمَةَ الْمُخْرِبَاتُ وَمَاذَا يَرَى النَّاسُ فِي عِكْرَمَةَ
فَإِنَّ يَكُ عَبْدًا زَكَ مَا لَهُ فَمَا غَيْرُ ذَا فِيهِ مِنْ مَكْرُمَةٍ
مَرَّ الْأَفِيشَرُ بِبَنِي رُوَاسٍ وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَدَخَلَ فَصَلَّى مَعَهُمْ وَهُوَ سَكْرَانٌ
فَضَحِكُوا مِنْهُ فَقَالَ :

(١) رطب اللسان (أغاني) .

(٢) قارون (أغاني) .

(٣) فيه (أغاني) ١١ / ٢٦٦ .

أُصَلِّيَ حَيْثُ تُذَرِكُنِي صَلَاتِي وَلَيْسَ الْبِرُّ وَسْطَ بَنِي رُؤَاسِ
قُبَيْلَةٍ هُمْ أَذْنَابُ قَيْسٍ إِذَا ذُكِرُوا وَمَا ذَنْبُ كِرَاسِ
تَرَدَّى اللَّوْثُ ثُمَّ أَقَامَ فِيهِمْ وَأَلْقَى بِالْكَلَالِ وَالْمَرَاسِي
كَانَ الْأَفْشَرُ يَأْتِي الْحَيْرَةَ ، فَلَمَّا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ مَنَعَهُ ابْنُ عَمِّهِ أُسَيْدُ مِنَ
الْخُرُوجِ إِلَيْهَا وَالشَّرْبِ . فَلَقِيَهُ صَاحِبُ لَهُ ، وَقَدْ شَجِبَ لَوْنُهُ وَهَزُلَ فَقَالَ : مَا لِي
أَرَاكَ مُتَغَيِّرًا يَا أَبَا مُعْرِضٍ فَقَالَ :

أَمَّا تَرَانِي قَدْ هَلَكْتُ فَإِنَّمَا رَمَضَانَ أَهْلَكْنِي وَدِينُ أُسَيْدٍ
هَذَا يُصَرِّدُنِي ^(١) وَلَسْتُ بِشَارِبٍ وَأَخْ بُورَّقُنِي مَعَ التَّصَرُّبِ
شَرِبَ الْأَفْشَرُ حَتَّى سَكِرَ فَسَقَطَ وَبَدَتْ عَوْرَتُهُ فَظَنَّتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ وَضَحِكَتْ مِنْهُ
وَأَقْبَلَتْ تَلُومَهُ وَقَوْلُ : يَا شَيْخُ أَلَا تَسْتَحْيِي أَنْ تَبْلُغَ بِنَفْسِكَ هَذِهِ الْحَالَ ، فَأَنْشَدَهَا :
تَقُولُ يَا شَيْخُ أَلَا تَسْتَحْيِي مِنْ شُرْبِكَ الْخَمْرَ عَلَى الْمَكْبَرِ
فَقُلْتُ لَوْ بَاكَرْتُ مَشْمُولَةً صُهْبَاءَ مِثْلَ الْفَرَسِ الْأَشْقَرِ
رُحْتُ وَفِي رِجْلَيْكَ عُقَالَةٌ وَقَدْ بَدَأَ هُنَاكَ مِنَ الْمِثْزَرِ
شَرِبَ الْأَفْشَرُ فِي خَمَّارَةٍ حَتَّى أَنْفَدَ مَالَهُ ، ثُمَّ شَرِبَ بَنِيَابَهُ حَتَّى غَلَقَتْ ، فَلَمْ يَبْقَ
عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وَجَلَسَ فِي تَبْنٍ إِلَى جَانِبِ الْبَيْتِ إِلَى حَلَقَةٍ مُسْتَدْفِئًا ، فَرَعَاهُ رَجُلٌ
يَنْشُدُ ضَالَّةً . فَقَالَ : اللَّهُمَّ ارْجُدْ عَلَيَّ وَاحْفَظْ عَلَيْنَا . فَقَالَ لَهُ الْخَمَّارُ : سَخِنَتْ
عَيْنُكَ ، أَيْ مَتَى يَحْفَظُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : هَذَا التَّبْنُ أَلَّا تَأْخُذَهُ لَمَلَفَ حِمَارُكَ [فَأَمُوتَ
مِنَ الْبَرْدِ] فَضَحِكَ الْخَمَّارُ وَرَدَّ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ وَقَالَ : أَذْهَبَ فَاطْلُبْ مَا تَشْرَبُ بِهِ
وَلَا تَجِئْنِي بَنِيَابِكَ فَإِنِّي لَا أُسْتَرِّهِنَّ أَبَدًا بَعْدَ هَذَا .
مَرَّتْ مَسْكِينٌ الدَّارِي بِالْأَفْشَرِ فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ يَا أَفْشَرُ فِي الْمَهَاجَةِ ؟ فَقَالَ لَهُ
الْأَفْشَرُ :

(١) صرد الرجل : سقاه دون الري ، أى إطفاء الغليل .

فلا أَسَدًا أُسْبٌ ولا تَمِيمًا وكيفَ يجوزُ سَبُّ الأَكْرَمِينَ
ولكنَّ التَّقَارُضَ^(١) حلَّ بَيْنِي وبينَكَ يا بنَ مُضْرَطةِ العَجِينِ

فصاح الصبيانُ به : يا مسكينُ يا بنَ مضرطةِ العجينِ ، فهرب منهم .

أَتَى عِكْرَمَةُ بنَ رَبِيعٍ وهو عَلَى شُرْطَةِ بَشْرِ بنِ مروانَ رجُلُ جُعْفَى شاربٍ فقال
له الجعفى :

أَعِكرَمَ دَعَى اليَوْمَ لا تَسُدُّ بَنِي ولا تُلَحِّقَنَّ بِي خِزْيَةً لا أُطِيقُهَا
وَعَفَّ عَلَى ذَنْبِي بِحِلْمِكَ إِنِّى طَلِيقُكَ تَجْزَى كُلَّ نَفْسٍ طَلِيقُهَا
لَكَ اللَّهُ لا تَوَاتَى بِي الدَّهْرَ شَارِبَا ولو جَفَّ مِنْ صَحْبِي الغَدَاةَ خُلُوقُهَا
نَحْلَى سَبِيلِهِ ، فقال الأقيشر من أبيات :

أَعِكرَمَ أَخْلَتَ الخَمُورَ لأَهْلِهَا إذا حَلَمُوا وَالْحِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْجَهْلِ
أَحَلَّ لَنَا ماءَ [الكرومِ أَمِيرُنا] فصرنا [سكارى والمِراجِلُ قد تَغَلَّى
فلا تَشْرَبُوا] [إِلا الخَمُورَ فَإِنِّى]^(٢) رَأَيْتُ أَخَا الصَّهْبَاءِ أَعْرَفُ بِالْفَضْلِ

فبلغ الخبرُ بَشَرَ بنَ مروانَ فقال لعِكْرَمَةَ : أكان الجعفى سكران ؟ فقال : والله
ما فَتَشَّتُهُ فلقد علمت أنه شاربٌ ، ولا أدري ما شَرِبَ ولا كيفَ كانت حاله . فقال
له بشر : إياك وتعطيلَ الحدودِ ، ما ظَهَرَتْ ، وإياك والتفتيشَ والتجسسَ ؛ فإنه لا يحلُّ
لك وأدرا الحدودَ بالشبهات ، ولا تأخذُك فى الله لومةُ لائمٍ ؛ فإنه لا يَنْفَعُكَ من الله
نافعٌ ولا يُنْجِيكَ منه أحد .

قال عبد الملك بن مروان للأقيشر : أنشدنى أبياتك فى الخمر فأنشده :

تريك القَدَى من دُونِهِ وهىَ دُونَهُ لو جَهَّ أَخِيها فى الإِناءِ قُطُوبُ

(١) ولكن التميمي حال (أغانى ١١ : ٢٥٤) .

(٢) ما بين الأقواس غير واضح بالأصل وهو عن الأغاني .

كَمِيتٌ إِذَا سُحِّتَ^(١) وفي الكأس وَرْدَةٌ لها في عظام الشاربين ديبٌ
فقال له : يا أبا مُعْرِضٍ أَجَدْتَ وصفها . [وأظن أنك]^(٢) شربتها فقال :
يا أمير المؤمنين إنه لَتَرِيبُنِي مِنْكَ مَعْرِفَتُكَ بِهَا .

قدم رجل من بني سُلُولٍ على قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ بكتابِ الْمُعَلَّى بْنِ عَمْرِو الْمُحَارِبِيِّ
عاملِ قُتَيْبَةَ عَلَى الرَّيِّ ، وكان قدامةُ بْنُ جَعْدَةَ بْنِ هُمَيْرَةَ الْحَزْرَوِيُّ بِالْبَابِ فَرَأَى
الرَّسُولَ فَدَخَلَ قُدَامَةً عَلَى قُتَيْبَةَ وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ فَقَالَ : يَا بَاكَ الْأُمُّ الْعَرَبُ سُلُولِي
رَسُولُ مُحَارِبِيٍّ إِلَى عَامِلِيٍّ . فَنَبَسَ قُتَيْبَةُ تَبَسُّمًا فِيهِ غَيْظٌ . وَكَانَ قُدَامَةُ يُتَمِّمُ
بِشْرَبِ الْخَمْرِ ، وَكَانَ الْأَقْيَشُ يَنَادِمُهُ . فَقَالَ قُتَيْبَةُ : ادْعُوا لِي مُرْدَاسَ بْنِ جُدَامِ
الْأَسَدِيِّ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ : أَنَشِدْنِي مَا لِلْأَقْيَشِ فِي قُدَامَةِ بْنِ جَعْدَةَ وَهِيَ بِالْحَيْرَةِ .
فَأَنشَدَهُ :

رُبُّ نَدْمَانٍ كَرِيمٍ مَاجِدٍ	سَيِّدِ الْجَدِّينَ مِنْ فِرْعَوْنٍ مُضَرٍّ
قَدْ سَقَيْتُ الْخَمْرَ حَتَّى هَرَمَهَا	لَمْ يُخَالِطْ صَفْوَهَا مِنْهُ كَدَرٌ
قُلْتُ قَمِ صُلٌّ فَصَلَّى قَاعِدًا	تَتَفَشَّاهُ سَمَادِيرُ السَّكْرِ
قَرَنَ الظُّهْرَ مَعَ الْمَصْرِ كَمَا	تُقَرَّنُ الْحَقَّةُ ^(٣) بِالْحَقِّ الذِّكْرِ
تَرَكَ الطُّورَ ^(٤) فَلَمْ يَقْرَأْهَا	وَقَرَأَ الْكَوْثَرَ مِنْ بَيْنِ السُّورِ

قال : فَنَغْيِرَ وَجْهُ قُدَامَةَ وَخَجَلَ . فَقَالَ لَهُ قُتَيْبَةُ : هَذِهِ بِتِلْكَ ، وَالْبَادِي أَظْلَمُ .
لَمَّا خَرَجَ ابْنُ الْأَشْعَثِ خَرَجَ مَعَهُ مَطَرُ بْنُ نَاجِيَةَ وَابْنُ تَمِيمٍ فَاسْتَمْعَلَ مَطَرًا عَلَى

(١) فضت (تجريد) .

(٢) ما بين القوسين عن التجريد .

(٣) الحق من الإبل الطاعن في الرابعة للذكر والأنثى، سمي بذلك لاستحقاقه أن يحمل عليه

وينتفع به .

(٤) الفجر (أغانى) .

ناحية من النواحي ، فلما دخلها خطبَ على المنبرِ فانكسر من تحته وسقط عنه فقال
الأنبياءُ في تلك :

أَبْنَى تَمِيمٍ مَا لِمَنْبَرٍ مُلْكُكُمْ لَا يَسْتَقِرُّ وَعُودُهُ يَتَمَرَّمُ^(١)
إِنَّ الْمُنَابِرَ أَنْكَرَتْ أَسْأَاهُكُمْ فَادْعُوا خُزَيْمَةَ يَسْتَقِرُّ الْمَنْبَرُ

كان الأنبياءُ امتدح عبد الله بن إسحاق بن طلحة بن عبد الله فلم يُعطيه شيئاً
فهجاه ، وعاد ذلك ومدح أخاهزكريا ، فقال عبد الله بن إسحاق لعلمانه : ألا تريجونني
منه . فجمعوا بمرأً وقصباً [بظهر الكوفة] ، وأقبل الأنبياءُ من الحيرة سكران
[على] بغل أبي المضاء فأنزلوه عن البغل [وأخذوا] الأنبياءُ [فشدوه]^(٢) رباطاً
ووضموه وألهبوا النار في القصب والبرج وجملت الريح تَسْفَعُ وجهه وجسمه بتلك
النار فأصبح ميتاً ولم يُدرَ من قتله . وقيل : أن بني أسد ادعوا على عبد الله بن
إسحاق قتله فافتدى منهم بدية .

(١) ما يستقر قراره يتمرمر (أغاني) .

(٢) ما بين الأقواس غير واضح في الأصل وهو عن الأغاني .

محمد بن الحارث^(١)

هو محمد بن الحارث بن بُسْخَر ، كنيته أبو جعفر ، وهم من موالي المنصور قال :
أحسبه ولاء خدمة لا ولاء عتق ، وأصلهم من الرى من أولاد المرازبة وقيل :
من أولاد بهرام جوين .

وكان أبوه رفيع القدر عند السلطان من وجوه قواده ، وولاه الهادي ، ويقال :
الرشيد ، ولآه الحرب والخراج بكور الأهواز . ولد بالحيرة ، كان يغنى بالمعزفة .
وكانت تُحْمَلُ معه إلى دار الخليفة ، فرّ غلامه بها يوما فقال قوم كانوا على الطريق :
مع هذا الغلام مصيدة الفار . فقال بعضهم : لا هذه معزفه محمد بن الحارث . خلف
يومئذ بالطلاق والعتاق ألا يُغْنَى بمعزفة أبداً أنفة أن تشبه آلة يُغْنَى بها بمصيدة
الفار . وكان من أحسن خلق الله أداء وسرعة أخذ للغناء . وكان لأبيه الحارث
جوارٍ مستحسنات يُجِدْنَ في غنائهن حتى أن مُخَارِقاً غنى يوما للمأمون فالتفت غناؤه
وأتى بصوته مضطرباً فقال إسحق المأمون : يا أمير المؤمنين . إن مخارقاً قد أعجبه
صوته وساء أدائه في غناؤه ، فره أن يلأزم جوارى الحارث بن بُسْخَر يعود
إلى ما تريد .

قال علي بن يحيى المنجم : كنت يوما في منزلي ، فجاءني محمد بن الحارث مسلماً
وعائداً من مرض ، فسألته أن يقيم عندي ، ودهوت بما حَصَرَ فأكلنا وشربنا ففئنا
محمد هذا الصوت :

أَمِنْ ذِكْرِ خَوْلٍ عَيْنُكَ الْيَوْمَ تَدْمَعُ	وَقَلْبُكَ مَشْغُولٌ بِخَوْلَةٍ مُوَلَعُ
فَقُلْتُ كَذَاكَ الدَّهْرُ يَا خَوْلَ فاعلمي	يُفَرِّقُ بَيْنَ النَّاسِ طَوْرًا وَيَجْمَعُ

قال علي بن يحيى : فقلتُ له : قد رَدَدْتَ هذا القولَ مرارا ، وإن لك في هذا الصوتِ مَعْنًى ؛ لأنك كررته من غير أن يَقْتَرِحَهُ أحدٌ عليك . فقال : نعم ، هذا صوتي على جاريةٍ من القِيانِ كنتُ أُحِبُّهَا فَأَخَذْتَهُ مِنْهَا . فقلتُ : فلم لا تَوَاصِلْهَا ؟ فقال :

لَو لَمْ أُنْكُهَا دَامَ حُبِّي لَهَا لَكِنِّي نَكْتُ فَلَا نِكْتُ
قال : فَأَجَبْتُهُ فَقُلْتُ :

أَكْثَرَ مَنْ نَيْكُهَا وَالنَيْكُ مَفْسَدَةٌ فَارْفُقْ بِنَفْسِكَ إِنْ الرَفْقَ مَحْمُودُ

قال محمد بن الحارث : كنتُ بالدير ، وكان رجلٌ من أهلها يَخْدُمُنِي فَيُكْرِمُنِي وَيَذْكُرُ قَدِيمَنَا وَيَتَرَحَّمُ عَلَيَّ أَبِي ، فقال لي رجلٌ من أهل الناحية : أتعرفُ شُكْرَ هذا لأبيك ؟ قلتُ : لا ، قال : إن أباه حدثني وكان يُعْرَفُ بِابْنِ بَانَةَ أَنْ أَبَاكَ الْحَارِثَ اجْتَازَ بِهِمْ يَرِيدُ الْأَهْوَازَ ، فَمَلَقَاهُ بِدَجَلَةِ الْمَوَرَاءِ وَأَهْدَى لَهُ صُقُورًا وَبِوَاشِقَ صَائِدَةٍ فَقَالَ لَهُ الْحَقُّ بْنُ إِلَى الْأَهْوَازِ فَفَعَلَ . فقال له يوما : إني نظرتُ في أعمالِ الأهواز فلم أجد شيئا منها يُرْتَفَقُ بِهِ مِمَّا قَدَرْتُ عَلَيْهِ أَنْ أَبْرَكَ بِهِ وَقَدْ سَامَنِي التَّجَارُ بِالْأَرِزِ الْأَهْوَازِيِّ وَقَدْ جَمَلْتَهُ لَكَ بِالسَّمْرِ الَّذِي بَدَّلُوهُ وَسَيَاتُونَنِي فَأَعْلِمُهُمْ بِذَلِكَ . فَيَسْتَخْلِصُونَهُ مِنْكَ بَرِيح . وصار القومُ إليه فأعلمهم فجاءوا فخلَّصوه منه بأربعين ألفَ دينارٍ فصرتُ إليه فأعلمته فقال لي : أرضيتَ بذلك ؟ فقلتُ : نعم . قال : فأنصرف . ولما قفلَ الحارثُ مِنَ الْأَهْوَازِ مَرَّ بِالْمَدَائِنِ فَلَقِيَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَرِّزِ الْغَنِيِّ فَمَنَاهُ :

قَدْ عَلِمُ اللَّهُ عِلْمُ عِلْمِهِ أَنِّي إِلَى الْحَارِثِ مُشْتِاقُ

فقال له : دعني من شَوْقِكَ إِلَى وَسْطِي حَاجَةً ، فَإِنِّي مُبَادِرٌ . فقال له : على دينِ مائةِ ألفِ دِرْهَمٍ فقال : هي عليّ وأمرَ له بها .

وكانتُ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ عِنْدَ الْمَأْمُونِ مَنَزَلَةٌ . وَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ شَمَائِلَ .

وكان رفيع الهمة ، روى محمد بن الحارث عن أبيه قال : قال لي الرشيد : أنا على أن أتندى عندك في غدٍ ، فضاق علي من الأرض العريض ، فجئت إلى عبد الملك ابن صالح فقلت له : قد وقعت في بليّة . قال : وما هي ؟ قلت : زعم الرشيد أن يتندى عندي غداً . قال : فاذهب فتفرغ للقلايا ولا تحفل بسوى ذلك . قال : ففعلت ، فلما جاءني قال : دعنا من تخليطك هلم إلى القلايا . قال : فجئت بها فقال : ضع يدك على رأسي واخلف أنصدقني . فوضعت يدي على رأسه وحلفت . فقال : قل لي : من أشار عليك بهذا ؟ فقلت : عبد الملك بن صالح . فقال : أما والله لو كان طواب [بالعشرة آلاف ألف التي عليه لما فرغ للفضول] ^(١) .

قال محمد بن الحارث بسخر : كان جعفر بن يحيى [قد نالنا منه شيء في أيامه] قال أبي : فكتبت إليه في ذلك « فوقّع إلي » : إذا جاء العذر الواضح لم يكن لسوء الظن مجاز لأحد إلا لمن أراد التجنى ^(١) .

ومن شعر محمد بن الحارث :

ومن ظن أن التيمه من فضل قدرة فإني رأيت التيمه من صغر القدر
ولو كان ذا عز ونفس أبيّة لنقض النفي منه وعز على الفقر
رأى نفسه لا تستقل بحقها فتاه لنقص النفس أوقلة الشكر

كان إسحق بن إبراهيم الموصلي قد دعا المأمون ، فصار إليه ومعه المتصم وعبد الله بن طاهر وسائر جلسائه فلما جلس المأمون على شرايه وغنى مُعَنَوه وبلغت النبوة إلى محمد بن الحارث « وقد استحكّم طرب المأمون » اندفع محمد ابن الحارث يغنى :

لو كان حولي بنو أمية لم تنطق رجال أراهم نطقوا
فغضب المأمون ودارت عيناه في رأسه « وكان لا يكاد يغضب فإذا غضب بلغ

(١) ما بين الأقواس غير واضح بالأصل وهو عن الأغاني .

غاية الغضب . ثم التفت إليه وقال : تُعْنِي في وقتِ سرورى وساعةِ طرَبِي بِشِعْرِ
تَمْدَح فيه أَعْدَائِي وَأَنْتَ مَوَالِيٍّ وَرَيْبٌ نِعْمَتِي ، اذْعُوْا إِلَى أَحْمَدَ بْنِ هِشَامٍ ، وَكَانَ صَاحِبَ
حَرَسِهِ . وَكَانَ الْمَأْمُونُ لَا يَمْضِي إِلَى مَوْضِعٍ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبُ شُرْطَتِهِ وَحَرَسِهِ وَكَانَ
أَحْمَدُ بْنُ هِشَامٍ قَاعِدًا فِي حَرَّاقَةٍ عَلَى بَابِ [لِيَحْيَى فِي دَجَلَةٍ] ^(١) فَدَخَلَ حَتَّى مَثَلَ بَيْنَ
يَدَيْهِ فَقَالَ : يَا أَحْمَدُ خُذْهُ إِلَيْكَ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ السَّاعَةَ [وَلَا تُرَاجِعْنِي فِيهِ] . فَعَمِدَ إِلَيْهِ
فَوَضَعَ يَدَهُ فِي عُنُقِهِ وَانْتَسَقَمَهُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَصَرَ بِهِ مُبَادِرًا لِيَنْفِذَ أَمْرَهُ فِيهِ . وَكَانَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ قَدْ قَامَ [لِيُحْدِثَ وَضُوءًا وَلَمْ يَتَهَيَّأْ لِيَحْيَى] [كَلَامَ] الْمَأْمُونِ فِيهِ
[لَمَّا رَأَى] مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ وَمَا دَخَلَ [عَلَى قَلْبِهِ] مِنْ هَيْبَتِهِ فَبَادَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ
[فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ] وَقَالَ : إِنْ يُهَيِّأُ مِثْلَ هَذَا فِي مَنْزِلِي فِي يَوْمٍ نَخْرَى وَسُرُورِي كَانَ [سَمْعَةً عَلَى
أَهْلِي] وَهَذَا أَحْمَدُ فَسَلِّهِ أَنْ يَتَوَقَّفَ وَتَبَادَرَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . [فَتَسَأَلَهُ الْعَفْوَ] عَنْهُ
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ لِأَحْمَدَ : تَوَقَّفْ [وَصَارَ حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيْ] الْمَأْمُونِ وَهُوَ عَلَى
غَضَبِهِ فَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ فَأَبَى وَأَمَرَهُ ثَانِيَةً فَأَبَى فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَعْمُكَ عَلَى جَارِيَةٍ
وَمِنْكَ عِنْدِي وَعِنْدَ أَهْلِي عَظِيمَةٌ ، وَهَذَا يَوْمٌ شَرُفَتْ فِيهِ ابْنَةُ عَمِّي إِسْحَاقُ بِزِيَارَتِهِ
وَرَفَعَتْ بِذَلِكَ مِنْ قَدْرِهِ وَأَعْلَيْتُ مِنْ ذِكْرِهِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ هَذَا الْجَاهِلِ مَا كَانَ ،
أَوْ فِي سَمْعَةِ حِلْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَرِيمِ عَفْوِهِ مَا يَمُودُ عَلَيْهِ بِفَضْلِهِ [وَالتَّطَوُّلِ] بِصَفْحِهِ .
وَلَا يُخْرِجُهُ الْأَمْرُ إِلَى مَا أَخْرَجَهُ سَائِلُهُ مِنَ الْأَمْرِ بِقَتْلِهِ وَهَذَا شَيْءٌ إِنْ يَهَيِّأُ فِي مَنْزِلِ
خَادِمِهِ كَانَ سُبَّةً عَلَيْهِ وَعَارًا عَلَيْنَا إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ . هَذَا إِلَى حُرْمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ
وَحِدْمَتِهِ وَعِبُودِيَّتِهِ ، وَأَنْ مَا تَهَيَّأَ لَهُ فَبَسُوهُ الْإِتِّفَاقَ . لَا بِالْتَّمَعِ . فَإِنْ رَأَى
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَمُودَ بِحِلْمِهِ وَيَرَاجِعَ مَا عَوَّدَ اللَّهُ خَدَمَهُ مِنْهُ مِنَ الْعَفْوِ وَالْإِقَالَةِ فَفَل .
فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ وَأَمَرَ بِرَدِّهِ إِلَى الْمَجْلِسِ لِحَافٍ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ لَا يَأْمُرُهُ بِالْجُلُوسِ
ثُمَّ أَذِنَ لَهُ ، وَقَالَ : إِيَّاكَ وَمَعَاوِدَةَ مَا كَانَ مِنْكَ وَعَادَ إِلَى لَهْوِهِ وَشُرْبِهِ .

(١) مَا بَيْنَ الْأَنْفَاسِ عَنِ الْأَغَانِي وَهُوَ غَيْرُ وَاضِحٍ بِالْأَصْلِ .

معن بن أوس^(١)

هو معن بن أوس بن نصر بن زيادة^(٢) بن أسحَم ، وقيل : زيادة بن أسعد ابن أسحَم بن ربيعة بن عدي بن ثعلبة بن ذؤيب بن عداء^(٣) بن عثمان بن مُزينة ابن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار . نسبوا إلى مُزينة وهي امرأة عمرو ، وهي مُزينة بنت كلب بن وبرة ، تزوجها عمرو بن أد بن طابخة ، فولدت له عثمان وأوساً فغلبت أمهما على نسبهما ، فعلى هذا القول عداء هو عداء بن عثمان ابن عمرو بن أد بن طابخة .

ومعن شاعرٌ مجيدٌ فحلٌ مخضرمٌ جاهليٌّ إسلاميٌّ ، وكان مثناً وممدح جماعة من أصحاب سيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ووفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، مستمعيناً به على بمض أمره ، وخاطبه بقصيدته التي أولها :
تَأَوَّبَهُ طَيْفٌ بِذَاتِ الْجِرَائِمِ فَنَامَ رَفِيقَاهُ وَلَيْسَ بِنَائِمِ
وعمر بعد ذلك إلى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم . وكان معنٌ يُحْسِنُ صُحْبَةَ بَنَاتِهِ وَتَرْبِيَتَهُنَّ ، فولد لبعض عشيرته بنتٌ فكرها وأظهر جزءاً من ذلك فقال معن :

رَأَيْتُ رِجَالًا يَكْرَهُونَ بَنَاتِهِمْ وَفِيهِمْ لَا تُكْذِبُ نِسَاءُ صَوَاحُ
وَفِيهِنَّ وَالْأَيَّامُ تَمْشُرُ بِالْفَتَى نَوَادِبُ لَا يَمْلَأَنَّهِنَّ وَنَوَاحُ
مر عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ بِمَعْنِ بْنِ أَوْسِ الْمَزْنِيِّ وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ فَقَالَ لَهُ :

(١) أغاني ١٢ / ٥٤ تجريد ج ١ ق ٢ : ١٣٦١ - مهذب ٢ : ١٢٣ .

(٢) زياد (أغاني) .

(٣) ابن عبد أغاني الدار ١٢ / ٥١ .

يا معنُ ، كيف حالك ؟ قال : ضُف بصرى • وكثُر عيالى • وغلبنى الدينُ قال :
وكم دينك ؟ قال : عشرة آلاف درهم • فبعث بها إليه ثم مرَّ به من القد فقال له :
كيف أصبحت يا معن فقال :

أَخَذْتُ بِعَيْنِ الْمَالِ حَتَّى نَهَيْتُهُ وَبِالدِّينِ حَتَّى مَا أَكَادُ أَذَانُ
وَحَتَّى سَأَلْتُ الْقَرْضَ عِنْدَ ذَوِي الْغِنَى فَرَدَّ فُلَانٌ حَاجَتِي وَفُلَانُ
فقال عبيدُ الله : الله المستعانُ • إِنَّا بَعَثْنَا إِلَيْكَ بِالْأَسْ لُقْمَةً فَمَا لُكْتَمَهَا حَتَّى
انْتَزَعْتَ مِنْ يَدِكَ • فَأَيُّ شَيْءٍ لِلْأَهْلِ وَالْقَرَابَةِ وَالْجِيرَانِ وَبِئْسَ إِلَيْهِ بِعْشَرَةُ آلَافٍ
دِرْهَمٍ أُخْرَى • فقال معن يمدحه :

وَإِنَّكَ فَرَعٌ مِنْ قَرِيضٍ وَإِنَّمَا تَمَجُّ النَّدَى مِنْهَا الْبُحُورُ الْفَوَارُ
تَوَوُّوا قَادَةً لِلنَّاسِ بِطَحَاءِ مَكَّةَ لَهُمْ وَسِقَايَاتُ الْحَجَّاجِ الدَّوَاعُ
فَلَمَّا دُعُوا لِلْمَوْتِ لَمْ تَبْكِ مِنْهُمْ عَلَى حَادِثِ الدَّهْرِ الْعِيُونُ الدَّوَاعُ
قدم معنُ بنُ أوس البصرةَ ففقد يُنْشِدُ فِي الْمِرْبَدِ ، فوقف عليه الْفَرَزْدَقُ
فقال : يا معن : من الذى يقول :

لَعَمْرُكَ مَا مَزِينَةُ رَهْطِ عَمْرِو بِأَخْفَافِ يَطَّانَ وَلَا سَنَامِ

فقال له معن يا فرزدق من الذى يقول :

لَعَمْرُكَ مَا تَمِيمٌ أَهْلُ فَلَجٍ بِأَرْدَافِ الْمَلُوكِ وَلَا كَرَامِ
فقال له الْفَرَزْدَقُ : حَسْبُكَ ، فَإِنَّمَا جَرَّبْتُكَ فَقَالَ : قَدْ جَرَّبْتُ ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ ،
فَانصَرَفَ وَتَرَكَه .

قال عبدُ الملك بن مَرْوَانَ يوماً وَعِنْدَهُ عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَوَلَدِهِ : لِيَقُلَّ كُلُّ
وَاحِدٍ أَحْسَنَ شِعْرِ سَمِعَ بِهِ ، فَذَكَرُوا لَامِرِي الْقَيْسِ وَالْأَعْشَى وَطَرَفَةَ
فَاكْثَرُوا ، حَتَّى أَنْوَا عَلَى مُحَاسِنِ مَا قَالُوا • فقال عبد الملك : أشعرهم الذى يقول :

وَذِي رَحِمٍ قَلَمْتُ أَظْفَارَ ضِفْنِهِ بِحِلْمِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمٌ
إِذَا سُمْتُهِ وَصَلَ الْقَرَابَةَ سَامِنِي قَطِيعَتَهَا تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَالظَلْمُ
وَأُسَمِّي لِكِي أَبْنِي وَيَهْدُمُ صَالِحِي وَلَيْسَ الَّذِي يَبْنِي كَمَنْ شَأْنُهُ الْهَدْمُ
يَحَاوِلُ رَغْمِي لَا يَحَاوِلُ غَيْرَهُ وَكَالَمُوتِ عِنْدِي أَنْ يَنَالَ لَهُ رَغْمٌ ^(١)
فَمَا زِلْتُ فِي لَيْنٍ لَهُ وَتَعَطُّفٍ عَلَيْهِ كَمَا تَحْنُو عَلَى الْوَالِدِ الْأُمُّ
لَأَسْتَلَّ مِنْهُ الضَّغْنَ حَتَّى سَلَّتُهُ وَإِنْ كَانَ ذَا ضَغْنٍ يَضِيقُ بِهِ الْحِلْمُ
قَالُوا : وَمَنْ قَاتَلَهَا ؟ قَالَ : مَعْنِ بْنِ أَوْسِ الْمَزْنِيِّ .

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : دَخَلْتُ خَضِرَاءَ رَوْحٍ فَإِذَا بِرَجُلٍ مِنْ وَلَدِهِ عَلَى فَاحِشَةٍ يُؤْتِي .
فَقُلْتُ لَهُ : قَبَحَكَ اللَّهُ هَذَا مَوْضِعٌ كَانَ أَبُوكَ يَضْرِبُ فِيهِ الْأَعْنَاقَ وَيُعْطِي اللَّهَى
وَأَنْتَ تَفْعَلُ فِيهِ كُلَّ مَا أَرَى . فَالْتَفَتَ إِلَى مَنْ غَيْرِ أَنْ يَزُولَ عَنِ الْفَاحِشَةِ وَقَالَ :
وَرِثْنَا الْمَجْدَ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ أَسَانَا فِي دِيَارِهِمُ الصَّنِيعَا
إِذَا الْحَسْبُ الرَّفِيعُ تَوَاكَلَّتَهُ بِنَاءُ السَّوَاءِ أَوْشَكَ أَنْ يَضِيْعَا
وَالشَّعْرُ لِمَنْ بِنِ أَوْسٍ .

(١) أَنْ يَمُرَّ بِهِ الرَّغْمُ (مَهْذَبٌ) - أَنْ يَحِلَّ بِهِ (أَمَالِي ٢ : ١٠٣) .

محمد بن أمية^(١)

هو محمد بن أمية بن أبي أمية . كان شاعراً ظريفاً ، كان ينادم إبراهيم بن المهدي ،
وربما كتب بين يديه ، وقيل : يكتب على بيت المال ، وكان إليه ختم الكتب
بحضرتيه ، وكان حسن الخط والبيان ، وكان يأنس به لأدبه وفضله ومكانه من
ولائه ، وزامله في أربع حجّات حجّها في رواحه ورجوعه .

قال محمد بن أمية : كنت جالساً بين يدَي إبراهيم بن المهدي ، فدخل
أبو العتاهية ، وقد تنسك ولبس الصوف وترك قول الشعر ، فرفعه إبراهيم وسرّبه
وأقبل عليه بوجهه . فقال له أبو العتاهية : أيها الأمير ، بلغني خبر فتى ، في ناحيتك ،
ومن مواليك ، يعرف بابن أمية يقول الشعر ، وأنشدت له شعراً فأعجبني . فما فعل ؟
فضحك إبراهيم وقال : لعله أقرب الحاضرين مجلساً منك ، فالتفت إلى وقال : أنت
هو ؟ فديتك ، فحجبت وقلت ! أنا محمد بن أمية ، فديتك . وأما الشعر فإنما أنا
شاب أعبت بالبيتين والثلاثة كما يعبت الشباب . فقال لي : فديتك ، ذلك والله زمان
الشعر وإبانه ، وما قيل فيه فهو غرر وعيون ، وما زال ينشطني ويؤنسني حتى
أنست بحديثه . ثم قال لإبراهيم بن المهدي : إن رأى الأمير أن يأمره بإنشادي
ما حضر من شعره . فقال : بحياتي أنشدته فأنشدته :

ربّ وعدي منك لا أنساه لي	أوجب الشكر وإن لم تفعل
أقطع الدهر بوعدي حسن	فأجلّي كربة ما تنجلي
كلّما أملت يوماً صالحاً	عرض المقدور لي في أملي
وأرى الأيام لا تدني الذي	أرتجى منك وتدني أجلي

فبكأ أبو العتاهية حتى جرت دموعه على لحيته وجعل يُردد البيت الأخير ويبكي حتى خرج من الباب .

سمع أبو العتاهية يوماً غارقاً بغنى :

أحبك حباً لو يُفَضُّ^(١) يسيره
وعلم أنى بعد ذاك مُقَصَّرٌ
على الخلق مات الخلق من شدة الحب
لأنك فى أعلى المراتب من قلبي
فطرب ثم قال : يا أبا المهنأ من يقول هذا ؟ قال : فتى من الكتاب يخدم الأمير
إبراهيم بن المهدي قال : تعنى محمد بن أمية ؟ قال : نعم . قال : أحسن والله .
مازال يأتى بالشئ المليح .

قال الحسين بن الضحاك : دخلت أنا ومحمد بن أمية منزل بعض النخاسين بالرقعة
أيام الرشيد . وعنده جارية تُفَسِّى ، فوقع نظرها على محمد ووقع نظره عليها ، فقال :
يا جارية أنفنين هذا الصوت وقال لنفسه :

خبرنى من الرسول إليك واجمليه من لا ينم عليك
وأشبرى إلى من هو بالحد ظ ليخفى على الذين لديك
وأقل المراح فى المجلس اليو م فإن المراح بين يديك
فقلت : ما عرفه وأشارت إلى خادم كان على رأسها واقفا فكثما زماناً ، والخادم
الأسود الرسول بينهما .

لقى محمد بن أمية مسلم بن الوليد الأنصارى . وهو يمشى . وطوبلته مع
بعض رواته فسلم ، ثم قال له : قد حصرنى شئ فقال له مسلم : هاته فقال على أنه
مراح لا يُغَضُّ منه . قال : هاته . ولو أنه شتم فقال :

من رأى فيما رأى^(٢) رجلاً تيهه أربى على جدته

(١) يفض : يفرق .

(٢) فيما خلا (أغانى) .

يتباهى راجلا وله شاكرى فى قلنسيته
فسكت عنه ولم يحبه وافترقا . وكان لمحمد برذون^١ يركبه فنفق . فلقى مسلم
وهو راجل فقال له : ما فعل برذونك ؟ قال : نفق . قال : الحمد لله يجازيك^(١)
على ما كان منك . ثم قال :

قل لابنِى لا تكن جازعا لن يرجع البرذون بالبيت
طامن أحشاءك فقدانه وكنت فيه على الصوت
وكنت لا تنزل عن ظهره ولو من الحش^(٢) إلى البيت
ما مات من خف ولكنه مات من الشوق إلى الموت
اصطبج إبراهيم بن المهدي يوما وعنده جماعة منهم عمرو الغزال . وكان إبراهيم
ابن المهدي يستنقله فاندفع عمرو الغزال ينفى فى شعر محمد بن أمية :

ما تم لى يوم سرور بمن أهواه منذ كنت إلى الليل
أعبط ما كنت بما نلت منه أنتنى الرسل بالويل
لا والذي يعلم كل الذى أقوله ذى العز والطول
مارمت مذ كنت لكم سخطه بالغيب فى فعل ولا قول
فنظر إليه إبراهيم فتطير منه ووضع القدح من يده . وقال : أعوذ بالله من شر
ما قلت ، فوالله ما سكت ، ونحن نتلافى إبراهيم حتى دخل حاجبه يمدو . فقال :
ما الخبر ؟ قال : خرج الساعة مسرور من دار أمير المؤمنين ، ودخل على جعفر
ابن يحيى وأخذ رأسه وقبض على أبيه وإخوته وأهله . فقال إبراهيم : إنا لله وإنا
إليه راجعون ، يا غلام ارفع ما بين أيدينا . وتفرقنا فما رأيت عمرا بمدى فى داره .

(١) فنجازيك إذا . . . (أغانى) .

(٢) الحش : مثله الماء : البساتين ، النخل المجتمع .

المتوكل الليثي^(١)

هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن مسافع بن وهب بن عمرو بن لقيط ابن يَمَر بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر بن عَبْد مَنَاة بن كنانة بن خُزَيْمَة ابن مُدْرِكَة بن إلياس بن مضر بن نزار . وكُنِيَّتُهُ أَبُو جَهْمَة .

من شعراء الإسلام من الكوفة عاصر معاوية ويزيد ومدَّحهما واجتمع هو والأخطل وناشده لما قَدِمَ الأخطلُ الكوفة . فقال له المتوكل : أنشدني أيها الرجل ، فوالله لا تُنشدني قصيدة إلا أنشدتك مثلها أو أشعر منها ، من شعري . قال : ومن أنت ؟ قال : المتوكل . قال : أنشدني أنت ، وبِحْك ! فأنشده من قصائد :

لِغَايَاتِ بَذَى الْمَجَازِ رَسُومُ	فَبِطْنِ مَكَّةَ عَهْدُهُنْ قَدِيمُ
فَبِمَنْحَرِ الْبُذْنِ الْمُقْلَدِ مِنْ مِئِي	حِلَلٍ ^(٢) تَلُوحُ كَأَنَّهُنَّ نَجُومُ
لَا تَنَّهُ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ	عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ
وَالْهَمُّ إِنْ لَمْ تَمْضِهِ لِسَبِيلِهِ	دَاءٌ تَضْمَنَهُ الضَّلُوعُ مَقِيمُ

فقال له الأخطل : يا متوكل لو نَبَحْتَ الْخَمْرُ فِي جَوْفِكَ كُنْتَ أَشْعَرَ النَّاسِ . أتى المتوكل إلى عكرمة بن رَبِيعٍ الذي يقال له الْفَيَاض . فامْتَدَحَهُ خَرَمَهُ ، فقيل له : جادك شاعرُ العربِ خَرَمَتَهُ ! فقال : ما عرفتُهُ . وأرسل إليه أربعة آلاف درهم . فأبى أَنْ يَقْبَلَهَا وقال : حَرَمَنِي عَلَى رِءُوسِ النَّاسِ وَيُبْعَثُ إِلَى سَرَا .

ثم رَمَدَ المتوكلُ رَمَدًا شَدِيدًا بِالْحَيْرَةِ ، فَأَتَاهُ^(٣) رَجُلٌ فَقَالَ : هَلْ لَكَ فِي الْمُدَاوَةِ ؟ قال : أَوْفَعْلُ ، فَذَرَّهُ فَبُذِرَ ذَاتَ يَوْمٍ مَذْرُورُ الْعَيْنِ مُسْتَلَقٍ عَلَى ظَهْرِهِ ، يَفْكُرُ فِي هِجَاءِ

(١) تجريد : ج ١ ت ٢ : ١٣٨٨ أغاني الدار ١٢ / ١٥٩ المذهب ٤٤/٦ .

(٢) الحلل جمع حلة بكسر الحاء : وهي الجماعة من بيوت القوم .

(٣) فر به قس منهم (أغاني) ١١ : ٤٠ .

عِكْرَمَةً وَلَا يَطْرُدُ لَهُ الْقَوْلُ فِي مَعْنَاهُ إِذْ أَتَاهُ غَلَامُهُ فَقَالَ : بِالْبَابِ امْرَأَةٌ تَدْعُوكَ فَسَحَّ عَيْنَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهَا فَسَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا إِذَا هِيَ الشَّمْسُ حُسْنًا فَقَالَ لَهَا : مَا اسْمُكَ ؟ فَقَالَتْ أُمَيَّةٌ . فَقَالَ : مِمَّنْ أَنْتِ ؟ فَلَمْ تُخْبِرْهُ . فَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَتْ : بَلَّغْنِي أَنَّكَ شَاعِرٌ فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَنْسُبَ بَنِي فِي شِعْرِكَ فَكَّرَرَّ طَرَفَهُ فِي وَجْهِهَا مُصْعِدًا وَمَصُوبًا ثُمَّ تَلَثَّمَتْ وَتَوَلَّتْ عَنْهُ فَاطْرَدَ لَهُ الْقَوْلُ الَّذِي اسْتَقْصَبَ عَلَيْهِ فِي هَجَاءِ عِكْرَمَةٍ وَافْتَتَحَهُ بِالنَّسِيبِ فَقَالَ :

أَجَدَّ الْيَوْمَ جِيرَتُكَ احْتِمَالًا وَحَثَّ حُدَاتِهِمْ بِهِمْ الْجَمَالَا
وَفِي الْأَظْمَانِ آئِسَةٌ لَمُوبٍ تَرَى قَتْلِي بَغِيرِ دَمٍ حَلَالَا
أُمَيَّةٌ يَوْمَ دَبِيرِ الْقُسِّ ضَنْتُ عَلَيْنَا أَنْ تُنَوَّلَنَا نَوَالَا
لَهَا بَشَرٌ نَقَى اللَّوْنِ صَافٍ وَمَنْ حُطَّ فَأَعْتَدَلْ اعْتَدَالَا
إِذَا تَمْشَى [نَأَوَّدَ جَانِبَاهَا] وَكَادَ الْخَصْرُ يَنْخَزِلُ انْخَزَالَا
تَفْوَاهَا رَوَادِفُهَا إِذَا [مَا وَشَاحَاهَا عَلَى التَّنِينِ]^(١) حَالَا
[وَقَالَ فِيهَا يَهْجُو عِكْرَمَةً]^(٢) :

أَقْلَسَنِي يَا بَنَ رَبِّمِي ثَنَائِي وَهَبَهَا مِدْحَةً ذَهَبَتْ ضَلَالَا
وَهَبَهَا مِدْحَةً لَمْ تَغْنِ شَيْئًا وَقَوْلَا عَادَ أَكْثَرُهُ وَبَالَا
أَعْكُرِمَ كُنْتُ كَالْمُبْتَاعِ دَارًا أَبَى بَيْعِ النَّسَامَةِ فَاسْتَقَالَا
بَنُو شَيْبَانَ أَكْرَمُ آلٍ بَسْكَرٍ وَأَمْتَنَهُمْ إِذَا عَقَدُوا حَبَالَا
رِجَالُ أُعْطِيتْ أَحْلَامَ عَادٍ إِذَا نَطَقُوا وَأَبْدَيْهَا الطَّوَالَا
وَتِيمُ اللَّهِ حَيٌّ حَيٌّ صِدْقٍ وَلَكِنَّ الرَّحَى تَعْلُو الثُّغَالَا^(٣)

(١) مَا بَيْنَ الْأَقْوَاسِ غَيْرُ وَاضِحٍ فِي الْأَصْلِ وَهُوَ عَنِ الْأَغَانِي وَالتَّجْرِيدِ .

(٢) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ زِيَادَةٌ عَنِ الْأَغَانِي .

(٣) الثُّغَالُ : جِلْدٌ يَبْسُطُ تَحْتَ الرَّحَا .

المغيرة بن حبياء^(١)

هو المغيرة بن حبياء بن عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عبد عوف بن ربيعة ابن عامر بن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية . وأبوه حبياء بن عمرو شاعر ، واسمه جُبَيْر وحبياء لقب غلب عليه ، ولقب بذلك لِحَبَن^(٢) كان أصابه . وأخوه صخر شاعر وكان يهاجيه . وكان زياد الأعجم يهاجيه ، وبينهما مناقضات وكانا متكافئين في الهجاء ، كل منهما مُنتَصِفٌ من صاحبه .

قدم المغيرة بن حبياء على طلحة الطلحات الخزاعي ثم الملقحي أحد بني مُلَيْح فأنشده من أبيات :

لقد كنتُ أسمى في هواك وأبتني	رضاك وأرجو منك ما لست لأقيا
وأبدلُ نفسي في مواطنَ غيرِها	أحبُّ وأعصى في هواك الأدانيا
حفاظاً وتمسيكاً لما كان بيننا	لتَجْزِيَنِي مالا إخالكَ جازيا
رايتك ما تنفكُ منك رَغِيبةٌ	تُقَصِّرُ دوني أو تحلُّ ورائيا
أراني إذا استمطرت منك رَغِيمةٌ	لُتْمَطِرَنِي عادتُ عَجَاجا وسافيا ^(٣)
وأدليتُ دَلوى في دلاء كثيرة	فأبَنَ مِلاء غير دَلوى كما هِما
ولست بلاق ذا حفاظٍ ونَجْدَة	من القوم خُراً بالخسيسة راضيا
فإن تدنُ مني تدنُ منك مودتي	وإن تنأ عني تُلفني عنك نايبا

(١) أغاني الدار ١٣/٨٤ ، تجريد ١٦٤: ٢ ، مهذب ١٠٨: ٥ ، الشعر والشعراء ٢٤٠

(٢) الحبن : ورم في البطن .

(٣) المعجاج : الغبار - والساق ، الريح التي تحمل الزاب .

فلما أُنشدَه هذا الشعرَ قال : أما كُنَّا أعطيناك شيئاً ؟ قال : لا . قال : فأمر طلحةُ خازنَه فأخرجَ دُرْجاً فيه حِجَارَةٌ ياقوتٍ فقال : اختر حَجَرَيْنِ من هذه الأحجارِ أو أربعين ألفَ درهم . فقال : ما كنت لأختار حِجَارَةً على أربعين ألفَ درهم . فأمر له بالمال ، فلما قبضه سأله حِجْراً من أولئك ، فوهبه له . فباعه بعشرين ألفَ درهم ، ثم مدحه فقال :

أرى الناسَ قد مَلُّوا العطاءَ ولا أرى بَنِي خَلْفٍ إِلَّا رِوَاءَ الْمَوَارِدِ
إِذَا نَفَعُوا عَادُوا لِمَنْ يَنْفَعُونَهُ وَكَأَنَّ تَرَى مِنْ نَافِعٍ غَيْرِ عَائِدِ
إِذَا مَا أَنْجَلَتْ عَنْهُمْ غَمَامَةٌ ^(١) غَمْرَةٌ مِنَ الْمَوْتِ أَجَلْتُ عَنْ كَرَامٍ مَذَاوِدِ ^(٢)
تَسُودُ غَطَارِيفَ الْمَلُوكِ مَلُوكُهُمْ وَمَا جَدُّهُمْ يَمْلُؤُ عَلَى كُلِّ مَا جَدِ
لِمَا هَزَمَ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُقَيْرَةَ قَطْرِيَّ ^(٣) بْنِ الْفَجَاءِ بِسَابُورَ جَلَسَ لِلنَّاسِ فَدَخَلَ إِلَيْهِ
وُجُوهَ النَّاسِ يُهِنُّونَهُ ، وَقَامَتِ الْخُطْبَاءُ فَأَنْتَتْ عَلَيْهِ ، وَالشُّعْرَاءُ مَدَحَتْهُ وَقَامَ الْمَغِيرَةُ
ابْنُ حَبْنَاءُ فَأَنْشَدَ :

حَالُ الشَّجَا دُونَ طَعْمِ الْعَيْشِ وَالسَّهْرِ وَاعْتَادَ عَيْمَنَكَ مِنْ إِدْمَانِهَا الدَّرُّ ^(٣)
وَاسْتَحَفَّتْكَ أُمُورٌ كُنْتَ تَكْرَهُهَا لَوْ كَانَ يَنْفَعُ مِنْهَا النَّأْيُ وَالْخَذَرُ
وَفِي الْمَوَارِدِ لِلْأَقْوَامِ تَهْلُكَةٌ إِذَا الْمَوَارِدُ لَمْ يُعْلَمْ لَهَا صَدَرُ
لَيْسَ الْعَزِيزُ بِمَنْ تُفَشَّى مَحَارِمُهُ وَلَا الْكَرِيمُ بِمَنْ يُجْفَى وَيُحْتَمَرُ
منها :

أَمْسَى الْعِبَادُ بِشَرِّ لَا غِيَاثَ لَهُمْ إِلَّا الْمُهَلَّبُ بِمَدَدِ اللَّهِ وَالْمَطَرُ
كَلَامُهَا طَيْبٌ تَرْجَى نَوَافِلُهُ مِبَارَكٌ سَيِّبُهُ يُرْجَى وَيُنْتَظَرُ

(١) في رواية : غميمة .

(٢) جمع مذود وهو الدفاع عن العشيرة .

(٣) الدرر بالكسر جمع درة وهي كثرة اللبن ، يريد بذلك انسكاب الدموع بغزارة .

لا يَجْمُدَانِ عَلَيْهِمْ عِنْدَ جَهْدِهِمْ هَذَا يَجُودُ^(١) وَيَجْمَى عَنْ ذِمَارِهِمْ
وَاسْتَسْلَمَ النَّاسُ إِذْ حَلَّ الْعَدُوُّ بِهِمْ وَأَنْتَ رَأْسُ لَأَهْلِ الدِّينِ مُنْتَخَبُ
إِنْ الْمُهَلَبَ فِي الْأَيَّامِ فَضَّلَهُ حَزْمٌ وَجُودٌ وَأَيَّامٌ لَهُ سَلَفَتْ
مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ لَا يَنْفِكُ مُرْتَحَلًا سَهْلُ الْخِلَاقِ يَغْفُو عِنْدَ قُدْرَتِهِ
شِهَابٌ حَرْبٍ إِذَا حَلَّتْ بِسَاحَتِهِ تَزِيدُهُ الْحَرْبُ وَالْأَهْوَالُ إِنْ حَضَرَتْ
مَا إِنْ يَزَالُ عَلَى أَرْجَاءِ مُظْلِمَةٍ سَهْلٌ إِلَيْهِمْ حَلِيمٌ عَنْ مَجَاهِلِهِمْ
كَهْفٌ يَلُودُونَ مِنْ ذُلِّ الْحَيَاةِ بِهِ أَمَّنٌ لِحَافَتِهِمْ فَيْضٌ لِسَائِلِهِمْ

كَلَاهَا نَافِعٌ فِيهِمْ إِذَا افْتَقَدُوا وَذَا تَعِيشُ بِهِ الْأَنْعَامُ وَالشَّجَرُ
فَلَا رَيِّعَتُهُمْ تُرْجَى وَلَا مُضَرُ وَالرَّأْسُ فِيهِ يَكُونُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
عَلَى مَنَازِلِ أَقْوَامٍ إِذَا ذُكِرُوا فِيهَا يُعَدُّ جَسِيمُ الْأَمْرِ وَالْخَطَرُ
أَسْبَابُ مَعْضَلَةٍ يَعْصِي بِهَا الْبَشَرُ مِنْهُ الْحَيَاءُ وَفِي أَخْلَاقِهِ الْخَضَرُ
يُخْزِي بِهِ اللَّهُ أَقْوَامًا إِذَا غَدَرُوا حَزَمًا وَعَزَمًا وَيَجْلُو وَجْهَهُ السَّفَرُ
لَوْلَا يُكْفَى كِفَتُهَا عَنْ مِصْرِهِمْ دَمَرُوا^(٢) كَأَنَّمَا بَيْنَهُمْ عَمَانٌ أَوْ عُمَرُ
إِذَا تَكَنَّفَهُمْ مِنْ هَوَاهِمَا ضَرَرُ تَنْتَابُ نَائِلُهُ الْبَادُونَ وَالْخَضَرُ

فلما أتى على آخرها قال المهلب : هذا والله الشعر ، لا ما نتعمَّل به منذ اليوم -
وأمر له بمشرة آلاف درهم وفارس جواد ، وزاد في عطائه خمسمائة درهم . وكان
السبب في التهاجي بين زياد الأنجم والمغيرة أنهما اجتمعا عند المهلب وكعباً
الأشقرى « وقد امتدحوه » فأمر لهم بجوائز وفضل زياداً عليهم « ووهب له غلاماً
فصيحاً يُنشد شعره » لأن زيادا كان الكن لا يُفصح ، وكان راويته يُنشد عنه .

(١) يذود (مذهب) ١٠٩ : ٥ .

(٢) دمروا : هلكوا .

وكان زياد إذا أنشد بين يدي المهلب استجد شعره وعاب لسانه فقال له : يا زياد لم لا يكون لك غلامٌ يُنشد [بين يديك] ^(١) فتجمل بلسانه شعرك ؟ فقال : إنه تعرف على غلام فصيح وبودى لوجدت بذلك ، وكان عند المهلب غلامٌ فصيح . فأمر له به وقال : احتفظ بهذا الغلام فقد [آرتك] به ، وأمر له بجائزة سنينة إكراما له [لأنه استجد] شعره على [غيره] وكان [قبل ذلك] راويته يُنشدُ عنه ويجعل له سهمًا ويتكلفُ مؤونته ، فلما كان في تلك الدفعة لم يكن معه فاستوهب منه الغلام فوهبه له فصعب ذلك عليهم فابتدر له المغيرة من بينهم فقال للمهلب : ما السبب في تفضيل الأمير زياداً علينا ؟ فوالله ما يغني غناءنا في الحرب ولا هو بأفضلنا شعرا ولا بأصدقنا وداً . ولا أشرفنا أبا ولا أفصحنا لسانا . ولقد مدحت الأمير بقصيدة تفضل على قصيدته في سائر المائى ، [وإن أحبَّ الأميرُ أن يجمع بين الكلامين فعل] فقال : والله ما جهلت شيئا مما قلت ، وإن الأمر فيكم عندي لتساو . ولكن زيادا يكرم لِسَنَهُ وشعره وموضعه من قومه وكلهم كذلك عندي وما فضلت به ما يُنفَس به وأنا أعوضكم بعد هذا بما يزيد على هذا . فقال المغيرة : إنما تكلمت بما تكلمت ضنًّا منى بموضعى عند الأمير ، ولأن أعلم ما فى نفسه . وإذا كان ذلك رأيه فىّ فما أبالى بشيء . وانصرف فبلغ ذلك زيادا فقال : يا قوم رأيتم إلى المغيرة كيف نفس على موضعى من الأمير وحسدنى عليه . أترأى ظن نفسه مثلى عند الأمير ؟ أو ترى الأمير [أخطأ] فى تقدمتى وأصاب المغيرة ؟ فبلغ المغيرة ذلك فقال : أما أنا فقد أبنت [بتبهيئتى الشعر] أنى أفضل منه وسألته أن يوافقنى على ذلك فرأيته قد عرف ماقلت ، وبلغنى ماأردت منه . وأما زياد فإن أحب أن يعرف موضعه منى [فليركب ماشاء من] الشعر حتى أجيبه ويعرف الناس فضلى من فضله فلما بلغ ذلك زيادا قال : سيعلم المغيرة كيف حاله إذا أفضحه هجائى وقال :

(١) ما بين الأقواس من الأغانى .

أرى كلَّ قومٍ ينسلُّ اللؤمُ عندهم
يشبُّ مع المولود مثلَ شبابه
وترضعه من ثدى أمِّ ائيمَةٍ
تعالوا فعدُّوا في الزمان الذي مضى
لكم بفعلٍ يعرفُ الناسُ فضله
فغازيكم في الجيش الأمُّ من غزا
وما أنتم من مالكٍ غير أنكم
بنو مالك زهرُ الوجوه وأنتم

واؤمُّ بنى حبناء ليس بفاسل
وتلقاه مولوداً بأيدي القوابل
ويخلق من ماء امرئٍ غير طائل^(١)
فكلُّ أناسٍ مجدهم في الأوائل
إذا ذكر الأملاء^(٢) عند الفضائل
وقافلُكم في الناس الأمُّ قافل^(٣)
كغزوةٍ بالبؤ في ظلِّ باطل
تبين ضاحي لؤمكم في الجحافل

يُمرِّضُ ببرص كان بالمغيرة بنِ حبناء . وكان زيادٌ قد عيَّرَ المغيرةَ في مجلس
المُهَلَّبِ بالبرص ، فقال له المغيرة : إن عِتاقَ الخيلِ لا تشينُها الأوصاح . ولا تُعيِّرُ
بالقرَرِ والحجول . وقد قال صاحبنا بلعاء بن قيس لرجلٍ عيَّره بالبرص : إنما
أنا سيفُ الله جَلاء واستلَّه على أعدائه ، فهل تُفنى يا ابن العجماء غنائي أو تقومُ
مقاي ؟

وقال المغيرة يحجب زياداً :

أزيادُ إنك والذى أنا عبْدُه
فالحقُّ بأرضك يا زيادُ ولا ترُمُ
أظننتَ لؤمك يا زيادُ يسدُّه
عليجُ نَمَمٍ ثم راقِ بقوسه^(٤)

مادونَ آدمَ من أبٍ لك يُعلمُ
ملا تطيقُ فانتَ عليجُ أعجمُ
قوسٌ سترتَ بها ففاك وأسهمُ
والعليجُ تعرفُه إذا يتعممُ

(١) يقال : ما هو بطائل ، للخبيس الدون .

(٢) الأملاء ، جمع ملأؤهم الأشراف .

(٣) القافل : الراجع .

(٤) راق بقوسه : ظن أنه راق بها أي زاد فضلاً .

أَتَى الْمَصَابَةَ يَا زِيَادُ فَإِنَّمَا
وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ لَسْتَ مِنِّي نَاجِيَا
تَهْجُو الْكِرَامَ وَأَنْتَ الْأَمُّ مِنْ مَشَى
وَلَقَدْ سَأَلْتُ بَنِي نَزَارٍ كُلَّهُم
بِاللَّهِ مَا لَكَ فِي مَعَدِّ كَلِمَا
أَخْزَاكَ رَبِّي إِذْ غَدَوْتَ تَرَنَّمُ
إِلَّا وَأَنْتَ بِيْظَرٍ أُمَّكَ مُلْجَمُ
حَسَبًا وَأَنْتَ الْعِلْجُ حِينَ تَسْكَلُمُ
وَالْعَالَمِينَ مِنَ الْكُهُولِ فَاقْسَمُوا
حَسَبَ وَأَنْكَ يَا زِيَادُ مُؤَدَّمُ

فَأَجَابَهُ زِيَادٌ وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا مَنَاقِضَاتُ .

كَانَ الْمَغِيرَةُ يَوْمًا يَا كُلَّ مَعَ الْمُفَضَّلِ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَقَالَ الْمُفَضَّلُ :
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْحَنْظَلِيِّ وَلَوْنُهُ
فَرَفَعَ الْمَغِيرَةُ يَدَهُ وَقَالَ وَقَامَ غَاضِبًا :
لَا تَحْسَبَنَّ بِيَاضًا فِيَّ مَنَقَصَةً
إِنْ الْهَامِيمَ فِي الْوَانِهَا بَلَقُ
وَبَلَغَ الْمُهَلَّبُ مَا جَرَى بَيْنَهُمَا فَتَنَاولَ الْمُفَضَّلُ بِلِسَانِهِ وَشَتَمَهُ . وَقَالَ : أَرَدْتُ أَنْ
يَتَمَضَّغَ أَعْرَاضُنَا . مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ أَسْمَعْتَهُ مَا كَرِهَ . بَعْدَ مَوَاطَلَتِكَ إِيَّاهُ ؟ أَمَا إِنْ
كَفَتَ تَمَافُهُ فَاجْتَنِبْهُ أَوْ لَمْ تُؤْذِهِ . ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ بَعْشَرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَاسْتَصَفَّحَهُ
عَنِ الْمُفَضَّلِ . وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ عَنْهُ ، فَقَبِلَ رِفْدَهُ وَعُذْرَهُ . وَانْقَطَعَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ
مُؤَاكَلَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ .

وَقَالَ زِيَادٌ يَهْجُو الْمَغِيرَةَ بْنَ حَبْنَاءَ :
عَجِبْتُ لِأَبِيضِ الْخُصِيِّينَ عَبْدُ
فَقِيلَ لَهُ : يَا أَبَا أُمَامَةَ لَقَدْ شَرَّفْتَهُ إِذْ تَقُولُ : كَأَنَّ عَجَانَهُ الشَّعْرَى الْعَبُورُ وَرَفَعَتْ
مِنْهُ فَقَالَ . سَأَزِيدُهُ شَرَفًا وَرِفْعَةً ثُمَّ قَالَ :

لَا يَبْرَحُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ خَارِيًّا أَبَدًا
وَتَقَاوَلَا يَوْمًا فِي مَجْلِسِ الْمُهَلَّبِ فَقَالَ الْمَغِيرَةُ لَزِيَادٍ :
أَقُولُ لَهُ وَأَنْكَرَ بَعْضَ شَأْنِي
أَلَمْ تَعْرِفْ رِقَابَ بَنِي تَيْمِ

فقال له زياد :

بلى وعرفتكم مَقْصَرَاتٍ جَبَاهُ مَذَلَّةٌ وَسِبَالُ أَوْمِ
وكانت ربيعة تقول لزياد الأعجم : يا زياد ، أنت لساننا فاذبُبْ عن أعراضنا
بشمرك ۝ فإن سيوفنا معك ولن نُسَلِّمَكَ ولن نَخْذُلَكَ فبلغ ذلك ابن حَبْنَاء فقال :
يقولون ذَبِّبْ يا زيادُ ولم يكن
ولو أنهم جاءوا به ذا حَفِيزَةٍ
ولكنهم جاءوا بأَقْلَفٍ قد مضت
لثِيماً ذَمِيماً أُعْجِمِيّاً لسانه
وما خلت عبد القيس إلا تقاية
إذا كنتَ للعَبْدِيِّ جاراً فلا تَزَلْ
أناساً يعدون الفساء لجارهم
من الفسوّ يقضون الحقوق عليهم
لهم زَجَلٌ فيه إذا ما تجاوبوا
لعمرك ما نَجَّى ابن زوران إذ عوى
أظن الخبيث ابنُ الخبيثين أننى
لعمرك ما تهدى ربيعة للحججا
إذا جعلوا يستصرخون الأعاججا
فجاءت عبد القيس إلى المنيرة وقالوا : يا هذا ما لنا ولك تَمَعُّنًا بالهَجَاءِ لَأَنْ نَبَحَكَ
منا كلب قد تَبَرَّأنا إليك منه ، فإن هجأك فاهْجُجْهُ وَخَلِّ عَنَّا وَدَعْنَا وَأَنْتَ وَصاحبُك
أعلم فليس منا له عليك ناصرٌ . فقالوا : يا هذا نحن نسألك أن تعفينا من الذى أننا فيه
فقال المنيرة :

(١) يقال : رزم رزوما : إذا سقط من الإعياء ولم يتحرك فهو رازم .

(٢) الهمام : تردد الزئير في الصدر .

لَعْمُرُكَ إِنِّي لَا بِنِ زُورَانَ إِذْ غَوَى
وما لك أصلٌ يا زيادُ تَعُدُّهُ
ألم ترَ عَبْدَ الْقَيْسِ مِنْكَ تَبَرَّأْتُ
وما طاش سَهْمِي عَنْكَ يَوْمَ تَبَرَّأْتُ
وما أنت بالنسوب في آلِ عامِرٍ
ولكن غذاك المشركون وزاحمتُ
ولم أر مثلي يا زيادَ بِمِرْضِهِ
ولو أني [غشيتك] السيف لم يُقَلِّ
[ولما امتلأت يدُ] المغيرةِ بنِ حنبلٍ من جوائزِ المهلب عاد إلى أهله • وكان
أخوه • صخرُ بنِ حنبلٍ • أصغرَ منه ، فكان يأخذُ على يده وينهاه عن الأمرِ •
ولا يزال يمتب عليه في الشيء بعد الشيء فقال فيه صخر :

رَأَيْتَكَ لَمَّا نَلْتَ مَالًا وَعَصْنَسَا
زَمَانُ نَرَى فِي حَدِّ أَنْيَابِهِ شَغْبًا
تَجَسَّى عَلَى الدَّهْرِ إِنِّي مُذْنِبٌ
فَأَمْسِكْ وَلَا تَجْعَلْ غَنَاكَ لَنَا ذَنْبًا
فقال المغيرة يحميه :

لَحَى اللَّهُ أَنْسَانًا عَنِ الضَّيْفِ بِالْقَرَى
وَأَقْصَرَنَا عَنْ عِرْضِ وَالِدِهِ ذَبًّا
وَأَجْدَرْنَا أَنْ يَدْخَلَ الْبَيْتَ بِاسْتِهِ
إِذَا الْقَفُ^(٢) دَلَّى مِنْ مَخَارِمِهِ رَكْبًا
وكانت أختُ المغيرة تشكو إليه أخاها صخرًا أنه أسرَّع في مالها وأتلفه
وأنها منعه شئًا يسيرًا بقي لها فصرَّ بها فقال المغيرة :

أَلَا مَنْ مَبْلَغُ صَخْرَ بْنِ لَيْسَى
فإني قد أتاني من ثناكا^(٣)

(١) ما بين القوسين عن الأغاني .

(٢) القف : بالضم ما غلظ من الأرض وارتفع - والمحارم جمع مخرم وهو الطريق في الجبل .

(٣) الثنا : ما أخبر به عن الرجل من حسن أو سيئ والمراد هنا الشر .

رسالة ناصح لك مُسْتَجِيبٍ
وَصُولُ لَوْ يَرَاكَ وَأَنْتَ رَهْنُ
يَرَى خَيْرًا إِذَا مَا نَلْتَ خَيْرًا
فَإِنْ تَكُ لَا تَرَى أَسْمَاءَ أُخْتًا
وَإِنْ تَعْنُفُ بِهَا أَوْ لَا تَصِلُهَا
يَبْرُ وَيَسْتَجِيبُ إِذَا دَعَتْهُ
وَكُنْتُ أَرَى بِهَا شَرَفًا وَفَضْلًا
جَزَانِي اللَّهُ مِنْكَ وَقَدْ جَزَانِي
وَأَعْتَبَ^(١) أَصْدَقَ الْخَصَمِينَ قَوْلًا
فَلَا وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَعْصِ أَمْرِي
فَأُجَابُهُ أَخُوهُ صَخْرُ :

أَتَانِي عَنْ مَفِيرَةَ زُورُ قَوْلٍ
يَعْمُ بِهَ بَنِي لَيْلَى جَمِيعًا
فَإِنْ تَكُ قَدْ قَطَعْتَ الْوَصْلَ مِنِّي
تُعَذِّبُنِي إِذَا مَا عَبْتَ عَنِّي
وَتُوَلِّينِي مَلَامَةَ أَهْلِ بَيْتِي
فَإِنْ تَكُ أُخْتُنَا عَتَبْتَ عَلَيْنَا
فَإِنْ لَهَا إِذَا عَتَبْتَ عَلَيْنَا
وَإِنْ تَكُ قَدْ عَتَبْتَ عَلَيَّ جَهْلًا

إِذَا لَمْ تَرَعْ ذِمَّتَهُ رَعَاكَ
تَبَاعُ بِمَا لَهَ يَوْمًا فِدَاكَ
وَيَشْجِي فِي الْأُمُورِ بِمَا شَجَاكَ
فَلَا تَرَيْنَنِي أَبَدًا أَخَاكَ
فَإِنْ لِأُمِّهَا وَلَدًا سِوَاكَ
وَإِنْ عَاصَيْتَهُ فِيهَا عَصَاكَ
عَلَى بَعْضِ الرِّجَالِ وَفَوْقَ ذَاكَ
وَمِنِّي فِي مَعَاتِنَا جَزَاكَ
وَوَلَّى اللَّؤْمَ أَوْلَانَا بَذَاكَ
لَكُنْتُ بِعَمَلِي عَمَّا نَهَاكَ

تَعَمَّدَهُ فَقُلْتُ لَهُ كَذَاكَ
فَوَلَّ هَجَاءَهُمْ رَجُلًا سِوَاكَ
فَهَذَا حِينَ أَخْلَفَنِي مُنَاكَ
وَتُخْلِفُنِي مُنَاكَ إِذَا أَرَاكَ
وَلَا تُعْطِي الْأَقَارِبَ غَيْرَ ذَاكَ
فَلِمَ^(٢) تَصْرِمُ لِطَنَّتِهَا أَخَاكَ
رِضَاهَا صَابِرِينَ لَهَا بَذَاكَ
فَلَا وَاللَّهِ لَا أَبْنِي رِضَاكَ

(١) وأعتب (مهذب الأغاني) : ١١٣ .

(٢) فلا تصرم (أغاني) .

فَأَعْلَنُ مِنْ مَقَالِي مَا أَنَا كَا
كَمَا أَغْنَاكَ عَنْ صَخْرٍ غَنَاكَ
وَيُغْنِيَنِ الذِّي أَغْنَاكَ عَنِّي
أَلَمْ تَرَنِي أَجُودُ لَكُمْ بِمَالِي
وَأَنِّي لَا أَقُودُ إِلَيْكَ حَرْبًا
وَلَكِنِّي وَرَاءَكَ شَمْرِي
وَأُدْفَعُ أَلْسُنَ الْأَعْدَاءِ عَنْكُمْ
وَقَدْ كَانَتْ قَرِيبَةً ذَاتَ حَقٍّ
رَأَيْتُ الْخَيْرَ يَقْصُرُ مِنْكَ دُونِي

وكان المغيرة أبرص وأخوه صخر أعور وأخوها الآخر مجذوم وكان بأبيه
حَبَنٌ^(١) فَلَقَّبَ حَبْنَاءَ . فقال زيادُ الأعجمُ : يا قوم ، رأيتم من أكمل ما أكمله المغيرة
ابن حَبْنَاءَ هو أبرص وأخوه أعور وأخوه مجذوم وأبوه به حَبَنٌ فَلَقَّبَ حَبْنَاءَ ،
وهو لثيم في نفسه فن يعرفون أكمل هو وأهله ما أكمل المغيرة فقالوا : يا زياد ،
لقد رميت برام ما أخطأت منه شيئاً فهل قلت في ذلك شيئاً ؟ قال : أى والله وأنشد :

إِنَّ حَبْنَاءَ كَانَ يُدْعَى جَبِيْرًا فَدَعَوْهُ مِنْ لَوْمِهِ حَبْنَاءَ
وَلَدَ الْعُورُ مِنْهُ وَالْبَرَصُ وَالْجُنْدُ مَيَّ وَذُو الدَّاءِ يُنْتَجِجُ الْأَدْوَاءَ

فيقال : إن هذه الأبيات آخر ما تهاجيا به ، لأن المغيرة لما بلغه ذلك قال :
ما ذنبنا فيما ذكر ! هذه أدواء ابتلانا الله بها . ليست هي أشياء اكتسبناها
فيكون علينا عارها وإنما يُعَيَّرُ المرء بما يكتسبه . وأرجو أن يجمع الله تعالى
عليه هذه الأدواء كلها . فبلغ ذلك زيادا من قوله ولم يُجِبْهُ المغيرة فامسك
زياد وتكافأ .

(١) الحبن محركة : داء في البطن يعظم منه ويرم ، الاستسقاء .

قال الأصمعي : لم يقل أحدٌ في تفضيل أخٍ على أخيه وهما لأبٍ وأمٍ مثل قول
المغيرة لأخيه :

أبوك أبي وأنت أخي ولكن تفاضلتِ الطبائعُ والظروفُ
وأملك حين تُنسَبُ أمٌ صدق ولكنَّ ابنها طبعٌ سخيْفُ
وكان عبدُ الملك إذا نظر إلى أخيه معاوية : وكان ضعيفا يتمثل بهذين البيتين .
نظر الحجاجُ إلى يزيد بن المهلب يَخطُرُ في مشيته فقال : لعن الله المغيرة بن
حبناء حيث يقول :

جميلُ المحيَّا بَخَرِيْتُ إذا مشَى وفي الدَّرْعِ ضَخْمُ للفكبينِ شِنَاقُ^(١)
فالتفت إليه يزيد فقال : يقول فيها :
شديدُ القوَى من أهلِ بيتٍ إذا وهَى من الدِّينِ فَقَقُ مُحَلَّوْا فَأَطَافُوا
مراجيحُ في اللَّأْوَاءِ إن نَزَلَتْ بهم ميامينُ قد قَادُوا الجيوشَ وسَاقُوا
ولما قُتِلَ المغيرةُ بنُ حبناء جعل وهو يجودُ بنفسه يأخذ من دَمِهِ ويكتبُ على
صدره أنا المغيرة بن حبناء ثم مات .

(١) الشناق : الطويل .

منصور النمرى^(١)

هو منصور بن الزرقان بن سلمة ، وقيل منصور بن سلمة بن الزرقان بن شريك بن مطعم الكلبى الرخم بن مالك بن سعد بن عامر الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط ، وإنما سُمي عامر الضحيان لأنه كان سيداً فى قومه ، وكان حاكمهم وكان يجلس لهم إذا أضجى النهار فسمى الضحيان . وسُمي جد منصور مطعم الكلبى الرخم لأنه أطمع ناساً نزلوا به ونحر لهم ، ثم رفع رأسه فإذا هو برخم يحمن حول أضيافه فأمر بأن يُذبح لهم كبشاً ويُرمى بين أيديهم فذبح الكبش وسلخ ونظف [ورمى به بين أيديهم فزل] الرخم [فزقته وأكلته] فسمى مطعم الكلبى الرخم . وفى ذلك يقول أبو نعيم النمرى يمدح رجلاً منهم :

أبوك زعيم بنى قاسطٍ وخالك ذو الكلبى يُقرى الرخم
ومنصور شاعر من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة وهو تلميذ كوثوم بن عمرو العتاتى وراويته ، وعنه أخذ ومن بحره استقى وبمذهبه تشبه ، ووصفه العتاتى للفضل بن يحيى بن خالد وقرظه عنده حتى استقدمه من الجزيرة ، ووصله بالرشيد ، وتهاجرا بعد ذلك . وعمل كل واحدٍ منهما على هلاك صاحبه . وكان منصور قد عرف مذهب الرشيد فى الشعر ورغبته فى أن يصل مدحه بنفى الإمامة عن آل أبى طالب والظمن عليهم ، وعرف أنه ما يقدم مروان بن أبى حفصة إلا لسبب ذلك ، فنجا نحوه لكنه لم يصرح بالهجاء ، وحام ولم يقع .

(١) أغانى ساسى ١٢ : ١٦ - تجريد ج ١ ق ٢ : ١٤٨١ . الدار ١٣ / ١٤١ .

لأنه كان يتشيع . وكان مروان بن أبي حفصة شديد العداوة لآل أبي طالب . وكان ينطق على نبوة قوية يعصدها طلب الدنيا فلا يُبقي ولا يدّر .

ولما وصفه البرامكة للرشيـد : أحب أن يسمع كلامه فأمرهم بإقـدامه ، فقدم ونزل عليهم . فقالوا له : إنا قد ذكرناك لأمر المؤمنين . وقد أحب أن يراك ويسمع شـمرك فانظر كيف تكون . فقال : إن الله تعالى قد منّ بكم على ورفع ذكرى بكم . وقد ذكرتموني عند أمير المؤمنين [بحال أنا] أجتهد في الإقامة بها . والمعين على ذلك هو الله عز وجل ، ثم أمرهم الرشيد بإحضاره وصادف دخوله إليه يوم نوبة مروان ابن أبي حفصة فسلم على الرشيد ودعا فأحسن حسده مروان على ما سمع من بيانه . وكان مروان يقول قبل قدومه : هذا شامي وأنا حجازي نجدى وبين الحجازي والشامي فرق افتراء يكون أشـمر مني . ودخله من ذلك ما يدخل مثله من الغم والحسد لما سمع ثناءه وعلم أن [وراء ذلك] فصاحة [فاستقر] في نفسه [جودة] شعر . فحزن لذلك واستنشد الرشيد منصوراً فأنشده :

أمير المؤمنين إليك خضنا	غمار الهول من بلد شطير
يحوّص كالأهلة خافقات	تلين على الشرى وعلى الهجير
حملن إليك آمالاً ثقلاً	ومثل الصخرة الدر الثير
فقد وقف المديح بمنتهاه	وغايته وصار إلى المصير
إلى من لا يشير إلى سواء	إذا ذكر الندى كف المشير

فقال مروان وقد سمعه يُنشد : وددت والله أنه أخذ جازتي وسكت ثم مر منصور في قصيدته إلى أن ذكر يحيى بن عبد الله بن حسن فيها فقال :

يبدّل من رقاب بني علي	ومن ليس بالمن الصغير
مننت على ابن عبد الله يحيى	وكان من الحتوف على شفير

قال مروان: فابْرَحْتُ حتى أمرني الرشيدُ أنْ أُنْشِدَهُ وكان يَتَبَسَّمُ في وقت ما [كان] ينشده النعمري وينظر إلى فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها :

موسى وهارونُ هما اللذان في كُتُبِ الأخبارِ يُوجدانِ
مِنْ وَلَدِ الْمَهْدِيِّ مَهْدِيَّانِ قد أطلق المَهْدِيُّ لى لسانى
وَشَدَّ أَرَى ما به حَبَانِي من اللُّجَيْنِ ومن المَقِيَّانِ
قال : والله ما عاج النمرى بذلك ولا احتفل به ، فأومأ إلى الرشيد أنْ رِدهُ فأنشدته
قصيدتي التي أقول فيها :

خلُّوا الطريق لمعشِرِ عاداتهم حَطْمُ المناكبِ يومَ كل زحامِ
وارضوا بما قَسَمَ الْإِلَهُ لَكُمْ به ودعوا وراثته كل أَصِيدَ سامِ
أَنْ يَكُونَ وليس ذاكُ بكائِنِ لَبَنِي البناتِ وراثَةُ الأعمامِ
قال : فوالله ما عاج بشيء منها ، وغلب على الرشيد وخرجت الجائزتان فأعطى
مروانَ مائة ألفٍ وأعطى النمرى سبعمين ألفا ، وقيل له : أنت مرید في بنى على .
ولقد خلص النمرى إلى شيء ليس عليه فيه شيء وهو قوله :

فإن شَكَرُوا فقد أُنْعِمْتَ فيهم وإلا فالندامةُ للكفورِ
وإن قالوا بنو بنتٍ ^(١) فحق وردوا ما يناسب للذكورِ
وما لِبَنِي بناتٍ من تراثٍ مع الأعمامِ في وَرَقِ الزُّبورِ
وكان مروان يتأسَّفُ على هذا المعنى ألا يكون سبقه إليه .

وكان الرشيد يحتمل أن يُمدَحَ بما مُدِحَ به الأنبياء ولا ينكرُ ذلك ولا يرُدُّه حتى
دخل عليه نفرٌ من الشعراء فيهم رجلٌ من ولدِ زُهَيْرِ بنِ أَبِي سُلَيمٍ فأقرط في مدحه
حتى قال :

■ فكأنه بَعْدَ الرسولِ رسولُ *

(١) في الأصل (ابن ابنته) وما أثبتناه عن الأغاني .

فغضب هارون وقال له : ويلك انس هذا السرف الذى يضع ولا يرفع ، ويلك
أتظن أن هذا يعجبني ، أو أحبه ، لا والله لقد جهلت وما علمت ، قد رفع الله منازل
الأنبياء على منازل الخلفاء ولم ينتفع أحدٌ بهارون يومه وقال : لا تعطوه شيئاً فصرفه
ولم يعطه شيئاً ۝ وأنشده منصور النمرى قصيدة مدحه بها وهجا آل على ، عليهم السلام ،
وثلبهم فضجر هارون ضجراً شديداً وقال : يا ابن اللخناء أظن أنك تتقرب إلى
بهجائك أقواماً أبوم أبى ، ونسبهم نسبى ، وأصلهم أصلى وفرعهم فرعى ، وأنا منهم
وهم منى ۝ فقال : ما شهدنا إلا بما علمنا ، فازداد غضبه وأمر مسروراً فوجأ عنقه
وأخرج ثم دخل عليه يوماً بعد ذلك فأنشده :

بنو حسن ورهط بن حسين	عليكم بالسداد من الأمور
فقد ذقتم قراع بنى أيمكم	غداة الرقع بالبيض الذكور
أحين شفوكم من كل وتر	وضموكم إلى كف وثير
وجادتكم على ظمأ شديد	سماء من نوالهم الغزير
فأكان العقوق لهم جزاء	بفعلهم وإدراك الثور
وإنك حين تبغىهم أذاة	وإن ظلموا لمحزون الضمير

فقال له : صدقت وإلا فعلت وعلى ، إني [لذلك الأذى الحال بهم لكاره] ^(١) وإنما
أفعله إذا خشيت على نفسى منهم ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

قال مروان بن أبي حفصة : خرجنا مع الرشيد إلى بلاد الروم فنالته شدة شديدة ،
وظفر وقد كاد أن يمطب ، لولا الله عز وجل ۝ ثم يزيد بن مزيد فقال لى وللمرمى
أنشدا فأنشدته قولى :

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فِي خَيَالِهَا بِيضَاءِ تَخْلُطُ بِالْجَمَالِ دَلَالِهَا

(١) ما بين القوسين عن الأغاني .

ووصفت الأسرى من الرجال وكيف أسلموا نساءهم ، والظفر الذي رزقه فقال :
عدوا قصيدته فكانت مائة بيت ، فأمر لي بمائة ألف درهم ، ثم قل للنمري : كيف
رأيت فرسي فإني أنكرته ، فقال النمري :

مُضِرٌّ^(١) على فأس اللجام كأنه إذا اشتبكت أيدي الجياد يطير
فأنسم لا ينسى لك الله أجرها إذا قُسمت بين العباد أجور

قال النمري : ثم قلت في نفسي : ما يمنعني من إذكاره بالجائزة قلت :

إذا الغيث أكدى واقشعرت نجومه فنيث أمير المؤمنين مطير
وما حل هارون الخليفة بلدة فأخلفها غيث وكاد يضير

فقال : أذكرتني ورايته مهتلا لذلك ، وألحقني بمروان بن أبي حفصة
وأمر لي بمائة ألف درهم .

كان محمد الراوية الملقب بالبيدي قصيراً ولذلك لقب بالبيدي ، وكان يُشدُّ
هارون أشعار المحدثين . وكان أحسن خلق الله إنشاداً ، وأحسنهم طبعا وأخفهم
روحاً وكان إنشاده يُطربُ كما يُطربُ الغناء . قال : دخلت على الرشيد وعنده الفضل
ابن الربيع وزيد بن مزيد ، وبين يديه خوان لطيف وعليه جرمادح ورُغفُ مميذ
ودجاجتان فقال : أنشدني ، فأنشدته قصيدة النمري العينية فلما بلغت إلى قوله :

أى امرئ بات من هارون في سخطِ فليس بالصلوات الخمس ينتفع
إن المسكرم والمعروف أودية أحلك الله منها حيث تنسع
إذا رفعت أمراً فالله رافعه ومن وضعت من الأنوام يتضع
نفسى فداؤك والأبطال مُعلّمة يوم الوغى والثايا بينها^(٢) قرع
إن أخلف الغيث لم تخلف محابله أوضاع أمر ذكرناه فمتسع

(١) المضر : السبيء الحلق الغضبان - وفأس اللجام : الحديدة المعترضة في فم الفرس .

(٢) صابها فزع (أغاني ١٢ : ١٩) .

قال: فرمى بالخوان من بين يديه، وصاح: هذا والله أطيب من كل طعام وكل شيء، وبعث إلى النمرى بسبعة آلاف دينار، فلما وصلت إليه، قلت له: أنا كنت السبب في إيصالها إليك لأنه أمرني أن أنشده، ولم يذكُر لي أحداً، فأنشدت لك خير ما أعلم. فأعطاك ما قد علمت. فحقى يحتاج أن يكون في هذا مؤقراً. فرأيت أنه قد قصر فيما يجب عليه، ثم شخص إلى رأس العين. فأعاظني وأغضبني فأنشدت للرشيدي قوله:

شأ^(١) من الناس راتع هاملٌ يُملِّونَ النفوسَ بالباطلِ
فلما بلغت قوله:

إلا مساعيرَ يفضَّبون لها بسلةَ البيضِ والقنا الذَّابلِ
فقال الرشيدي: أراه يُجرِّضُ على ابعثوا إليه من يجي برأسه فسلمه فيه الفضل ابن الربيع فلم يُغنِ كلامه شيئاً، وتوجه الرسول فوافاه في اليوم الذي مات فيه. ودفن. فلما عرف الرشيدي ذلك قال: الحمد لله الذي لم يُجرِّ قتلته على يدي ومات حتف أنفه.

قال منصور بن جهور: سألت المعتابي عن سبب غضب الرشيدي عليه، فقال لي: استقبلت منصوراً النمرى يوماً من الأيام فرأيت أنه واجبا كثيباً. فقلت: ما خبرك؟ فقال: تركت امرأتى تطلق وقد عسر عليها ولادها. وهي يدي ورجلي وقيمة أمري وأمر منزلي فقلت له: فلم لا تسكتب على فرجها هارون الرشيدي. فقال: ليكون ماذا؟ قلت: لتلد على المكان قال: وكيف ذلك؟ قلت: لقولك:

إن أخلف الغيث لم تخلف مخايله أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتسع

فقال لي: والله يا كسحخان لن تخلصت امرأتى لأذكركن هذا القول للرشيدي ولأطرفنه فقلت له: ويلك أحق تقول؟ فقال: مزحت معك. فلما ولدت امرأته

(١) في رواية للأعاني: ساد وهي في التجريد: شاء.

دخل إلى الرشيد يوماً فصادف منه ما أحبَّ من حُلُوِّ تَوَجِّيه فقال له : إني أُطْرِفُ
أمير المؤمنين بطريفة إنَّ أَمَّتَنِي بوائِقها قال : هاتِها ، وأنتَ آمِنٌ ، فأعاد عليه ما دار
بينى وبينه ، فغضب الرشيدُ من هذا وطلبني ، فاستقرت عند الفضل بن الربيع ،
وقلت له : الله الله يا سيدي في أمري ، فإن هذا رجلٌ سَمَى على دَمِي ، وإن لم تَنْظُرْ
لي هَلَكْتُ . قال : اسكُتْ فَأَنَا أَنْكَطَفُ لك إن سألني ولم يَزَلْ يَسْتَلُّ ما في قلبه
حتى أذن لي فظهرت ، فلما دخلتُ عليه قال : قد بلغني ما قلتَ للنمري ، فاعذرتُ
إليه . وقلت له : يا أمير المؤمنين المَعذرةُ إلى الله وإليك ، فوالله ما أراد منصورٌ
إلا تَلَفِّي لِحَفْسة في نفسه على ، وأمير المؤمنين أَوَّلِي من أَقال . والله ما حَمَلَه على
الكَذِبِ على إلا وقوفِي على مَيْلِهِ إلى آلِ أبي طالب . فإن أراد أمير المؤمنين أن
أُشِدَّه شِمْرًا فَعَلْتُ . قال : أُنشِدني فَأُنشِدته :

شَاءَ من الناس راتِعَ هاملٍ يمللون النفوسَ بالباطلِ

حتى بلغت قوله :

إلا مساعيرُ يَفْضُبون لها بَسَلَةَ البيضِ والقنا الذابلِ

فغضب الرشيد غضباً شديداً ، وقال للفضل : أَخْضِرْهُ السَّاعَةَ فَبِعَثَ الفضلُ
في ذلك فوجده قد توفى فأمر بنَبَشِهِ وإحراقِهِ ، فلم يزل الفضل يتلطف به حتى كَفَّ
عن ذلك .

وقيل : إن هذه القصيدة العينية لمنصور بن بَجْرة بن منصور بن صليل بن أشيم
ابن الحِجار بن قيس بن قطن بن سعد بن عامر بن الضحيان بن سعد بن الخزرَجِ .
فلما سمعها منصورُ النمرِيُّ استحسَنها فاستَوَهَّبها منه فَوَهَّبها له ، وكان منصورُ بن
بَجْرةَ هذا موسراً لا يَتَصَدَّقُ لمَدِيحِ أَحَدٍ . ولا يَفِدُّ إلى أَحَدٍ . وكان هارون قد
جَرَدَ السيفَ في رَبيعةَ فوجَّه منصورُ النمرِيُّ هذه القصيدةَ للرشيد ، وكان رجلاً
تَقْتَحِمُهُ المِئْنُ وتَزْدَرِيه جداً لدمامته ، فأمر الرشيدُ لما عُرِضَتْ عليه بإحضارِ قائلِها .

فلما وصل منصورٌ إليه عَرَفَهُ الْحَاجِبُ أَنَّهُ لَمَّا قَرَأَهَا اخْتَارَهَا عَلَى جَمِيعِ شِعْرِ الشُّعْرَاءِ
وَأَمَرَ بِإِدْخَالِهِ فَلَمَّا قَرَّبَ مِنَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّيِّعِ اازدراه لِدَامَةِ خَلْقِهِ ۝ وَكَانَ قَصِيرًا
أَحْمَرَ أَزْرَقَ أَعْمَشَ نَحِيفًا فَرْدَهُ . قَالَ مَنْصُورٌ : فَرُبِّي ذَاتَ يَوْمٍ يَزِيدُ بْنُ مَرْيَدَ ۝
فَصَحَّتْ بِهِ ، يَا أَبَا خَالِدٍ أَنَا رَجُلٌ مِنْ عَشِيرَتِكَ وَقَدْ لَحِقَنِي ضَيْمٌ وَقَدْ غَدْتُ بِكَ ،
فَوَافَقَ فَمَرَّفَتْهُ خَبْرِي وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَذْكُرَنِي فَفَعَلَ ۝ فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَى الرَّشِيدِ أَنْشَدَتْهُ :

* أَتَسْلُو وَقَدْ بَانَ الشَّبَابُ الزُّبَايِلُ *

فَقَالَ لِي : غَدَاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَرْفَعُ السَّيْفَ عَنْ رِبِيعَةَ ۝ فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
إِنْ يَوْمَ الشَّرِّ لَطَوِيلٌ ، فَقَالَ : صَدَقْتُ ۝ وَجَرَّدَ بَرِيدًا رَكُضَ ۝ فَا جَاءَ الْعَصْرُ مِنَ
الْغَدِ حَتَّى رُفِعَ السَّيْفُ عَنْ رِبِيعَةَ بِنَصِيْبَيْنِ وَمَا يَلِيهَا .

قَالَ مَنْصُورٌ الْبُخَرِيُّ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا ، وَلَمْ أَكُنْ أَعْدَدْتُ لَهُ مَدِيحًا
فَوَجَدْتُهُ نَشِيْطًا طَيِّبَ النَّفْسِ فَرَمْتُ شَيْئًا فَلَمْ أَجِدْ ۝ وَانْظُرْ إِلَى مُسْتَنْطَقَا فَقُلْتُ :
إِذَا اعْتَصَمَ الْمَدِيحُ عَلَيْكَ فَا مَدَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجِدْ مَقَالًا
وَعُدْ بِفَنَائِهِ وَاجْنَحْ إِلَيْهِ تَنْلُ عُرْفًا وَلَمْ تَذَلْ سَوْأًا
فَنَاءً مَا تَزَالُ بِهِ رِكَابُ وَضَمَنْ مَدَامُحًا وَحَمَلَنْ مَالًا
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَئِنْ قَصَّرْتَ الْقَوْلَ لَقَدْ أَطَلَّتِ الْمَعْنَى ، وَوَصَلَهُ بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ .

مسعدة بن البختری^(١)

هو مَسْعَدَةُ بْنُ الْبُخْتَرِيِّ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ بْنِ أَخِي الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ . كَانَ يَشْبُوبُ بِنَائِلَةَ بِنْتِ عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ الْأَسَدِيِّ ، أَحَدِ بَنِي أَسِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَيْمٍ . وَكَانَ أَبُوهُا شَرِيفًا . وَكَانَ عَلَى شُرَاطِ الْعِرَاقِ مِنْ قَبْلِ الْحِجَابِ . وَأُمُّ نَائِلَةَ هَذِهِ عَاتِكَةُ بِنْتُ الْفُرَاتِ بْنِ مَعَاوِيَةَ الْبَكَّائِيِّ ، وَأُمُّ عَاتِكَةَ الْمَلَاءَةُ بِنْتُ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى الْجُرَشِيَّةِ وَكَانَ أَبُوهُا فَقِيهًا مُحَدِّثًا مِنَ التَّابِعِينَ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ : مَا أَعْلَمُ امْرَأَةً شُبِّبَ بِهَا وَبِأُمِّهَا وَجَدَتْهَا غَيْرَ نَائِلَةَ وَأُمِّهَا . فَأَمَّا نَائِلَةُ ففِيهَا يَقُولُ مَسْعَدَةُ :

قُولَا لِنَائِلٍ مَا تَقْضِينَ فِي رَجُلٍ يَهْوَى هَوَاكِ وَمَا جَنَّبْتِهِ اجْتَنَبَا
يُمَيِّسُ مَعِيَ جَسَدِي وَالْقَلْبُ عِنْدَكُمْ فَمَنْ يَمِيشُ إِذَا مَا قَلْبُهُ ذَهَبَا
وَأَمَّا عَاتِكَةُ فَإِنَّ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ كَانَ زَوْجَهَا ، فَقَتَلَ عَنْهَا يَوْمَ الْعَقْرِ وَفِيهَا يَقُولُ الْفَرَزْدَقُ :

إِذَا مَا الْمُرُونِيَّاتُ أَصْبَحْنَ حُسْرًا وَبَكَيْنَ أَشْلَاءَ عَلَى غَيْرِ نَائِلٍ^(٢)
فَكَمْ طَالَبَ بِنْتَ الْمَلَاءَةِ إِنْهَا تَذَكَّرُ رِيْمَانَ الشَّبَابِ الْمُرَائِلِ
وَأَمَّا الْمَلَاءَةُ أُمُّهَا ففِيهَا يَقُولُ الْفَرَزْدَقُ أَيْضًا :

كَمْ لِلْمَلَاءَةِ مِنْ طَيِّفٍ يُورِّفُنِي إِذَا تَجَرَّئِمَ هَذَا اللَّيْلُ وَاعْتَكَّرَا
خَرَجْتَ عَاتِكَةُ بِنْتُ الْمَلَاءَةِ إِلَى بَعْضِ بَوَادِي الْبَصْرَةِ ، فَلَقِيتُ بِدَوِيَا مَعَهُ نَحِيًّا سَمَنَ فَقَالَتْ لَهُ : يَا بَدَوِيُّ أَنْتَبِيعُ هَذَا السَّمْنَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَتْ : أَرِنِي فَفَتَحَ نَحِيًّا فَنَظَرْتُ إِلَى مَا فِيهِ ثُمَّ نَاولَتْهُ إِيَّاهُ . ثُمَّ فَتَحَتْ الْآخَرَ وَنَاولَتْهُ إِيَّاهُ ، فَلَمَّا شَغِلَتْ

(١) أغاني الدار ١٣ / ٢٧٠ - مذهب ٣ / ١٥٢ .

(٢) الحسر : الكاشفات الوجوه والأشلاء : الأعضاء . وقد عني بها القتل .

يداه أَمَرَتْ جَوَارِيَهَا فَجَعَلْنَ بَرَكُلْنَ فِي اسْتِهِ وَجَعَلَتْ تَنَادِي : يَا ثَارَاتِ ذَاتِ النَّحْمَيْنِ ! تَعْنِي مَا فَعَلَهُ خَوَاتُ بْنُ جُبَيْرٍ ، لَمَّا فَعَلَ بِالْمَرْأَةِ مَا فَعَلَ ، وَضَرَبَتْ الْعَرَبُ بِهَا الْمَثَلَ . فَقَالُوا : أَشْغَلُ مِنْ ذَاتِ النَّحْمَيْنِ . فَأَرَادَتْ عَاتِكَةُ أَنْ هَذَا لَمْ يَفْعَلْهُ أَحَدٌ مِنَ النِّسَاءِ بِرَجُلٍ كَمَا فَعَلَهُ الرَّجُلُ بِالْمَرْأَةِ غَيْرَهَا . وَأَنَّهُ أَدْرَكَتِ لِلنِّسَاءِ ثَارُهُنَّ مِنَ الرِّجَالِ بِمَا فَعَلَتْهُ .

لَقِيَتْ الْمَلَاءَةُ بِنْتَ زُرَّارَةَ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بِمَكَّةَ ، وَحَوْلَهُ جَمَاعَةٌ يُنْشِدُهُمْ فَقَالَتْ لَجَارِيَةٍ لَهَا : مِنْ هَذَا ؟ فَقَالَتْ : عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ . قَالَتْ : الْمُتَنَقِّلُ بِفَرْزِهِ مِنْ ذَاتٍ وَدِيَ إِلَى أُخْرَى ، وَالَّذِي لَا يَدُومُ عَلَى وَصْلٍ وَلَا لِقَؤٍ لَهُ فَرْعٌ وَلَا أَصْلٌ ؟ أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ كَبَعْضٍ مِنْ يُوَاصِلُ لَمَّا رَضِيتُ مِنْهُ بِمَا يَرْضَيْنَ . وَمَا رَأَيْتُ أَذْنَى مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْحِجَازِ ، وَلَا أَقَرَّ مِنْهُنَّ بِخَسْفٍ ، وَاللَّهِ لَأَمَةٌ مِنْ إِمَائِنَا أَنْفُ مِنْهُنَّ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ عَنْهَا فَرَأَسَهَا وَرَأَسَلَتْهُ ، فَقَالَ مِنْ أَيْيَاتِ :
* حَتَّى الْمَنَازِلَ قَدْ عَمَرْنَ خَرَابًا *

منها :

عِنْدَ الْجَارِ فَمَا عَيَّتْ جَوَابَا	دَارُ الَّتِي قَالَتْ غَدَاةً لَقِيْتُمَا
وَيُرِيدُ أَنْ أَرْضَى بِذَلِكَ ثَوَابَا	هَذَا الَّذِي بَاعَ الصَّدِيقَ بِغَيْرِهِ
بَصْدِيقِهِ الْمُتَمَلِّقَ الْكَذَّابَا	قُلْتُ اسْمِعْنِي مِنَ الْمَقَالِ وَمَنْ يُطْعُ
مَا عِنْدَنَا فَلَقَدْ أَطْلَتِ عِتَابَا	إِنْ كُنْتُ حَاقِلًا الْعِتَابَ لَتَعْلَمَنِي
يَكْفِيكَ ضَرْبُكَ دُونَنَا الْجَلْبَابَا	أَوْ كَانَ ذَلِكَ لِلْعِمَادِ فَإِنَّهُ
وَبَوَاجِهِ غَيْرُكَ طَخِيَّةٌ وَضَبَابَا ^(١)	وَأَرَى بَوَاجِهِكَ شَرْقَ نَوْرِ بَيْنِ

مُطِيعُ بْنُ إِيَّاسٍ^(١)

هو من بنى الدَّيْلَ بْنَ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ، وقيل: من بنى أَيْثَ بْنَ بَكْرٍ. والدَّيْلُ وَلَيْثُ أَخُوَانُ لِأَبِي وَأُمِّ.

أُمُّهُمَا أُمُّ خَارِجَةَ، واسمُهَا عَمْرَةُ بنتُ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرَادِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ابْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْغَوْثِ بْنِ أُنْمَارِ بْنِ أَرَّاشِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْغَوْثِ بْنِ نَبْتِ بْنِ مَالِكِ ابْنِ زَيْدِ بْنِ كِهْلَانَ بْنِ سَبَأَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قحطان. وهي التي يضرب بها المثلُ فيقال: أَسْرَعُ مِنْ نِكَاحِ أُمِّ خَارِجَةَ، وقد ولدت في عِدَّةِ بطونٍ مِنَ الْعَرَبِ، حتى لو قال قائل: إنه لا يكاد يَتَخَلَّصُ مِنْ وَلادَتِهَا كَبِيرُ أَحَدٍ مِنْهُمْ لكان مقاربا.

فَمِمَّنْ وَلَدَتْ الدَّيْلُ وَلَيْثُ وَالْحَارِثُ وَبَنُو بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ. وَغَاضِرَةُ ابْنُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ، وَالْعَنْبَرُ وَأَسِيدُ وَالْهَجِيمُ وَبَنُو عَمْرِو ابْنِ تَيْمٍ. وَخَارِجَةُ بِنْتُ يَشْكُرَ وَبِهِ كَانَتْ تُكْنَى. وَسَعْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ ابْنِ حَارِثَةَ بْنِ مُزَيْقِيَا وَهُوَ أَبُو الْمُصْطَلِقِ. وَكَانَ قَدْ بَلَغَ مِنْ سُرْعَةِ نِكَاحِهَا أَنَّ الْخَاطِبَ يَأْتِيهَا فَيَقُولُ: لَهَا خِطْبٌ. فَنَقُولُ: نِكَاحٌ.

وَزَعَمُوا أَنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِهَا طَلَّقَهَا، فَوَحَلَ بِهَا ابْنٌ لَهَا عَنْ حَيِّهِ إِلَى حَيِّهَا فَلَقِيَهَا رَاكِبٌ فَلَمَّا تَبَيَّنَتْهُ قَالَتْ لَا بِنَاهَا: هَذَا خَاطِبٌ لِي لَا شَكَّ فِيهِ. أَفْتَرَاهُ يُعْجِلُنِي إِنْ أَنْزَلَ عَنِّي بَعِيرِي، فَجَعَلَ ابْنُهَا يَسُبُّهَا.

وَلَمْ يُوجَدْ نَسَبُ مُطِيعٍ مُتَصِلًا إِلَى كِنَانَةَ فِي رِوَايَةِ أَحَدٍ، وَقِيلَ: إِنَّ أَبَا قُرْعَةَ السَّكَنَانِيَّ جَدَّهُ فَلَا نَعْلَمُ أَهْوَجَدَّهُ الْأَدْنَى فَفَصِّلُ نَسَبِهِ بِهِ أَمْ هُوَ بَعِيدٌ مِنْهُ، وَأَبُو قُرْعَةَ

(١) أغاني ١٢: ٧٥ تجريد ق ٢ ج ١٠١٩. مهذب ٦: ٧٤، تاريخ بغداد ١٣/ ٢٢٥

أغاني الدار ١٣ / ٢٧٤.

هو سَلَمَى بْنُ نَوْفَلِ بْنِ معاويةَ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ صَخْرٍ بْنِ يَمْعَرِ بْنِ ثَفَاثَةَ بْنِ عَدَى
ابن الدَّيْلِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ . وكان سَلَمَى بْنُ نَوْفَلِ جوادا ، وفيه يقول الشاعر :
يُسَوِّدُ أَقْصَامًا وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ بل السَّيِّدُ الميمونُ سَلَمَى بْنُ نَوْفَلِ
كان أبو قرعةَ سَلَمَى بينه وبين ابنِ الزُّبَيْرِ قبل أن يَلِيَ مُقَارَضَةً ، فدخل
سَلَمَى وابنُ الزُّبَيْرِ يَخْطُبُ النَّاسَ ، وكان منه وَجَلًا ، فرماه ابنُ الزُّبَيْرِ بِبَصَرِهِ
حتى انصرف^(١) ، فلما انصرف من المجلس دعا حَرَسِيًّا قال له : امض إلى موضع كذا
فادْعُ على سَلَمَى بْنِ نَوْفَلِ ، فأتاه به ، فقال له ابنُ الزُّبَيْرِ : إِيهَا أَيُّهَا الضَّبُّ ، قال : إني لست
بضَبٍّ ولكن الضَّبُّ بالضمِّ من صَخْرٍ . قال : إِيهَا أَيُّهَا الذِّئْبُ^(٢) ، قال إن أحدا
لم يَبْلُغْ سِنِّي وَسِنَّكَ إِلَّا دُعَى ذِيحَا . قال : إنك لهاهنا يا عاضٌّ بَطَرٌ أُمُّهُ قال :
أُعِيدُكَ بِاللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ الْعَرَبُ أَنَّ الشَّيْطَانَ نَطَقَ عَلَى فَيْكَ بِمَا تَنْطَقُ بِهِ الْأُمَةُ الْفُسْلَةُ^(٣)
وَأَيُّمُ اللَّهِ مَا هَاهُنَا ، وأدار يَدَهُ على المجلس ، أحدٌ إلا وقد كانت أُمُّهُ كذلك .
وكان إِيَّاسُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ أَبُو مُطِيعٍ شاعرا ، وكان قد وَفَدَ إلى نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ
بِخَرَّاسَانَ فقال فيه :

إِذَا مَا نِمَالَى مِنْ خَرَّاسَانَ أَقْبَلْتُ وَجَاوَزْتُ مِنْهَا مَخْرَمًا ثُمَّ مَخْرَمًا
ذَكَرْتُ الَّذِي أَوْلَيْتَنِي وَنَشَرْتُهُ فَإِنْ شِئْتَ فَاجْعَلْنِي لَشَكْرِكَ سَلَمًا
ومطيع بن إِيَّاسٍ شاعرٌ من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وليس من فحول
الشعراء في تلك الأيام ، ولكنه كان ظريفا ماجنا خليما حُلُوَ العِشْرَةِ مليحَ النادرةِ
مُتَمِّها في دينه بالزَّندَقَةِ .

كنيته أبو سَلَمَى ، ومولدهُ ومنشؤه بالكوفة ، وأبوه من أهل فلسطين الذين
أمدَّ بهم عبدُ الملك بنُ مروانَ الحجاج بنُ يوسف في قتاله ابنَ الزُّبَيْرِ وابنَ الْأَشْعَثِ !

(١) جلس (الأغاني) ١٢ : ٧٦ .

(٢) الذئب : الذئب الجري . ، ذكر الضباع : الكثير الشعر .

(٣) الفسل : من لا مروءة له .

فأقام بالكوفة وتزوج بها . فولد له مُطِيعٌ . وكان منقطعا إلى الوليد بن يزيد ابن عبد الملك ، ومتصرفا بعده في دولتهم ومع أوليائهم وعمّالهم . لا يكسده عند أحدٍ منهم . وانقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن أبي جعفر المنصور . فكان معه حتى مات .

سُئِلَ رجلٌ كان يصحب مُطِيعَ بنَ إياس عن مُطِيع . فقال : لا ترد أن تسألني عنه قيل : ولِمَ ؟ قال : ما السؤالُ عن رجل كان إذا حضرك مَدَكَكَ وإذا غاب عنك شَاكَكَ وإذا عُرِفْتَ بِصُحْبَتِهِ فَضَحَكَ .

وكان مطيعُ بن إياس ويحيى بنُ زياد الحارثيُّ وحمّادُ الراويةُ وابنُ المُقَفَّعِ ووالبَةُ ابن الحُباب يتنادمون ولا يفترون ولا يستأثرون أحدُهم على صاحبه بمالٍ ولا ملكٍ ، وكانوا جميعا يُرْمَوْنَ بالزندقة .

وكان مطيعُ بن إياس مأبونا فدخل عليه قَوْمُهُ فلاموه على فِعْلِهِ . وقالوا له : أنت في أدبِكَ وشرِّكَ وسوددِكَ ترى بهذه الفاحشةِ القَذِرَةِ ، فلو أقصرتَ عنها . فقال : جرَّبوه أنتم ثم دَعُوهُ إن كنتم صادقين ، فانصرفوا عنه ، وقالوا : فبِحَ اللَّهِ فِعْلُكَ وَعُدْرَتُكَ وما استَقْبَلْتَنَّا بِهِ .

قال مطيعُ بن إياس : قال لي حمادُ مجرد يوما : هل لك أن أريك خُشَّةَ صديقتي وهي المعروفة بِظُبَيْيَةِ الوادي ؟ قلت : نعم . قال : إنك إن قعدتَ معها وخبثتَ طَرْفَكَ في النظر أفسدتَها عليّ ، فقلت : لا والله لا أنسكلمُ بكلمةٍ تسوءُك ولأمرُكَ . ففضي وقال : والله إن خالفتَ ما قلتَ لأخْرِجَنَّكَ قال : قلت : إن خالفتُ إلى ما تكره فاصنع بي ما أحببتَ . قال : فأدْخَلَنِي على أَظْرَفِ خلقِ اللَّهِ وأحْسَنِهِمْ وَجْهاً ، فلما رأيْتُها لم أتمالكُ وأخذني الزَّمْعُ ^(١) وفطن لي فقال : اسكن يا ابن الزانية ، فسكنتُ

(١) الزمع : رعدة تعترى الإنسان إذا هم بالأمر .

قليلًا فاحفظني ولحظتها لحظةً أخرى ، فغضب ووضع قلنسبته عن رأسه وكانت
صلعته حمراء كأنها استُ قِرْدٌ ، فلما وضعها وجدتُ للكلام موضعًا فقلت :

فَوَارِ السَّوْأَةَ السَّوْأَ يَا هَمَّادُ عَنْ خُشَّةِ
عَنِ الْأُتْرُجَّةِ الْغَضَّ وَالْقَفَاحَةِ الْمَشَّةِ

فالتفت إليّ وقال : فعلتها يا ابن الزانية ، فقالت له : أحسنَ والله ، وما بلغ
صفحك بعد فما تريد منه ؟ فقال لها : يا زانية . فقالت له : الزانية أمك وثاورته^(١)
وثاورها فشقت قميصه وبصقت في وجهه وقالت له : ما تُصادقك وتدعُ مثل هذا
إلا زانية وخرجنّا وقد لقي كلَّ بلاء . وقال لي : ألم أقل لك إنك ستفسد على مجلسي ،
فأمسكتُ عن جوابه وجعل يهجونى ويسبُّنى ويشكونى إلى أصحابنا ، فقالوا لي :
اهجبه ودعنا وإياه فقلت :

ألا يا ظبيّة الوادى	وذات الجسدِ الرادِ ^(٢)
وزينِ المِصرِ والدارِ	وزينِ الحى والنّادى
وذاتِ البسمِ المَذبِ	وذاتِ الميسمِ البادى
أما بالله تستَحْيِي	نَ من خُلَّةِ حمّادِ
فحمّادُ فتى ليس	بذى عِزِّ فتنقادي
ولا مالٍ ولا طُرفِ	ولا حظِّ لمرّنادِ
فتوبى واتقِ اللهَ	وبُتّى حَبْلَ عَجْرادِ ^(٣)
فقد مُرِّتِ بالحسنِ	عن الخلقِ بإفْرادِ
وهذا البينُ قد حُمِّ	نجودى منك بالزّادِ

(١) ناورة مثاورة : وائبة .

(٢) الراد : مسهل الرأد وهو الرخص اللين .

(٣) في الأغاني : جراد وفسرها جلاء آنية الصفر .

وأخذ أصحابنا رقاعاً وكتبوا الأبيات فيها . وألقوها في الطريق ، فلما رآها
وقراها قال : يا أولاد الزنا فعلها ابن الزانية وساعدتموه على وغنى فيها حكم
الوادي فلم يبق في السكوفة سقاء ولا طحان ولا مسكار إلا غنى فيها ثم غبت مدة
وقدمت فأتاني فما سلم على حتى قال :

أما بالله تستحيين من خلة حماد

فقلتُني قتلك الله . والله ما كلمتني حتى الساعة . فقلت : اللهم أدم هجرها له
وسوء رأيها عليه وآسفه^(١) عليها وأغره بها ، فشمعني ساعة ثم قلت له : قم بنا حتى
أريك أخيتي ، وكان لمطيع بن إياس صديقةٌ يسميها أخيتي وتسميه أختي وهي مغنية ،
[قال مطيع : فضينا] فلما خرجت إلينا دعوتُ قِيَمَةً لها . فأسررت إليها في أن تُصلح
لنا طعاما وشرابا . وعرفتها أن الذي معي حماد ، فضحكت ثم أخذت صاحبتني
في الغناء وقد عرفته فكان أول صوتٍ غنت :

أما بالله تستحيين من خلة حماد

فقال لها : يا زانية . وأقبل على فقال لي : وأنت يا زاني يا ابن الزانية ،
أسررت هذا إلى قِيَمَتِها . فقلت : لا والله . فقال : كذبت وشاتمته صاحبتني ساعة
وقامت فدخلت . وجمل يَغْمِظُ على . فقلت : أنت ترى أني أمرتها أن تغني بما
غنت ؟ قال : نعم ، أنا أرى ذلك وأظنه ظنا ، لا والله ولكني أتيقنه . خلفت له
بالطلاق على بطلانِ ظنِّه . فقال : وكيف هذا ؟ فقلت : أراد أن يُفسد هذا المجلس
من أفسد ذلك المجلس فقال : قد فعل وانصرفنا .

قال يحيى بن زياد الحارثي لمطيع بن إياس : انطلق بنا إلى فلانة صديقتي ،
فإن بيني وبينها مفاضبةً لمُصلِحٍ بيننا . وبئس المُصلِحُ والله أنت . فدخلنا عليها

(١) آسفه : أغضبه ، وفي التهذيل (فلما آسفونا انتقمنا منهم) .

فأقبلا يتما تبا ن . ومطيع ساكت . حتى إذا أكثر قال يحيى لمطيع : ما يُسْكِتُكَ
أَسَكَّتَ اللَّهُ نَأْمَتَكَ^(١) فقال لها مطيع :

أَنْتِ مُعْتَلَّةٌ عَلَيْهِ وَمَا زَا ل مُهِمِّنَا لِنَفْسِهِ فِي رِضَاكِ

فَأَعْجَبَ يَحْيَى وَهَشَّ لَهُ فَقَالَ مَطِيع :

فَدَعَا بِهِ وَوَأَصْلَى ابْنَ إِيَّاسٍ جَعَلَتْ نَفْسُهُ الْغَدَاةَ فِدَاكِ

فقام يحيى إليه بوسادة في البيت فما زال يَجِدُّ بِهَا رَأْسَهُ ويقول : أَلْهَذَا جِئْتُ بِكَ
يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ ! ومطيع يُفَوِّثُ^(٢) ، والجارية تُضْحِكُ مِنْهُمَا ثُمَّ تَرَكَهُ وَقَدْ سَدِرَ^(٣) .

مرض حمادُ عَجَزَ فَمَادَهُ أَصْدِقَاؤُهُ جَمِيعًا إِلَّا مَطِيعَ بْنَ إِيَّاسٍ وَكَانَ خَاصًّا بِهِ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ حَمَادُ :

كَفَاكَ عِيَادَتِي مَنْ كَانَ يَرْجُو نَوَابَ اللَّهِ فِي صَلَهِ الْمَرِيضِ

فَإِنْ تُحَدِّثُ لَكَ الْأَيَّامَ سُقْمًا يَحُولُ جَرِيضُهُ^(٤) دُونَ الْقَرِيضِ

يَكُنْ طَوَّلَ التَّأَوُّهِ مِنْكَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الطَّنِينِ مِنَ الْبَعُوضِ

قدم مطيعُ بْنُ إِيَّاسٍ مِنْ سَفَرِهِ فَقَدِمَ بِالرَّغَائِبِ فَاجْتَمَعَ هُوَ وَحَمَادُ عَجَزَ
بِصَدِيقَتِهِ ظَبِيَّةِ الْوَادِي وَكَانَ عَجَزَ عَلَى عِزْمِ الْخُرُوجِ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ إِلَى الْبَصْرَةِ .
وَكَانَ مَطِيعُ قَدْ أَعْطَى صَاحِبَتَهُ مِنْ طَرَائِفِ مَا أَفَادَ ، فَلَمَّا جَلَسُوا يَشْرَبُونَ غَنَتَ
ظَبِيَّةُ الْوَادِي :

أَخْظَنَ خَلِيلِي غَدَوَةً سَيَسِيرُ وَرَبِّي عَلَى أَنْ لَا يَسِيرَ قَدِيرُ

(١) النَّأْمَةُ : الصَّوْتُ .

(٢) يُفَوِّثُ : يَقُولُ : يَا غَوْنَاهُ .

(٣) سَدِرَ : تَحَيَّرَ - وَفِي رِوَايَةٍ : نَدَرَ أَيْ مَاتَ لِإِعْيَاءِ .

(٤) الْجَرِيضُ : الْفَصَةُ . وَابْتِلَاعُ الرِّيقِ عَلَى هَمْ - وَحَالُ الْجَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ مِثْلُ يَضْرِبُ

لِلْأَمْرِ بِعَوْقِ دُونِهِ عَائِقُ .

فما فرغت من الصوت حتى غنت صاحبة مطيع :
 ما أبالي إذا النوى قرَّبَتْهُمْ ودنونا من حلِّ يومنا^(١) وسارا
 فجعل مطيع يضحك وحماد يشتمهما .

مر مطيع بن إلياس بيجي بن زياد وحماد الراوية ، وها يتحدثان ، فقال لها :
 فيم أنما ؟ فقالا : في قذف المحصنات . قال : أو في الأرض محصنة فتقذف فيها .
 كان المنصور يريد أن يأخذ البيعة للمهدى ، وكان ابنه جعفر يعترض عليه في
 ذلك فأمر بإحضار الناس فحضروا وتكلم الخطباء وقالت الشعراء فأكثرُوا في
 وصف المهدى وفضائله ، ثم قال مطيع بن إلياس للمنصور : يا أمير المؤمنين حدثنا
 فلان عن فلان أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : المهدى منا ، محمد بن
 عبد الله ، وأمه من غيرنا ، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً . وهذا العباس أخوك
 يشهد على ذلك ، وأقبل على العباس فقال : أنشدك الله هل سمعت هذا ؟ فقال : نعم
 مخافة من المنصور ، فأمر [المنصور] الناس بالبيعة للمهدى ولما انقض المجلس^(٢) قال
 العباس لن يأنس به [: رأيتم^٢ هذا الزنديق لم يرْض أن يكذب على الله ،
 عز وجل ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، حتى استشهدني على كذبه ، فشهدت
 له خوفاً . وشهد كل من حضر على كذبي ، وبلغ الخبر جعفر بن أبي جعفر ، وكان
 مطيع منقطعا إليه يتخدمه . فجاء وطرده عن خدمته . وكان جعفر ماجناً .
 فلما بلغه قول مطيع هذا غاظه وشقت عليه البيعة للمهدى فأخرج ذكره ثم
 قال : إن كان أخي محمد هو المهدى فهذا هو القائم من آل محمد .

(١) منهم (أغاني) .

(٢) في الأغاني : [وكان العباس بن محمد لم يأنس به قال : رأيتم . ج ١٢ : ١٨] وفي الأصل :
 قال العباس : لم يأنس به رأيتم . وما أثبتناه عن التجريد .

وكان المنصور قد كره صحبة مطيع بن إبّاس لجعفر ابنه وخشى أن يفسده
فدعاه بمطيع وقال له : قد عزمنا أن نفسد ابنى عليّ وتعلّمه الزندقة فقال :
أعيزك بالله يا أمير المؤمنين « أتظنّ بى هذا » والله ما يسمع منى إلا ما إذا وعاه
جمّله وزيّنه ونبلّه . فقال : ما أرى ذلك ولا يسمع منك إلا ما يضرّه ويغرّه فلما
راى مطيع إلحاحه فى أمره قال له : أتومّنى من غضبك حتى أصدّقك ؟ قال : أنت
آمن . قال : أى مُستصلح فيه وآيةُ نهاية [لم يبلّغها] فى الفساد والهلاك قال :
ويُلك بأى شىء ؟ قال : يزعم أنه يعشق امرأة من الجنّ وهو مجتهدٌ فى خطبتها ،
وقد جمع أصحاب العزائم عليها ، وهم يُغرونه ويعدونه بها ويمنّونه ، فوالله ما فيه
فضل لأن يسمع غير ذلك من جدّ ولا هزل ولا كفر ولا إيمان . فقال له
المنصور : ويملك أندرى ما تقول ؟ قال : الحقّ أقول فسّل عن ذلك . فقال : عد إلى
صُحبته واجتهد أن تُزبّله عن هذا الأمر ولا تُعلّمه أنى علّمت بذلك .

ولما زاد بجعفر ولعه بهذه الجارية التى ذكر أنه يتمشّقها من الجن أصابه صرعٌ
فكان يُصرع فى اليوم مراتٍ بين يديّ أبيه « والربيع واقف ، فيقول له : ياربّيعُ
هذه قُدرةُ الله تعالى ، ولم يزل كذلك حتى مات فحزنَ عليه المنصورُ حزناً شديداً
ومشّى مع جنازته فلما دُفِنَ وسوّى قبره قال للربيع : أنشدني قولَ مطيع فى مرثيةٍ
يحجى بن زياد :

يا أهلى أبكوا لقلبي القرح	ولدموع الذوارف السفح
راحوا بيحبنى ولو تطاوغنى الـ	أقدارُ لم يتسكر ولم يرح
ياخير من يحسن البكاء له الـ	يومَ ومن كان أمس للمدح
أعقبت حزناً من السرور كما	أدلت مكروهاً من الفرح ^(١)

(١) هذا الشطر واضح بالأصل وما أنبتاه عن التجريد .

قال علي بن القاسم : كنت آلف مطيع بن إياس ، وكان جاري ، فمَنَّفَنِي فِي عَشْرَتِهِ جَمَاعَةً مِنْ إِخْوَانِي وَقَالُوا لِي : إِنَّهُ زَنْدِيقٌ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ . فَقَالَ : هَلْ سَمِعْتَ مِنِّي شَيْئًا أَوْ رَأَيْتَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ ؟ أَوْ هَلْ وَجَدْتَنِي أُخِلَّ بِالْفَرَائِضِ مِنْ صَلَاةٍ أَوْ صَوْمٍ ؟ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ مَا أَتَهْمُكَ . وَلَكِنِّي أَخْبَرْتُكَ بِمَا قَالُوا ، وَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ ، فَمَجَّلَ عَلَى الْبُسْكَرُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَنْزِلِهِ فَنَمْتُ عَنْدهُ وَمُطِرْنَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، وَهُوَ مَعِيَ ، فَصَاحَ بِي مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا . فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَصْطَبِّحَ ، فَكَسَيْتُ أَنْ أُجِيبَهُ ، فَلَمَّا تَيَقَّنَ أَنِّي نَائِمٌ جَعَلَ يَرُدُّ عَلَى نَفْسِهِ بَيْنَا قَالَهُ وَهُوَ :

أَصْبَحْتُ جَمَّ بِلَابِلِ الصَّدْرِ دَهْرًا أَزَجِّيهِ إِلَى دَهْرٍ^(١)

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا يَمْعَلُ شَعْرًا فِي فَنٍّ مِنَ الْفَنُونِ فَأُضَافُ إِلَيْهِ بَيْنَا ثَانِيًا وَهُوَ :
إِنْ بُحْتُ طُلٌّ دَى وَإِنْ تَرَكْتُ وَقَدْتُ عَلَى تَوَقُّدِ الْجَمْرِ
فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : ظَفَرْتُ بِمَطِيعٍ فَتَنْحَنِّجْتُ ، فَقَالَ لِي : أَمَا تَرَى هَذَا الْمَطَرَ وَطِيبَهُ ، اأَقْمِدْ بِنَا حَتَّى نَشْرَبَ فَأَغْتَنِمْتُ ذَلِكَ فَلَمَّا شَرَبْنَا قَالَتْ لَه : زَعَمْتَ أَنَّكَ زَنْدِيقٌ قَالَ :
وَمَا الَّذِي صَحَّحَ عِنْدَكَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : قَوْلُكَ :

إِنْ بُحْتُ طُلٌّ دَى وَإِنْ تَرَكْتُ وَقَدْتُ عَلَى تَوَقُّدِ الْجَمْرِ

فَقَالَ : كَيْفَ حَفِظْتَ الْبَيْتَيْنِ وَمَا حَفِظْتَ الثَّلَاثَ ؟ فَقُلْتُ : مَا سَمِعْتُ مِنْكَ ثَانِيًا .
قَالَ : بَلْ قُلْتَ ثَانِيًا ، قُلْتُ : فَمَا هُوَ ؟ قَالَ :

مِمَّا جَفَاهُ عَلَى أَبِي حَسَنِ عُمَرُ وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ

وَكَانَ عَلَى بَنِ الْقَاسِمِ مَتَشِيمًا فَأَكَبَ عَلَى رَأْسِ مَطِيعٍ وَرَجَلَيْهِ يُقَبِّلُهُمَا وَيَقُولُ :
جِزَاكَ اللَّهُ يَا أَبَا سَلَمَى خَيْرًا .

(١) وفي رواية : عصراً كآتته إلى عصر . والجَم : الكثير . والبَلَابِل : وساوس الصدر وشدة الهموم .

أَتَى الرَّشِيدُ بِنْتَ مَطِيعِ بْنِ إِيَّاسٍ فِي الزَّانَدَةِ ، فَاعْتَرَفَتْ بِذَلِكَ ، وَقَالَتْ :
هَذَا دِينَ عَلَمَنِيهِ أَبِي وَتَابَتْ مِنْهُ فَقَبِلَ تَوْبَتَهَا وَرَدَّهَا إِلَى أَهْلِهَا .

كَانَ مَطِيعٌ كَثِيرَ الْعَبَثِ فَوَقَفَ عَلَى أَبِي الْعُمَيْرِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْمُعَلَّى الْخَادِمِ
فَمِثَّ بِهِ وَقَالَ :

أَلَا أَبْلُغُ لَدَيْكَ أَبَا الْعُمَيْرِ أَرَأَيْتَ اللَّهُ فِي اسْتِكَ نَصْفَ أُبْرَ
فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعُمَيْرِ : يَا أَبَا سَلَمَى لَوْ جُدْتَ بِالْأَبْرِ كُلَّهُ لِأَحَدٍ لَجُدْتَ بِهِ لِي لِمَا بَيْنَنَا
مِنَ الصَّدَاقَةِ ، وَلَكِنَّكَ لِحُبِّكَ لَهُ لَا تَرِيدُهُ كُلَّهُ إِلَّا لَكَ فَأُخِمَهُ ۖ وَلَمْ يَعَاوِدِ الْعَبَثَ بِهِ
لَأَنَّ مَطِيعًا كَانَ يَرَى بِالْأُبْنَةِ .

كَانَ مَطِيعُ بْنُ إِيَّاسٍ نَازِلًا بِكَرْخِ بَغْدَادَ ، وَكَانَ يُحْيِي بْنُ زِيَادٍ نَازِلًا فِي عَسْكَرِ
الْمُهْدِيِّ فَقَدِمَ بَغْدَادَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْفَهْمِيُّ ، مُغْنٍ مُحْسِنٌ ، فَدَعَا مَطِيعٌ وَجَاعَةً
مِنْ أَصْحَابِهِ وَكَتَبَ إِلَى يُحْيِي بْنِ زِيَادٍ يَدْعُوهُ :

عَفَدْنَا الْفَهْمِيُّ مَسْرُو رُ وَزَمَارٌ بِجِيدُ
وَمَعَاذُ وَمَعَاذُ وَعِيَاذُ وَعُمَيْرُ وَسَمِيدُ
وَنَدَامَى يَمْعَلُونَ الِ قَلَزَ وَالْقَلَزُ (١) شَدِيدُ
بَعْضُهُمْ رِيحَانُ بَعْضُ فَهُمْ مِسْكٌ وَعُودُ

فَلَمَّا قَرَأَ الرِّقْعَةَ سَارَ إِلَيْهِمْ فَأَتَمَّ يَوْمَهُ مَعَهُمْ وَبَلَغَتْ الْآيَاتُ الْمُهْدِيَّ فَضَحِكَ مِنْهَا
وَقَالَ : تَنَابَيْكَ الْقَوْمُ وَرَبُّ السَّكْبَةِ .

سَقَطَ لِمَطِيعِ بْنِ إِيَّاسٍ حَائِظٌ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى السَّلَامَةِ ۖ
فَقَالَ : أَحْمَدُ اللَّهِ أَنْتَ إِذْ لَمْ تَرُعْكَ هَدْيُهُ وَلَمْ يُصِيبْكَ غِبَارُهُ وَلَمْ تَغْرَمَ أَجْرَةَ بَنَائِهِ .

(١) الْقَلَزُ : نَوْعٌ مِنَ الشَّرَابِ .

وفد مطيع بن إلياس على جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري وقد مدحه

بقصيدته :

أَمِنْ آلِ لَيْلى عَزَمْتَ البَسْكَورَا وَلَمْ تَلْقَ لَيْلى قَتَشْفَى الضَمِيرَا
وَقَدْ كَفْتَ دَهْرَكَ فِيمَا خَلَا لِلَّيلى وَجَارَاتِ لَيْلى زَهْوَرَا
لَيْلَى أَنْتَ بِهَا مُعْجَبٌ تَهَيَّمُ إِلَيْهَا وَتَمَعَّى الْأَمِيرَا
وَإِذَا هِيَ حَوْرَاهُ شَبَهُ الْفَزَا لِي تُبْصِرَ فِي الطَّرَفِ مِنْهَا فُتُورَا
تَقُولُ ابْنَتِي إِذْ رَأَتْ حَالَتِي وَقَرَّبْتُ لِلْبَيْنِ عَنَسَا وَكُورَا
إِلَى مَنْ أَرَاكَ وَقَتَكَ الْخُتُو فَ نَفْسِي تَجَشَّمَتْ هَذَا الْمَسِيرَا
فَقُلْتُ إِلَى الْبَجَلَى الَّذِي يَفُكُّ الْعُقَاةَ وَيُنْفِي الْفَقِيرَا
أَخِي الْعُرْفِ أَشْبَهَ عِنْدَ النَّدى وَحَمَلَ الْمِثِينَ أَبَاهُ جَدِيرَا
عَشِيرَ النَّدى لَيْسَ يَرْضَى النَّدى يَدَ الدَّهْرِ بِمَدِّ جَرِيرِ عَشِيرَا
إِذَا اسْتَكْتَرَ الْجَعْدُونَ الْقَلِمَ لَ لِلْمُعْتَمِنِ اسْتَقْلَلُ الْكَثِيرَا
إِذَا أَعْسَرَ الْخَيْرُ فِي الْمُجْتَدِيدِ نَ كَانَ لَدَيْهِ عَتِيدَا يَسِيرَا
وَلَيْسَ بِمَانَعِ ذِي حَاجَةٍ وَلَا خَاذِلٍ مَنْ أُنَى مُسْتَجِيرَا
إِلَى ابْنِ يَزِيدَ أَبِي خَالِدٍ أَخِي الْعُرْفِ أَعْمَلْتُهَا عَيْسَجُورَا^(١)
لَأُنَاقِي فَوَاضِلَ مَنْ كَفَّهُ فَصَادَفَتْ مِنْهُ نَوَالَا غَزِيرَا
فَإِنْ يَكُنِ الشُّكْرُ حُسْنَ الثَّنَا بِالْعُرْفِ مِنْى تَجِدُنِي شَكُورَا
بَصِيرَا بِمَا يَسْتَلِذُّ الرُّوَا ةُ مِنْ مُحْكَمِ الشَّعْرِ حَتَّى يَسِيرَا

فلما بلغ يزيد خبر قدومه دعا به ليلا، ولم يعلم به أحد، ثم قال له : قد عرفت خبر قدومك وإني متمجل لك جائزتك ساعتك هذه، وإذا حضرت غدا فإني

(١) العيسجور : الناقة السريعة الفوية .

سأخاطبك مخاطبة فيها جفاء وأزودك نفقة طريقك وأصرفك اثلاً يبلغ أبا جعفر خبري فيه لكي، وأمر له بمائتي دينار وصرقه، فلما أصبح أتاه فاستأذنه في الإنشاد، فقال له: يا هذا لقد رميت بأمك غير مرمي. وفي أي شيء أنا حتى ينتجمني الشعراء لقد أسأت إليّ لأنني لا أستطيع تبليغك محابك^(١) ولا آمن سخطك وذمك. فقال له: تسمع ما قلت؟ فإني أقبل ميسورك وأبسط عذرك، فاستمع منه كالتكليف المتكره. فلما فرغ قال للغلام: كم مبلغ ما بقي من نفقتك؟ قال: ثلاثمائة درهم. قال: أعطه مائة درهم لنفقتك في طريقه ومائة درهم ينصرف بها إلى أهله واحتبس مائة درهم لنفقتنا، ففعل الغلام، فانصرف عنه مطيع شاكر ولم يعرف أبو جعفر خبره. سكر مطيع بن إياس ليلة فمرّبداً على يحيى بن زياد عربدة قبيحة وقال له وقد حلف بالطلاق:

لا تحلفن بطلاق من أمست حوافرها رقيقه
مهلاً فقد علم الأنا م بأنها كانت صديقه

فهجّره يحيى وحلف ألا يكلمه أبداً، وكانا لا يفترقان في فرح ولا حزن ولا شدة ولا رخاء فتجافيا وتقاطما مدة فكتب إليه مطيع بن إياس:

إن تصلني فثلك اليوم يرّجى عفو الذنب عن أخيه ووصله
ولئن كنت قد هممت بهجري للذي قد فعلت إني أهله
وأحق الرجال أن يغفر الذنب لإخوانه الموفّر عقله
الكريم الذي له الحسب الثا قرب في قومه ومن طاب أصله
ولئن كنت لا تصاحب إلا صاحباً لا يزل ما عاش فعله
لا تجدّه وإن جهدت وإني بالذي لا يكاد يوجد مثله

(١) محابك: ما تحبه وتتمناه.

إِنَّمَا صَاحِبِي الَّذِي يَغْفِرُ الذَّنْبَ بَ وَيَكْفِيهِ مِنْ أَخِيهِ أَقْلُهُ
الَّذِي يَحْفَظُ الْقَدِيمَ مِنَ الْعَهْدِ دِ وَإِنْ زَلَّ صَاحِبٌ قَلَّ عَزْلُهُ
وَرَعَى مَا مَضَى مِنَ الْمَهْدِ مِنْهُ حِينَ يُودِي بِذِي الْجَهَالَةِ جَهْلُهُ
لَيْسَ مِنْ يُظْهِرُ الْمَوَدَّةَ إِفْكَارًا وَإِذَا قَالَ خَالَفَ الْقَوْلَ فِعْلُهُ
وَصَلُّهُ لِلصَّدِيقِ يَوْمًا فَإِنْ طَا لَ فَيَوْمَانِ ثُمَّ يَنْبَتُ حَبْلُهُ
فَصَالِحُهُ يَحْيِي وَعَادَ إِلَى عِشْرَتِهِ .

قال الوليد بن يزيد لمطيع بن إلياس : أى [الأشياء] ^(١) أطيب عندك ؟ قال :
صهبا صافية تمزجها غانية بماء غادية . قال : صدقت .
دخل سراحة بن الزندبور على مطيع بن إلياس ويحيى بن زياد وهم يشربون وعندهم
قينة تغنيهم فسقوه أنداحا وهو على الريق فاشتد ذلك عليه فقال مطيع للغنية : غنى
سراحة . فقالت : أى شيء تختار ؟ فقال غنى :

خليلى ^(٢) داويتما ظاهرا فمن ذا يداوى جووى باطنا
شمر عمرو بن سميد بن عمرو بن زيد بن [نفيل القرشى المدوى] ففطن مطيع
لمعناه فقال : أبك أكل ؟ فقال : نعم ، فقدم إليه طعاما فأكل ثم شرب معهم .
كان مطيع بن إلياس يهوى جوهر جارية بربر وله فيها مقاطيع عدة ، فأناها يوما
فاحتجبت عنه فسأل عن خبرها فعرف أن فتى من أهل الكوفة يقال له الصحاف
يهواها وهو مختل معها فقال :

نالك والله جوهر الصحاف وعليها قيضها الأنواف ^(٣)
شام فيها أبرأ له ذا ضلوع لم يشنه ضعف ولا إخطاف

(١) غير ظاهرة في الأصل وهذه عن الأغاني .

(٢) طيبي (أغاني) .

(٣) الأنواف : الرقيق .

جَدَّ دَفْعًا فِيهَا فَقَالَ تَرَفَّقُ مَا كَذَا يَا فَتَى تَنَّاكَ الظَّرَافُ
زَعَمُوهَا قَالَتْ وَقَدْ غَابَ فِيهَا قَائِمًا فِي قِيَامِهِ اسْتِحْصَافُ
وَهُوَ فِي جَارَةٍ اسْتَهَا يَتَلَطَّى فَلَهَا شَهْوَةٌ لَهُ وَالتَّهَافُ
بَعْضَ هَذَا مَهْلًا تَرَفَّقُ قَلِيلًا مَا كَذَا يَا فَتَى تَنَّاكَ الظَّرَافُ

وبلغ المهدي قوله فيها :

أَمَّا وَاللَّهِ يَا جَوْهَرُ لَقَدْ قُتِّتَ عَلَى الْجَوْهَرِ
فَلَا وَاللَّهِ مَا الْمَهْدِ يُّ أَوْلَى مِنْكَ بِالْمَنْبَرِ
فَإِنْ شِئْتَ فَنِي كَفَيْتُ لَكَ خَلْعُ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ

فقال المهدي : اللهم العنهما جميعا ، وبِحَكْمِكُمَا أجمعوا بين هَذَيْنِ قَبْلَ أَنْ تَخْلَعُنَا
هَذِهِ الْقَحْبَةَ . وجعل يضحك من قول مطيع .

كان لمطيع بن إياس مُعَامِلٌ من تجار الكوفة فطالت صحبته إياه وَعِشْرَةٌ
حَتَّى شَرِبَ النَّبِيذَ وَعَاشَرَ تِلْكَ الطَّبَقَةَ وَأَفْسَدُوا دِينَهُ فَكَانَ إِذَا شَرِبَ عَمِلَ
مَا يَعْمَلُونَ ، وَقَالَ كَمَا يَقُولُونَ ، وَإِذَا صَحَا تَهَيَّبَ ذَلِكَ وَهَافَهُ فَرَّ يَوْمًا بِمُطِيعِ بْنِ إِيَاسَ .
وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى بَابِ دَارِهِ فَقَالَ : مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : شِيعَتُ صَدِيقًا لِي يُحْجِجُ
وَرَجَعْتُ كَمَا تَرَى مَيِّتًا مِنْ أَلَمِ الْحَرِّ وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ ، فَدَعَا مُطِيعٌ غُلَامَهُ فَقَالَ :
أَيُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ ؟ فَقَالَ : عِنْدِي مِنَ الْفَوَاكِهِ كَذَا ، وَمِنَ الْبُورَادِ كَذَا ، وَمِنَ الطَّعَامِ
الْحَارِ كَذَا ، وَمِنَ الْأَشْرَبَةِ كَذَا ، وَمِنَ الثَّلَجِ كَذَا ، وَمِنَ الرِّيحَانِ كَذَا ، وَقَدْ فَرَّغَ
الطَّعَامُ . وَغِيِبَتِ الْفَوَاكِهُ وَجُهِزَ الْمَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَرَى هَذَا قَالَ : وَاللَّهِ عَيْشُ أَهْلِ
الْجَنَّةِ قَالَ : أَنْتَ الشَّرِيكُ فِيهِ . وَلَكِنْ عَلَى شَرِيطَةٍ إِنْ وَقِفْتَ بِهَا وَإِلَّا فَأَنْصَرَفَ قَالَ :
وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : أَنْ تَشْتَمَ الْمَلَائِكَةَ ، فَفَرَّ التَّاجِرُ ، وَقَالَ : قُبْحَ اللَّهِ عِشْرَتَكُمْ ،
وَقَدْ فَضَحْتُمُونِي وَهَتَكْتُمُونِي ، وَمَضَى فَلَمْ يَبْعُدْ حَتَّى لَقِيَهُ هَمْدُ بْنُ جَعْفَرٍ فَقَالَ : مَا لِي أَرَاكَ

نافراً جزعاً ، فحدثه حديثه فقال له : أساء مطيعٌ ، قبحه الله ، وأخطأ ، وعندى والله ضِعْفُ ذلك . فهل لك فيه ؟ فقال : إني والله إليه في أشدِّ فاقةٍ . فقال : أنت الشريكُ فيه ولكن على شريطة إن وَفَيْتَ بها وإلا فَانصَرَفْ قال : وما هي ؟ قال : أن تَشْتِمَ الأنبياءَ فإنهم تعبَدونا بكلِّ أمرٍ متعبٍ ولا ذَنْبَ للملائكةِ [فَنَشْتِمُهُمْ] فنفر التاجر وقال : أنت أيضاً ؟ فبحك الله . والله لا أدخل . ومضى فاجتاز بيحيى بن زياد الحارثي فقال : مالى أراك مرثاعاً ؟ فحدثه بقصته فقال : قَبَحَهُمَا اللهُ ، لقد كَلَّفَاكَ شَطَطاً وأنت تعلم أن مروءتى فوق مروءتهما ، وعندى أضعافُ ما عندهما ، وأنت الشريكُ فيه على خِصْلَةٍ تنفُكُ ولا تَصُرُّكُ وهي خلافُ ما كَلَّفَاكَ من الكُفْرِ . قال : وما هي ؟ قال : تُصَلِّيَ ركعتين تطيلُ ركوعَهُما وسجودَهُما وتصليهما وتجلسُ فَنَأْخُذُ في شأننا ، فضجر التاجرُ وتَأَفَّفَ وقال : هذا شرٌّ من ذاك ، أنا تَعِبٌ ومَيِّتٌ تكلفُنى صلاةً طويلةً في غَيْرِ بَرٍّ ولا طاعةٍ يكونَ نَمْنُهَا أكلُ سُحْتٍ وشُرْبُ خَمَرٍ وعِشْرَةِ فَجْرَةٍ وسماعُ مغنياتٍ وَسَبِّهِ وَسَبِّهَما ومضى مُغَضِّباً ، فبعثَ خَلْفَهُ غلاماً له فَرَدَّهُ كَرِهاً . فقال : انزل الآن ولا تُصَلِّ اليوم البتَّةَ فَشَقَمَهُ . وقال : ولا هذا . فقال : انزل كيف شِئْتَ وأنت ثَقِيلٌ غيرُ مُساعدٍ ، فنزل عنده ودعا يحيى مطيعاً وحامداً فعميما بالتاجر ساعةً وشاتما ثم أكلوا وشربوا وصلى التاجر الظهرَ والمصرَ فلما دبت الكأْسُ فيهم . قال مطيع : أيُّما أحبُّ إليك تَشْتِمُ الملائكةَ أو تَنْصَرِفُ ؟ فَنَشْتِمُهُمْ . وقال له حماد : أيُّما أحبُّ تَشْتِمُ الأنبياءَ أو تَنْصَرِفُ ؟ فَنَشْتِمُهُمْ . فقال له يحيى : أيُّما أحبُّ إليك تصلى الركعتين أو تَنْصَرِفُ ؟ فقام فصلى الركعتين وجلس فقالوا له : أيُّما أحبُّ إليك تَتْرُكُ باقى صلاةِ يَوْمِكَ أو تَنْصَرِفُ ؟ قال : بل أَرُكُّهَا ، يا بنى الزواني ، ولا أَنْصَرِفْ وعمل كلُّ واحدٍ منهم به ما أراد منه .

رُفِعَ الخبرُ إلى النصور أن مطيعَ بنَ إياسَ زنديقٌ . وأنه يلزم ابنه جعفراً وجماعةً من أهل بيته . ويوشك أن يُفْسِدَ أديانهم ويُتَسَبَّأوا إلى مذهبه ، فقال له

المهدى : أنا به عارف ، أما الزندقة فليس من أهلها ولكنه خبيث الدين فاسق مُسْتَحِلٌّ للمحارم . قال : فَأَحْضِرْهُ وَأَنْهَهُ عَنْ صُحْبَةِ جَعْفَرٍ وَسَائِرِ أَهْلِهِ . فَأَحْضَرَهُ المهدى وقال له : يا خبيثُ يا فاسقُ أفسدتَ أخى وَمَنْ بِصُحْبَتِهِ مِنْ أَهْلِى . والله لقد بلغنى أنهم يتقارعون عليك ، ولا يتم لهم سرورٌ إلا بك ، وقد غررتهم وشهرتهم فى الناس ، ولولا أنى شهدتُ لك عند أمير المؤمنين بالبراءة مما نُسِبتَ إليه من الزندقة لقد كان يضربُ عُنُقَكَ . ياربيع اضربه مائتى سوط واحبسه ، قال : ولم ياسيدي ؟ قال : لأنك سَكَيْتُ خَيْرَ قَدِ أَفْسَدْتَ أَهْلِي كُلَّهُمْ بِصُحْبَتِكَ . فقال له : إِنْ أَذِنْتَ وَسَمِعْتَ احْتَجَجْتُ . قال : قل . قال : إنما أنا امرؤ شاعر وسوقى إنما تنفقُ عند الملوك وقد كَسَدَتْ عِنْدَكُمْ . وأنا فى أيامكم [مطَّرَح] وقد رضيتُ فيها مع ستمتها للناس جميعا بالأكلِ على مائدة أخيك لا يتبع ذلك عشرة وأصفيتهُ سُكْرَى وشِعْرَى فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَائِبًا عِنْدَكَ ثَبْتُ مِنْهُ فَأَطْرَقَ المهدى ساعة ، ثم رفع رأسه وقال : ارْفَعْ إِلَى صَاحِبِ الْخَبْرِ أَيْضًا أَنَّكَ تَتَمَاجَنُ عَلَى السُّؤَالِ وَتَضْحَكُ مِنْهُمْ . قال : لا والله ما ذلك من فعلى ولا خلقتى ولا جَرَى منى إلا مرة واحدة : فإن سائلا أَعْمَى اعترضنى على الجسر ، وأنا على بغلتى فظننتى من الجندِ فرفع عصاه فى وجهى . وقال : اللهم سَخِّرْ الْخُلَيْفَةَ لِأَنْ يُعْطِيَ الْجَنْدَ أَرْزَاقَهُمْ فَيَشْتَرُوا مِنَ التَّجَارِ الْأُمْتَمَةَ فَيَرْبَحَ التَّجَارُ عَلَيْهِمْ فَتُكَثَّرَ أَمْوَالُهُمْ فَيَجِبُ فِيهَا الزَّكَاةُ عَلَيْهِمْ فَيَقْصِدُوا عَلَى مِنْهَا فَتَنْفِرَتْ بِقَلْبِي مِنْ صِيَاحِهِ وَرَفَعَهُ لِلْعَصَا فِى وَجْهِى حَتَّى كَدْتُ أَسْقَطَ فِى الْمَاءِ فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا مَا رَأَيْتُ أَكْثَرَ فَضُولًا مِنْكَ ، سَلِ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَكَ وَلَا تَجْمَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ هَذِهِ الْحَوَالِى وَالْوَسَطَاءُ كُلُّهَا فَلَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا ، فَإِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلُ فَضُولٌ فَضْحَكَ النَّاسُ مِنْهُ فَرَفَعَ هَذَا عَلَى فِى الْخَبْرِ ، فَضْحَكَ الْمَهْدِيُّ وَقَالَ : خَلَوْهُ وَلَا يُضْرَبْ وَلَا يُجَبَسْ ، انْطَلِقْ فَقَالَ لَهُ : أَدْخُلْ عَلَيْكَ لِمَوْجِدَةٍ وَأَخْرِجْ عَنْ رِضَى وَتَبْرَأْ سَاحَتِي مِنْ مُضِلَّةٍ وَأَنْصَرِفْ بِلا جَائِزَةٍ ؟ قَالَ : وَلَا يَجُوزُ هَذَا .

أعطوه مائتي دينار . ولا تَعْلَمُوا بِهَا أميرَ المؤمنين فتجدد عنده ذنوبه . وكان المهديُّ
يَشْكُرُ له قيامه في الخطباء ووضعه الحديث له في أنه المهديُّ فقال له : اخرجُ عن
بغداد ودعْ صحبةَ جعفرٍ حتى يَنسَاكَ أميرُ المؤمنين . ثم عُدَّ إلى فقال : أين أَقْصِدُ ؟
فقال : أنا أَكْتُبُ لك إلى سليمانَ بنِ عليٍّ يُوَلِّيكَ عملاً وَيُحَسِّنُ إِلَيْكَ . قال :
رضيتُ . فكتبَ له . ووفدَ على سليمانَ بكاتبَ المهديِّ فولاهُ الصَّدَقَةَ بالبصرة .
وكان عليها داودُ بنُ أبي هندٍ . ففعله به .

كان مالكُ بنُ أبي سعدٍ عمُّ جابرِ الشَّطْرِنَجِيِّ جميلَ الوجهِ حسنَ الجسمِ وكان
يعاشرَ مطيعَ بنَ إياسٍ وحمادَ عَجْرَدَ ويشربُ معهما ثم فسدَ ما بينهما فقال حمادُ
يهجوه :

أتوبُ إلى الله من مالكِ صديقاً ومن صُحْبَتِي مالكا
فإن كنتُ صاحبتهُ مرةً فقد بُنْتُ ياربُّ من ذلكا
وأنشدها مطيعاً فقال له مطيع : سخنتِ عَيْنَكَ أَهَكَذَا يَهْجِي ! قال : فكيف ؟
قال : قل :

نَظَرَةٌ ما نَظَرْتُهَا يومَ أبصرتُ مالكا
في ثِيَابِ مُعْصِفَرَا تِ عَلَى الْوَجْهِ بَارِكا
تَرَكَتْنِي الْوُطْ مِنْ بَعْدِ ما كُنْتُ ناسكا
نَظَرَةٌ ما نَظَرْتُهَا أَوْرَدَتْنِي الْمَالِكا

دخلَ صديقُ لمطيعٍ بنِ إياسٍ فرأى تَحْتَهُ غلاماً يَمِيكُهُ مطيعٌ وفوقَ مطيعٍ
غلامٌ يَمِيكُهُ وهو كَأَنَّهُ في تَحْتِ فقال له : ما هذا يا أبا سلمى فقال : هذه اللَذَّةُ
المضاعفةُ .

كان مطيعُ بنُ إياسٍ منقطعا إلى جعفرِ بنِ المنصورِ فطالتَ صحبتهُ له بغيرِ فائدةٍ .
فاجتمعَ يوما هو وحمادُ عَجْرَدَ ويحيى بنُ زيادٍ فتذاكروا أيامَ بني أمية وكثرةَ

ما أفادوا منها وحسن مملكتهم وطيب دارهم بالشام . وما هم فيه ببغداد من القحط
في أيام المنصور . وشدة الحر . وخشونة العيش . وشكوى الفقر فأكثروا
فقال مطيع :

حَبَّذا عَيْشُنَا الَّذِي زَالَ عَنَا حَبَّذا ذَاكَ حِينَ لَا حَبَّذَاذَا
أَيْنَ هَذَا مِنْ ذَاكَ سَقِيًّا لِهَذَا لَ وَلَسْنَا نَقُولُ سَقِيًّا لِهَذَا
زَادَ هَذَا الزَّمَانُ عُسْرًا وَشَرًّا عِنْدَنَا إِذْ أَحَلَّلْنَا بَغْدَاذَا
بِلَدَةِ مُعْطِرُ التَّرَابِ عَلَى النَّاسِ سِ كَمَا تُعْطِرُ السَّمَاءَ الرِّذَاذَا
خَرِبَتْ عَاجِلًا وَأَخْرَبَ ذُو الْعَرِّ شِ بِأَعْمَالِ أَهْلِهَا كَلَّوَاذَا

عاب المهدي مطيع بن إلياس في شيء بلغه عنه . فقال : يا أمير المؤمنين إن كان
ما بلفك عني حقًا فما تُعْزِي المَعاذِرُ . وإن كان باطلا فما تُضِرُّ الأباطيلُ ، فقبل عُذْرَه
وقال : فَإِنَّا نَدْعُكَ وَلَا نَكْشِفُكَ .

كان مطيع بن إلياس عاقًا بأبيه شديد البُغْضِ له ، وكان يَهْجُوهُ فأقبل يوما
من بُعد ، ومطيع يشربُ مع إخوانٍ له فلما رآه مطيعُ قال :

هَذَا إِلْيَاسٌ مَقْبِلًا جَاءَتْ بِهِ إِحْدَى الْهَنَاتِ
هُوَ فَوْهٌ وَأَنْفُهُ كَلَمُونٌ^(١) فِي إِحْدَى الصَّفَاتِ
وَكُنَّ سَعْفَصَ بَطْنُهُ وَالتَّغْرُ شَيْنٌ قَرِيشَاتٍ^(٢)
لَا رَأْيَتُكَ آتِيَا أَتَقْتُ أَنْكَ شَرُّ آتٍ

مدح مطيع بن إلياس مَعْنَى بن زائدة بقصيدته التي أولها :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِسَيْدِ الْعَرَبِ ذِي الْغُرَرِ الْوَاضِحَاتِ وَالنَّجَبِ
فَتَى زَارٍ وَكَهْلَهَا وَأَخَى الْـ جُودِ حَوَى غَايَتَيْهِ مِنْ كَثَبِ

(١) كلمن بتشديد النون (أغاني) .

(٢) البيتان فيهما إشارة إلى الأبيجدة (أبيجد - هوز - حطي - كلمن - سَعْفَص - قرشت) .

فلما فرغ منها قال له مَعْنُ : إِنْ شِئْتَ مَدَحْنَاكَ كَمَا مَدَحْنَا ، وَإِنْ شِئْتَ أَثْبَنَّاكَ .
فَاسْتَحْيَا مطيعٌ مِنْ اخْتِيَارِ الثَّوَابِ عَلَى الْمَدْحِ ، وَكَرِهَ اخْتِيَارَ الْمَدْحِ وَهُوَ مُحْتَاجٌ
إِلَى الثَّوَابِ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

نَنَا مِنْ أَمِيرٍ خَيْرُ كَسْبٍ لَصَاحِبٍ مَغْنَمٍ وَأَخِي ثَرَاءٍ
وَلَكِنْ الزَّمَانَ بَرَا عِظَامِي وَمَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءٍ

فَضَحِكَ مَعْنُ حَتَّى اسْتَقْلَى وَقَالَ : لَقَدْ لَطَفْتَ حَتَّى خَاصَّتَ مِنْهَا ، صَدَقْتَ ،
لَعَمْرِي مَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءٍ ، وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَهُ .
كَانَ لِمَطِيعِ بْنِ إِيَّاسٍ صَدِيقٌ مِنَ الْعَرَبِ يُجَالِسُهُ فَضَرَطَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدَهُ
فَاسْتَحْيَا وَغَابَ عَنْهُ مَدَّةً ، وَعَرَفَ مطيعٌ سَبَبَ انْقِطَاعِهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَظْهَرْتَ مِنْكَ لَنَا هَجْرًا وَمَقْلَبَةً وَغَيْبَ عَنَّا ثَلَاثًا لَسْتَ تَفْشَانَا
هُوَ عَلَىكَ فَمَا فِي النَّاسِ ذَوَابِلُ إِلَّا وَأَيْتَقُهُ يَشْرُدُنْ أَحْيَانَا

اجْتَمَعَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ وَمَطِيعُ بْنُ إِيَّاسٍ وَأَصْحَابُهُمْ فَشَرِبُوا أَيَّامًا تَبَاعًا ، فَقَالَ لَهُمْ
يَحْيَى : لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي وَهُمْ سَكَارَى : وَيَحْكُمُ مَا صَلَّيْنَا مِنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَقَوْمُوا بَنَّا
حَتَّى نُصَلِّيَ فَقَالُوا : نَعَمْ ، فَقَامَ مطيعٌ فَأَذَّنَ ، وَقَالَ : مَنْ يَتَقَدَّمُ ؟ فَتَدَافَعُوا ذَلِكَ . فَقَالَ
مَطِيعٌ لِلْمَغْنِيَّةِ : تَقَدَّمِي فَصَلِّيْ بِنَا . فَتَقَدَّمتْ تُصَلِّيْ بِهِمْ عَلَيْهَا غُلَّالَةٌ رَقِيقَةٌ مُطَيَّبَةٌ
بِلَا سِرَاوِيلَ ، فَلَمَّا سَجَدَتْ بَانَ فَرْجُهَا فَوَثَبَ مطيعٌ وَهُوَ سَاجِدٌ فَكَشَفَ عَنْهُ
وَقَبَّلَهُ وَقَطَعَ صَلَاتَهُ وَقَالَ :

وَلَمَّا بَدَا فَرْجُهَا جَانَمَا كَرَأْسِ حَلِيقٍ وَلَمْ يَعْتَمِدْ
سَجَدْتُ إِلَيْهِ وَقَبَّلْتُهُ كَمَا يَفْعَلُ السَّاجِدُ الْمُجْتَهِدُ

فَقَطَعُوا صَلَاتَهُمْ وَعَادُوا إِلَى شُرْبِهِمْ .

كتب المهدي إلى أبيه ؛ أبي جعفر المنصور أن يوجه إليه بابنه موسى الهادي .
خمله إليه . فلما قدم عليه قامت الخطباء تهنئته والشعراء تمدحه وأكثروا حتى آذوه
فقام مطيع بن إلياس فقال :

أحمد الله إله الخلق رب العالمينا
الذي جاء بموسى سالماً في سالمينا
الأمير ابن الأمير ابن أمير المؤمنين

فقال المهدي : لا حاجة لنا إلى قول بعد ما قاله مطيع فأمسك الناس ووصله .
كان بالكوفة رجل يقال له أبو الأصبغ وله قيان . وكان له ابن حسن الصورة
مضى الوجه يقال له الأصبغ . لم يكن في الكوفة أحسن وجهاً منه . وكان يحيى
ابن زياد ومطيع بن إلياس وحماد مجرد وضرباً وهم يالفونه ويفشونه (١) ويظرفونه
وكلمهم يعشق ابنه أصبغاً حتى كان يوم نوروز ، وعزم أبو الأصبغ على أن يصطبح
مع يحيى بن زياد . وكان يحيى قد أهدى له من الليل جداء وفاكهة وشراباً فقال
أبو الأصبغ لجواريه : إن يحيى بن زياد يزورنا اليوم ، فأعدن له ما يصلح لملكه
وجهة بغلمان في حوائجهم ، وبعت بابنه أصبغ إلى يحيى يدعوه ويسأله التمجيل
فلما جاء استأذن له الغلام فقال يحيى : قل له : يدخل ، وتفتح أنت وأغلق الباب .
ولا تدعه يخرج إلا بإذني . ففعل الغلام . ودخل الأصبغ فأذى رسالة أبيه فلما فرغ
راوده يحيى عن نفسه فامتنع . فتاوره يحيى وعاركه حتى صرعه ثم رام حلق تكته
فلم يقدر عليها فقطعها وفعل به . فلما فرغ أخرج من تحت مصلاه أربعين ديناراً
فأعطاه إياها فأخذها . وقال له يحيى : امض فإني بالآخر نخرج أصبغ ثم جاء مطيع
فراة يتبختر ويتطيب ويتزين فقال له : كيف أصبحت ؟ فلم يجبه وشمخ بأفقه

(١) يعشقونه (أغانى) .

وقطّب حاجبيه وتَفَخَّم فقال له مطيع : وبحك مالك ؟ أنزَل عليك الوحى فأوماً برأسه لا . فقال : أكلَمَتِكَ الملائكةُ ؟ فأوماً برأسه لا . فقال : ببيع لك بالخلافة ؟ فأوماً لا فقال : فما خبرُك ؟ كأنك قد نِكتَ أصْبَغ . قال : أى والله الساعة نِكتُهُ ، وأنا فى دعوة أبيه اليوم ، فقال مطيع : فامراتُهُ طالق إن فارقتك أو أقبل أيرك فأبداه له يحيى فقَبَله . ثم قال : كيف قَدَرْتَ عليه ؟ فحسكا له يحيى القصة وقام فضى إلى منزل أبى الأصْبَغ فتَبِعَهُ مطيع ، فقال له : ما تصنعُ مئى والرجل لم يدْعُك وإنما يريدُ الخلوَةَ مئى . فقال : أشيئُك إلى بابهِ ، ونَتحدثُ ، فدخل يحيى وردَّ البابَ فى وجه مطيع ، فصر ساعَةً . ثم دق الباب واستأذن ، فخرج إليه الرسولُ وقال : يقول لك : أنا اليوم على شغل لا أَتَفَرَّغُ لك معه فاعذرني ، قال : فابْعَثْ إلى بدوأة وقرطاس فبعث إليه فكتب إلى أبى الأصْبَغ :

يا أبا الأصْبَغ لا زلتَ على	كلِّ حال ناعماً مُتَبَمِّاً
لا تُصَيِّرْنِي فى الودِّ كمن	قطع النِّكَّةَ قَطْعاً شَنِماً
وأتى ما يَشْتَهَى لم يُبْنِهِ	خيفةً أو حقٍّ وُدٍّ ضِمْماً
لو ترى الأصْبَغ مُلْقَى تحته	مُسْتَكِيناً خِجَلاً قد خَضَمَا
وله دَفْعٌ عليه عَجَلٌ	شَبَقٌ شَاءَكَ ^(١) ما قد صَنَعَا
فادع بالأصْبَغ واعلم حاله	سترى أمراً قبيحاً شَنِماً

فقال أبو الأصْبَغ ليحيى : فمكثتُها يابن الزانية . قال : لا والله فضرَبَ بيده إلى نِكَّةِ ابنه فراها مقطوعةً . وأيقنَ يحيى بالفضيحة ، فتسلَّكَا الغلامُ فقال له يحيى : قد كان الذى كان وسَمَى بى مطيعُ ابنُ الزانية إليك . وهذا ابْنى وهو والله أفرُّ من ابْنِكَ . وأنا عربى ابنُ عَرَبِيَّة ، وأنت نَبَطِيُّ ابنُ نَبْطِيَّة فافعل بابْنِي عَشْرَ مرات ،

مكان المرة الواحدة « التي فعلتُ بابتك » فتكونُ قد رَبحَتِ الدنانيرَ وبالواحد عشرة فضحك وضحك الجوارى وسكنَ غضبُ أبي الأصْبَغ ، وقال لابنه : هاتِ الدنانيرَ يابنَ الفاعلة « فرمى بها إليه وقام خَجَلًا « وقال يحى : والله لا دَخَلَ مطيعُ الساعى « ابنُ الزانية « فقال أبو الأصْبَغ وجواريه : والله لَيَدْخُلَنَّ فقد نَصَحْنَا وَغَشَشْنَا فَأَدْخَلَ وَجَلَسَ يشربُ معهم ويحى يشتمه بكلِّ لسانٍ وهو يضحك .

جاء رجلٌ إلى مطيع بنِ إياس فقال له : قد جئتُك خاطبًا . فقال : لمن ؟ قال : لمودَّك . فقال له : قد أنكحْتُكِها وجعلتُ الصِّداقَ ألا تقبلِ في قولِ قائل . قال مطيعُ بنُ إياس : كانت لى بالرِّى جاريةٌ أيامَ مُقامي بها مع سلم بن قُتَيْبَةَ فكُنْتُ أَسْتَرُّهَا ، وكنتُ أَمَشُقُ امرأةً من بناتِ الدَّهَّاقِينَ ، كنتُ نازلاً إلى جَنَيبِهَا في دارِهَا ، فلما خرجنا إلى المنصور اضطرتُّ لأن أبيعَ الجاريةَ فَبِعْتُهَا ، وَبَقِيَتْ في نفسى علاقةٌ من المرأة التي كنتُ أهواها فلما نزلنا عَقَبَةَ حُلُوانِ جلستُ مُسْتَنِدَّةً إلى إحدى النَّخْلَتَيْنِ اللَّتَيْنِ عَلَى الْمَقْبَةِ وَقُلْتُ :

أُسْعِدَانِي يَا نَخْلَتَيَّ حُلُوانِ	وَارْتِيَا لِي مِنْ رَبِّ هَذَا الزَّمَانِ
وَاعْلَمَا أَنَّ رَبِّيهِ لَمْ يَزَلْ يَفْ	رُقُ بَيْنَ الْأَلَّافِ وَالْجِيرَانِ
وَلَعَمْرِي لَوْ دُقْتُمَا أَلَمُ الْفُرِّ	قَةً أَبْكَأَ الَّذِي أَبْكَأَنِي
أُسْعِدَانِي وَأَبْقِنَا أَنْ نَحْسَأَ	سَوْفَ يَأْتِيَكَا فَتَقْفَرَا قَانَ
كَمْ رَمَتْنِي صُرُوفُ هَذِي اللَّيَالِي	بِفِرَاقِ الْأَحْبَابِ وَالْخِلَآنِ
غَيْرَ أَنِّي لَمْ تَلْقُ نَفْسِي كَمَا لَا	قِيَتْ مِنْ فُرْقَةِ ابْنَةِ الدَّهْقَانِ
جَارَةٍ لِي بِالرِّى تَذْهَبُ هَمِّي	وَيُسَلِّي دُنُوءَهَا أَحْزَانِي
فَجَعَلَنِي الْأَيَّامُ أَغْبَطَ مَا كُنْتُ	تُ بَصْدَعٍ لِلْبَيْنِ غَيْرِ مُدَانِي
وَبَرَغَمِي أَنْ أَصْبَحْتَ لَا تَرَاهَا ۥ	مِنْ مَنِي وَأَصْبَحْتُ لَا تَرَانِي

إِنْ تَكُنْ وَدَّعْتَ فَقَدِ تَرَكْتَنِي لَهَبًا فِي الضَّمِيرِ لَيْسَ بِوَأْنٍ
كَرْبِقِ الضَّرَامِ فِي قَصَبِ الْغَا بِ زَفْتِهِ ^(١) رِيحَانٍ مُخْتَلِفَانِ

فَقَالَ لِي سَلَمٌ بْنُ قَتِيْبَةٍ: وَيْلَكَ فِيمَنْ هَذَا أَفَى جَارِيَتِكَ؟ فَاسْتَحْيَيْتَ أَنْ أَصْدَقَهُ فَقُلْتُ:
نَعَمْ. فَكَتَبَ مِنْ وَقْتِهِ إِلَى نَائِبِهِ أَنْ يَبْتَاعَهَا لِي، فَلَمْ أَلْبِثْ أَنْ وَرَدَ كِتَابُهُ إِلَيَّ
وَجَدْتُهَا، قَدْ تَدَاوَلَهَا الرِّجَالُ وَقَدْ بَلَغَتْ خَمْسَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ فَإِنْ أَمَرْتُ أَنْ أُشْتَرِيَهَا
فَعَمَلْتُ. فَأَخْبَرَنِي بِذَلِكَ سَلَمٌ وَقَالَ: أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ هِيَ أَمْ خَمْسَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ؟
فَقُلْتُ: أَمَّا إِذَا كَانَتْ قَدْ تَدَاوَلَهَا الرِّجَالُ فَقَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنْهَا. فَأَمَرَ لِي بِخَمْسَةِ
آلَافٍ دِرْهَمٍ. وَلَا وَاللَّهِ مَا كَانَ فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ. وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّهَا لَمْ أَبَالِ بِمَنْ
تَدَاوَلَهَا مِنَ الرِّجَالِ وَلَوْ نَاكَهَا أَهْلُ مِثْنَى كُلِّهِمْ.

ذَكَرَ الْجَاهِظُ أَنَّ مُطِيعًا ذَكَرَ عَنْ هَذِهِ الَّتِي قَالَ فِيهَا هَذَا الشَّعْرُ أَنَّهَا كَانَتْ
تَسْتَلْقِي عَلَى ظَهْرِهَا فَيُشَخَّصُ كَتِفَاهَا وَمَا كُنْتَاهَا فَيُدْخِرُ جُودَتَيْهَا الرُّمَانَ فَيَنْفِذُ إِلَى
الْجَانِبِ الْآخَرِ.

وَلَمَّا خَرَجَ الرَّشِيدُ إِلَى طُوسَ هَاجَ بِهِ الدَّمُ فِي حُلْوَانٍ فَأَشَارَ عَلَيْهِ الطَّبِيبُ
بِأَكْلِ جُمَارٍ فَأَحْضَرَ دِهْقَانٌ حُلْوَانًا وَطَلَبَ مِنْهُ جُمَارًا فَأَعْلَمَهُ أَنَّ بِلَدِهِمْ لَيْسَ بِبَلَدٍ
نَخْلٍ وَلَكِنْ عَلَى الْعَقَبَةِ بِحُلْوَانٍ نَخْلَتَانِ فَأَمَرَ بِقَطْعِ إِحْدَاهُمَا فَقَطَعَتْ وَأَتَى الرَّشِيدُ
بِجُمَارِهَا. فَأَكَلَ مِنْهَا وَرَاحَ ^(٢)، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْعَقَبَةِ نَظَرَ إِلَى إِحْدَى النَخْلَتَيْنِ
مَقْطُوعَةً وَالْأُخْرَى قَائِمَةً وَإِذَا عَلَى الْقَائِمَةِ مَكْتُوبٌ:

أَسْعِدَانِي يَا نَخْلَتِي حُلْوَانٍ وَارْتِيَالِي مِنْ رَبِّبِ هَذَا الزَّمَانِ
أَسْعِدَانِي وَأَبْقِنَا أَنْ نَحْسَا سَوْفَ يَأْتِيَكَا فَتَقْتَرِقَانِ

(١) زفته: طرده واستخففته.

(٢) راح: ارتاح ونشط.

فاغتمَّ الرشيدُ وقال : يَعْزَّ على أن أكون نَحْسَكُما ، ولو كنت سمعتُ بهذا الشعر ما قطعْتُ النخلةَ ولو قَتَلَنِي الدمُ .

وقيل : إن المهديَّ لما خرج وصار إلى العقبة استطاب المَوْضِعَ فتغَدَّى ودعا بحسنة فقال لها : أما تَرَيْنَ طيبَ هذا المَوْضِعِ ، غننى بحياتي حتَّى أشربَ ها هنا أقداحاً فأخذتْ حَكَّةً كانت في يده وأوقعتْ على خَدِّه وغنَّتْ لمُمرِّ بن أبي ربيعة :

أيا نَخَلَتِي وادى بُوانه حَبَّذا إذا نام حُرَّاسُ النخيلِ جَنَا كما
فطِيْبُكَا أَرَبِي على النخلِ بَهْجَةً وزاد على طول القَيْنى قناكا^(١)
فقال : أحسنتِ ، ولقد كنتُ كَهَمَّتُ بقطع هاتين النخلتين يعنى نَخَلَتِي حلوان
فمنعنى عن ذلك هذا الصوتُ فقالت له حسنة : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن
تكون النحسَ المُفَرَّقَ بينهما . فقال لها : وما ذاك ؟ فأنشدته أبياتَ مُطِيعٍ فلما
بَلَغَتْ إلى قوله :

أسمعُ داني وأيقِنَا أن نَحْسَا سوف يأتِيكما فتفترقان
قال : أحسنتِ والله إذ نَبَهْتَنِي على هذا ، والله لا أقطعُهما أبداً ، ولأوكِّلَنَّ
بهما من يحفظُهما ويسقيهما أبدا ما حييت ، ثم أمر بأن يُفَعَّلَ ذلك فلم يَزَلْ في
حياته على ما رَسَمَهُ حتى مات .

وقيل : إن المهديَّ قال : [قد أكثر]^(٢) الشعراء في ذكر نخلاتي حلوان ولقد
كَهَمَّتُ أن أقطعُهما فبلغ قوله [المنصور فكتب إليه]^(٣) : بلغنى أنك كَهَمْتَ بقطع
نَخَلَتِي حلوان ، ولا فائدة لك في قطعُهما ولا ضررَ عليك في بقائهما ، وأنا أعيذك
بالله أن تكون النحسَ الذى يلقاها فيُفَرَّقَ بينهما .

(١) رواية الأغاني (وزاد على طول الفناء قناكا) .

(٢) ما بين الأقواس عن الأغاني وهو غير واضح بالأصل .

وكان المنصور لما اجتاز بنخلتي حلوان رأى إحداها على الطريق وهي تضيئه
وتردح الأتقال عليها فأمر بقطعها فأشدد قول مطيع فقال : والله لا كنت أنا ذلك
النخس الذي يفرق ما بينهما ، وانصرف وتركهما .

ومما قيل في نخلتي حلوان من الشعر قول حماد عجرد :

جَمَلَ اللَّهُ سِدْرَتِي قَصْرَ شِيرِي نَ فِدَاءٍ لِنَخْلَتِي حُلُوانِ
جِئْتُ مُسْتَسْعِداً فَلِمَ يُسْعِدَانِي وَمَطِيعُ بَكَتْ لَهُ النَخْلَتَانِ

ومما أنشده جحظة ووكيع في نخلتي حلوان لبعض الشعراء :

أَيُّهَا الْمَاذِلَانِ لَا تَعْذِلَانِي وَدَعَانِي مِنَ الْمَلَامِ دَعَانِي
وَأَبْكِيَا لِي فَإِنِّي مُسْتَحِقٌّ مِنْكَمَا بِالْبَكَاءِ أَنْ تُسْعِدَانِي
إِنِّي مِنْكُمْ بِذَلِكَ أَوْلَى مِنْ مُطِيعٍ بِنَخْلَتِي حُلُوانِ
فَهُمَا تَجْهَلَانِ مَا كَانَ يَشْكُو مِنْ هَوَاهُ وَأَنْتُمَا تَعْلَمَانِ

وقال فيهما أحمد بن إبراهيم من قصيدة :

وَكَذَاكَ الزَّمَانُ لَيْسَ وَإِنْ أَلْفَ يَبْقَى عَلَيْهِ مُؤْتَلِفَانِ
سَلَبْتُ كَفَهُ الْغَرَى أَخَاهُ ثُمَّ ثَنَّنِي بِنَخْلَتِي حُلُوانِ
فَكَأَنَّ الْغَرَى مَذْكَانَ فَرْدَاً وَكَأَنَّ لَمْ تُجَاوِرِ النَخْلَتَانِ

جلس مطيع بن إياس في مَرَضِهِ في قُبَّةِ خُضْرَاءَ عَلَى فُرْشٍ خُضْرٍ فقال له
الطبيب : أَيُّ شَيْءٍ تَشْتَهِي الْيَوْمَ ؟ قَالَ : أَشْتَهِي أَلَا أَمُوتَ . فَمَاتَ فِي عِلَّتِهِ تِلْكَ
وَذَلِكَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ مِنْ خِلَافَةِ مُوسَى الْهَادِي .

محمد بن كناسة^(١)

هو محمد بن كناسة واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى بن عبيد الله ابن خليفة بن زهير بن فضالة بن أنيف بن مازن بن صهبان . واسم صهبان كعب بن ذؤيب^(٢) بن أسامة بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد ابن خزيمة . كنيته أبو يحيى ، شاعر من شعراء الدولة العباسية ، كوفي المولد والنشأ . وقد حمل عنه شيء من الحديث ، وكان إبراهيم بن أدهم الزاهد خاله . وكان امرأ صالحاً لا يتصدى لدخ ولا لهجاء . وكانت له جارية شاعرة مغنية . يقال لها دنائير . وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر .

قال مصعب الزبيري: قلت لمحمد بن كنانة الأسدي، ونحن بباب أمير المؤمنين: أنت الذي تقول في إبراهيم بن أدهم العابد رحمه الله :

رأيتك لا يُغنيك ما دونَه الفنى وقد كان يُغني دون ذاك ابن أدهما
وكان يرى الدنيا صميراً عظيماً وكان يحقُّ الله فيها مُعظماً
وأكثر ما تلقاه في القوم^(٣) صامتا فإن قال بذَّ القائلين وأحكما
فقال محمد بن كناسة : نعم ، أناقلتها ، وقد تركت أجودها . فقلت : وما أجودها ؟

فقال :

أهان الهوى حتى تجنَّبه الهوى كما اجتنَب الجاني الدَّم الطالب الدِّما

(١) أغاني الدار ١٣ / ٣٣٧ ، تجريد ٢ ج ١ - ١٥٣١ .

(٢) في الأغاني دويبة .

(٣) في الأصل : في اليوم .

وتتام هذه الأبيات وهي مما رثى بها خاله :

وللحلم سلطانٌ على الجهلِ عنده فما يستطيعُ الجهلُ أن يترزما
يرى مُستَكِينًا خاضعا متواضعا وليثا إذا لاقى الكتيبة ضيغما
على الجَدَثِ الغرْبِيِّ من آلِ وائلٍ سلامٌ وريثٌ ما أبرَّ وأكرما

قال ابنُ كُنَاسةٍ : كنتُ أتحدثُ بالحديثِ فلولم يَجِدْ سامِئُهم إلا القطنَ الذي
على وَجْهِ أمِّه في القبرِ لَتَمَلَّملَ إليه حتى يَسَخَّرِجَه ويُهْدِيه إلى . وأنا اليوم أتحدث
بذلك الحديثِ فما أفرُغُ منه حتى أَهَيَّيَّ له عذرا .

سُئِلَ مُحَمَّدُ بْنُ كُنَاسَةَ عَنْ قولِ الشاعر :

إذا الجوزاءُ أَرْدَفَتِ الثُّرَيَّا ظننتُ بآلِ فاطمةَ الظنونا

قال : يقول : إذا صارت الجوزاءُ في الموضعِ التي تُرى فيها الثُّرَيَّا بالغداةِ خِفْتُ
تَفَرُّقَ الحَيِّ من مَجْمَعِهِم والثُّرَيَّا تَطْلُعُ بعد ذلك في أولِ القَيْطِ .
رأى رجلٌ مُحَمَّدَ بْنَ كُنَاسَةَ يَحْمِلُ بيده بَطْنَ شاةٍ فقال : هاتِهْ أَحْمِلْهُ عَنْكَ . فقال :
لا ، ثم قال :

لا يَنْقُصُ الكَامِلُ مِنْ كَمَالِهِ ما جَرُّ مِنْ نَفْعٍ إِلَى عِيَالِهِ

قال علي بن عثمان السِّكَلَابِيُّ : جِئْتُ يوما إلى منزلِ مُحَمَّدِ بْنِ كُنَاسَةَ فلم أجده ووجدتُ
دنانيرَ جارِيتِهِ جالسةً ، فقالت لي : ما لك تحزونا يا أبا الحُسَيْنِ فقلت : رجعتُ
من دَفْنِ أَخٍ لي من قريشٍ فسكَّنتُ ساعةً ثم قالت :

بكيتَ علي أخ لك من قريشٍ فأبْكَانا بكَاءُكَ يا عليُّ
فماتَ وما خَبَرناهُ ولسكن طهارةٌ صَحْبِهِ الخَبْرُ الجَلِيُّ

أَمَلَقَ مُحَمَّدُ بْنُ كُنَاسَةَ فَلَامَهُ قَوْمُهُ فِي القُعودِ عَنِ السُّلْطَانِ وَاتِّجَاعِ الأَشْرَافِ
والتَّصَدُّقِ لِلْمُلُوكِ بِأَدَبِهِ وَشَرَفِهِ وَعِلْمِهِ ، فقال لهم مُجِيبًا عَنْ ذَلِكَ :

يُوَثِّبُنِي أَنْ صُنْتُ عِرْضِي عَصَابَةً لها بين أَطْنابِ اللُّثَامِ بِصِيصُ

يقولون لو غَمَضْتَ لَازِدْتَ رَفْمَةً فقلت لهم إني إذا لحريصُ
 أَتَكَلِّمُ وَجْهِي لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ مطامعُ عنها للكريمِ حَيِصُ
 معاشي دُونَ الْقَوْتِ وَالْعَرَضِ وَافِرُ وبطنى من جدوى الملوِكِ خَمِصُ
 أَعَزُّ وَأَزْكى مِنْ رَأْيِ يَمْنَةٍ عليك لئيم ما حَمِيتْ أَصُوصُ
 سَأَلَنِي الْمَنَازِلَ لَمْ أَخْلِطْ دَنَاءَةً ولم تَسِرْ بِي فِي الْحَزَنَاتِ قَلُوصُ

قال إسحق بن إبراهيم الموصلي: أنشدني محمد بن كناسة لنفسه:

فِي انْقِبَاضٍ وَحِشْمَةٍ فَإِذَا صادفتُ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ
 أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا وقلت ما قلتُ غَيْرَ مُحْتَشِمِ

فقلت لابن كناسة: وددت أنه نقص من عمرى سنتان وأنى سبقتك إلى هذين

البيتين فقلت لهما:

ولمحمد بن كناسة:

وَمَنْ عَجَبِ الدُّنْيَا تَيَقَّنْكَ الْبَلَى وَأَنْتَ فِيهَا لِلْبَقَاءِ مُرِيدُ
 وَإِنْ مِنْ بَنَى الْأَيَّامِ إِلَّا عِنْدَهُ مِنَ الدَّهْرِ ذَنْبٌ طَارِفٌ وَتَلِيدُ
 إِذَا اعْتَادَتِ النَّفْسُ الرِّضَاعَ مِنَ الْهَوَى فَإِنْ فَطَامَ النَّفْسَ عَنْهُ شَدِيدُ

قال محمد بن كناسة: أتيت امرأة من بني أود تكحل عيني من رمدي كان أصابني فكحلتهني ثم قالت لي: اضطجع قليلا حتى يدور الدواء في عينك فاضطجعت ثم تمثل قول الشاعر:

أَمْخَرَنِي رَبُّ النُّونِ وَلَمْ أَزُرْ طَيْبَ بَنِي أَوْدٍ عَلَى النَّأْيِ زَيْنِبَا

فضحكت ثم قالت: أتدري فيمن قيل هذا الشعر؟ فقلت: لا. فقالت: في، والله قيل وأنا زينب التي عنها، وأنا طيب أود. أتدري من الشاعر الذي قال؟ قلت: لا. قالت: عمك أبو سمالك الأسدي.

كان لمحمد بن كُنَاسة صديق يُقال له أبو الشعثاء ، عفيف مزاح ، وكان يزوره
ويسمع غناء جاريته دنانير ويعرضُ له بأنه يهواها فقالت دنانير فيه :

لأبي الشعثاء حُبٌّ باطنٌ	ليس فيه تَهْمَةٌ للمُتَّهمِ
يا فؤادى فازدَجِرْ عنه ويا	عَبَثَ الحُبُّ به فاقعد وقم
زارنى منه كلامٌ صائبٌ	ووسيلاتُ المحبين الكليلُ
صائِدٌ يأمنه غِزْلَانُهُ	مثلَ ما تأمنُ غِزْلانُ الحَرَمِ
صلِّ إن أحببتَ أن تُعطى النِّى	يا أبا الشعثاء لله وصم
ثم ميمادُك يوم الحشر فى	جَنَّةِ الخُلدِ إن الله رَحِيمٌ
حيث ألقاك غلاما يافعا	ناشِئًا قد كَمَلَتْ فيك النِّعمُ

وماتت دنانيرُ فقال سيدها محمد بن كُنَاسة يرثيها :

الحمد لله لا شريكَ له ياليتَ ما كان مِنكَ لم يَكُنْ
إن يكنِ القولُ قَلَّ فيكَ فإ أفحَمَنِ غيرُ شِدَّةِ الحَزَنِ

ومارواه محمد بن كُنَاسة عن الأعمش عن شقيق بن سلمة عن أبي موسى
الأشعري قال : قلت : يا رسول الله إن الرجل يحب القومَ ولما يَلْحَقُ بهم قال :
« المرء مع مَنْ أَحَبَّ » .

محمد بن يسير^(١) الرياشي

يقال : إنه مولى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشي الإخباري الأديب . ويقال : إنه منهم صليمة . وبنو رياش يذكرون أنهم من خثعم ، ولهم بالبصرة خُطَّةٌ ، وهم معروفون بها ، ومحمد بن يسير هذا شاعرٌ ظريفٌ من الشعراء المحدثين لم يفارق البصرة ولا ورد على خليفة ولا شريفٍ مُنتَجِماً بشعره ولا تجاوز بلده وصحبة طبقته . وكان ماجناً خبيثاً هجاءً ، وكان من بخلاء الناس .

قال علي بن القاسم بن علي بن سليمان طارمة : بعث إلى محمد بن أيوب بن سليمان ابن جعفر . وهو يتولى البصرة . حينئذ ، في ليلة صبيحتها يوم سبت فدخلت إليه . وقد بقي من الليل ثلثه أو أكثر . فقلت له : أنمت فانتبهت أو لم تنم بعد ؟ قال : قد قضيت حاجتي من النوم ، وأريد أن أصطبغ وأبتدى الساعة في الشرب وأصل ليلى بيومي مُحْتَجِجاً عن الناس . وعندى محمد بن رباح ، وقد وجهت إلى إبراهيم ابن رياش وحضرت أنت ، فمن ترى أن يكون خامسنا ؟ قلت : محمد بن يسير . فقال : ما عدوت ما في نفسي . فقال لابن رباح : اكتب إلى محمد بن يسير بيتين تدعوه فيهما . وتصف له طيب هذا الغيم والرضا . فكتب إليه ابن رباح :

(١) الأغاني ١٢ / ١٢٤ - تجريد ١٥٣٨ - مهذب ٧ / ١٦٠ .

يسير جاءت في الأصل وفي الأغاني بالباء الموحدة والشين المعجمة . ومثلها بشير الخارجي . أما في الشعر والشعراء وفي التجريد فهي بالياء والسين المهملة ، وفي طبعة الأغاني لدار الكتب كذلك - وجاء في شرح ما يقع فيه التصحيف والتعريف (ص ٤٠٣) [: ما جاء من شعراء البصر] فهو من محمد بن يسير أول الاسم ياء تحتها نقطتان وبعد ذلك سين غير معجمة . وله أخ يقال له علي بن يسير وهو شاعر أيضاً .

يَوْمُ سَبْتٍ وَشَنِيدٌ وَرِذَاذٌ فَعَلَامُ الْجُلُوسِ يَا ابْنَ يَسِيرٍ
 قَمِ بِنَا نَأْخُذِ الْمُدَامَةَ مِنْ كَفِّ غَزَالٍ مُضْمَخٍ بِالْمَعِيرِ
 وَبِمَثِّ إِلَيْهِ بِالرُّقْمَةِ فَإِذَا الْعُلَمَانُ قَدْ جَاءُوا بِالْجَوَابِ ۝ فَقَالَ : بَمَثِّ بِكُمْ لَتَجِيئُونِي
 بِرَجُلٍ جُثْمُونِي بِرُقْمَةٍ ! فَقَالُوا : لَمْ نَلْقَهُ ، وَإِنَّمَا كُتِبَ جَوَابُهَا فِي مَنْزِلِهِ وَلَمْ تَأْمُرْنَا
 بِالْهَجُومِ عَلَيْهِ فَهَجَّجْهُمْ ، فَقَرَأَهَا فَإِذَا فِيهَا :

أَجِيءْ عَلَى شَرْطٍ فَإِنْ كُنْتَ فَاعِلًا وَإِلَّا فَإِنِّي رَاجِعٌ لَا أَنَاظِرُ
 لِيَسْرَجَ لِي الْبِرْدُونُ فِي حَالِ دُلْجَتِي وَأَنْتَ بَدُئِجَاتِي مَعَ الصَّبِيحِ خَابِرُ
 لَا فُضِي حَاجَاتِي عَلَيْهِ وَأَنْشَى إِلَيْكَ وَحَجَّامٌ إِذَا جِئْتُ حَاضِرُ
 فَيَأْخُذَنِي مِنْ شَعْرِي وَيَصْلِحَ لِيخِي وَمِنْ بَمَثِّ حَمَامٍ وَطِيبٍ وَجَامِرُ
 وَدَسْتِيحَةٍ مِنْ طِيبِ الرَّاحِ ضَخْمَةٍ يُرَوِّدُنِيهَا طَائِعًا لَا يَمَاسِرُ

فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ : مَا تَقُولُ ؟ فَقُلْتُ : إِنَّكَ لَا تَقْوَى عَلَى مُطَاوَلَتِهِ ۝ وَلَكِنْ
 اضْمَنْ لَهُ مَا طَلَبَ فَكُتِبَ إِلَيْهِ قَدْ أُعِدَّ لَكَ ، وَحَيَاتِكَ ۝ كُلَّ مَا طَلَبْتَ فَلَا تُبْطِئُ
 فَإِذَا بِهِ طَلَعَ عَلَيْنَا وَأَمْرُ مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ بِإِحْضَارِ الْمَائِدَةِ ، فَلَمَّا أَحْضَرَتْ أَمَرَ بِمُحَمَّدِ
 ابْنِ يَسِيرٍ فَشُدَّ بِحَبْلِ إِلَى اسْطَوَانَةٍ مِنْ أَسَاطِينِ الْمَجْلِسِ ۝ وَجَلَسْنَا نَأْكُلُ إِلَى جَانِبِهِ ۝
 فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ يُخَلِّصُنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ ؟ قُلْنَا : تَجِيبُ نَفْسَكَ عَمَّا كُتِبَ بِهِ أَقْبَحَ
 جَوَابٍ ۝ فَقَالَ : كُفُّوا عَنِ الْأَكْلِ إِذَا وَلَا تَسْتَبِقُونِي فَتَشْغَلُوا خَاطِرِي ، فَعَلَمْنَا ذَلِكَ
 وَتَوَقَّفْنَا ۝ فَقَالَ :

أَيَا عَجِيبَا مِنْ ذَا الْيَسِيرِ إِنَّهُ لَهُ نَحْوَةٌ فِي رَأْيِهِ وَتَكَابُرُ
 يَشَارِطُ لَمَّا زَارَ حَتَّى كَانَهُ مُعَنَّ جَمِيدٌ أَوْ غَلَامٌ مُؤَاجِرُ
 فَلَوْلَا ذِمَامٌ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لِلطَّمِّ بِشَارٍ قَفَاءٍ وَيَاسِرُ

فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : حَسْبُكَ لَمْ يَزِدْ هَذَا كَلَّهُ ، ثُمَّ حَلَّه وَجَلَسَ ، وَأَكَلَ وَأَتَمَمْنَا يَوْمَنَا .

ولمحمد يسير :

لَا أَرْقَى اللَّهَ عَيْنِي مَنْ أَرَقْتُ لَهُ وَلَا مَلَائِكَةً قَلْبِي قَلْبَهُ تَرَحُّا
يَسْرُتُنِي سَوْءَ حَالِي فِي مَسَرَّتِهِ فَكَلِمَا أَزْدَدْتُ سُقْمًا زَادَنِي فَرَحًا

كان بين محمد بن يسير وأحمد بن يوسف الكاتب شرف فزحه أحمد يوماً بحماره تعرضاً لكلامه^(١) وعبنا به . فأخذ ابن يسير بأذن الحمار وقال له : قل لهذا الحمار الرأكب فوقك لا يؤذي الناس . فضحك أحمد ونزل ، فما تقه وصالحه .

كان عمرو القصافي يمين^(٢) في كل شيء يستحسنه فحضر يوماً مع محمد بن يسير وغيره مجلساً ، وفيه مغنية حسنة الوجه شهلة . تُغني غناء حسناً . فكانوا في أحسن يوم وما برحوا من المجلس حتى عان^(٣) عمرو المغنية فانصرفت محمولةً شاكية العين فقال محمد بن يسير :

إِنْ عَمْرَأَ جَنَى بَعَيْنَيْهِ ذَنْبًا قَلَّ مَنَى عَلَيْهِ فِيهِ الدَّعَاءُ
عَانَ عَيْنًا فَعَيْنُهُ لِلَّتِي عَا نَ فِدَاءً وَقَلَّ مِنْهُ الْفِدَاءُ
شَرُّ عَيْنٍ تَصِيبُ أَحْسَنَ عَيْنٍ تَحْمِلُ الْأَرْضُ أَوْ تُقَلُّ السَّمَاءُ

قال محمد بن أبي حرب : أنشدنا محمد بن يسير في مجلس أبي محمد الزاهد صاحب الفضيل بن عياض رحمه الله لنفسه :

وَيْلٌ لِّمَن لَّمْ يَرْحَمْهُ اللَّهُ وَمَنْ تَكُونُ النَّارُ مَثْوَاهُ
وَاعْفَلْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَضَى يُذَكِّرُنِي الْمَوْتَ وَأَنْسَاهُ
مَنْ طَالَ فِي الدُّنْيَا بِهِ عَمْرُهُ وَغَاشَ فَلَمُوتُ قَصَارَاهُ
كَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي مَجْلَسٍ قَدْ كُنْتُ آتِيَهُ وَأَغْشَاهُ

(١) لشمره (أغاني ١٢ : ١٢٩) .

(٢) عان يعين الرجل : أصابه بالعين .

محمد صار إلى ربّه بِرَحْمَتِ اللَّهِ وإياه
قال : فأبكي جميع من حضر .

قال عليّ بن القاسم : كنت مع المعتصم لما غزا فجاءه بعضُ سراياه بخبر غمّه ،
فركب من فوره وسار أجده سير ، وأنا أسيره . فسمع منشدًا يتمثل في عسكره :
إن الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبرُ يفتح منها كل ما ارتتجبا
لا تيأسن وإن طالت مطالبةُ إن استعنت بصبر أن ترى فرجا
فسر بذلك ، وطابت نفسه ثم التفت إلى فقال : يا عليّ أتروى هذا الشعر ؟
قلت : نعم . قال : من يقوله ؟ قلت : محمد بن بشير . فتفأل باسمه ونسبه وقال :
أمرُ محمودٍ وبشرٌ سريعٌ يعقبُ هذا الأمر ، ثم قال : أنشدني الأبيات فأنشدته :
ماذا يكلفك الروحاتِ والدُّلجا البرّ طوراً وطوراً تركبُ اللّججا
كم من فتى قصرت في الرزق خطوته ألفيته بسهامِ الرزقِ قد فلججا
لا تيأسن وإن طالت مُطالبةُ إن استعنت بصبر أن ترى فرجا
إن الأمور إذا اشتدت مغارجها فالصبرُ يفتح منها كل ما ارتتجبا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومُدمنِ القرعِ للأبواب أن يلججا
قدّر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقا عن غرة زلجا
ولا يفرّئك صفو أنت شاربه فربما كان بالتكدير مُمتزجا
[قال : وهذه الأبيات لمحمد بن بشير الخارجي ، ذكرها أبو تمام في الحماسة .
وليس كما ذكر أبو الفرج الأصبهاني أنها لمحمد بن يسير بالسين المهملة ^(١) .
كان محمد بن يسير يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء
يسمعه من ذلك قوله :

(١) رواية الأغاني وسياق الخبر يفيد أنه هو بشير بالسين المعجمة لا بالسين المهملة كما ذكر
هنا ١٣٢ / ١٢ .

إذا ما غدا الطلابُ للعلم ما لهمُ من الحظِّ إلا ما يدوّنُ في الكتُبِ
غَدَوْتُ بتشميرٍ وجيدٍ عليهم ومَحَبَرَتِي أَذْنِي ودَفَتَرُهَا قَلْبِي
عوتب محمد بن يسير على حضوره المجالس بغير ورق ولا محبرة ، وأنه لا يكتب ما يسمعه فقال :

ما دخل الحَمَام من عِلْمِي فذاك ما فاز به سَهْمِي
والعِلْمُ لا ينفعني جَمْعُهُ إذا جرى الوَهْمُ على فَهْمِي
كان إبراهيم بن رياح إذا أَخْرَجَهُ أمرٌ يَقْطَعُهُ بِمَثَلِ قولِ محمد بن يسير :
تَخْطِي النفوسُ مع العِيَا نِ وقد تُصِيبُ مع المَظَنَّةِ
كم من مضيقٍ في الفضا ً ومُخْرَجٍ بين الأَسِنَّةِ
كان محمد بن يسير يعاشرُ بعض الهاشميين : ثم جفاه الهاشميُّ للملِّ كان فيه فكتب إليه ابن يسير :

قد كنتُ منقبِضا وأنتُ بَسَطْتَنِي حتى انبسطتُ إِلَيْكَ ثم قبضتَنِي
أذكرتَنِي خُلُقَ النِّفاقِ وكان لي خلقًا فقد أحسنتَ إِذْ أَذْكَرْتَنِي
لو دام وُدُّكَ فانبسطتُ إلى امرئٍ في الودِّ بعدك كنتَ أنتَ غَرَرْتَنِي
فهلُمَّ نَجْتَذِبِ التَّدَاكُرَ بَيْنَنَا ونعوذُ بعدُ كَأَنَّا لَمْ نَفْطِنِ
قال أبو الشبل : كفا عند قاسم بن جعفر بن سليمان ذات يوم ، ومعنا محمد بن يسيرٍ ونحن على شرابٍ فأمر أن يُبَخَّرَ وَيُطِيبَ : فأقبلت وصيفةٌ له حسنةُ الوجه فجعلت تُبَخِّرُنَا وتُغَلِّفُنَا بالغالية ، فلما غلفت ابن يسير وبخَّرته التفت إلى وكان إلى جاني فأنشدني :

يا باسِطا كَفَّهُ نُحْوِي يُطِيبُنِي كَفَّاكَ أَطِيبُ يَا حَبِيٍّ مِنَ الطِّيبِ
كَفَّاكَ يُجَرِّي مَكَانَ الطِّيبِ طِيبُهُمَا فلا تَزِدْنِي عَلَيْهَا عِنْدَ تَطِيبِي
يا لَأَمَى في هواها أنتَ لم تَرَهَا فَأَنْتَ مُغَرِّئِي بِتَأْنِيٍّ وَتَمَذِّبِي

انظرُ إلى وجهها هل مثلُ صورته في الناس وجههاُ بجَلَى غيرَ محبوبٍ
فقلت له : اسكت ويليكَ لا تُصَفِّعْ وتُخْرِجْ . فقال : والله لو وثقتُ بأنَّ نُصَفِّعَ جميعاً
لأنشدته الأبياتَ ولكن أخشى أن أُفْرَدَ بالصفعِ دُونكَ .

اجتمع جعفرانُ الموسوس ومحمد بن يسير في بستانٍ فانفرد محمد بن يسير ناحيةً
لقضاء الحاجة ثم قام عن شيء كثير خَرَجَ فقال جعفران :

قد قلت لابن يسيرٍ لما رَمَى من عِجَانِهِ
في الأرض تَلَّ سَمَادٍ علا على كُثْبَانِهِ
طوبى لصاحب أرضٍ خَرِثَتْ في بُسْتَانِهِ

فجعل ابن يسير يشتمُ جعفران ويقول : أى شيء أردتُ مني يا مجنون ؟ صَيَّرْتَنِي
شُهْرَةً في شِعْرِكَ .

قال عبدُ الله بن محمد بن يسير : كان أبى مشغولاً بالنبيذِ مُشَقَّهراً بالشربِ
وما بات قطُّ إلا وهو سكران ، وما نَبَذَ نبيذاً قطُّ وإنما كان يشربه عند إخوانه
ويستسقيه منهم ، فأصبح بالبصرة يوماً على مطر هائلٍ لا يُمكنُهُ الحركةُ معه إلى
قريبٍ ولا بعيدٍ وكاد يُجِنُّ لما قَدَدَ النبيذَ ، فكتب إلى أمير البصرة محمد بن أيوب
ابن جعفر بن سليمان الهاشمي :

كم في علاجِ نبيذِ التمرِ لى تَعَبٌ
وإن عدتُ إلى الطبوخِ مُعْتَمِداً
نقلُ الدنانِ من الجيرانِ يَفْضَحُنِي
فصرت في البيتِ أَسْتَسْقِي وَأُطْلِبُهُ
فمنهم باذلٌ سَمَحَ بحاجتنا
فَسَقَّيْنِي رِيَّ أيامٍ لَتَمْنَعُنِي
إن كان زَقٌّ فَرَقُّ أو فَوَافِرَةٌ
الطبخُ والدُّلْكُ والمصارُ والمَكْرُ
رَأَيْتَنِي منه عند الناسِ أَشْهَرُ
والقدرُ يتركُنِي في القومِ أَعْتَدُ
من الصديقِ ورُسُلِي فيه تَبَدَّدُ
ومنهم كاذبٌ بالزورِ يَمْتَدِرُ
عن سواك وتُعْزِبُنِي فقد خَسِرُوا
من الدساتيجِ لا يُزَرِي بها الصَّغَرُ

وإن تكن حاجتي ليست بمحاضرة وليس في البيت من آثارها أثر
فاستسقى غيرك أو فاذكر له خبري إن اعتراك حياء منه أو حصر
ما كان من ذلكم فليأتني عَجَلاً فإنني واقفٌ بالباب أنتظر
مالي نبئاً ولا حرٌّ فيدعوني وقد هاني من تطفيلي المطر
فلما قرأها ضحك وبعث إليه بزق نبئ ومائتي درهم ، وكتب إليه أن اشرب
النبئ وأنفق الدراهم حتى يمسك المطر ويتسع لك التطفيل ومتى أعوزك مكان
فاجملني فية لك والسلام .

محمد بن حازم الباهلي^(١)

هو محمد بن حازم بن عمرو الباهلي، كنيته أبو جعفر من ساكني بغداد، ومولده ومنشؤه البصرة.

شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية، إلا أنه كان كثير الهجاء فاطَّرَحَ ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون، ولا اتَّصَلَ بواحد منهم فيكون له نَبَاهَةٌ طَبَقَتِهِ. وكان ساقط الهممة متقللاً جداً يُرضيه اليسير ولا يتصدى لدح ولا طلب. فمن شعره:

خُذْ من العيش ما كفى ومن الدهر ما صَفَا
حَسَنَ الفِدرُ في الأنا م كما استَقْبِحَ الوَفَا
صِلْ أَخَا الوَصْل إنه ليس بالهجر من خفا
عين من لا يريد وَصْداً لَكَ تَبْدِي لك الجفا

قال محمد بن حازم الباهلي: بعثَ إلى فلان الطاهري وكنت قد أفرطت في هجوه. بألف درهم وثياب في تَخْت، وقال: أما ما مضى فلا سبيل إلى رَدِّه ولكن أحبُّ ألا تزيدَ عليه شيئاً فبعثتُ إليه بالدرهم والثياب وكتبت إليه:

لا ألبس النعماء من رجل ألبسته عاراً على الدهر

قال محمد بن حازم: مرَّ بي أحمد بن سعيد بن سالم، وأنا على بابي فلم يُسَلِّم عليّ. سلاماً أَرْضاه فكتبت رقعة واتبعت بها وفيها:

وباهلي من بني وائل أفادَ مالا بمد إفلاس
قَطَّبَ في وجهي خَوْفَ القَرَى تقطيبَ ضِرغامٍ لدى ألباس

وأظهرَ التيسَ فتَاهُتُهُ تيهَ امرئٍ لم يشقَ بالناسِ
أَعَرَّتُهُ أَعْرَاضَ مُسْتَكْبِرٍ في موكبٍ مرٍّ بكنَّاسِ
قال ابن الأعرابي : أحسنُ ما قال المحدثون في مدح الشباب وذم الشيب قولُ
محمد بن حازم الباهلي من قصيدة :

لا تُكْذِبَنَّ فَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا من الشبابِ يومٍ واحدٍ بَدَلُ
كفأك بالشَّيبِ عَيْبٌ عِنْدَ غَايَةِ وبالشبابِ شفيما أيها الرَّجُلُ
بأن الشبابُ وولى عنك باطلُهُ فليس يحسنُ منك اللهُوُ والفَزَلُ
أما الغواني فقد أَعْرَضْنَ عَنْكَ قَلِيَّ وكان إعرأضهن الدَّلُّ والخجلُ
ليت المنايا أصابتنى بأْسُهُمِهَا فكن يبيكين عهدي قبل أكتهلُ
عهدَ الشبابِ لقد أبقيت لي حَزَنًا ما جَدَّ ذِكْرُكَ إِلَّا جَدَّ لِي تُكُلُ
إن الشباب إذا ما حَلَّ رائدُهُ في مَنهلٍ جاء يَقْفُو إثرَهُ الأَجَلُ
كان محمد بن حازم قد امتدح بعض بني حميد فلم يُثَبِّههُ وجمل يُفَدِّشُ شعرَهُ
فيُعيبُ فيه الشَّيءَ بعدَ الشَّيءِ وبلغه ذلك فَهَجَّاهُ هجاءَ كثيراً شنيعاً ، فبعث إليه ابنُ
حميد بمال واعتذر إليه وسأله الكفَّ عنه فلم يفعل ورد عليه المال وقال من أبيات :

يا جامعاً مانعاً بخيلاً ليس له في العُلَى نصيبُ
أبالرُّشَا يستمالُ مثلي كلاً وَمَنْ عنده الغيوبُ
لا أرتدى حُلَّةَ لَمَنِ بوجهه من يدى ندوب
وبين جَنَبِيهِ لِي كلُومٌ داميةٌ مالها طيبُ
ما كنتُ في موضع الهدايا منك ولا شَعْبُنَا قَريبُ
إني وقد نَشَتِ المِكَاوِي عن سِمَةٍ شأْنُهَا عَجيبُ
وسار بالذم فيك شِعْرى وقيل لي مُحْسِنٌ مُصِيبُ
مَالُكَ مالُ اليتيمِ عِنْدِي ولا أرى أَكْلَهُ يطيبُ

حسبك من مُوجزٍ بليغٍ يبلغُ ما يبلغُ الخطيبُ
وبمته الحسنُ بن سهلٍ في وجهه لجبايةُ مالٍ وحربُ قومٍ من الشّراة فقال فيه
محمد بن حازم !

إذا استَقَلَّتْ بك الرّكابُ فحيث لا دَرَّتِ السحابُ
زالت سِراعاً وزلتَ تَجْرى بَيْنِكَ الظُّيُ والغرابُ
بحيثُ لا يُرْتَجَى إيابُ وحيث لا يَبْلُغُ الكتابُ
فَقَبِّلَ معروفك امتناناً ودونَ ميعادك^(١) العذابُ
وخيرَ أخلاقك اللواتي يَعاَفُ أمثالها الكلابُ

فلما توجه خان في المالِ وهَرَبَ من الحَرْبِ ، فقال فيه محمد بن حازم أيضاً :

تَشَبَّهَ بِالْأَسَدِ الثَّعْلَبُ ففادَرَه مُعْنَقاً^(٢) يَجْنُبُ
وحاولَ ما ليس من طَبْعِهِ فأَسْلَمَهُ النَّابُ والمِخْلَبُ
ولم تَفْرَ عنه أباطيلُهُ وحاصَ فأخْرَزُهُ المَهْرَبُ
أيا ابن حميد كَفَرْتَ النِّمِيعِ مَ جَهلاً ووسوسك المَذْهَبُ
ومَنَنْتَكَ نَفْسُكَ مالا يَكُونُ وبعضُ المُنَى خَلْبٌ يَكْذِبُ

قال يحيى بن أكرم ، ل محمد بن حازم الباهلي : ما نَعِيبُ شِعْرَكَ إِلَّا أَنْكَ لَا تَطِيلُ

فقال :

أَبَى لِي أَنْ أَطِيلَ الشِّعْرَ قَصْدِي إِلَى الْمَعْنَى وَعِلْمِي بالصَّوَابِ
وإِيجازِي بِمُخْتَصَرٍ قَرِيبِ حَذَفْتُ بِهِ الْفُضُولَ مِنَ الْجَوَابِ
فَأَبْعَثُهُنَّ أَرْبَعَةً وَخَمْسًا مُثَقَّةً بِالْفَاطِ عِذابِ
خوالدَ ما حَدا لَيْلٌ نَهَارًا وما حَسَنَ الصَّبَا بِأَخِي الشَّبَابِ

(١) ودون معروفك (أغاني) .

(٢) المعنى : السَّرع .

وهن إذا وَصَّتَ بهن قوما كأطواق الحمام في الرقاب

وهن إذا أَقَتَ مسافراتٌ تهادها الرواة مع الركاب

كان إسحاق بن أحمد بن نهيك أنسا بمحمد بن حازم الباهلي يدعوه ويمارشه
ثم جفاه مدة فكتب إليه يستزيه ويماتبه عتابا أغضبه وبلغه ذلك فكتب إليه :

ما مستزيرك في ودِّ رَأَى خَلَّلا بِمَوْضِعِ الأُنْسِ أَهْلا مِنْكَ للغضبِ

قد كنتَ توجبُ لي حَقًّا وتعرفُ لي قدرا وتحفظُ مني حُرْمَةَ الأدبِ

ثم انصرفتَ إلى الأخرى فأخشمتني ما كان منك بلا جُرْمٍ ولا سَبَبِ

وإنَّ أَذَنَ الذي عِنْدِي مسامحةٌ في حاجتي بمدانٍ أَغْذَرْتُ في الطَّلَبِ

فاخترَ فَمِنْدِي مِنْ ثَمَنَيْنِ واحدةٌ عُدْرٌ جميلٌ وشكرٌ ليس باللبِ

فإنَّ تَجَدُّ فكما قد كنتَ تَقْمَلُهُ وإنَّ أَخْبَ قِيمًا قد خُطِفَ الكُتُبِ

كان بالأهواز رجل من التتار يُعرفُ بأبي ذُوَيْبٍ ، وكان مقصد الشعراء وأهل
الأدبِ . فقصدَه محمدُ بنُ حازمٍ ، فدخل عليه ، وعليه ثيابٌ رَثَّةٌ ، ولم يُعرِفْهُ نَفْسُهُ ،
فصادفهم يتكلمون في شيءٍ من معاني الشعرِ ، وأبو ذُوَيْبٍ يتكلمُ مُتَحَفِّظًا بالعلمِ بذلكِ ،
فسأله محمدُ بنُ حازمٍ عن بيتٍ من شعرِ الطرماحِ جَهِلَهُ ، ورد عليه جوابا محالا
كالمتصفر له وازدراه . فوثبَ عن مجلسه مُغَضِّبًا . فلما خرج قيل له : ماذا فعلتَ
بنفسك وفتيحتَ عليها من الشرِّ ؟ أتدرى بمن تعرّضتَ ؟ قال : ومن ذاك ؟ قالوا :
هذا محمدُ بنُ حازمٍ الباهليُّ أَخْبَتُ الناسَ لسانا وأجّاهم . فوثبَ إليه حافيا حتى لحقه .
وحلف أنه لم يُعرِفْهُ واستقاله فأقاله . وحلف أنه لا يقبلُ له رِفْدًا ولا يذكُرُهُ بسوءٍ
مع ذلك أبداً ، وكتب إليه بعد أن افترقا :

أَخْطَا وَرَدَّ عَلَيَّ غَيْرَ جوابي وزرَى عَلَيَّ وقالَ غَيْرَ صواب

وَسَكَتُ عَنْ عَجَبٍ لَذاكَ فزادني فيما كرهت بظَنِّهِ الرُّنَابِ

وَقَضَى عَلَيَّ بَظَاهِرٍ مِنْ كُسُوفٍ لم يدر ما اشتمَلْتُ عليه ثيابي

من عِفَّةٍ وَتَكْرُمٍ وَتَحَمُّلٍ
وَإِذَا الزَّمانُ جَنَى عَلَيَّ وَجَدَنِي
وَلَيْنٍ سَأَلْتَ لِيُخَيِّرَنَّكَ عَالَمٌ
وَإِذَا نَبَأَ بَنِي مَنْزِلٍ خَلَيْتُهُ
وَأَكُونُ مُشْتَرَكَ الْفَنَى مُتَبَدِّلًا
[لَكِنَّهُ رَجَعَتْ عَلَيْهِ نَدَامَةٌ
فَأَقْلَبْتُهُ لَمَّا أَقَرَّ بِذَنْبِهِ
وَتَجَلَّدَ لِمَصِيبَةٍ وَعِقَابٍ
عُودًا لِبَعْضِ صَفَاحِ الْأَقْتَابِ
أَنْ بَحِثُ أُحِبُّ مِنْ آدَابِ
قَفَرًا بِجَالِ ثَمَالٍ وَذِنَابِ
وَإِذَا افْتَقَرْتُ قَعَدْتُ عَنْ أَصْحَابِي
لَمَّا نُسِبْتُ وَخَافَ مَضَّ عَتَابِي ^(١)
لَيْسَ الْكَرِيمُ عَنِ الْكَرِيمِ بِنَابِ

كان أبو إسحق مسموذاً القطر بلى صديقاً لمحمد بن حازم الباهلي فسأله حاجة فرده عنها ، فنضب محمد وانقطع عنه . فبعث إليه بألف درهم ورضاه . فردها وكتب له :

مُتَّسِعُ الصَّدْرِ مُطِيقٌ لَمَّا
رَاجِعٌ بِالْعُتْبَى فَأَعْتَبْتُهُ
وَإِنْ فِي الدَّهْرِ عَلَى صَرْفِهِ
سَقِيًّا وَرَعِيًّا لَزَمَانٍ مَضَى
قَدْ جَاءَنِي مِنْكَ ذُو مَوْتَلٍ
أَخَذِي مَا لَكَ مِنْكَ بَعْدَ الَّذِي
أَبَيْتُ أَنْ أَشْرَبَ عِنْدَ الرِّضَا
أَعَزَّنِي الْيَأْسُ وَأَغْنَى فَمَا
قَارُونُ عِنْدِي فِي الْفَنَى مُعْدِمٌ
فَأَيُّ هَاتَيْنِ تَرَانِي لَهَا
يَحَارُ فِيهِ الْحَوْلُ الْقَلْبُ
وَرَبَّمَا اعْتَبَكَ الْمَذْنُبُ
بَيْنَ الصَّدِيقَيْنِ الْمُسْتَعْتَبُ
عَنِّي وَسَمَهُمُ الشَّامِتِ الْأَخِيبُ
فَلَمْ أَغْرِضْ لَهُ وَالْحَرْثُ لَا يَكْذِبُ
أَوْدَعَتْهُ مَرْكَبٌ يَضْعُبُ
وَالسُّخْطُ إِلَّا مَشْرَبًا يَمْذُبُ
أَرْجُو سِوَى اللَّهِ وَلَا أَرْهَبُ
وَرَهْمَتِي مَا فَوْقَهَا مَذْهَبُ
أَصْبُو إِلَى مَالِكٍ أَوْ أَرْغَبُ

(١) هذا البيت عن الأغاني (١٢ : ١٥٥) وهو تهديد لما بعده وبه يتسق الكلام .

قال حمادُ بن يحيى : آخر ما فارقتُ عليه محمد بن حازم أنه قال : لم يَبْقَ على شيء من اللذاتِ إلا بيعُ السنانيرِ ، فقلتُ له : سَخِنْتَ عَيْنَكَ ، أَيُّ شَيْءٍ في بيعِ السنانيرِ من اللَذَّةِ ؟ قال : أنى يُعْجِبُنِي أنْ تَجِئَنِي المَجُوزُ الرَّعْنَاءُ تَخاصُمِي وتقول : هذا سِنُورِي سُرِقَ مِنِّي . وأخاصمها وأستمها وتستمعي وأعظمها ، ثم أنشدني :

صِلْ خَمْرَةً بِخَمَارٍ وَصِلْ خُمَارًا بِخَمْرٍ
وخذ بحظك من ذا زادا إلى حيث تدرى

قال : قلت : إلى أين ويحك ؟ قال : إلى النار يا أحمق .

قال محمدُ بن حازم الباهلي : عَرَضْتُ لِي حَاجَةٌ في عَسْكَرِ أَبِي مُحَمَّدٍ ، الْحَسَنِ ابْنِ سَهْلٍ ، فَأَنَيْتُهُ وَقَدْ كُنْتُ قَلْتُ فِي السَّفِينَةِ شِعْرًا ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ ابْنِ سَالِمٍ انْتَسَبْتُ لَهُ فَعَرَفَنِي ، فَقَالَ : مَا قُلْتَ فِي الْأَمِيرِ ؟ فَقُلْتُ : مَا قُلْتُ فِيهِ شَيْئًا . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ مَعِيَ : بَلَى قَالَ آيَاتًا وَهُوَ فِي السَّفِينَةِ ، فَسَأَلَنِي أَنْ أَنْشِدَهُ فَأَنْشَدْتُهُ قَوْلِي :

وَقَالُوا لَوْ مَدَحْتَ فَنِي كَرِيمًا	فَقُلْتُ وَكَيْفَ لِي بِفَنِي كَرِيمٍ
بَلَوْتُ النَّاسَ مَذْخَسِينَ عَامًا	وَحَسْبُكَ بِالْمَجْرَبِ مِنْ عِلِمٍ
فَمَا أَحَدٌ يُعَدُّ لِيَوْمَ خَيْرٍ	وَلَا أَحَدٌ يَعُودُ عَلَى حَمِيمٍ
وَيُعْجِبُنِي الْفَتَى وَأَظُنُّ خَيْرًا	فَأَكْشِفُ مِنْهُ عَنْ رَجُلٍ لَثِيمٍ
تَقِيلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَأَضْحَوْا	بَنِي أَبِي بَيْنَ قُدَا مِنْ أَدِيمٍ
فَطَافَ النَّاسُ بِالْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ	طَوَافَهُمْ بِزُحْرَمٍ وَالْحَطِيمِ
وَقَالُوا سَيِّدٌ يَعْطَى جَزِيلًا	وَيَكْشِفُ كُرْبَةَ الرَّجُلِ الْكَظِيمِ
فَقُلْتُ مَضَى بَذَمُ الْقَوْمِ شِعْرِي	وَقَدْ يُؤْنَى الْبَرَى مِنَ السَّقِيمِ
وَمَا خَيْرٌ تُرْجِمُهُ ظُنُونِي	بِأَشَقِّ مِنْ مَعَانِيَةِ الْحَكِيمِ
فَجِئْتُ وَلِلْأُمُورِ مُبَشِّرَاتٌ	وَلَنْ يَخْفَى الْأَعْرُ مِنْ الْبَهِيمِ

فإن يك ما تَنَشَّرَ عنه حقاً رجعتُ بأهبة الرجل المقيم
وإن يك غير ذاك جَهِدْتُ ربي وزال الشكُّ عن رجلٍ حلِيمٍ
وما الآمالُ تَمَطِّفُنِي عليه ولكنَّ الكريمَ أخو الكريمِ

فلما أُنشِدْتُهُ هذا الشعرَ قال لي : أبتلِ هذا تَلَقَّى الأميرَ ؟ والله لو كان نظيرَكَ
ما جازَ لك أن تُخاطِبَه بِمثل هذا ۖ فقلتُ : صدقتَ ۖ وكذلك قلتُ لك إني لم أمدِّحْهُ
بعد ، ولكني سأمدِّحْهُ مدحاً يُشَبِّهه مِنْهُ قال ۖ فافعل ، وأنزِلْنِي عنده ۖ ودخل إلى
الحسن فأخبره بخبري وعَجَبَه من جودة البيتِ الأخيرِ فأعَجَبَه ۖ وأمرَ بِإدخالِي إليه
بغيرِ مَدَحٍ ۖ فأدخلتُ إليه ، فأمرني أن أُنشِدَهُ هذا الشعرَ فاستمعنيته فلم يعفني وقال :
قد قنعنا منك هذا القدرُ إذا لم تُدْخِلْنَا في جملةٍ من ذَمَّمتَ ، وأرضيناكَ بالكفاةِ
الجميلةِ ۖ فأنشدته إياه فضحك وقال : ويحك ! مالك وللناسِ تَمُتُّهُمْ بِالْهَجَاءِ حَسْبُكَ
الآن من هذا النَمَطِ ۖ وأبقي عليهم ، فقلت : قد وهَبْتُمُهم للأمير . فقال : قد قبلتُ
وأنا أطالبُكَ بالوفاءِ مطالبةً من أهديتُ إليه هَدِيَّةً فَقَبِلَهَا وأثابَ عليها ۖ ثم وصلني
فأَجَزَل ۖ وكساني ، فقلت في ذلك وأنشدته :

وهبتُ القومَ للحسنِ بن سهلٍ فَمَوْضِعِي الْجَزِيلَ مِنَ الثَّوَابِ
وقال دَعِ الْهَجَاءَ وَقُلْ جَمِيلاً فَإِنَّ الْقَصْدَ أَقْرَبُ لِلصَّوَابِ
فقلتُ لَهُ بَرِئْتُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ فَلَيْتَهُمْ بِمَنْقَطِعِ التَّرَابِ
ولولا نعمةُ الحسنِ بن سهلٍ عَلَى لِسْمَتِهِمْ سُوءُ الْعَذَابِ
بشعرٍ تَعَجَّبُ الشُّعْرَاءُ مِنْهُ يُشَبِّهُ بِالْهَجَاءِ وَبِالْعِتَابِ
أَكِيدُهُمْ مَكَايِدَةَ الْأَعَادِي وَأَخْتَلُهُمْ مَخَاتِلَةَ الذَّنَابِ
بَلَوْتُ خِيَارَهُمْ فَبَلَوْتُ قَوْمًا كَهَوْلَهُمْ أَحْسُّ مِنَ الشَّبَابِ
وما مُسِخُوا كِلَابًا غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَشْبَاهَ الْكِلَابِ

فضحك وقال : ويلك ! الساعة ابتدأت بهجائهم وما أفلتوا منك بمدا .
 فقلت : هذه بَقِيَّةُ طَفَحَتْ عَلَى قَلْبِي ، وَأَنَا كَأَفُّ عَنْهُمْ مَا أَبْقَى اللَّهُ الْأَمِيرُ .
 كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ قَدْ تَرَكَ الْبَيْدَ ، وَنَسَكَ وَتَرَكَ الشَّرْبَ ، فَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى
 إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، فَخَذَّاهُ وَنَاشَدَهُ وَأَكَلَ مَعَهُ لَمَّا حَضَرَ الطَّعَامَ ، ثُمَّ جَلَسُوا
 لِلشَّرَابِ فَسَأَلَهُ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يَشْرَبَ فَأَبَى وَأَنشَأَ يَقُولُ :

أَبْعَدَ خَمْسِينَ أَصْبُو	وَالشَّيْبُ لِلْجَهْلِ حَرْبُ
سِنَّ وَشَيْبُ وَجَهْلُ	أَمْرُ لِمَمْرُكَ صَعْبُ
يَا ابْنَ الْإِمَامِ فَهَلَّا	أَيَّامَ عُودِي رَطْبُ
وَشَيْبُ رَأْيِي قَلِيلُ	وَمَنْهَلُ الْحُبِّ عَذْبُ
وَإِذَا سَهَامِي صِيَابُ	وَنَضْلُ سَيْفِي عَضْبُ
وَإِذَا شِفَاهُ الْفَوَانِي	مِنِّي حَدِيثُ وَقُرْبُ
فَالآنَ لَمَّا رَأَى . لِي	عَوَازِلِي مَا أَحْبُّوا
وَأَقْصَرَ الْجَهْلُ مِنِّي	وَسَاعِدِ الشَّيْبِ لَبُ
وَأَنَسَ الرُّشْدَ مِنِّي	قَوْمُ أَعَابِ وَأَصْبُو
أَلَيْتُ أَثْرَبُ كَأَسَا	مَا حَجَّجَ اللَّهُ رَكْبُ

قَصَدَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ بَعْضَ وَلَدِ سَمِيدِ بْنِ سَالِمٍ ، وَقَدْ وَلَّى عَمَلًا فَاسْتَرْفَدَهُ فَمَطَّلَهُ
 وَأَطَالَ مُدَّتَهُ وَلَمْ يُعْطِهِ فَأَنْصَرَفَ عَنْهُ وَقَالَ :

أَلَدُنْيَا أَعِدُّكَ يَا بَنَ عَمِّي	فَأَعْلَمَ أَمْ أَعِدُّكَ لِلْحِسَابِ
إِلَى كَمْ لَا أَرَاكَ تُنِيلُ حَتَّى	أَهْزَكَ قَدْ بَرِمْتَ مِنَ الْعِتَابِ
وَمَا تَنْفَكُ مِنْ جَمْعٍ وَوَضَعٍ	كَأَنَّكَ لَسْتَ تُوقِنُ بِالْإِيَابِ
فَشَرُّكَ عَنْ صَدِيقِكَ غَيْرُ نَاءٍ	وَخَيْرُكَ عِنْدَ مُنْقَطَعِ التَّرَابِ
أَتَيْتُكَ زَائِرًا فَاتَيْتُ كَلْبًا	فَحَظِّي مِنْ إِخَائِكَ لِلْكَلابِ

فبئسَ أخو العشيرة ما عَلِمْنَا وأخْبْتُ صَاحِبًا لَأَخِي اغْتِرَابِ
أَيُّ حُلٍّ عَنْكَ ضَيْفُكَ غَيْرَ رَاضٍ وَرَحْلُكَ وَاسِعٌ خُصْبُ الْجَنَابِ
فَقَدْ أَصْبَحْتَ مِنْ كَرَمٍ بَعِيداً وَمِنْ ضِدِّ الْمَكَارِمِ فِي اللَّسَابِ
وَبِى حَاجَةٌ لَجَدَاكَ لَكِنْ أَرُدُّكَ عَنْ قَبِيحِكَ لِلصَّوَابِ

قال يزيد بن محمد المهلبى : كنا عند المتوكل يوماً فأغضبتهُ قبيحةُ نخرج إلينا فقال :
من يُنْشِدُنِي شِعْرًا فِي مَعْنَى غَضَبِ قَبِيحَةٍ عَلَى وَحَاجَتِي إِلَى أَنْ أَخْضَعَ لَهَا حَتَّى تَرْضَى ؟
فقلت : لقد أَحْسَنَ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ حَيْثُ يَقُولُ :

صَفَحْتُ بِرَغْمِي عَنْكَ صَفْحَ ضَرُورَةٍ إِلَيْكَ وَفِي قَلْبِي نَدُوبٌ مِنَ الْعَتَبِ
خَضَعْتُ وَمَا ذَنْبِي إِلَّا الْحُبُّ عَزَّزَنِي فَأَغْضَبْتُ صَفْحًا عَنْ مَعَالِجَةِ الْحُبِّ
وَمَا زَالِ بِي فَقَرٌُّ إِلَيْكَ مُنَازِعٌ يُدَلِّلُ مِنِّي كُلَّ مَمْتَنِعٍ صَعْبِ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنْ وَدَّيْتُ مُحْصَلٌ وَقَلْبِي جَمِيمًا عِنْدَ مُقْتَسِمِ الْقَلْبِ

قال : أحسنت وحياتي يا يزيد وأمر لي بألف دينار وغسني فيه بين يديه .
سافر محمد بن حازم سَفَرًا فَرَّ بِقَوْمٍ مِنْ بَنِي مُخْمَرٍ فَسَلُّوا^(١) بِعِيرَالِهِ عَلَيْهِ ثِقْلُهُ
فَقَالَ يَهْجُوهُمْ :

مُخْمَرٌ أَجْبَنًا حَيْثُ يَخْتَلِفُ الْقَنَا وَلَوْ مَأً وَبُخْلًا عِنْدَ زَادٍ وَمِزْوَدِ
وَمَنْعَ قَرَى الْأَضْيَافِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ وَلَا عَدَمٍ إِلَّا حَذَارَ التَّمَوُّدِ
وَبِنْيَا عَلَى الْجَارِ الْقَرِيبِ إِذَا دَنَا إِلَيْكُمْ وَسَلَّ^(١) الرَّاكِبُ الْمُتَفَرِّدِ
عَلَى أَنْكُمْ تَرْضَوْنَ بِالذَّلِّ صَاحِبَا وَتُعْطَوْنَ مِنْ لِحَاكُمُ الظُّلْمِ عَنْ يَدِ
أَمَّا وَأَبَى إِنَّا لَنَعْفُو وَإِنَّا عَلَى ذَاكَ أَحْيَانًا نَجُورُ وَنَمْتَدِي

(١) سل الشيء = سرقه . وفي الأغاني (إذا طرا . . وختل الراكب) .

نَفَيْدُ الْعِدَا بِالْحِلْمِ مِنْ غَيْرِ ذَلَّةٍ	وَنَفَشَى الْوَعْيَ بِالصَّدَقِ لَا بِالْتَوَعُّدِ
نَفَى الضَّيْمَ عَنَّا أَنْفُسُ مُضَرِّيَّةٍ	صَرَخَ وَطَمَنُ الْبَاسِلِ الْمُتَمَرِّدِ
وَإِنَّا لَمِنْ قَيْسِ بْنِ عَمِيْلَانَ فِي السُّكْنَى	هِيَ الْغَايَةُ الْقَصْوَى بِعِزِّ وَسُودِ
وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا يَسْلَمُونَ مِنَ الرَّدَى	سَلِمْنَا وَلَكِنِ الْمَنَايَا بِمَرَصَدِ
أَبَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ مُخَيَّرًا لِرُشْدِهَا	وَلَا يَرْشُدُ الْإِنْسَانُ إِلَّا بِمُرْشِدِ

مَعْبِدُ الْيَقْطِينِي (١)

غلامٌ مُولَدٌ من مُولَدِي المدينةِ اشتراه بعضُ ولدِ عَلِيِّ بْنِ يَقْطِينٍ ، لم يَخْدُمْ
أحدًا من الخلفاء إلا الرشيدَ ، ومات في أيامه ، وكان مُنْقَطِعًا إلى البرامكة .

قال مَعْبِدُ الصَّغِيرُ الْيَقْطِينِي : بينا أنا يوما في منزلي إذ دَقَّ بابي ، فخرج غلامي
ورَجَعَ فقال لي : بالباب فتى ظاهرُ الروةِ يستأذنُ عليك ، فأذنت له ، فدخل عليَّ
شابٌّ ما رأيتُ أحسنَ وجهًا منه ، ولا أنظفَ ثوبا ولا أجملَ زِيًّا ، وهو دَنَفٌ عليه
آثارُ السُّقْمِ ظاهرةٌ فقال لي : أحاولُ أَلْقَاكَ منذُ مُدَّةٍ ، فلا أجدُ إلى ذلك سبيلا ،
وإن لي حاجةً فقلت : وما هي ؟ فأخرج ثلاثمائةَ دينار فوضعهما بين يَدَيَّ ثم قال :
أسألك أن تقبلهما وتَصْنَعَ فِي بَيْنَتَيْنِ قُلْتُهُمَا لِحَنًا تُغَنِّيَنِي بِهِ . فقلت : هاتهما . فأشدنِي :

والله يا طَرَفِي الجاني على بَدَنِي لَتُطْفِنَنَّ بدمعي لَوَعَةَ الْحَزَنِ

أو لأبوحنَّ حتى يحجبوا سَكَنِي فلا أراه ولو أذِرَجْتَ في الكفنِ

فصنعتُ فيه لحنا وغَنَّيْتُه إياه ، فأغنى عليه حتى ظننته قد مات ، ثم أفاق فقال :
أَعِدْ فَدَيْتُكَ فَنَاشَدْتُه اللهُ في نَفْسِهِ وقلت : أخشى أن تموتَ فقال : هيهات أنا أَشَقَى
من ذاك . وما زال يَخْضَعُ لي وَيَتَضَرَّعُ حتى أَعَدْتُه فَصُمِقَ صَمْعَةً أَشَدَّ من الأولى
ظننتُ أن نَفْسَهُ فَاطَتْ (٢) معها ، فلما أفاق رَدَدْتُ عليه الدنانيرَ ووضعتها بين يديه
وقلت : يا هذا خذْ دنانيرَكَ وانصرف عني ، فقد قضيتُ حاجتك وبلغتَ وطَرَأَ
مما أَرَدْتَهُ ، ولست أحبُّ أن أَشْرَكَ في دمك فقال : يا هذا لا حاجةَ لي في الدنانيرَ ،
وهذا مِثْلُهَا لك ، ثم أخرج لي ثلاثمائةَ دينار أخرى ، فوضع ذلك بين يَدَيَّ وقال :

(١) أغاني ١٢ : ١٦١ ، أغاني الدار ١٤ / ١١٦ .

(٢) فاطت نفسه أوروحة: مات .

أعد الصوت مرةً أخرى ، وحلّ لك دمي [وخلاك ذم^(١) فشرهت] نفسي إلى
الدنانير وقلت : لا والله ولا بعشرة أضعافها إلا على ثلاث شرائط . قال : وما هن ؟
قلت : أولهن أن تُقيمَ عندي وتتحَرَّم بطماي . والثانية : أن تشربَ أقداحاً من
النبيذ تشدّ قلبك ويسكنُ مابك ، والثالثة أن تُحدّثني بِقصّةك . قال : أفعل
ما تريد . فأخذتُ الدنانير ودعوتُ بطعامٍ فأصاب منه إصابةً مُعَذِّر ، ثم دعوت
بالنبيذ فشربَ أقداحاً وغَنِيتهُ بِشعرٍ غَيره في معناه ، وهو يشربُ ويبكي ، ثم
قال : الشرطُ أعزّك الله . فغَنِيته صَوْتَه فجعلَ يبكي أشدَّ بكاءً وينتحبُ ، فلما رأيت
مابه قد خَفَ عما كان ورأيتُ النبيذَ قد شدَّ قلبه كررتُ عليه صَوْتَه مراراً ، ثم قلتُ
له : حدّثني حديثك ، فقال : أنا رجل من أهل المدينة خرجتُ مُنْزَهاً في ظاهرها
وقد سالَ العقيقُ في فِتْيَةٍ من أقراني وإخواني فَبَصُرْنَا بِقِيَمَاتٍ قد خرجنَ لِمثْلِ
ما خرجنا له . فجلسنَ حَجَرَةً منا وبصرتُ منهن بفتاةً كأنها قُضِبَ قد طَلَّه الندى
ينظرُ بِعَيْنَيْنِ ما ارتدَّ طرفُهما إلا بروحٍ من يلاحظُها فأطلنَا وأطلنَ حتى تفرَّقَ الناسُ
وانصرفنَ وقد أبقت في قلبي جُرحاً بطيئاً اندمأه فعدتُ إلى منزلي وأنا وَقِيدٌ^(٢) .
وخرجتُ من الغد إلى العقيق وليس به أحدٌ فلم أر لها ولا لصواحبها أثراً ، وجعلتُ
أَتَبَعُها في طرق المدينة وأسواقها فكانتُ الأرضَ أضمرتها فلم أحسَّ لها بعينٍ .
ولا أثر فسَقِمتُ حتى أيسَ أهلي مني (ودخلتُ بِظُرِّي) فاستعلمتني حالي فَضَمِنَتْ
لي كتمانها والسَّعْيَ فيما أحبه منها فأخبرتُها بِقصتي فقالت : لا بأسَ عليك هذه أيامُ
الربيع . وهي سنةٌ خِصْبٍ وأنواء ، وليس يبعدُ عنا المطر ، ثم هذا العقيقُ فتخرجُ
حينئذُ . وأخرجُ معك ، فإن النسوةَ سَيَجِئْنَ فإذا جِئْنَ ورأيتُها اتَّبَعْتُها حتى أعرفَ
لك مَوْضِعَها ثم أصلُ بينك وبينها وأسعى لك في تزويجها ، فكانتُ نفسي اطمأنت

(١) غير واضحة في الأصل وهي عن الأغاني .

(٢) الوقيد: الشديد المرض للشرف على الموت - المحزون القلب كأن الحزن قد كسره وضعفه .

إلى ذلك ووثقت به وسكنت إليه فقويت وطمعت وتراجعت نفسي وجاء مطرٌ بمد ذلك فأسال العقيق وخرج الناس وخرجت مع إخواني إليه ، جلسنا مجلسنا الأول بعينه فما كُنَّا والنسوةُ إلا كُفِرَ سِي رِهَانِ فأومأتُ إلى ظُرِّي فجلستُ حَجْرَةً بيننا وبينهن ، وأقبلتُ على إخواني فقلت : لقد أحسنَ القائل :

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ أَقْصَدَ الْقَلْبَ وَانْتَنَتْ وَقَدْ غَادَرَتْ جِرْحَاهُ وَنُدُوبَا
فَأَقْبَلْتُ عَلَى صَوَاحِبَاتِهَا فَقَالَتْ : أَحْسَنَ . وَاللَّهِ الْقَائِلُ وَأَحْسَنُ مِنْ أَجَابِهِ حَيْثُ
يَقُولُ :

بِذَا مِثْلُ مَا تَشْكُو فَصَبِرَا لَعَلَّنَا نَرَى فَرَجًا يُشْفِي السَّقَامَ قَرِيبَا
فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْجَوَابِ خَوْفًا مَنْ أَنْ يُرَى مِنِّي مَا يَفْضَحُنِي وَإِيَاهَا وَعَرَفْتُ
مَا أَرَادَتْ ثُمَّ تَفَرَّقَ النَّاسُ وَانْصَرَفْنَا وَتَبِعَتْهَا ظُرِّي حَتَّى عَرَفْتُ مَنْزِلَهَا ، وَصَارَتْ
إِلَيَّ فَأَخَذَتْ بِيَدِي ، وَمَضَيْنَا إِلَيْهَا ، فَلَمْ تَزَلْ تَتَلَطَّفُ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَيْهَا ، فَتَلَقَيْنَا
فَتَزَاوَرْنَا عَلَى حَالِ مَخَالَصَةٍ وَمِرَاقَبَةٍ حَتَّى شَاعَ حَدِيثِي وَحَدِيثُهَا ، وَظَهَرَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهَا
فَحَجَبَهَا أَهْلُهَا وَسَدُّوا عَلَيْهَا أَبْوَابَهَا فَمَا زِلْتُ أَجْتَهِدُ فِي لِقَائِهَا فَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ ،
وَشَكُوتِي إِلَى أَبِي سِدَّةٍ مَا نَالَنِي وَسَأَلْتُهُ خِطْبَتَهَا لِي فَمَضَى أَبِي وَمَشِيخَةُ أَهْلِي
إِلَى أَبِيهَا فَخَطَبُوهَا فَقَالَ : لَوْ كَانَ بَدَأَ بِهَذَا قَبْلَ أَنْ يَفْضَحَهَا وَيُسَهِّرَهَا أَسَمِعْتُهُ بِمَا التَّمَسَّ
وَلَكِنَّهُ قَدْ فَضَحَهَا فَلَمْ أَكُنْ لِأَحَقِّقَ قَوْلَ النَّاسِ فِيهَا بِتَرْوِيحِهِ إِيَاهَا ، فَانْصَرَفْتُ عَلَى يَأْسٍ
مِنْهَا ، وَمِنْ نَفْسِي . قَالَ مَعْبُد : فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَنْزِلَ فَيَخْبِرَنِي فَصَارَتْ بَيْنَنَا عِشْرَةٌ ثُمَّ جَلَسَ
جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى لِلشُّرْبِ فَأَتَيْتُهُ : فَكَانَ أَوَّلَ صَوْتٍ غَنَيْتُهُ شَعْرُ الْفَتَى فَشَرِبَ وَطَرِبَ
عَلَيْهِ طَرِيبًا شَدِيدًا ، وَقَالَ : إِنْ لِهَذَا الصَّوْتِ حَدِيثًا ، فَمَا هُوَ ؟ فَحَدَّثْتُهُ فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ
الْفَتَى فَأَحْضَرَ وَاسْتَمَادَهُ الْحَدِيثَ فَأَعَادَهُ . فَقَالَ : هِيَ فِي ذِمَّتِي حَتَّى أَزَوِّجَهَا لَكَ
فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَأَقَامَ مَعَنَا لَيْلَتَنَا حَتَّى أَصْبَحَ ، وَغَدَا جَعْفَرُ إِلَى الرَّشِيدِ فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ
فَعَجِبَ مِنْهُ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِنَا جَمِيعًا فَأَحْضَرْنَا وَغَنَيْتُهُ الصَّوْتَ وَشَرِبَ عَلَيْهِ وَسَمِعَ حَدِيثَ

الفتى فأمر من وقته بكتاب إلى عامل الحجاز بإشخاص الرجل وابنته وجميع أهله
إلى حَضْرَتِهِ ۝ فلم يمض إلا مسافةُ الطريقِ حتى أُخْضِرَ وأمر الرشيدُ بإبصاله إليه ۝
فأُوصِلَ وخطبَ الجاريةَ للفتى ، وأقسم عليه ألا يُخَالِفَ أمرَه فأجابَه وزَوَّجَهَا وحمل
الرشيدُ إليه ألفَ دينارٍ لجهازها وألفَ دينارٍ لنفقةِ طريقه وأمر للفتى بألفِ دينارٍ
مثلها وأمر جعفرَ لى بألفِ دينارٍ والفتى بألفِ دينارٍ وكان بعد ذلك من ندماء جعفر
ابن يحيى .

مُضَاضُ الْجُرْهُمِ (١)

هو مُضَاضُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مُضَاضِ بْنِ عَمْرٍو الْجُرْهُمِيُّ . كَانَ جَدُّهُ مُضَاضُ ابْنِ عَمْرٍو زَوْجَ ابْنَتِهِ رَعْلَةَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، خَلِيلِ الرَّحْمَنِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَوَلَدَتْ لَهُ اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا ، أَكْبَرُهُمْ قَيْزَرُ (٢) وَنَابِتُ ، وَكَانَ أَبُوهُ إِبْرَاهِيمُ أَمْرَهُ بِذَلِكَ « لِأَنَّهُ لَمْ يَبْنِ مَكَّةَ وَأَنْزَلَهَا ابْنَتُهُ إِسْمَاعِيلَ » قَدِمَ عَلَيْهِ قَدَمَةٌ مِنْ قَدَمَاتِهِ فَسَمِعَ كَلَامَ الْعَرَبِ وَقَدْ كَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْ جُرْهُمٍ نَزَلُوا هُنَاكَ مَعَ إِسْمَاعِيلَ . وَسَمِعَ ابْنَتُهُ إِسْمَاعِيلُ تَكَلُّمَهُمْ فَأَعْجَبَتْهُ لَفْظُهُمْ وَاسْتَحْسَنَهَا « فَأَمَرَ إِسْمَاعِيلُ أَنْ يَتَزَوَّجَ إِلَيْهِمْ فَتَزَوَّجَ بِنْتُ مُضَاضِ بْنِ عَمْرٍو ، وَكَانَ سَيِّدُهُمْ وَوَلِيَّ نَابِتِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَيْتِ بَعْدَ أَبِيهِ ثُمَّ تُوُفِّيَ فَوَلَّى مَكَانَهُ جَدُّهُ لِأَنَّهُ مُضَاضُ بْنُ عَمْرٍو الْجُرْهُمِيُّ فَضَمَّ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ وَوَلَدَ نَابِتِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ إِلَيْهِ ، وَكَانَتْ جُرْهُمُ نَزَلَتْ مَعَ مَلِكِهِمْ مُضَاضٍ بِأَعْلَى مَكَّةَ وَنَزَلَتْ قَطُورَاءَ مَعَ مَلِكِهِمُ السَّمِيزَعِ أَجْيَادِ بْنِ أَسْفَلَ مَكَّةَ ، وَكَانَ هَذَانِ الْبَطْنَانِ خَرَجَا سَيَّارَةً مِنَ الْيَمَنِ . وَكَذَلِكَ كَانُوا لَا يَخْرُجُونَ إِلَّا مَعَ مَلِكٍ يُمَلِّكُونَهُ عَلَيْهِمْ « فَلَمَّا رَأَوْا مَكَّةَ رَأَوْا بِلْدًا طَيِّبًا ؛ مَاءً وَشَجَرًا فَتَزَلَوْهُ ، وَرَضِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ ، وَلَمْ يُنَازِعْهُ فَكَانَ مُضَاضُ يَعْشُرُ مِنْ جَاءِ مَنْ أَعْلَاهَا وَالسَّمِيزَعُ يَعْشُرُ مِنْ جَاءِ مَنْ أَسْفَلَهَا « وَلَا يَدْخُلُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ فِي أَمْرِهِ . ثُمَّ إِنْ جُرْهُمًا وَقَطُورَاءَ بَنَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ وَتَنَافَسُوا فِي الْمَلِكِ حَتَّى نَشَبَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ، وَكَانَتْ وَلَايَةُ الْبَيْتِ إِلَى مُضَاضٍ دُونَ السَّمِيزَعِ فَسَارَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَخَرَجَ مُضَاضُ مِنْ قُمَيْقَمَانَ فِي كَتِيبَةٍ بِسَلَاحٍ شَاكٍ يَتَقَمَّقُ . فَيَقَالُ : مَا مُسَمِّتٌ قُمَيْقَمَانُ إِلَّا بِذَلِكَ . وَخَرَجَ السَّمِيزَعُ

(١) أَغَانِي الدَّارِ ١٥ / ١٢ تَجْرِيدٌ ق ١٢ ج ١ : ١٦٠٩ .

(٢) قَيْزَرُ (تَجْرِيد) - قَيْزَارُ (أَغَانِي - الْقَامُوس) .

من شعبِ أحيادين في الخيلِ الحِيادِ والرجالِ ؛ فيقال : ما سميت أحيادين إلا بذلك ، حتى التقوا بفَاضِح ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقتِلَ السميذعُ وفُضِحَتْ قُطُوراء . ويقال : ما سميت فاضحٌ إلا بذلك . ثم تداعى القومُ إلى الصلح ، فساروا حتى نزلوا المَطْبِخَ شعباً بأعلى مكة وهو الذي يقال له الآن شعبُ ابنِ عامر ، فاصطلحوا هناك وسلموا الأمر إلى مُضاض ، فلما اجتمع له أمرُ مكة ، وصار مَلِكُهَا دون السميذع نحر للناس وطبخ الجُرُزَ . فأكلوا فسمى ذلك الموضعُ المطابخَ . فيقال : إن هذا أولُ بَنَى كان بمكة . فقال مُضاضُ بن عمر في تلك الحروب :

ونحن قَتَلْنَا سَيِّدَ الْحَيِّ عَنَوَةَ فأصبح منها وهو حيرانٌ مَوْجَعٌ

يعنى : أن الحى أصبح حيرانٌ مَوْجَعاً بعد قتلِ سيده

وما كان يبنى أن يكون سواؤنا بها مَلِكاً حتى أنا السميذعُ
فذاق وبالأحين حاول مَلِكُنَا وعالج منا غَصَّةً تَجَرَّعُ
فنحن عَمَرْنَا البيتَ كُنَّا ولاته نضاربُ عنه من أنا وندفعُ
وما كان يبنى ذاك في الناس غَيْرُنَا ولم يك حَيٌّ قبلنا فيه يَطْمَعُ
وكنا ملوكاً في الزمانِ الذي مضى ورثنا ملوكاً لا تُرام فتُوضَعُ

وكان سَيْلٌ قد جاء فدخل البيتَ فانهدم فأعادته جُرْهُم على بناءِ إبراهيم عليه السلام ، بناه لهم رجلٌ منهم يقال له : أبو الجَدَرَةِ فسمى عامرُ الجادرِ وسمى بنوه الجَدَرَةَ ثم استخَفَّتْ جُرْهُم بحق البيتَ فارتكبوا فيه أمورا عظيماً ، وأحدثوا أحداثاً قبيحةً ، وكانت للبيتِ خزانةٌ وهى بئرٌ في بطنهِ يُلقَى فيها الحَيُّ والمتاعُ الذى يهدى له . وهو يومئذ لا سَقَفٌ عليه فتواعدَ خمسةٌ من جُرْهُم أن يسرقوا ما فيه . فقام على كلِّ زاويةٍ من البيتِ رجلٌ منهم . فاقتحم الخامسُ فجعل الله أعلاه أسفلَه . وسقط مُنكسّاً فهلك . وفر الأربعة الآخرون قالوا : ودخل إسافُ ونائلةُ البيتَ

فَفَجَّرَا فِيهِ فَسَخَّهُمَا اللَّهُ حَجَرَيْنِ فَأَخْرَجَا مِنَ الْبَيْتِ . وَقِيلَ : إِنَّهُمَا لَمْ يَفْجَرَا فِيهِ .
وَلَكِنَّهُ قَبْلَهُمَا فِي الْبَيْتِ « وَهُوَ أَسَافُ بْنُ سُهَيْلٍ وَنَائِلَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ ذُبِّ . وَقِيلَ
نَائِلَةُ بِنْتُ ذُبِّ ، فَأَخْرَجَا مِنَ الْكَعْبَةِ وَنُصِبَا لِمُعْتَبَرٍ بِهِمَا مِنْ رَأْيَاهُمَا وَيَزْدَجَرِ النَّاسِ
عَنِ امْتِلَاحَاتِهِمَا ، وَلَمَّا غَلَبَتْ خِزَاةُ عَلَى مَكَّةَ وَنُسِيَ حَدِيثُهُمَا دَعَاهُمَا عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ
إِلَى عِبَادَتِهِمَا . وَقَالَ لِلنَّاسِ : إِنَّهُمَا إِنَّمَا نُصِبَا هَاهُنَا لِأَنَّا أَبَاءُكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمَا ثُمَّ
حَوْلَهُمَا قُصِيُّ بْنُ كِلَابٍ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَجَعَلَهُمَا تَجَاهِ الْكَعْبَةِ ، يَذْبَحُ عِنْدَهُمَا عِنْدَ مَوْضِعِ
زَمَزَمِ « قَالُوا : فَلَمَّا كَثُرَ بُنْيُ جُرْهُمَ بِمَكَّةَ قَامَ فِيهِمْ مَضَاضُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ
مُضَاضٍ فَقَالَ : يَا قَوْمُ احْذَرُوا الْبَغْيَ فَإِنَّهُ لَا بَقَاءَ لِأَهْلِهِ ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ
مِنَ الْعَمَالِيقِ اسْتَخَفُّوا بِالْحَرَمِ وَلَمْ يُعَظَّمُوا وَتَنَازَعُوا بَيْنَهُمْ « وَاخْتَلَفُوا ، حَتَّى سَلَّطَكُمْ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ « فَأَخْرَجْتُمُوهُمْ ^(١) فَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ ، فَلَا تَسْتَخَفُّوا بِحَقِّ الْحَرَمِ وَحُرْمَةِ
بَيْتِ اللَّهِ ، وَلَا تَنْظُمُوا مِنْ دَخَلِهِ وَمَنْ جَاءَهُ مُعْظَمًا حُرْمَاتِهِ [أَوْ خَائِفًا أَوْ رَغْبًا فِي جَوَارِهِ] ^(٢)
فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ تَخَوَّفْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا مِنْهُ خُرُوجَ ذُلٍّ وَصَغَارٍ حَتَّى لَا يَقْدِرَ
أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنْ يَصِلَ إِلَى الْحَرَمِ وَلَا إِلَى زِيَارَةِ الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ لَكُمْ حِرْزٌ وَأَمْنٌ وَالطَّيْرُ
تَأْمَنُ فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنْهُمْ « يَقَالُ لَهُ مَجْدُوعٌ : مَا الَّذِي يُخْرِجُنَا مِنْهُ ؟ أَلَسْنَا أَعَزُّ
الْعَرَبِ وَأَكْثَرُهُمْ مَالًا وَسِلَاحًا ؟ فَقَالَ لَهُ مَضَاضُ : إِذَا جَاءَ الْأَمْرُ بِطَلٍّ مَا تَذْكُرُونَ ،
وَقَدْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعَ اللَّهُ بِالْعَمَالِيقِ . قَالُوا : وَكَانَتِ الْعَمَالِيقُ بَغَتْ فِي الْحَرَمِ فَسَلَّطَ اللَّهُ
عَلَيْهِمُ الذَّرَّ ^(٣) فَأَخْرَجَهُمْ مِنْهُ ثُمَّ رَمَوْا بِالْجَدْبِ [مِنْ خَلْفِهِمْ] ^(٤) وَنَعَتِ النِّيثُ أُمَامَهُمْ
فَجَعَلُوا يَطْلُبُونَهُ وَلَا يَجِدُونَهُ وَيَكُونُ أُمَامَهُمْ أَبَدًا فَيَطْلُبُونَهُ وَيَسَاقُونَ بِالْجَدْبِ مِنْ
خَلْفِهِمْ حَتَّى رَدَّهُمُ اللَّهُ إِلَى مَسَاقِطِ رِءُوسِهِمْ « ثُمَّ أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ قَالَ : وَالطُّوفَانُ :

(١) فَاجْتَعَمُوهُمْ (أَغَانِي) وَالاجْتِنَاحُ : الْاسْتِثْنَاءُ وَالْإِهْلَاكُ .

(٢) غَيْرُ وَاضِحٍ بِالْأَصْلِ وَهُوَ عَنِ الْأَغَانِي .

(٣) الذَّرُّ : صَغَارُ النَّمْلِ .

الموت قال : فلما رأى مضاضٌ بَنِيهِمْ ومُقامَهُمْ على البَنَى عَمَدَ إلى كنوزِ السكبةِ وهي غزالانٌ من ذهبٍ وأسيافٌ [قَلْعِيَّة] ^(١) وغيرها وحَفَرَ لها لِيلا في موضعٍ رَمَزَهم ودَفَنَها فيها . فبينما هم على ذلك إذ سارت القِبائِلُ من أهلِ مَأْرِبَ . ومعهم طريفةُ الكاهنةُ حين خافوا سِيلَ العَرَمِ . وعليهم مزِيقياءٌ . وهو عَمْرُو بنُ عامرِ ابنِ ثعلبةَ بنِ امرئِ القيسِ بنِ مازنِ بنِ الأزْدِ بنِ العَوْثِ بنِ مالكِ بنِ بِنْتِ كَهْلانِ ابنِ سبأِ بنِ يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحْطانِ . فقالت لهم طريفةُ لما قاربوا مَكَةَ : حَقُّ ما أقولُ ، وما عَلَّمَنِي ما أقولُ إلا الحَكِيمُ المُحَكَّمُ ربُّ جميعِ النَّسَمِ من عربٍ وعَجَمٍ قالوا لها : ما شأنُكَ يا طريفةُ ؟ قالت : خذوا البَمِيرَ الشَّدَقَ ^(٢) ، نَحْضِبُوه بالدمِّ . تكون لَكُم أرضُ جَرَمٍ . جيرانِ بَيْتِهِ المُحَرَّمِ ، فلما انتهوا إلى مَكَةَ ، وأهلُها جَرَمٌ قد قهرُوا الناسَ وحازوا ولايةَ البيتِ على بنى إِسماعيلَ وغيرِهِم أرسلَ إليهِم عَمْرُو ابنُهُ ثَعْلَبَةُ فقال لهم : يا قَوْمُ إنا قد خَرَجْنَا من بلادنا . فلم نَزَلْ بلداً إلا أَفْسَحَ أَهلُهُ لنا ونَزَحَ حِوَا فَنَقِمَ معهم حتى نُرْسِلَ رُؤَادَنَا يَرْتادُونَ لنا بلداً يَحْمِلُنَا . فَأَفْسَحُوا لنا في بلادِكُم حتى نُقِيمَ قَدَرًا ما نَسْتَرِيحُ ونُرسلَ رُؤَادَنَا إلى الشامِ وإلى الشَّرْقِ فحيث ما بَلَّغْنَا أَنه أُمْتُ لِحَقْنَا به ، ونرجو أن يكون مُقامنا معكم يَسِيرًا فَأَبَتْ جُرْهُمُ ذلكَ إِباءً شديداً . واستكبروا في أَنفُسِهِم ، وقالوا : لا والله ، ما نحب أن ينزلوا معنا فَيُضَيِّقُوا علينا مراعيَنا ومواردنا فارحلوا عنا حَيْثُ أَحَبَبْتُمْ فلا حاجةَ لنا بجوارِكُم ، فأرسلَ إليهِم أَنَّهُ لا بد من المُقامِ بهذا البلدِ حولا حتى ترجعَ إلى رُسُلِي التي أرسلت . فإن تركتموني طَوْعاً نَزَلْتُ وَحَدَّثْتُكُمْ وواسيتُكم في الماءِ والمرعى ، وإن أبيتُم أَقْتُ على كَرْهِكُمْ ثم لم تَرَبَّعُوا معي إلا فَضْلا ولم تَشْرَبُوا إلا رَنَقًا .

(١) ما بين القوسين عن الأغاني . والقلعية نسبة إلى القلعة من بلاد الهند تنسب إليها السيوف

الجياد .

(٢) الشدقم : الواسع الشدق .

وإن قاتلتُموني قاتلتُكم ثم إن ظهرتُ عليكم سبيتُ النساءُ وقتلتُ الرجالُ
ولم أترك أحداً منكم يَنْزِلُ الحَرَمَ أبداً . فأبَت جُرْهُم أن تتركه طوعاً وتَمَبَّتْ
لِقَتاله ، فاقْتَلُوا ثلاثةَ أيامٍ أفرغ عليهم الصبرُ ومُنِعُوا النَّعَرَ ثم انهزمت جُرْهُم
فلم يُفَلِتْ منهم إلا الشريدُ . وكان مضاضُ بن عمرو قد اعتزل جُرْهُم ولم يُعْنِهِمْ في ذلك ،
وقال : قد كنتُ أُحَدِّثُكم هذا وأحَدِّرُكم منه . ثم رحل هو وولده وأهل بيته
حتى نزلوا قنونا وما حوله . فبقايا جُرْهُم بها إلى اليوم ، وقبى الباقون ، أفنأهم السيفُ
في تلك الحروب . فلما حازتُ خزاعةُ مكةَ وصاروا أهلها جاءهم بنو إسماعيل .
وقد كانوا اعتزلوا حربَ جُرْهُم وخزاعة ، فلم يدخلوا في ذلك ، فسألوهم الشُّكْنَى معهم
وحولهم ، فأذِنُوا لهم ؛ فلما رأى ذلك مُضاضُ بن عمرو بن الحارث . وقد كان أصابه
من الصَّبابَةِ إلى مكةَ أمرٌ عظيمٌ فأرسلَ إلى خزاعةَ يَسْتَأْذِنُهَا وَمَتَّ إِلَيْهِمْ بِرَأْيِهِ
ومنمه قومُه عن القتالِ وسوءِ العِشْرَةِ في الحرم ، واعتزلهم الحربَ فأبَت خزاعةُ
أن تُقَرِّمَهُمْ وَنَفَوَهُمْ من الحرم كُلِّهِ وقال عمرو بن عامر لقومه : من وجد منكم
جُرْهُمِيًّا قد قاربَ الحَرَمَ فدَمُهُ هَدَرٌ فَزَعَتْ إِبِلٌ لِمُضاضِ بن عمرو من قَنُونَا تريد
مَكَّةَ ، فخرج في طَلَبِهَا حتى وجد أثرَها ، وقد دخلت مكةَ ، فمضى على الجبالِ
من نحو أَجِيَاد ، حتى ظهر على أبي قُبَيْسٍ يَتَبَصَّرُ الإِبِلَ في بطنِ وادى مَكَّةَ
فأَبْصَرَ الإِبِلَ تُنَحَّرُ وتُؤْكَلُ ، ولا سبيلَ له إليها ، يخافُ أن هبط الوادى أن يُقْتَلَ
فولى منصرفاً إلى أهله وأنشأ يقول :

كأنَّ لم يكن بينَ الحَجَّونِ إلى الصَّفا	أُنِسْتُ ولم يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
ولم يَتَرَبَّعْ واسطاً فَجَنُوبُهُ	إلى المُنَحْنَى من ذى الأراكَةِ حَاضِرُ
بلى نحن كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا	صروفُ اللَّيَالِي والجُدُودُ العَوَارُ
وأبدَلْنَا رَبِّي بِهَا دارَ غُرْبَةٍ	بها الذُّنْبُ يعوى والعدوُّ المَحَاصِرُ
أقول إذا نامَ الخَلِيٌّ ولم أَنَمْ	أذا العرشُ لا يَبْعُدُ سَهيلٌ وعامِرُ

فَإِنْ تَمَلَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بِكُلِّ كَلٍّ
فَنَحْنُ وَلَاهُ الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتٍ
وَأَنْسَاجِ جَدِّي خَيْرَ شَخْصٍ عَلِمْتُهُ
فَأَخْرَجَنَا مِنْهَا الْمَلِكُ بِقُدْرَةٍ
فَصَرْنَا أَحَادِيثًا وَكُنَّا بِمِقْبَلَةٍ
وَسَحَّتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ تَبْكِي لِبَلَدَةٍ
وَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ بِأَجْيَادِ بَعْدَنَا
فَبُطْنِ مَيِّ أُمِّسَى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ
فَهَلْ فَرَجٌ آتٍ بِشَيْءٍ تَحِبُّهُ
وَقَالَ أَيْضًا :

يَا أَيُّهَا الْحَيُّ سَبِّحُوا إِنْ قَصَرَ كُمْ
إِنَّا كَمَا أَنْتُمْ كُنَّا فَفَيِّرْنَا
أَزْجُو الْمِطْيَ وَأَزْجُو مِنْ أَرْمَتِهَا
قَدْ مَالَ دَهْرٌ عَلَيْنَا ثُمَّ أَهْلَكَنَا
كُنَّا زَمَانًا مَلُوكَ النَّاسِ قَبْلَكُمْ
أَنْ تُصْبِحُوا ذَاتَ يَوْمٍ لَا تَسِيرُونَا
دَهْرٌ بِصَرْفٍ كَمَا صِرْنَا تُصِيرُونَا
قَبْلَ الْمَاتِ وَقَضُوا مَا تُقْضُونَا
بِالْبَغْيِ مِنَّا فَقَدْ صِرْنَا أَفَانِينَا
نَأْوِي بِلَادًا حَرَامًا كَانَتْ مَسْكُونَا

خرج أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي قبيل الإسلام في نفر من قريش يريدون اليمن فأصابهم عطش شديد فبعض الطريق فأمسوا على غير الطريق فساروا جميعا فقال لهم أبو سلمة : إني أرى ناقتي تنازعني زمامها . أفلا أرسلها وأتبعها قالوا : افعل فأرسل ناقته ، فأصبحوها على ماء وحاضر فاستقوا وسقوا ، فإنهم لعل ذلك إذ أقبل إليهم رجل فقال : من القوم ؟ فقالوا من قريش ، فرجع إلى شجرة

إمام الماء فتسكلم عندها بشيء ثم رجع إلينا ، فقال : لينطلق معي رجلٌ منكم إلى رجل ندعوهُ . قال أبو سلمة : فانطلقت معه فوقف بي تحتَ شجرةٍ فإذا وَكْرٌ مُعلَقٌ « فصوّتَ يا أبا به ، فزَعَزَعُ ^(١) شَيْخٌ رأسه فأجابه . فقال: هذا الرجل . فقال لي : يَمَنُّ أنت ؟ قلتُ من قريش . قال : من أيّها ؟ قلت : من بني مخزوم بن يقظة . قال : من أيهم ؟ قلت : أنا أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم بن يقظة فقال : هيهات ! أنبتك أنا وبقظة سِنَ ^(٢) أندري من يقول : كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُونِ إِلَى الصَّفا أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سامرٌ بل نحن كُنْ أَهْلُهَا فَأَبَادَنَا صرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَارِ

قال : فقلت : لا ، قال : أنا صاحبُها « أنا عمرو بن الحارث بن مُضاض الجَرْهُمِيُّ أَتَدْرِي لَمْ تُسَمِّ أَجِياداً أَجِياداً ؟ قلتُ : لا . قال : جادتُ بالدماء يومَ التَّقِينَا نحن وقُطُوراء « أَتَدْرِي لَمْ تُسَمِّ قُعَيْقَعَان ؟ قلتُ : لا . قال : لَتَقَعُقِعَ السِّلَاحِ عَلَيْنَا لَمَّا طَلَعْنَا [عليهم] منه .

قال إسحاق بن إبراهيم : قال لي أَبِي مُرُّ الدُّوَابِّ تُسَرِّجُ سَحَرًا حَتَّى نَعُدَّوْا إِلَى ابْنِ جَامِعٍ نَسْتَقْبِلُهُ بِسُحْرَةٍ ^(٣) لَا تَأْخُذُنَا الشَّمْسُ ، ففعلنا ذلك « فَجِئْنَا إِلَى ابْنِ جَامِعٍ فَإِذَا بِهِ مُخْتَضِبٌ وَعَلَى رَأْسِهِ وَلِحْيَتُهُ خِرْقُ الْخَضَابِ وَإِذَا لَهُ قِدْرٌ يُطْبِخُ فِي الشَّمْسِ فَرَحَّبَ بِنَا « وَقَامَ إِلَيْنَا وَسَلَّمْ ودعانا للغداء ففرَفَرْنَا مِنَ الْقِدْرِ الَّتِي فِي الشَّمْسِ فَتَفَرَّتْ ^(٤) وَبَشِئْتُ ذَلِكَ الطَّعَامَ الَّذِي طَبَخَ فِي الشَّمْسِ « فَأَشَارَ إِلَى أَبِي أَنْ كُلْ فَأَكَلْنَا فَلَمَّا غَسَلْنَا أَيْدِيَنَا نَادَى ابْنُ جَامِعٍ : يَا غِلَامُ هَاتِ مَرَابِنَا فَأَتَانِي بِنَبِيذٍ

(١) زعزع « حرك .

(٢) أى في سن وعمر واحد .

(٣) السحرة : آخر الليل قبيل الفجر .

(٤) فنقزرت (أغانى) .

في رَكُوفٍ كانت في الشمس فكْرِهْتُهُ فأشار إلى أبي ألا تَمْتَنِعْ ثُمَّ أَتَوْا بِقَدَحِ
جيشاني^(١) ملء الكَفَيْنِ فصبَّ النَبِيدَ فيه وهو يشوبُه ماء قد أُغْلِيَ بالنار ثُمَّ غَنَى
ابن جامع :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَوْنَ إِلَى الصِّفَا أَنِيسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَارِ
ثُمَّ غَنَى غَيْرَ ذَلِكَ فَقَالَ لِي أَبِي : بَشِعْتَ لِمَا رَأَيْتَ مِنْ طَعَامِ ابْنِ جَامِعٍ وَشَرَاهِ
وَأَنَا أَعْتَقُ مَا أَمْلَكُ إِنْ لَمْ يَكُنْ شُرْبُ الدَّمِ مَعَ هَذَا يَطِيبُ ۖ أَسَمِعْتَ أَيْ بُنَى غَفَاءَ
قَطُّ أَطِيبَ مِنْ هَذَا ؟ قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ ، ثُمَّ خَرَجَ ابْنُ جَامِعٍ حَتَّى نَزَلْنَا بِيَابَ الرَّشِيدِ
لَيْسًا ۖ وَاجْتَمَعَ الْمَغْنُونُونَ فَأَذِنَ لَهُمْ ، وَالرَّشِيدُ خَلَفَ سِتَارَةَ فَفَنَّوْا إِلَى السَّحَرِ .
وَأَعْطَى لِكُلِّ وَاحِدٍ أَلْفَ دِينَارٍ إِلَّا ابْنَ جَامِعٍ لَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا فَانْصَرَفُوا مُتَوَجِّهِينَ
لَهُ وَعَرَضُوا عَلَيْهِ جَمِيعَا أَمْوَالِهِمْ ، فَلَمْ يَقْبَلْ وَانْصَرَفُوا ، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الْقَابِلَةِ فَعَمَلَ
بِهِمْ مِثْلَ تِلْكَ وَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا ، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ دُعُوا فَفَنَّوْا سَاعَةً ثُمَّ كُشِفَتْ
السَّتَارَةُ فَغَنَى ابْنُ جَامِعٍ يُعْرَضُ بِحَالِهِ فِي شَعْرِ مُضَاضٍ :

تَقُولُ أَقِمْ فِينَا فَقِيرًا وَمَا الَّذِي تَرَى فِيهِ كَيْلَى أَنْ أَقِمَ فَقِيرًا
ذَرِبْنِي أُمْتُ يَالَيْلُ أَوْ أَسْبِ الْغَنَى فَإِنِّي أَرَى غَيْرَ الْغَنَى حَقِيرًا
يُدْفَعُ فِي النَّادَى وَيُرْفَضُ قَوْلُهُ وَإِنْ كَانَ بِالرَّأْيِ السَّيِّدِ جَدِيرًا
وَيُلْزَمُ مَا يَجْنِي سِوَاهُ وَإِنْ يُطِيفُ بِذَنْبٍ يَكُنْ مِنْهُ الصَّغِيرُ كَبِيرًا
فَأَعْجَبَ الرَّشِيدَ الشَّعْرُ وَاللَّحْنُ وَأَمَالَ رَأْسَهُ نَحْوَهُ كَالْمُسْتَدْعَى لَهُ ۖ وَغَنَاءَ
أَيْضًا لِمُضَاضٍ :

لَئِنْ مَصْرُ فَاتَنَّنِي بِمَا كُنْتُ أُبْتَغِي وَأَخْلَفَنِي مِنْهَا الَّذِي كُنْتُ أُمِّلُ
فَمَا كُلُّ مَا يَحْشَى الْفَتَى نَازِلًا بِهِ وَلَا كُلُّ مَا يَرْجُو الْفَتَى هُوَ نَائِلُ

(١) جيشاني : نسبة إلى جيشان مغلاف باليمن تنسب إليه الأقداح والخمر السود .

فوالله ما فرطتُ في وجهِ حيلةٍ ولكنَّه ما قدَّرَ اللهُ نازلُ
وقد يَسْلُمُ الإنسانُ من حيثُ يُتَّقَى ويُوَتَّى الفَتَى من أَمْنِهِ وهو غافلُ
فأمرُوا بالإنصافِ فانصرفوا ، فلما بلغ السَّترَ صاح به الخادمُ يا قُرْشِي
مكانك فوقَ نَجْرَجِ إليه يَخْلَعُ وسبعةَ آلافِ دينارٍ ، وأمرَ إن شاء أن يُقيمَ وإن
شاء أن يَنصَرِفَ .

روى الكلبيُّ عن أبيه قال : بينا الناسُ في ليلةٍ مُقَمَّرَةٍ في المسجدِ الحرامِ
إذ بَصُرُوا بشَخْصٍ قد أقبلَ كأن قامَتَه رُمُحٌ ، فهربوا من بين يديه وهابوه ، فأقبلَ
حتى طاف بالبيتِ سبعةً ثم وقفَ وتمثلَ :

كَأَن لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجَّوْنَ إِلَى الصِّفَا أَنَيْسُ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
فأتاه رجلٌ فوقفَ بعيداً منه وقال : سألتك بالله الذي خَلَقَكَ أَجِنِّي أَنْتَ أَمْ
إِنْسِي ؟ فقال : لا ، بل إِنْسِي أَنَا امرأةٌ من جُرْهم ، كُنَّا سُكَّانَ هَذِهِ الْأَرْضِ وَأَهْلِهَا
فَأَزَالْنَا عَنْهَا هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي يُبِيلِي كُلَّ جَدِيدٍ وَيُغَيِّرُهُ ، ثُمَّ خَرَجْتُ مِنَ الْمَسْجِدِ
حَتَّى غَابَتْ عَنْهُمْ وَرَجَعُوا إِلَى مَوَاضِعِهِمْ .

مالكٌ ومُتمَّم ابنا نويِّرة^(١)

هو نويِّرة بنُ جرة^(٢) بن شداد بن عبَّيد بن ثعلبة بن يربوع بن حفظة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار ، وكنيةُ مالك أبو المغوار . وكنيةُ مُتمَّم أبو نهشل . وكان يقال لمالك فارسُ ذى الخمار قيل له ذلك بفارسٍ كان عنده يقال له ذو الخمار ، وفيه يقولُ وقدَّ أحمده في بعضِ وقائمه :

جزانى بلائى^(٣) ذو الخمار وضيمتى بمافات أطواء بنى الأصاغر
وكان مالك بنُ نويِّرة شريفاً فارساً شاعراً وكانت فيه خيلاء . وكان ذا لمةٍ كبيرةٍ . وكان يقال له : الجفولُ ، وقتل في الرِّدة ، قتله خالدُ بن الوليد بالبِطاح في خلافة أبي بكر الصديق ، رضى الله عنه ، وكان مُقيماً هناك ، فلما تنبأت سجاح اتبمها ثم أظهر أنَّه مسلمٌ ، فضرب خالدٌ عنقه صبراً وطعنَ عليه في ذلك جماعةٌ من الصحابة . منهم عمرُ بن الخطاب ، رضى الله عنه ، وأبو قتادة الأنصارى ، لأنه تزوج امرأة مالكٍ بعده وبني بها من ليلته . وقد قيل : إنه كان يهواها في الجاهلية فاتهم لذلك بأنه قتلَه ليتزوجَ بها ، والسبب في قتلِه أن سيدنا رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، استعمل عُماله على بنى تميم ، فكان مالكُ بنُ نويِّرة عامِله على بنى يربوع ، فلما تنبأت سجاح بنتُ الحارث بن سُويَّد بن عُقْفان^(٤) . وسارت من الجزيرة راسلتُ مالكَ بنَ نويِّرة ، ودعته إلى المواقمة فأجابها وثسنى^(٥) الناسَ عن غزوها

(١) أغاني الدار ٢٦٨/١٥ - تجريد ١٦٥٧ .

(٢) في الأغاني : عمرو وفي جهرة الأنساب ٢١٢ (نيرة) وفي التجريد ١٦٥٧ : حمزة .

(٣) تقرأ في الأصل (جرى بنى قلاى) .

(٤) غطفان (تجريد) .

(٥) ونهاها عن غزوها (أغاني) ١٤ : ٦٤ .

وَحَمَلَهَا عَلَى إِحْيَاءِ بَنِي تَيْمٍ ۖ فَأَجَابَتْهُ وَقَالَتْ : نَعَمْ فَشَأْنُكَ مِمَّنْ رَأَيْتَ ۖ فَإِنَّمَا أَنَا امْرَأَةٌ
 مِنْ بَنِي يَرْبُوعٍ ۖ فَإِنْ كَانَ مُلْكٌ فَهُوَ مُلْكُكُمْ فَلَمَّا تَزَوَّجَهَا مُسَيِّلِمَةُ الْكَذَابُ وَدَخَلَ
 بِهَا انصرفت إلى الجزيرة فصالحته على أن يحمل إليها النصف من غلات اليمامة
 فارعوى حينئذ مالك بن نورة وندم وتخير في أمره فلحق بالبطاح ، فلم يبق
 في بلاد حنظلة شيء ۖ يُكْرَهُ إِلَّا مَا بَقِيَ مِنْ أَمْرِ مَالِكٍ وَمِنْ نَاسَبٍ إِلَيْهِ بِالْبَطَاحِ ۖ فَهُوَ
 عَلَى حَالِهِ مَتَحِيرٌ لَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ ، فَلَمَّا أَرَادَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْمَسِيرَ خَرَجَ وَقَدْ اسْتَبْرَأَ
 أَسَدًا وَغُطْفَانًا وَغَنِيًّا ۖ فَسَارَ يَرِيدُ الْبَطَاحِ وَبِهَا مَالِكٌ وَقَدْ تَرَدَّدَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَقَدْ تَرَدَّدَتِ
 الْأَنْصَارُ عَلَى خَالِدٍ ، وَتَخَلَّفَتْ عَنْهُ . وَقَالُوا : مَا هَذَا بِمَهْدِ الْخَلِيفَةِ إِلَيْنَا ۖ فَقَدْ عَهْدَ إِلَيْنَا
 أَنْ نَحْنُ فَرَعْنَا مِنَ الْبَرَاهِمَةِ وَاسْتَبْرَأْنَا بِلَادَ الْقَوْمِ أَنْ يَكْتُمَ إِلَيْنَا بِمَا نَعْمَلُ ، فَقَالَ
 خَالِدٌ : إِنْ يَكُنْ عَهْدٌ إِلَيْكُمْ بِهَذَا فَقَدْ عَهْدَ إِلَيَّ أَنْ أَمْضِيَ ، وَأَنَا الْأَمِيرُ وَإِلَيَّ تَنْتَهِي
 الْأَخْبَارُ ، وَلَوْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِنِي لَهُ كِتَابٌ وَلَا أَمْرٌ ، ثُمَّ رَأَيْتَ فُرْصَةً إِنْ أَعْلَمْتَهُ بِهَا فَاتَّقِنِي
 لَمْ أَعْلِمْهُ حَتَّى أَنْتَهِيَ بِهَا ، وَكَذَلِكَ لَوْ أَبْطَلِينَا بِأَمْرِ لَيْسَ مِنْهُ عَهْدٌ إِلَيْنَا فِيهِ ، لَمْ نَدْعُ أَنْ
 نَرَى أَفْضَلَ مَا يَحْضُرُنَا وَنَعْمَلُ بِهِ ، وَهَذَا مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ بِحِيَالِنَا وَأَنَا قَاصِدُهُ لَهْ بِمَنْ
 مَعِيَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْقَاتِبِينَ بِإِحْسَانٍ ۖ وَلَسْتُ أَكْرِهُكُمْ ۖ وَمَضَى خَالِدٌ وَنَدِمَتْ
 الْأَنْصَارُ وَتَدَابَرُوا وَقَالُوا : إِنْ أَصَابَ خَيْرًا إِنَّهُ خَيْرٌ حُرْمَتُهُمْ وَإِنْ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ
 لَيَجْتَئِبَنَّكُمْ النَّاسُ فَاجْمَعُوا لِلْحَقَاقِ بِخَالِدٍ وَجَرَّدُوا إِلَيْهِ رَسُولًا ، فَأَقَامَ عَلَيْهِمْ حَتَّى
 لَحِقُوا بِهِ ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى قَدِمَ الْبَطَاحَ فَلَمْ يَجِدْ بِهِ أَحَدًا ، وَوَجَدَ مَالِكًا قَدْ فَرَّقَهُمْ
 فِي أُمُورِهِمْ ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْجَمْعِ ، فَبِعَثَ السَّرَايَا وَأَمَرَهُمْ بِدَاعِيَةِ^(١) الْإِسْلَامِ ۖ وَكَانَ فِيهَا
 أَوْصَاهُمْ بِهِ أَبُو بَكْرٍ ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ۖ إِذَا زِلْتُمْ فَأَذِّنُوا وَأَقِيمُوا فَإِنْ أَذَّنَ الْقَوْمُ وَأَقَامُوا
 فَكُفُّوا عَنْهُمْ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا شَيْءَ إِلَّا الْإِعَارَةُ ثُمَّ اقْتُلُوهُمْ كُلَّ قِتْلَةٍ إِلَّا الْحَرْقَ ۖ

فما سواه ، وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسالموهم فإن أقرّوا بالزكاة قَبِلْتُم منهم ، وإلا فلا شيء إلا الإغارة ولا كلمة ، فجاءته الخيلُ بمالك بن نويرة في نفرٍ معه ، من بني ثعلبة بن يربوع ، ومن بني عاصم وعُبَيْد وجعفر ، فاختلفت السَّريّة فيهم . وفيهم أبو قتادة . فكان ممن شهدَ أنهم أذَّنوا وأقاموا وصلّوا وشهد آخرون أنه لم يكن من مصليين فلما اختلفوا فيهم أمرَ بحبسهم ، فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء ، وجعلت تردّادُ برداً ، فأمرَ خالد فنادى : دافِئُوا أسراكم ، وكان في لغة كنانة إذا قالوا : دَثَرُوا الرجلَ وأدْفَوْهُ ، فذلك بمعنى أقتلوه وفي لغة غيرهم أدْفَوْهُ من الدَّفءِ فظن القوم أنه أراد القتلَ فقتلوه . فقتلَ ضرارُ بن الأزورَ مالِكاً وسمع خالدُ الواعيةَ فخرج وقد فرغوا منهم . فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه . وقد اختلف القوم فيهم . فقال أبو قتادة : هذا عَمَلُكَ فزَيَّرَهُ خالدُ . فغضب ومضى حتى أتى أبا بكرٍ . فغضب عليه أبو بكرٍ حتى كلّمه عمرُ رضى الله عنهما ، ولم يرض إلا بأن يرَجِّعَ إليه فَرَجَعَ . فلم يزل معه حتى قَدِمَ المدينة وكان خالدُ قد تزوج أمَّ تَمِيمٍ بنتَ المَهلب ، وتركها لِيَمْنَقِضِي طُهرَها . وكانت العرب تَكْرهُ النساء في الحرب وتمايرهُ . فقال عمرُ لأبي بكرٍ : إن في سيف خالدٍ لَرَهَقاً ، وحقّ عليك أن تُقَيِّدَهُ به وأكثَرَ عليه في ذلك ، وكان أبو بكرٍ لا يُقَيِّدُ من عماله ولا وَرَعَتَهُ فقال : هِيَ يا عمرُ تَأُولُ فأخطأ ، فأرْفَعَ اسنانك عن خالد ، ووَدَّى مالِكا . وكتب إلى خالد أن يقدّم عليه ففعل . وأخبره خبره فمَدَرَهُ وقَبِلَ منه ، وعَفَّفَهُ بالتزويج الذي كانت العرب تعيب عليه من ذلك ، وشهد قوم أنهم أذَّنوا وأقاموا وصلّوا . وشهد آخرون أنه لم يكن شيء من ذلك . وقَدِمَ مَتَمُّ أخو مالِكٍ يَنشُدُ أبا بكرٍ دمَ أخيه . ويطلبُ إليه من سَبِيهِمْ . فكتب إليه رَدَّ السَّبِي ، وألح عليه عمرُ في خالد لِيَمزِلَهُ وقال : إن في سَيْفِهِ لَرَهَقاً . فقال : لا . يا عمر . لم أكن لأشيم سيفاً سلَّه الله على الكافرين . وكان مالِكُ من

أكثر الناس شَعْرًا ، وكان أهل المسكر قد أَثَقُوا^(١) القدورَ براءَ وسهم . فَمَا مِنْهَا رَأْسٌ إِلَّا وَصَلَتْ النَّارُ إِلَى بَشَرَتِهِ مَا خَلَا رَأْسَ مَالِك . فَإِنَّ الْقَدَرَ نَضِجَتْ وَمَا نَضِجَ رَأْسُهُ مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ وَوَقَّى الشَّعْرُ الْبَشَرَ مِنْ حَرِّ النَّارِ أَنْ تَبْلُغَ مِنْهُ ذَلِكَ . وَأَنْشَدَ مَتَمُّ بْنُ نُورِةَ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ذَكَرَ خَصْمَهُ يَعْنِي قَوْلَهُ :

لَقَدْ كَفَّنَ الْمَهَالُ تَحْتَ ثِيَابِهِ فَتَى غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا
فَقَالَ : أَمْ كَذَلِكَ كَانَ يَا مَتَمُّ ؟ فَقَالَ : أَمَا مَا أَعْنِي فَنَعَمْ .

وكان ممن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الأنصاري ، واسمه الحارثُ بن رِبْعِيٍّ أخو بني سلمة ، وكان قد عاهد الله ألا يشهد حربًا بعدها أبدًا . وكان يُحَدِّثُ أَنَّهُمْ لَمَّا غَشَوْا الْقَوْمَ رَاغَوْهُمْ تَحْتَ اللَّيْلِ فَأَخَذَ الْقَوْمُ السِّلَاحَ . قَالَ : فَعَلْنَا : إِنَّا الْمُسْلِمُونَ . قَالُوا : وَنَحْنُ الْمُسْلِمُونَ . قَالُوا : فَمَا بِالْأَسْلَاحِ مَعَكُمْ ؟ قَالُوا : فَإِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَقُولُونَ ، فَضَعُّوا السِّلَاحَ مَوْضِعَهَا ، ثُمَّ صَلَّيْنَا فَصَلَّوْا ، وَكَانَ خَالِدٌ يَمْتَدِّرُ فِي قَتْلِ مَالِكِ أَنَّهُ قَالَ ، وَهُوَ يَرَاكُمُ : مَا إِخَالُ صَاحِبِكُمْ ، يَعْنِي النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . إِلَّا وَقَدْ كَانَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا . قَالَ : أَوْ مَا تَمُدُّهُ لَكَ صَاحِبًا ؟ ثُمَّ قَدَّمَهُ فَضْرَبَ رَقَبَتَهُ وَرَقَابَ أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا بَلَغَ قَتْلَهُمْ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، تَسَكَّمَ فِيهِ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَأَكْثَرَ . وَقَالَ : عَدُوُّ اللَّهِ عِدَا عَلَى أَمْرٍ مُسْلِمٍ فَقَتَلَهُ . وَنَزَا عَلَى أَمْرَاتِهِ . وَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَافِلًا حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ لَهُ . وَعَلَيْهِ صَدَأُ الْحَدِيدِ مُتَعَجِّجًا بِمِمَامَةٍ ، وَقَدْ غَرَزَ فِيهَا أَشْهُمَا ، فَلَمَّا أَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَامَ إِلَيْهِ عَمْرٌ فَانْتَزَعَ الْأَسْهَمَ مِنْ رَأْسِهِ فَخَطَّمَهَا ، ثُمَّ قَالَ : أَقْتَلْتُ أَمْرًا مُسْلِمًا ثُمَّ نَزَوْتُ عَلَى أَمْرَاتِهِ !! وَاللَّهِ لَا رَجُمَنَّكَ بِأَحْجَارِكَ . وَلَا يَكْلِمُهُ خَالِدٌ . وَلَا يَظُنُّ إِلَّا أَنْ رَأَى أَبِي بَكْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَلَى مِثْلِ رَأْيِهِ فِيهِ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ

(١) أَثَقَ الْقَدَرُ تَأَثِيفًا . جَعَلَهَا عَلَى الْأَثَاقِ ، وَالْأَثَاقِ : الْحِجْرُ تَوْضَعُ عَلَيْهِ الْقَدَرُ .

واعتذر إليه فقبل أبو بكر عُذْرَهُ وَتَجَاوَزَ لَهُ عَمَّا كَانَ مِنْهُ فِي حَرْبِهِ تِلْكَ ، فَخَرَجَ خَالِدٌ حِينَ رَضِيَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَعَمَرَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : « هَلُمَّ إِلَيَّ يَا ابْنُ أُمِّ سَمْلَةَ » فَعَرَفَ عُمَرُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ عَنْهُ ، فَلَمْ يَكَلِّمْهُ وَدَخَلَ بَيْتَهُ . وَقِيلَ : إِنَّ الَّذِي قَتَلَ مَالِكَاً عَبْدُ بْنُ الْأَزْوَورِ الْأَسَدِيُّ ^(١) .

قالوا : وَلَمَّا وَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَالِكَاً صَدَقَاتِ بَنِي يَرْبُوعٍ اضْطَرَبَ فِيهَا أَمْرُهُ لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفَرَّقَ مَا فِي يَدِهِ مِنْ إِبْلِ الصَّدَقَةِ » فَكَلَّمَهُ الْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْجَاشَعِيُّ وَالْقَمْقَاعُ بْنُ مَعْبِدِ بْنِ زُرَّارَةَ الدَّارِمِيُّ وَقَالَا لَهُ : إِنَّ لِهَذَا الْأَمْرَ قَائِمًا وَطَالِبًا فَلَا تَعْجَلْ بِفَرْقَةٍ مَا فِي يَدَيْكَ » فَقَالَ أُبَيَّانَا مِنْهَا :

وَقُلْتُ خُذُوا أَمْوَالَكُمْ غَيْرَ خَائِفٍ وَلَا نَاضِرٌ فِيمَا يَجِيءُ مِنَ الْغَدِ
فَإِنْ قَامَ بِالْأَمْرِ الْخَوْفُ قَائِمٌ مَنَعْنَا وَقُلْنَا الدِّينُ دِينُ مُحَمَّدٍ
وَمَا قَالَ أَيْضًا :

أَرَانِي اللَّهُ بِالْفَعْمِ الْمُنْدَى بِرُقَّةٍ رَحْرَحَانَ وَقَدْ أَرَانِي
تَعَشَّى يَا ابْنَ عَوْذَةَ فِي تَمِيمٍ وَصَاحِبُكَ الْأَفْرِعُ تَلْحِيَابِ
حَمِيْتُ جَمِيعَهَا بِالسَّيْفِ صَلَّتَا وَلَمْ يُرْعَشْ يَدَايَ وَلَا بَنَانِي

فَمَنْ يَعْذِرُ مَالِكَاً فِي قَوْلِهِ لَخَالِدٍ : أَهَذَا أَمْرُكَ صَاحِبُكَ ؟ يَعْنِي النَّبِيُّ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولُ : إِنَّهُ أَرَادَ الْقُرَشِيَّةَ ، وَمَنْ يَعْذِرُ خَالِدًا يَقُولُ : إِنَّهُ قَالَ ذَلِكَ انْتِفَاءً مِنْ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَحْتِجُّ بِشَعْرِيَّةِ الْمَذْكُورِينَ ، وَذَكَرَ خَالِدٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمَّا وَجَّهَهُ إِلَى ابْنِ الْحَلَنْدِيِّ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا سَلِيمَانَ إِنْ رَأَتْ عَيْنُكَ مَالِكَاً فَلَا تُزَايِلْهُ حَتَّى تَقْتُلَهُ .

(١) وقيل : إِنَّ الَّذِي قَتَلَهُ ضَرَارُ بْنُ الْأَزْوَورِ (أَغَانِي) .

وأحسن ما سَمِعَ من عُذْرِ خَالِدٍ قَوْلُ مَتَمٍ : إِنْ أَخَاهُ لَمْ يُسْتَشْهَدْ ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى عُذْرِ خَالِدٍ وَكَانَ يُقَالُ : إِنَّهُ لَمْ يُرَ أَحْسَنَ مِنْ سَاقِيٍّ أَمْ تَمِيمٍ زَوْجَةُ مَالِكٍ الَّتِي تَزَوَّجَهَا خَالِدٌ .

صلى مَتَمٌ بْنُ نُورِةٍ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه ، الصَّبْحَ ثُمَّ أُنْشِدَهُ :
نَعَمْ الْقَتِيلُ إِذَا الرِّيحُ تَنَاقَظَتْ تَحْتَ الْإِزَارِ قَتَلَتْ يَا ابْنَ الْأَزُورِ
أَدْعُوهُ بِاللَّهِ ثُمَّ قَتَلْتَهُ وَلَقَدْ دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لَمْ تَغْدِرِ^(١)
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُهُ وَلَا قَتَلْتُهُ فَقَالَ :

لَا يَضُرُّمُ الْفَحْشَاءُ تَحْتَ ثِيَابِهِ حُلُوُّ شَمَائِلِهِ عَفِيفُ الْمُنْزَرِ
وَلَنَعَمْ حَشْوُ الدَّرْعِ كَانَ وَحَاسِرًا وَلَنَعَمْ مَأْوَى الطَّارِقِ الْمُتَنَوِّرِ
ثُمَّ بَكَى حَتَّى سَالَتْ عَيْنُهُ الْمَوْرَاءُ ، ثُمَّ انْخَرَطَ عَلَى سَيِّةٍ قَوْسِهِ مَتَكْنًا ، يَعْنِي مَفْشِيًّا عَلَيْهِ .

صلى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَوْمَ الصَّبْحِ فَلَمَّا انْقَضَتْ صَلَاتُهُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَصِيرٍ أَعْوَرَ مُتَنَكِّبًا قَوْسَهُ وَيَمِدُهُ هِرَاوَةً فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ : مَتَمٌ ابْنُ نُورِةٍ ، فَاسْتَنْشِدَهُ قَوْلَهُ فِي أَخِيهِ فَأُنْشِدَهُ :

لِعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْيِينِ مَالِكٍ وَلَا جَزَعٌ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَمًا
لَقَدْ كَفَنَ الْمُهَالُ^(٢) تَحْتَ ثِيَابِهِ فَتَى غَيْرَ مَبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعًا
وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَذِيعَةً حِقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لِي يَتَّصَدَّعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
فَقَالَ عُمَرُ : هَذَا وَاللَّهِ التَّائِبِينَ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَحْسَنُ الشُّعْرَ فَأَرِثِي أَخِي زَيْدًا بِمَثَلِ

(١) لَوْ هُوَ دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لَمْ يَغْدِرِ الْحَاسَةَ .

(٢) الْمُهَالُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَرْبُوعٍ مَرَّ عَلَى أَشْلَاءِ مَالِكِ بْنِ نُورِةٍ فَأَخَذَ ثَوْبًا فَكَفَنَهُ فِيهِ وَدَفَنَهُ

و (مِنْ هَامِشِ الْأَصْلِ) .

ما رَأَيْتَ به أَخَاكَ . فقال متمم : لو مات أَخِي على ما مات عليه أَخوك ما رَأَيْتُهُ
فقال عمر : ما عَزَّانِي أَحَدٌ عن أَخِي بمثل ما عَزَّانِي به مُتِمِّمٌ . وكان عمر يقول :
ما هَبَّتِ الصَّبَا من نَحْوِ الْيَمَامَةِ إِلَّا خُيِّلَ لِي أَنِي أَشَمُّ رِيحِ أَخِي زَيْدٍ .
وقيل لتمم : ما بَلَغَ من وَجْدِكَ على أَخِيكَ ؟ فقال : أَصَبْتُ بِأَحَدِي عَيْنِي فَمَا قَطُرَتْ
مِنْهَا دُمْعَةٌ عَشْرِينَ سَنَةً ، فَلَمَّا قُتِلَ أَخِي اسْتَهَلَّتْ فَمَا تَرَفَّأُ .

لما مات عبد الرحمن بن أبي بكر حُمِلَ وَدُفِنَ بِمَكَّةَ ، فَوَقَفَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا على قَبْرِهِ وتمثلت :

وَكُنَّا كَنَدَمَانِيْ جَذِيْعَةً حَقِيْبَةً من الدهر حتى قيلَ لن يَتَصَدَّعَا
ثم قالت : أَمَا وَاللَّهِ لو حَضَرْتُكَ دَفَنْتُكَ حَيْثُ مِتَّ وَلَوْ شَهِدْتُكَ مَا زُرْتُكَ .
قال عمر بن الخطاب لتمم لما أنشده الأبيات :

* لعمري وما دهرى بتأين مالك *

هل كان مالك يحبُّكَ مثل محبَّتِكَ إِيَّاهُ ؟ وهل كان مِثْلَكَ ؟ فقال له : أين أنا منه
وهل أبلغ أنا مالكا !! واللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ أَسْرَنِي حَيْثُ مِنَ الْعَرَبِ فَشَدُونِي وَثَاقًا
بِقِدْرِ وَالْقَوْنِي بِفَنَائِهِمْ ، فبَلَفَنِي خَبْرِي ، فَأَقْبَلَ عَلَي رَاحِلَتِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَوْمِ وَهُمْ
جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ أَعْرَضَ عَنِّي وَقَمَدَ إِلَى الْقَوْمِ ، فَعَرَفْتُ مَا أَرَادَ . فَوَقَفَ
عَلَيْهِمْ فَسَأَلَهُمْ وَحَادَثَهُمْ وَضَا حَكَّهُمْ وَأَنشَدَهُمْ . فَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى مَلَأَهُمْ سُرُورًا ،
وَحَضَرَ غَدَاؤُهُمْ فَسَأَلُوهُ النُّزُولَ لِيَتَغَدَّى مَعَهُمْ فَفَعَلَ . ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَقَالَ : إِنَّهُ لَقَبِيحٌ
بَنَا أَنْ نَأْكُلَ وَرَجُلٌ مُلْتَقَى بَيْنَ أَيْدِينَا لَا يَأْكُلُ مَعَنَا ، وَأَمْسَكَ يَدَهُ عَنِ الطَّعَامِ . فَلَمَّا
رَأَى الْقَوْمُ ذَلِكَ نَهَضُوا إِلَيَّ وَصَبَّوْا الْمَاءَ عَلَى قَدَيَّ حَتَّى لَانَ وَحَلَّوْنِي ، ثُمَّ جَاءُوا بِي
فَأَجْلَسُونِي مَعَهُمْ عَلَى الْغَدَاءِ ، فَلَمَّا أَكَلْنَا قَالَ لَهُمْ : أَمَا تَرَوْنَ تَحَرُّمَ ^(١) هَذَا بَنِي وَأَكْلَهُ

(١) يقال : تحرم بفلان : عاشره وماله ونأكدت الحرمة بينهما .

معنا « إنه لم ينجح بكم أن تردوه إلى القيد، تخلّوا سبيلي . قال : أفكان كما وصفتَه ؟ قال : ما كذبتُ في شيء من صفته إلا أني قلت : خميصُ البطنِ وكان ذا بطن .

قال عمر بن الخطاب « رضى الله عنه ، لمتهم : إنكم أهلُ بيتٍ قد تَفَانَيْتُمْ ، فلو تزوجت عسي أن تُرَزَّقَ ولدًا يكون فيه بَقِيَّةٌ منكم ، فتزوج امرأةً يقال لها أم خالد بالمدينة فلم تَرْضَ أخلاقَه لشدة حُزْنِه على أخيه « وَقِلَّةِ حَفْلِه بها ، فكانت تُؤْذِيهِ « فطلقها وقال :

أقولُ لهندٍ حين لم أَرْضَ فِعْلَهَا أهذا دلالُ الحبِّ أم فعلُ فارِكٍ^(١)

أم الصَّرمِ ما تبغى وكلُّ مفارقٍ يسيرُ علينا فَقْدُهُ بعد مالِكٍ

بيننا طلحة والزبيرُ يسيران بين مكة والمدينة إذ عَرَضَ لهما أعرابيٌّ فوقفا ليمضي « فوقف متعجلاً ليسبقاه ، فتمعَّجَل فقالا : ما أثَقَلَك يا أعرابي ، تَعَجَّلْنَا لِنَسْبِقَكَ ، فتمعَّجَلَت فوقفنا لَتَمْضِيَ فوقفتَ ! ! فقال : لا إله إلا الله ، يُفْنِي أغدر الناس أغدر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، هباني خفت الضلالَ فأحببت أن أهتدي بكما أو خِفْتُ الوَحْشَةَ فأحببتُ أن أستأنس بكما . فقال طلحة : من أنت ؟ فقال : أنا متمُّ بنُ نيرة فقال طلحة : واسوءُ تاء « لقد ملَّنا غيرَ مملولٍ ، هات بعضَ ما ذكرتَ في أخيك « فطلق يُسَمِّمُهُما حتى أصبح ، وكانوا قد خافوا على بَصَرِ « من البكاء فزوجوه أم خالد « فبينما هو واضعُ رأسه على نَحْذِهَا إذ بكَا فقالت : لا إله إلا الله « ألا تنسى أخاك على حال من الأحوال !! فقال :

أقول لها لما نَهَيْتَنِي عن البكا أفي مالِكٍ تَلَحَّيْنِي أم خالد

فإن كان إخواني أُصِيبُوا وأُخْطِئْتُ بني أمِّك اليومَ الحتوف الرواصِدِ

فكلُّ بني أُمِّ سَيِّمُسُون ليْلَةً ولم يبق من أَعْيَانِهِمْ غيرُ واحدٍ

(١) فارِك اسم فاعل من فرك بكسر الراء بمعنى كره وأبغض « وأكثر ما يستعمل في بغضة الزوجين .

المغيرة بن شعبة^(١)

هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسمود بن مُعْتَب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسيّ ، وهو ثقيف ، كنيته أبو عبد الله ، وكان يُكنّى أبا عيسى ، فغيرها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكناه أبا عبد الله ، روى زيد بن أسلم أن رجلا جاء فنَادى يستأذن لأبي عيسى على أمير المؤمنين فقال عمر : أيكم أبو عيسى ؟ قال المغيرة بن شعبة : أنا . فقال له عمر : هل كان لعيسى من أب ! ما يكفيكم معشر العرب أن تسكنوا بأبي عبد الله وأبي عبد الرحمن ! فقال له رجل من القوم : أشهد أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كناه بهذا : فقال عمر : إن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قد غفرَ الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأنا لا أدري ما يفعلُ بي ، فكناه أبا عبد الله .

وأم المغيرة أسماء بنت الأَقَم بن أبي عمرو بن ظُوَيْلَم بن جُعَيْل بن عمرو بن دُهان بن نَصْر بن معاوية بن بكر بن هوازن . وكان المغيرة من دهاة العرب وخزمتها وذوى الرأي منها والحيل الثاقبة ، وكان يقال له في الجاهلية والإسلام مغيرة الرأي ، وكان يقال : ما اختلج في صدر المغيرة أمران إلا اختارَ الأخزمَ منهما ، وصحب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وشهد معه الحديبية ، وما بعدها ، وبعثه أبو بكر رضي الله عنه ، إلى أهل البحر ، وشهد فتح اليمامة وفتوح الشام ، وكان أعور ، أصيبت عينه في يوم اليرموك وشهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص ولما أراد من ليله رستم^(٢) لم يجد في العرب أدهى منه ولا أعدل ، فبعث به إليه وكان

(١) الأغاني ١٦/٧٩ وفي صفحات متفرقة تجريد ١٦٩٢ - الكامل ج ٣/٨ - البداية

ج ٨ / ٤٨ .

(٢) رستم هو مقدم الفرس وكان المغيرة السفير بين سعد بن أبي وقاص ورستم عند فتح القادسية .

(٧/٨ مختار الأغاني)

السفيرَ بينهما حتى وقعت الحرب وهو أول من خَضَبَ بالسَّوَادِ ، خَرَجَ على الناسِ فيه ، وكان عهدُهم به أبيضَ الشعرِ فمَجَّبُوا منه .

وولاه عمرُ رضى الله عنه عِدَّةَ ولاياتٍ إحداها البَصْرَةُ « فَفَتَحَ وهو واليها مِيسَانَ وَدَسْتَ مِيسَانَ وَغَيْرَهَا » وقاتلَ الفرسَ بالمروعات فهزَمَهم ونَهَضَ [له رجال في] (١) سوق الأهواز فقاتلَهم وهزَمَهم وفتحها وانحاز إلى [نهر تيرى وَمَنَازِرِ الكُبرى] (٢) فقابَلَهم وخرج إلى المشرق مع النعمان بن مُقَرَّن ، وكان على ميسرته « وكان عمرُ قد عهدَ إن هَلَكَ النعمانُ فالأَمِيرُ حُدَيْفَةُ ، وإن هَلَكَ حُدَيْفَةُ فالأَمِيرُ المغيرةُ ابنُ شُعْبَةَ ، ولما فَتَحَ نِهَاوَنْدَ سارَ المغيرةُ في جَيْشٍ إلى هَمْدَانَ فَفَتَحَهَا ، وولاه عمرُ بعدَ ذلكَ الكُوفَةَ « وَقَتَلَ عمرُ وهو واليها ، وولاه إِيَّاهَا معاويةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ « وكان عليها إلى أن ماتَ بها . وهو أول من وَضَعَ دِيوانَ الإِعْطَاءِ بالبصرة ، وَرَتَّبَ الناسَ فيه « فَأَعْطَاهُم على الدِيوانِ ثم صارَ رَسْمًا لَهُم بعدَ ذلكَ يَحْتَدُونَهُ .

قال المغيرة : كُنَّا قوماً من العربِ متمسكينَ بديننا نَعْبُدُ اللاتَ فَأَرَانِي لَوِ رَأَيْتَ قوماً قد أسلموا فَاتَّبَعْتَهُمْ فَأَجْمَعَ نَقَرٌ مِنْ بَنِي مَالِكِ الْوَفُودَ عَلَى الْمُقَوْسِ وَأَهْدَوْا لَهُ هَدَايَا فَأَجْمَعْتُ الْخُرُوجَ مَعَهُمْ « فَاسْتَشَرْتُ عُمَيَّ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ فَهَانِي ، وَقَالَ لِي : لَيْسَ مَعَكَ مِنْ بَنِي أَيْيِكَ أَحَدٌ « فَأَيْتُ إِلَّا الْخُرُوجَ ، فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ « وَلَيْسَ فِيهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْأَحْلَافِ غَيْرِي حَتَّى دَخَلْنَا الْإِسْكَندَرِيَّةَ وَإِذَا الْمُقَوْسُ فِي مَجْلِسِ مُطَّلٍ عَلَى الْبَحْرِ « فَرَكِبْتُ قَارِبًا حَتَّى حَاضَتْ مُجْلِسَهُ فَنَظَرُ إِلَىَّ فَأَنكَرَنِي ، وَأَمَرَ مِنْ يَسْأَلُنِي : مَنْ أَنَا ؟ وَمَا أُرِيدُ ؟ فَسَأَلَنِي الْأُمُورُ ، فَأَخْبَرْتُهُ مِنْ أَنَا ، وَبِأَمْرِنَا وَبَقُدُومِنَا عَلَيْهِ ، فَأَمَرَنَا أَنْ نَنْزِلَ فِي الْكَنِيسَةِ وَأَجْرَى عَلَيْنَا ضِيافَتَهُ « ثُمَّ دَعَا بَنِي

(١) غير واضحة بالأصل وهي عن الأغاني .

(٢) غير واضحة في الأصل وهي عن مرصد الاطلاع وهي صغرى وكبرى وهما بلدان بنو احي

فنظر إلى رأسِ بنى مالك فأدناه إليه وأجلسه معه ، ثم سأله : أكلُ القومِ من بنى مالك ؟ فقال : نعم إلا رجلاً واحداً من الأحلافِ وعَرَفَهُ إِيَّاي ، فكنت أَهْوَنَ القومِ عليه . ووضعوا هداياهم بين يَدَيْهِ فَسَرَّ بِهَا وَأَمَرَ بِقَبْضِهَا وَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَائِزَ وَفَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَقَصَّرَ بِي فَأَعْطَانِي شَيْئاً قَلِيلاً لَا ذِكْرَ لَهُ . وخرجنا فَأَقْبَلَ بَنُو مَالِكٍ يَشْتَرُونَ الْهَدَايَا لِأَهْلِيهِمْ ، وَهُمْ مُسْرُورُونَ ، وَلَمْ يَمْرُضْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى مُوَاسَاةٍ . وَخَرَجُوا وَحَمَلُوا مِنْهُمْ خِزَاءً فَكَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْهَا . وَاشْرَبَ مِنْهُمْ . وَنَفْسِي تَأْتِي أَنْ تَدْعَنِي مِنْهُمْ وَقُلْتُ : يَنْصَرِفُونَ إِلَى الطَّائِفِ بِمَا أَصَابُوا وَمَا حَبَاهُمْ بِهِ الْمَلِكُ وَيَخْبِرُونَ قَوْمِي بِتَقْصِيرِهِ بِي وَازْدِرَائِهِ ^(١) إِيَّاي . فَأَجَمْتُ عَلَى قَتْلِهِمْ فَقُلْتُ : إِنِّي أَجِدُ صَدَاعاً ^(٢) فَوَضَعُوا شَرَابَهُمْ وَدَعَوْنِي فَقُلْتُ : رَأَيْتُ تَصَدَّعُنِي وَلَكِنِّي أَجْلِسُ أَسْقِيكُمْ فَلَمْ يُنْكِرُوا مِنِّي شَيْئاً . وَجَلَسْتُ أَسْقِيهِمْ وَاشْرَبُ الْقَدَحَ بِمَدِّ الْقَدَحِ فَلَمَّا دَبَّتِ الْكَأْسُ فِيهِمْ اشْتَمَوْا الشَّرَابَ فَجَمَلْتُ أَصْرَفُ لَهُمْ وَأَتَرَعُ الْكَأْسَ حَتَّى أَهْمَدْتُهُمُ الْكَأْسَ فَنَامُوا مَا يَعْقِلُونَ . فَوُثِّبْتُ إِلَيْهِمْ فَقَتَلْتُهُمْ جَمِيعاً . وَأَخَذْتُ جَمِيعَ مَا كَانَ مِنْهُمْ وَقَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَجَدْتُهُ جَالِساً فِي الْمَسْجِدِ مَعَ أَصْحَابِهِ وَعَلَى ثِيَابِ السَّفَرِ ، فَسَلَّمْتُ بِسَلَامِ الْإِسْلَامِ فَنَظَرَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قَحَافَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ بِي عَارِفاً ، فَقَالَ : ابْنُ أَخِي عُرْوَةَ ، فَقُلْتُ : نَعَمْ . جِئْتُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ إِلَى الْإِسْلَامِ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَمِنْ مَصْرٍ أَقْبَلْتَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا فَعَلَ الْمَالِكِيُّونَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَكَ ؟ قُلْتُ : كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ بَعْضٌ مَا يَكُونُ بَيْنَ الْعَرَبِ وَنَحْنُ عَلَى دِينِ الشَّرْكِ فَقَتَلْتُهُمْ وَأَخَذْتُ أَسْلَابَهُمْ وَجِئْتُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . لِيُخَمَّسَهَا وَيَرَى فِيهَا رَأْيَهُ ؛ فَإِنَّمَا هِيَ غَنِيمَةٌ

(١) غير واضحة بالأصل وما أُنْتَبَهَ عَنْ التَّجْرِيدِ .

من المُشركين . وأنا مسلمٌ مُصدِّقٌ بالنبي . صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم : أما إسلامك فقبيلته ولا تأخذ من أموالهم شيئاً ولا نخمسها لأن هذا غدرٌ والغدرُ لا خير فيه . فأخذني ماقرب وما بَعد . فقلت : يا رسول الله ، إنما قتلتهُم وأنا على دين قومي ، ثم أسلمتُ حين دخلتُ عليك الساعة . فقال : ^(١) [إن الإسلامَ يَجِبُ ما قبله . وكان قتلَ منهم ثلاثة عشرَ إنساناً فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف فتداعوا للقتال . ثم اصطالحوا على أن يؤدِّي عُمِّي عروةُ بنُ مسعود ثلاث عشرة دية . قال المغيرةُ : وأقتُ مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى اعتمرَ عُمرةَ الحديبية في ذي القعدة من سنة ستٍ من الهجرة . وكانت أولَ سفرة خرجتُ معه فيها . وكنتُ أكون مع أبي بكر ، رضي الله عنه . وألزمُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فيمن يلزمه ، فبقيتُ قريش عام الحديبية عروة بن مسعود إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فأتاه يُكَلِّمُهُ وجعل يمسُّ لحية رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وأنا قائمٌ على رأسه مُقَنِّعٌ بالحديد فقلت لعروة . وهو يمسُّ لحية رسول الله . صلى الله عليه وسلم : اكفُفْ يدك قبلَ ألا تعودَ إليك . فقال عروة : يا محمدُ ، من هذا ؟ فما أَظْهَرُ وأَغْلَظُ !! فقال : هذا ابنُ أخيك المغيرةُ بنُ شعبة . فقال عروة : يا عدُوَّ الله ما غُسِلَتْ عني سوءُكَ إلا بالأمس يا غدر .

قال المغيرة : أول ما عرفني العربُ بالحزم والدهاء أني كنتُ في ركبٍ من قومي في طريق لنا إلى الحيرة فقالوا لي : قد اشتبهينا الحجرَ . وما معنا إلا درهم زائف . فقلت : هاتوه واهلوا زِقِين . فقالوا وما يَكْفِيكَ لِدِرْهَمٍ زائفٍ زِقٌ واحد ، فقلت : أعطوني ما طلبتُ وخلاكم ذمٌ ، ففعلوا وهم يهزؤون مني . فصببتُ في أحدِ الزَقَيْنِ شيئاً من ماء ، ثم جئتُ إلى خَمَارٍ بالحيرة فقلت كِلْ لي مِلءَ هذا الزِقِّ ففلاهُ ،

(١) من هنا تبدأ أخبار المغيرة متصلة في الأغاني .

فأخرجت الدرهم الزائف فأعطيته فقال لي : وَيَحْكُ أَمْجَنُونَ أَنْتَ ؟ فقلت : مَا لَكَ ؟ فقال : إِنْ ثَمَنَ هَذَا الزَّقُّ عَشْرُونَ دِرْهَمًا جَيَادًا ، وَهَذَا دِرْهَمٌ زَائِفٌ . فقلت : أَنَا رَجُلٌ بَدَوِيٌّ وَظَنَنْتُ أَنَّ هَذَا يَصْلُحُ فَإِنْ صَلَحَ وَإِلَّا فَخُذْ شِرَابَكَ . فَاكْتَالَ مِنِّي مَا كَالَهُ . وَبَقِيَ فِي زَقٍّ مِنَ الشَّرَابِ بِقَدَرٍ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ فَأَفْرَغْتُهُ فِي الزَّقِّ الْآخِرِ وَحَمَلْتُهُمَا عَلَى ظَهْرِي وَخَرَجْتُ فَصَبِيتُ فِي الزَّقِّ الْآخِرِ مَاءً وَدَخَلْتُ إِلَى خِمَارٍ آخَرَ . فقلت : إِنِّي أُرِيدُ مِنْكَ مِلءَ هَذَا الزَّقِّ خَمْرًا فَأَنْظُرْ إِلَى مَا مَعِيَ مِنْهُ . فَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ مِثْلُهُ فَأَعْطِنِي فَنَظَرَ إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَلَّا يَسْتَرِيبَ بِي إِذَا رَدَدْتُ الْخَمْرَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : عِنْدِي أَجُودُ مِنْهُ . فقلت : هَاتِ . فَأَخْرَجَ لِي شِرَابًا . فَاكْتَلَمْتُهُ فِي الزَّقِّ الَّذِي فِيهِ الْمَاءُ ، ثُمَّ دَفَعْتُ الدَّرْهَمَ الزَّائِفَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِي مِثْلَ قَوْلِ صَاحِبِهِ وَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ مَا قُلْتُ لَصَاحِبِهِ فَأَخَذَ مَا كَالَ لِي ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنِّي خَلَطْتُهُ بِالشَّرَابِ الَّذِي أَرَيْتُهُ إِيَّاهُ . وَخَرَجْتُ فَجَعَلْتُهُ مَعَ الْخَمْرِ الْأَوَّلِ . وَلَمْ أَزَلْ أَفْعَلُ ذَلِكَ بِكُلِّ خِمَارٍ فِي الْحِيرَةِ حَتَّى مَلَأْتُ زَقَّ الْأَوَّلَ وَبَعْضَ الْآخِرِ وَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي . فَوَضَعْتُ الزَّقَّيْنِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَرَدَدْتُ دِرْهَمَهُمْ إِلَيْهِمْ . فَقَالُوا : وَيَحْكُ !! أَيْ شَيْءٌ صَنَعْتَ . فَخَدَعْتَهُمْ فَجَعَلُوا يَمْجِبُونَ ، وَشَاعَ لِي الذِّكْرُ فِي الْعَرَبِ بِالْدهَاءِ وَالْحَزْمِ حَتَّى الْيَوْمِ .

قَالَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ فَرَسٌ لَهُ . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : احْمِلْنِي عَلَيْهَا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لِأَنَّ أَحْمَلَ عَلَيْهَا غُلَامًا قَدْ رَكِبَ الْخَيْلَ عَلَى عَرَابِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَهْمَكَ عَلَيْهَا . فَقَالَ لَهُ الْأَنْصَارِيُّ : أَنَا خَيْرٌ مِنْكَ وَمِنْ أَيْبِكَ . قَالَ الْمَغِيرَةُ : فَغَضِبْتُ لَمَّا قَالَ ذَلِكَ لِأَبِي بَكْرٍ . فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذْتُ رَأْسَهُ فَرَكَبْتُهُ وَسَقَطَ عَلَى أَنْفِهِ وَكَأَنَّمَا كَانَ عِدْلِي مُزَادَةً ، فَتَوَعَّدَنِي الْأَنْصَارُ أَنْ يَسْتَقِيدُوا مِنِّي ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ : إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ رِجَالٍ زَعَمُوا أَنَّي مُقِيدُهُمْ مِنَ الْمَغِيرَةِ . وَوَاللَّهِ لَأَنْ أَخْرِجَهُمْ مِنْ دَارِهِمْ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقِيدَهُمْ وَزَعَا اللَّهُ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَيْهِ .

ركب الغيرة بنُ شعبة إلى هند بنت النعمان بن المنذر وهي ^(١) بدير هند مقنصرة عمياء بنت تسمين سنة ، فقالت له : من أنت ؟ قال : أنا الغيرة بن شعبة . قالت : أنت عامل هذه المدرة ؟ قال : نعم . قالت : فما حاجتك ؟ قال : جئتُك خاطباً إليك نفسك . فقالت : أما والله لو كنت تبغى جمالا أو دنيا لزوجناك ، ولكنك أردت أن تجلس في موسم من مواسم العرب فتقول : تزوجت بنت النعمان بن المنذر ، وهذا والله لا يكون أبداً أو ما يكفيك فخرا أن تكون في ملك النعمان وبلاده تديرها كما تريد ؟ وبكت فقلت لها : أيُّ العرب كان أحبَّ إلى أبيك ؟ قالت : ربيعة . قال : فأين كان يجعل قيساً قالت : بحيث كان يراهم من طاعته قال : فأين كان يجعل ثقيفاً قالت : رويداً لا تمجل ، بينا أنا ذات يوم جالسة في خدير إلى جنب أبي إذ دخل عليه رجلان ، أحدهما من هوازن والآخر من مازن ، كل واحد منهما يقول إن ثقيفاً منا ، فأنشأ أبي يقول :

إن ثقيفا لم يكن هوازنا ولم يناسب عامرا ومازنا

* إلا قريبا فانشر المحاسنا *

فخرج الغيرة وهو يقول :

أدركت [ما منيتُ نفسي] خاليا لله درك يا ابنة النعمان
إنني لحلفك بالصليب مُصدق والصليبُ أصدقُ حلفك الرهبان
ولقد رددت على الغيرة ذهنه إن الملوك [بطيئة] الأذهان
يا هند حسبك قد صدقت فأمسكي والصدق خير مقالة الإنسان

بينما حسان بن ثابت ذات يوم جالسا بالخيـف من منى وهو يومئذ مكفوف إذ زفر زفرة وقال :

(١) وفي رواية : يومئذ .

(٢) ما بين الأقواس غير واضح بالأصل وهو عن الأغاني .

وَكُنْ حَافِرَهَا بِكُلِّ خَمِيلَةٍ صَاغُ يَكِيلُ بِهِ شَحِيحٌ مُقَدَّمُ
عَارِي الْأَشَاجِعِ مِنْ ثَقِيفٍ أَصْلُهُ عَبْدٌ وَزَعُمُ أَنَّهُ مِنْ يَقْدُمُ

فسمعه المغيرة بنُ شعبة فبعث إليه بخمسة آلاف درهم ، فلما أتى بها قال :
من بعث بهذه ؟ قيل : المغيرة بن شعبة . فقال : واسوأَناه ، وقبلها .

وكان المغيرة قد أحصنَ إلى أن مات ثمانين امرأةً فبين ثلاث بناتٍ لأبي سفيان
ابن حرب . وفيهن حفصة بنتُ أبي وقَّاص . وهي أمُ ابنه حمزة بن المغيرة .
وعائشة بنتُ جرير بن عبد الله [البجلي] . وقال يوما : تزوجتُ ثلاثا وسبعين امرأةً ،
منهن سبعون بكرا . وكان مطلقاً إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال : إنكن
لطويلات الأعناقِ كريماتُ الأخلاقِ ، ولكني رجلٌ مطلقٌ اعتدِدُن . وكان يقول :
النساء أربع والرجال أربعة ، رجلٌ مُدَّكَّرٌ وامرأةٌ مؤنثةٌ فهو قوامٌ عليها .
ورجلٌ مؤنثٌ وامرأةٌ مُدَّكَّرةٌ فهي قوامٌ عليه ، ورجلٌ مُدَّكَّرٌ وامرأةٌ مُدَّكَّرةٌ
فهما كالوعَلَيْنِ ينتطحان . ورجلٌ مؤنثٌ وامرأةٌ مؤنثةٌ فهما لا يأتیان بخيرٍ
ولا يُفْلِحان .

وقيل : إنه قال : نكحتُ تسماً وتسمين امرأةً فما أمسكتُ امرأةً منهن على حُبٍّ
بل أمسكها لحسبها ولولدٍها وليكذا وليكذا ، ولقد وجدتُ اليمانية كثوباً أخذتُ
بجانبه فأتبعك بقيته ، ووجدتُ الربيعية أمتك إن أمرتها أطاعتك ووجدتُ
المُضَرِّيَّةَ قرناً إن ساورتَه غلبته أو غلبك .

ورأى المغيرة امرأةً له تَخَلَّلُ بعد صلاة الصُّبْحِ فطَلَّقَهَا ، فقالت : علامَ طَلَّقَنِي ؟
فقيل : رَأَيْتَ تَخَلَّلَ بَيْنَ فَظْنٍ أَنْكَ قَدْ أَكَلْتَ فَقَالَتْ : أَبْعَدُهُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَا تَخَلَّلَتْ
إِلَّا مِنْ فَضْلَةٍ سِوَاكِ .

صلى المغيرة بن شعبة بالناس في سنة أربعين ، في العام الذي مات فيه على

ابنُ أبي طالب « رضوان الله عليه » فجعل يوم الأضحى يومَ عَرَفةَ خاف أن يُعزل
فسبق ذلك فقال الراجز :

سیری رویدا وابتغی المغيرة کلفتها الإدلاج والظهيره

وكان الجمالُ بالكوفة ينتهي إلى أربعة نفر ، المغيرة بنِ شُعْبة ، وجبرير
ابن عبد الله « والأشعث ابن قيس ، وحُجْر بن عدی ، وكلهم كان أعور » وكان المغيرة
والأشعث وجبرير يوماً متوافقين بالكُنَاسة ، فطلع عليهم أعرابٌ فقال المغيرة دَعُونِي :
أَحْرَكْهُ فقالوا : لا تفعلْ فإن للأعراب جواباً يؤثّر . قال لا بُدَّ ، قالوا : فأتِ أعلم .
فقال له : يا أعرابي هل تعرفُ المغيرة بنَ شُعْبة ؟ قال : نعم أعرفُه أعورَ زانيا فوجمَ
وتجَلَدَ ، ثم قال : أتعرفُ الأشعث بنَ قيس ؟ قال : نعم ، ذلك رجلٌ لا يَمُرُّ بقومه .
قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنه حائكٌ بنُ حائك قال : فهل تعرفُ جبريرَ بن عبد الله ؟
قال : وكيف لا أعرفُ رجلاً لولاه ما عرفت عشيرته . فقالوا له : فَبَحَّكَ الله . فإنك
شَرٌّ جَلِيس . قالوا : فهل تُحِبُّ أن يُوقَرَ لَكَ بَعِيرُكَ هذا مالا ، وتموت أكرمَ العرب !
قال : فمن يُبْلِغُهُ أهلي إذا ؟ فأنصرفوا عنه وتركوه .

خرج المغيرة بن شعبة « وهو على الكوفة أمير » ومعه الهيثم بن الأسود
النخعي بعد غيب مطرٍ « يسيرُ في ظُهر الكوفة » فلقي ابنَ لسانِ الحُمَرة أحدَ بني
تيم الله بن ثعلبة « وهو لا يعرف المغيرة ، فقال المغيرة : من أين أقبلت يا أعرابي ؟ قال :
من السماوة . قال : فكيف تركت الأرضَ خَلْفَكَ ؟ قال : عريضةً أريضةً ^(١) . قال : فكيف
كان المطر ؟ قال : عَنَى الأثرَ وملاً الحَقَرَ قال : ممن أنت ؟ قال : من بكر بن وائل .
قال : كيف عِلْمُكَ بهم ؟ قال : إن جهلتهم لم أعرف غيرهم . قال : فما تقول في
بني شيبان ؟ قال : سادتنا وسادةٌ غيرنا . قال : فما تقول في بني ذُهَل ؟ قال :

(١) أريضة : معشبة خصبة .

سادة نوكرى . قال : فما تقول فى قيس بن ثعلبة ؟ قال : إن جاورتهم سرّ قوك
وإن اتّمتنتهم خانوك . قال : فما تقول فى تيم الله بن ثعلبة ؟ قال : رعاء البقر
وعراقيب كلاب . قال : فما تقول فى بنى يشكر ؟ قال : صريح تحسبه مولى .
قال هشام : لأن فى ألوانهم حمرة . قال : فمجل ؟ قال : أحلاس الخيل . قال :
فخيفة ؟ قال : يطعمون الطعام ويضربون الهام . قال : فمزة ؟ قال : لا تلتقى بها
الشفقان لوّماً . قال : فضبيعة أضجم ؟ قال : جدعاء عقراء . قال : فأخبرنى
عن النساء . قال : النساء أربع ربيع مريع وجميع يجمع وشيطان سمّمع
وغل لا يخلع . قال : فسرّ ، قال : أما الربيع المريع فالتى إذا نظرت إليها سرّتك ،
وإذا أفسمت عليها أبرّتك ، وأما التى هى جميع يجمع فالمرأة يتزوجها الرجل ،
ولها نسب . فيجتمع نسبها إلى نسيه ، وأما الشيطان السمّمع ^(١) فالكايلة
فى وجهك إذا دخلت ، والمولولة فى أثرك إذا خرجت ، وأما الغل الذى لا يخلع
فابنة عمك السوداء القصيرة القواء الذميمة التى قد نثرت لك بطنها . إن طلقتهما
ضاع ولدك وإن أمسكتها فعلى جدع أنفك . فقال له المغيرة : بل أنفك .
ثم قال له : ما تقول فى المغيرة بن شعبة ؟ فقال : أهور زان . فقال الهيثم : فض الله فاك ،
هذا الأمير المغيرة . فقال : إنها كلمة تقال ، فانطلق به المغيرة إلى بيته وعنده
أربع نسوة وسبعون أمة ، فقال له : ويحك ، هل يزنى الحرّ وعنده مثل هؤلاء ؟
ثم قال لمن المغيرة : أرّمين بحليليكنّ له . ففعلن فخرج الأعرابي بملء كسائه
ذهبا وفضة .

جاء المغيرة بن شعبة إلى على عليه السلام ، فقال له : اكتب إلى معاوية فوالله
الشام ومروء يأخذ البيعة لك . فإنك إن لم تفعل وأردت عزله حاربك .

(١) السمّمع : الداهية والخفيف السريم .

فقال على عليه السلام : « وما كنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا » . فانصرف المغيرة وتركه . فلما كان في الغد جاءه فقال : إني فكرت فيما أشرتُ عليك به بالأَمْسِ فوجدته خطأ ، ووجدتُ رأيك أصوب . فقال له على عليه السلام : لم يَخَفْ على ما أردتَ قد نصحتني في الأولى وغَشَشْتَنِي في الثانية ، ولكني ، والله ، لا آتِي أَمْرًا أجد فيه فساداً لديني طلباً لصلاح دُنْيَاي ، فانصرف المغيرة .

كان بين المغيرة بنِ شُعْبَةَ وبين مَصْقَلَةَ بنِ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيَّ تَنَازُعٌ فَضَرَعَ له المغيرةُ وتواضعَ في كلامه حتى طَمِعَ فيه مَصْقَلَةُ واستَعْلَى عليه وشتمه ، فقدمه إلى شُرَيْحٍ ، وهو القاضي يومئذ ، وأقام عليه البينةَ فَضَرَبَهُ الحَدَّ ، وآلَى مَصْقَلَةُ ألا يقيمَ ببلد فيه المغيرةُ ما دام حياً . ثم دخل الكوفةَ لما مات المغيرةُ فتلَقَّاه قَوْمُهُ وَسَلَّمُوا عليه . فلما فرغَ من السلام سألهم عن مقابرِ ثَقِيفٍ فأرشدوه إليها ، فجعلَ قَوْمُهُ ومواليه يلتقطون الحجارةَ . فقال : ما هذا ؟ فقالوا : ظَنَنَّا أنك تريد أن ترجمَ قَبْرَهُ . قال : أَتَقْوُمَا في أيديكم فَأَلْقَوْهُ ، وانطلق حتى وَقَفَ على قبره . ثم قال : والله لقد كنتَ ما علمتُ . نأفما لصديقك ضارا لعدوك ، ما مثلك إلا كما قال مُهَلْمَلٌ في أخيه كليب :

إِنْ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَزْماً وَعِزْماً وَخَصِيماً أَلَدَّ ذَا مِغْلَاقٍ^(١)
حَيَّةٌ فِي الْوِجَارِ أَرْبَدٌ لَا يَنْدُ فَعُ مِنْهُ السَّلِيمُ نَفْثُ الرَّاقِ
وكان الذي قاله مَصْقَلَةُ للمغيرة : والله [إني] لأعرفُ شَبِيهِي في عروة ابنك فأثمهَدَ عليه بذلك وجلَّده الحَدَّ .

قال رجلٌ من قُرَيْشٍ لعمر بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه . أَلَا تَنْزَوِجُ أُمَّ كُلْثُومٍ ابنةَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، رضي الله عنه فتَحَفَظْهُ بعد وفاته وتَخَلِّفْهُ في أهله ، فقال عمرُ ،

بَلَى إِنِّي لِأَحِبُّ ذَلِكَ . فَاذْهَبْ إِلَى عَائِشَةَ وَادْكُرْ لَهَا ذَلِكَ وَعُدْ إِلَى . بجوابها ،
ففضي الرسول فَأَخْبَرَهَا بِمَا قَالَ عُمَرُ فَأَجَابَتْهُ إِلَى ذَلِكَ وَقَالَتْ : نَعَمْ حُبًّا وَكَرَامَةً .
وَدَخَلَ إِلَيْهَا بِعَقِبِ ذَلِكَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَرَأَاهَا مَهْمُومَةً فَقَالَ لَهَا : مَا لَكَ يَا أُمَّ
الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَأَخْبَرَتْهُ بِرِسَالَةِ عُمَرَ . وَقَالَتْ : إِنَّ هَذِهِ جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السَّنِّ وَأَرَدْتُ لَهَا عَيْشًا
أَلَيْنَ مِنْ عُمَرَ فَقَالَ لَهَا : أَنَا أَكْفِيكَ ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا فَدَخَلَ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ لَهُ :
بِالرِّقَاءِ وَالْبَنِينَ ، قَدْ بَلَغَنِي مَا أَنْتَ مِنْ صَلَةِ أَبِي بَكْرٍ فِي أَهْلِهِ وَخِطْبَتِكَ أَمْ كُنْتُمْ
فَقَالَ : قَدْ كَانَ ذَاكَ . قَالَ : إِلَّا أَنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلٌ شَدِيدُ الْخُلُقِ عَلَى أَهْلِكَ
وَهَذِهِ صَبِيَّةٌ حَدِيثَةُ السَّنِّ ، وَلَا تَزَالُ تَنْكُرُ عَلَيْهَا الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ فَتَضْرِبُهَا فَتَصِيحُ :
يَا أَبَتَاهُ فَيَمُوتُكَ ذَلِكَ وَتَتَأَلَّمُ لَهُ عَائِشَةُ فَيَذْكُرُونَ أَبَا بَكْرٍ فَيَكُونُ ، فَتَجِدُ ذَلِكَ الْمَصِيبَةَ
كُلَّ يَوْمٍ مَعَ قَرَبِ عَهْدِهَا . فَقَالَ لَهُ مَتَى كُنْتَ عِنْدَ عَائِشَةَ وَاصْدُقْنِي قَالَ : آتَا
فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَرِهُونِي وَصَيَّغَتْ لَهُمْ أَنْ تَضْرِبَنِي عَمَّا طَلَبْتَ . وَقَدْ أَغْفَيْتَهُمْ . فَعَادَ
إِلَى عَائِشَةَ فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَأَمْسَكَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مُعَاوَدَتِهَا .

كَانَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ يَخْتَلِفُ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ تَقِيفٍ ، يُقَالُ لَهَا الرِّقْطَاءُ ، فَكَانَ يَخْرُجُ
إِلَيْهَا وَسَطَ النَّهَارِ مِنْ دَارِ الْإِمَارَةِ فَيَجِدُهُ أَبُو بَكْرَةَ فَيَقُولُ : ابْنُ يَذْهَبُ الْأَمِيرُ ؟
فَيَقُولُ : آتَى حَاجَةً . فَيَقُولُ لَهُ : حَاجَةٌ مَاذَا ؟ فَيَقُولُ : أَزُورُ آلَ بَنِي فُلَانٍ . فَيَقُولُ :
إِنَّ الْأَمِيرَ يَزَارُ وَلَا يَزُورُ . وَكَانَتِ الرِّقْطَاءُ جَارَةً لِأَبِي بَكْرَةَ فَبَيْنَا أَبُو بَكْرَةَ يَوْمًا
فِي غُرْفَتِهِ مَعَ أَخُوَيْهِ نَافِعٍ وَزِيَادٍ وَرَجُلٍ آخَرَ يُقَالُ لَهُ شَيْبَلُ بْنُ مُمْبِدٍ . وَكَانَتِ غُرْفَةُ
الرِّقْطَاءِ مُحَاضِيَةً لَغُرْفَةِ أَبِي بَكْرَةَ ، فَضَرَبَ الرِّيحُ بَابَ الْمَرَأَةِ فَفَتَحَتْهُ فَنَظَرَ الْقَوْمُ فَإِذَا هُمْ
بِالْمَغِيرَةِ يَنْسَكِحُهَا . فَقَالُوا أَبُو بَكْرَةَ : هَذِهِ بَلِيَّةٌ ابْتُلِيَتْ بِهَا فَانْظُرُوا فَانْظُرُوا حَتَّى أَتْبَتُوا ،
فَنَزَلَ أَبُو بَكْرَةَ فَجَلَسَ حَتَّى خَرَجَ عَلَيْهِ الْمَغِيرَةُ مِنْ بَيْتِ الْمَرَأَةِ . فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ كَانَ
مِنْ أَمْرِكَ مَا قَدْ عَلِمْتُ فَاعْتَزِلْنَا ، وَذَهَبَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الظُّهْرَ . فَمَعَهُ أَبُو بَكْرَةَ
وَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا تُصَلِّي بِنَا ، وَقَدْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ . فَقَالَ النَّاسُ : دَعُوهُ فَلْيُصَلِّ فَإِنَّهُ

الأمير . واكتبوا بذلك إلى عمر فكتبوا إليه . فبعث عمرُ بأبي موسى الأشعري ، وعزم عليه ألا يضع كتابه من يده حتى يرَّحل المغيرةُ بنُ شعبة . وأن يقدم القومُ جميعا ؛ المغيرةُ والشهود . فقال أبو موسى : أو نترُكه يتجهزُ ثلاثا ، ثم خرج . قال : فصلينا صلاةَ الغداةِ بظهرِ المِرْبَدِ . ودخلنا المسجدَ فإذا هم يُصلُّون النساءَ والرجالُ مُخْتَلِطِينَ . فقيلَ للمغيرة : إن أبا موسى في جانبِ المسجدِ عليه بُرُوس . فقال المغيرة : ما جاء زائرا ولا تاجرا . فدخل عليه ومعه صحيفةٌ فلما رآه قال : الأمير ! فأعطاه أبو موسى الكتابَ . فلما ذهب يتحركُ عن سريره قال له أبو موسى : مكانكَ تجهزُ ثلاثا . وقيل : إن أبا موسى أمره أن يرَّحلَ من وقته . فقال له المغيرة : قد علمتُ ما وُجِّهتُ له فألا تقدَّمتَ فصليت . فقال له أبو موسى : ما أنا وأنت في هذا الأمرِ إلا سواء . فقال له المغيرة : إني أحبُّ أن أقيمَ ثلاثا لأتجهزَ . فقال : قد عزمَ عليَّ أميرُ المؤمنين ألا أضعَ عهدِي من يدي إذا قرأته حتى أرَّحَلَكَ إليه . قال : إن شئتَ شفقتني وأبررتَ قسمَ أميرِ المؤمنين . قال : كيف ذلك ؟ قال : ترَّحَلْني إلى الظَّهرِ وتمسكُ الكتابَ في يدك . قال : فأبَدَرني أبو موسى مُقْبِلًا ومُدِّرًا والكتابُ في يده معلقٌ بِحَيْطٍ فتجهزَ المغيرةُ ، وبعث إلى أبي موسى بجاريةٍ وخادمٍ . الجاريةُ عريضةٌ من سبَى اليمامةِ ، من بنى حنيفة . وقيل : من مَوْلَدَاتِ الطائفِ . وصلى المغيرةُ الظَّهرَ ، وسارَ حتى قَدِمَ على عمر . رضى الله عنه ، فلما قَدِمَ عليه قال له : قد شَهِدَ عليك بأمرٍ إن كان حَقًّا لَأَنْ تَكُونَ مِتَّ قَبْلَ ذَلِكَ كان خَيْرًا لك . ثم جلس عمرُ ودعا بالمغيرةِ والشهودِ فتقدَّم أبو بكرُ . فقال له : أَرَأَيْتَهُ بَيْنَ فَخَذَيْهَا ؟ قال : نعم . والله لَكَأَنِّي أَنْظِرُ تَشْرِيمَ جَدْرِي بَيْنَ فَخَذَيْهَا ، فقال له المغيرة : لَقَدْ أَلْطَفْتَ النَّظَرَ . فقال له : أَلَمْ أَكُ قد أَثْبِتُ ما يُخْزِيكَ اللهُ بِهِ ، فقال عمر : لا . والله حتى تشهدَ أنك رأيتَهُ يَلِجُ فيها كما يَلِجُ المِرْوَدُ في المُكْحَلَةِ قال : نعم ، أَشْهَدُ على ذلك . فقال : اذْهَبْ مغيرةُ ذهبَ رَبُّمُكَ . ثم دعا نافعا

فقال : عَلَامَ تَشْهَدُ ؟ قال : على مِثْلِ شَهَادَةِ أَبِي بَكْرَةَ . قال : لا ، حتى تَشْهَدَ أَنَّهُ
وَلَجَ فِيهَا وَلُوجَ الْمِرْوَدِ فِي الْمَكْحَلَةِ . قال : نعم حتى بلغ قَذَذَهُ قال : اذهب مَغِيرَةُ
ذهب نِصْفُكَ . ثم دعا الثَّالِثَ فقال : عَلَامَ تَشْهَدُ ؟ فقال : على مِثْلِ شَهَادَةِ
صَاحِبِي . فقال عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : اذهب مَغِيرَةُ ذهبَ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِكَ قال : فمَكَثَ
يَبْكِي إِلَى الْمُهَاجِرِينَ فَبَكَوْا وَبَكَى إِلَى أُمَمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى بَكَى مَعَهُ . وَحَتَّى
لَا يَجَالِسَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ . قال : ثُمَّ كَتَبَ إِلَى زِيَادٍ فَقَدِمَ
عَلَى عَمْرِو فَمَا عَلِمَ بِهِ جُلُوسَ لَهُ فِي الْمَسْجِدِ ، وَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ رِءُوسُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .
قال المَغِيرَةُ : وَمَعِيَ كَلِمَةٌ قَدْ رَفَعْتُهَا لِأَحْلَمَ الْقَوْمَ . فَلَمَّا رَأَاهُ عَمْرُو مَقْبِلًا قَالَ : إِنِّي
لَأَرَى رَجُلًا لَنْ يُخْزِيَ اللَّهَ عَلَى لِسَانِهِ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ . وَكَانَ عَمْرُو لَمَّا شَهِدَ عِنْدَهُ
الشَّاهِدُ الْأَوَّلُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ثُمَّ شَهِدَ الْآخَرُ فَانْكَسَرَ لَذَلِكَ انْكَسَارًا شَدِيدًا . ثُمَّ جَاءَ
رَجُلٌ شَابٌّ يَخْطُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَرَفَعَ عَمْرُو رَأْسَهُ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : مَا عِنْدَكَ يَا سَلْحَ
الْعُقَابِ . وَصَاحَ عَلَيْهِ بِهَا حَتَّى كَادَ يُفْشَى عَلَى بَعْضِ الْحَاضِرِينَ . قال المَغِيرَةُ : فَقَمْتُ
إِلَى زِيَادٍ فَقُلْتُ لَهُ : لَا نَحْبًا لِمَطَرٍ بَعْدَ عَرُوسٍ يَا زِيَادُ . اذْكُرْ اللَّهَ وَاذْكُرْ مَوْقِفَكَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ اللَّهَ وَكِتَابَهُ وَرَسُولَهُ وَآمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَقَّنُوا دِمِي إِلَّا أَنْ تَتَجَاوَزَ
إِلَى مَا لَمْ تَرَ فَلَا يَحْمِلُكَ سِوَهُ مِنْظَرٍ رَأَيْتَهُ عَلَى أَنْ تَتَجَاوَزَهُ إِلَى مَا لَمْ تَرَهُ . فَوَاللَّهِ
لَوْ كُنْتُ بَيْنَ بَطْنِي وَبَطْنِهَا مَا رَأَيْتُ أَيْنَ سَلَكَ ذَكَرِي مِنْهَا ، قَالَ : فَبَرَقَتْ
عَيْنَاهُ وَاحْمَرَّ وَجْهُهُ ، وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَا أَنْ أَحُقَّ مَا حَقَّ الْقَوْمُ فَلَيْسَ ذَلِكَ
عِنْدِي ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ مَجْلِسًا قَبِيحًا وَسَمِعْتُ نَفْسًا خَبِيثًا وَانْهَارًا ، وَرَأَيْتُهُ مُتَبَطِّنَهَا .
فَقَالَ لَهُ : أَرَأَيْتَهُ يُدْخِلُهُ كَالْمِلِ فِي الْمَكْحَلَةِ قَالَ : لَا . وَقِيلَ : إِنْ زِيَادًا قَالَ : رَأَيْتَهُ
رَافِعًا رِجْلَيْهَا وَرَأَيْتُ خَصِيَّتَيْهِ مَتَرَدَتَيْنِ بَيْنَ نَحْيَيْهَا . وَرَأَيْتُ حَفْرًا شَدِيدًا وَسَمِعْتُ
نَفْسًا عَالِيَا . فَقَالَ لَهُ : أَرَأَيْتَهُ يُدْخِلُهُ كَالْمِلِ فِي الْمَكْحَلَةِ ؟ قَالَ : لَا . فَقَالَ عَمْرُو :

اللهُ أَكْبَرُ ، قُمْ إِلَيْهِمْ فَاضْرِبْهُمْ الْحَدَّ . فقام إلى أَبِي بَكْرَةَ فضربه ثمانين ، وضرب
 الباقيين وأعجبه قولُ زياد ودراً عن المغيرة الرَّجْمَ . فقال أبو بكره بعد أن ضُربَ
 فإني أشهد أن المغيرةَ فعل كذا وكذا . فهمَ عمرُ بضْرِبِهِ ۖ فقال له عليٌّ ۖ عليه
 السلام ، إِنْ ضَرَبْتَهُ رَجَمْتَ صَاحِبَكَ ، ونهاه عن ذلك ، يعنى أنه إِنْ ضَرَبَهُ جَعَلَ
 شهادته شهادتين فوجبَ بذلك الرَّجْمُ على المغيرة . قال : واستتابَ عمرُ أبا بَكْرَةَ
 فقال : إِنَّمَا تَسْتَتِيبُنِي لِتَقْبَلَ شهادتي . قال : أجل . قال : لا أشهد بين يديك بين
 اثنين ما بقيتُ في الدنيا . فلما ضُربوا الحدَّ قال المغيرةُ : اللهُ أَكْبَرُ الحمدُ لله الذي
 أخزأكم . فقال له عمر : اسكتْ أخزى الله مكانا رأوك فيه . وأقام أبو بكره على قوله
 وقال : والله ما أنسى رَقُطَ فَخِذَيْهَا وَتابِ الاثْنانِ فَقُمِلَتِ شهادتهما . وكان أبو بكره
 إذا دعى إلى شهادةٍ قال : اطلبْ غيري فإن زيادا قد أَفْسَدَ على شهادتي ۖ ولما ضرب
 أبو بكره [أمرت أمه] بشاة فذبحت وجُمِلَ جلدُها على ظَهْرِهِ . وكان يقال : ما ذاك
 إلا من ضُربٍ شديدٍ ، وهذه التي رُمِيَ بها المغيرةُ هي أمُ جَمِيلِ بنتِ عمر ، وكانت
 تختلفُ إلى المغيرة في حوائجها فيَقْضِيها لها ، ووافقت عمرَ في المَوَسِمِ ، والمغيرةُ هناك .
 فقال له عمر : أنت جاهلٌ عليَّ والله ما أَظُنُّ أبا بكره كَذَبَ عليك ، وما رأيْتُكَ قطُّ
 إلا خِفْتُ أن أُرْمَى بِحجارةٍ من السماء . وقال عليٌّ عليه السلام : لئن أخذتِ المغيرةَ
 لَأَتْبَعَنَّهُ أَحجاراً .

وقال حسان بن ثابت يهجو المغيرة :

لو أن اللّؤم يُنسبُ كان عبداً	قبيحَ الوجه أعورَ من ثقيفٍ
تركت الدين والإسلامَ لما بدتْ	لك غدوةٌ ذاتُ النّصيفِ
وراجعتُ الصِّبا ولزمتُ ^(١) لهموا	من القَيْناتِ والغمز اللطيفِ

(١) وذكرت عهداً . . . والغمز (الأغاني) .

ولما شخص المغيرة إلى عمر « رضى الله عنه ، رأى في طريقه جارية في بني مرة فأعجبته فخطبها إلى أبيها ، فقال له : وأنت على هذه الحال !! فقال له : وما عليك إن أعف فهو الذى تريد وإن أقتل ترثنى فزوجه فلما قدم بها على عمر قال : إنك لفارغ القلب طويل الشبق .

ولما مات المغيرة قال جرير بن عبد الله : استغفرا الأمير كم هذا « فإنه كان يحب العافية ومات بالكوفة سنة خمسين فى خلافة معاوية وهو ابن سبعين سنة بالكوفة وكان رجلا طويلا أعور أصهب الشعر جدا أكتف يفرق رأسه قرونا أربعة أقاص الشفتين مهتوما ضخمة القامة عبل الذراعين بعيد ما بين المنكبين « أصيبت عينه يوم اليرموك .

محمَّد بنُ بشيرٍ الخارجي^(١)

هو محمَّد بنُ بشيرٍ بن عبد الله بن عُقيل بن أسعد بن حبيب بن سنان بن عدى ابن عوف بن بكر بن يشكر بن عدوان الخارجي من بني خارجة بن عدوان بن عمرو [ابن عوف] بن قيس بن عيلان بن مضر، ويقال لعدوان وفهم: ابنا جديلة نُسباً إلى أمهم جديلة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، وكنية محمَّد أبو سليمان، شاعر فصيحٌ حجازي من شعراء الدولة الأموية، وكان منقطعا إلى أبي عبيدة بن عبد الله ابن ربيعة القرشي. أحد بني أسد بن عبد العزى. وهو جدُّ عبد الله بن الحسن ابن الحسين لأمه هند بنت أبي عبيدة، ولدت لمبداء محمداً وإبراهيم وموسى، وكانت لمحمَّد فيه مدائحٌ مختارةٌ ومراثٍ، وهي من عيون شعره وكان يبدو في أكثر زمانه، ويقيم في بوادي المدينة، ولا يكاد يحضر مع الناس، وكان قد قدم البصرة في طلب ميراثٍ له فخطب عائشة بنت يحيى بن يعمر الخارجية، من خارجة عدوان. فأبت أن تزوجه إلا بعد أن يقيم معها بالبصرة ويترك الحجاز ويكون أمراً في الفرقة إليها، فأبى أن يفعل ذلك وقال:

أرق الحزين وعاده سُهُدُهُ	لطوارقِ الهمِّ التي تَرُدُّهُ
وذكرتُ من لانت له كبدِي	فأبى فليس تلينُ لي كبدُهُ
ونأى فليس بنازلٍ بَلَدِي	أبداً وليس بمُصِلِحِي بِلَدُهُ
وعرفتُ أن الطيرَ سادِقُهُ	يوم الكدانة شَرَّ ما تَعِدُّهُ

(١) أغاني الدار ١٦ / ١٠٢ تجريد ق ٢ ج ١ ١٦٩٩ .

وهو في هامش الأصل يسير وفي التجريد كذلك وقد سبق الكلام عن بشير ويسير في ترجمة

محمَّد بن يسير الرياشي .

فَاصْبِرْ فَإِنَّ لِكُلِّ ذِي أَجَلٍ يَوْمًا يَحْيِي ۖ فَيَنْقِضِي عَدَدُهُ
مَاذَا تُتَابِعُ مِنْ زَمَانِكَ إِنْ ظَمَنَ الْحَيِيبُ وَشَفَّهُ كَمَدُهُ

وخطب أباها يحيى بن يعمر في ذلك فقال : إنها امرأة بَرَزَةٌ عاقلةٌ لَا يُفْتَاتُ عَلَى مِثْلِهَا إِلَّا بِأَمْرِهَا وما عنك من رغبة ۖ ولكنها امرأةٌ في خُلُقِهَا شِدَّةٌ وَلَهَا غَيْرَةٌ . وقد بلغني أن لك زَوْجَتَيْنِ ، وما أراها تَصْبِرُ على أن تكون ثالثتهما ۖ فانظر في أمرك وشاور فيه ، فإما أن أَمَتَ بالبصرة معها فَمَفَّتْ لك عن صاحبتيك إذ لا مجاورةَ بينهما وبينهما ولا عِشْرَةَ ، وإن شئتَ مفارقتَهُما وأخرجهما معك ، فصار إلى رحله مغموما وشاور ابنَ عَمِّ له يقال له وَرَادُ بن عمرو في ذلك ، فقال له : إن في يحيى بن يَعْمَرَ رَغْبَةً لثَرَوْتِهِ وكَثْرَةِ مَالِهِ ، وما ذَكَرْتَ من جمال ابنتِهِ ، وما نَحِبَ أن تُفَارِقَ زَوْجَتَيْكَ ، وكانت إحداها بنتُ عمه والأخرى من أشْجَع ۖ فَنَقِّمِ معها هذه السنةَ بالبصرة ونعْضِي نحن ۖ فإن رَغِبْتَ فيها تَمَسَّكَتْ بِهَا وَأَقْتَبِمَكَ بِكَانِكَ فَذَلِكَ ، وإن رَغِبْتَ في العودِ إلى بَلَدِكَ كَتَبْتُ إِلَيْنَا ۖ فَمِنْكَ حَتَّى تَنْصَرِفَ مَعَنَا إِلَى بَلَدِكَ ، فَفَسَكَّرَ لَيْلَتَهُ أَجْمَعُ فِي ذَلِكَ ۖ ثُمَّ غَدَا عَازِمًا عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى الْحِجَازِ ۖ وَقَالَ مِنْ أَيْبَاتِ :

لَئِنْ أَقْتَبِمَكَ بِحَيْثُ الْفَيْضُ مِنْ رَجَبٍ	حَتَّى أَهْلَ بِهِ مِنْ قَابِلٍ رَجَبًا
وَرَاحَ فِي السَّفَرِ وَرَادُ فَهَيَّجَنِي	إِنَّ الْغَرِيبَ إِذَا هَيَّجَتْهُ طَرِبًا
قَدْ قُلْتُ أَمْسَ لَوْرَادٍ وَصَاحِبِهِ	عُوجًا عَلَى الْخَارِجِيِّ الْيَوْمَ وَاحْتِسَابًا
وَأَبْلَغًا أَمْ سَمَدُ أَنْ عَانِيَهَا	أَعْيَا عَلَى شَفْعَاءِ النَّاسِ فَاجْتَنِبَا
أَلْبَغِي الْحَسَنَ فِي أُخْرَى وَأَتْرُكُهَا	فَذَاكَ حِينَ تَرَكْتُ الدِّينَ وَالْحَسَبَا
هِيَ الظَّمِينَةُ لَا تُرْمَى بِزِينَتِهَا	وَلَا يُفَجِّمُهَا ابْنُ الْعَمِّ مَا اصْطَحَبَا
فَمَا خَلَوْتُ بِهَا يَوْمًا فَتَمَجِّجَنِي	إِلَّا غَدَا أَكْثَرُ الْيَوْمِينَ لِي عَجَبَا

كان محمد بن بشير يتحدث إلى امرأة من مُزينة كان قومها قد جاوروه ، ثم جاء
الربيعُ وأخصبت بلادُ قومه فارتحلوا فقال محمد بن بشير :

لو بَيَّنْتَ لك قبل يومٍ فراقها أن التفرقَ في العشيةِ أو غدٍ
لشكوتُ إذ علقَ الفؤادُ بهائمٍ علقَ حبايلُ هائمٍ لم يمهّدِ
وتبرّجتْ لك فاستبتك بواضحٍ صلتِ وأسودَ في النصفِ مُعَقَّدِ
بيضاء خالصةً البياض كأنها قمرٌ توسطَ ليلِ صيفٍ مُبَرَّدِ
مرسومةٌ بالحسن ذاتُ حواسِدٍ إن الجمالَ مِظَنَّةٌ للحُسَدِ
لم يُظفها سرفُ الشباب ولم تَضَعْ عنها معاهدةَ النصيحِ المرشدِ
وترى مدامعها تُرَقِّقُ مقلةً حوراءَ رغبُ عن سوادِ الأُغدِ
خودٌ إذا كثُرَ الكلامُ تعوّذتْ بحمى الحياءِ وإن تكلمَ تقصِدِ
وكانَ طعمَ سلافةٍ مشمولةً تنصَبُ في أثرِ السواكِ الأُغيدِ
ولدتْ بأُسعدٍ أنجُمَ فمَحَلَّها ومسيرها أبدأَ بطلقِ الأُسعدِ
ماذا إذا برزت غداةَ رحيلها م الحسن تحت رفاقِ تلك الأبرُدِ
فالله يصحبُها ويسقى دارها خضلَ الربابِ سرى ولما يُرعدِ

كان سليمان بن الحصين خليلاً للخارجي صديقاً ، فلما مات جَزِعَ عليه الخارجي
وحزن حُزناً شديداً وقال يرثيه :

يا أيها المُتَمَنَّى أن يكونَ فتى مثلَ ابنِ ليلى لقد خَلَّى لك السُّبُلَا
إن تُرَحَّلَ العيسُ كي تَسْمَى مساعيه يُشْفِقُ عليك وتَعْمَلُ دونَ ماعِمِلا
لومِرتْ في الناسِ أقصاهم وأقرَّ بهم في شُقَّةِ الأرضِ حتى تُحسِرَ الإِبلَا
تَبْنِي فتى فوقَ ظهرِ الأرضِ ما وَجَدُوا

مثل الذي غيَّبُوا في بطنها رُجُلَا
أعدُّ ثلاثَ خصالٍ قد عرفن له هل سُبَّ من أحدٍ أو سَبَّ أو بَخِلَا

لما مات عبدُ العزيز بنُ مروان ونُعيَ إلى أخيه عبدِ الملك تمثل بهذه الأبيات :
 فجعل يُردِّدها ويبكي « قال أبو سليمان محمد بن بشير : بيننا نحن بالروحاء في عامٍ
 جذبٍ قليلٍ الأمطارِ ومعنا سليمان بن الحصين وابن أخيه ، وإذا بقطارٍ ضخمٍ
 كثيرٍ الثقل يهوى قادمٍ من المدينة حتى نزلوا جانبَ الروحاء القَرَبِيّ ، بيننا وبينهم
 الوادي ، فإذا هم من الأنصار ، وفيهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ،
 فلبثنا أياما ، ثم أتى لنا سليمان بن الحصين يقول لي أرسل إلى النساء يَقُلْنَ أَمَا لَكُمْ
 حاجة في الحديث ؟ فقلت لهن : وكيف نصنع برجالِكن ؟ قلن : بلغنا أن لكم
 صاحباً يُعرَف بالخارجي ؛ صاحبَ صَيْدٍ فإن آتاهم يُحَدِّثُهُم عن الصيد انطلقوا معه .
 وخلوتُهم وتحدَّثُهم . قال : فقلت لسليمان : يَبْسُ ، لَعَمْرُ اللَّهِ ، ما أردت مني ؟ أذهبُ
 إلى قومٍ فأغرَّهم وأثمُّ وأنمُّ وتناولون أنتم حاجتكم دوني ما هذا برأى . قال سليمان :
 فانظري إذا ابعث إلى النساء فأخبرهن بقولك ، فأرسل إليهن وأخبرهن بما قلت
 فقُلْنَ [قل له] : احتل لنا عليهم هذه المرأة بما قلنا لك ، وعلينا أن نَحْتَالَ لك المرأة
 الأخرى . قال الخارجي : فخرجت حتى أتيتُ القومَ فحدثتهم وذكرت لهم الصيد .
 فطارتُ إليه أنفسُهم فخرجتُ بهم ، وأخذت لهم شباكا وكلابا وتزوَّدوا لثلاث
 وانطلقتُ أَدْحُثُهُم وألهيهم فحدثتهم بالصدق حتى نَفِدَ ، ثم حدثتهم بما يُشَبِّه
 الصدق حتى نَفِدَ . ثم صرَّختُ لهم بِمَحْضِ الكذب حتى مضتُ ثلاثٌ . وجمعت
 لا أَدْحُثُهُم شيئا إلا قالوا صدقتَ وغبتُ بهم ثلاثا ما علم الله أنا عابثا صيدا فقلت
 من أبيات :

إِنِّي لِأَعْجَبُ مَنِ كَيْفَ أَفْكِهِمُ أَمْ كَيْفَ أَخَذَعَ قوما ما بهم حَمَقُ
 أَظَلُّ فِي الْبَيْدِ إِلَهِيهِمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَخْبَارَ قَوْمٍ وَمَا كَانُوا وَمَا خَلَقُوا
 اجتمع محمد بن بشير والسائب بن ذكوان راوية كُثِيرٌ بِمَكَّةَ فوافقوا نسوة
 من بني غفار يتحدَّثُنَّ ، فجلسا إليهن « وتحدَّثا معهن » وبقيت واحدةً منهن تُحَدِّثُ

مُحَمَّدَ بْنَ بَشِيرٍ وَتَسْقُشِدُهُ شِعْرُهُ حَتَّى أَصْبَحُوا . فَقَالَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْهُمْ : أَمَا تَزْجُرُونَ
عَنْ هَذَا الشَّعْرِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَلَا تَدْعُونَ إِنْشَادَهُ وَقَوْلَ الزُّورِ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَتْ لَهُ
الْمَرْأَةُ : كَذَبْتَ لِعَمْرِ اللَّهِ ، مَا قَوْلُ الشَّعْرِ زُورٌ وَلَا الْحَدِيثُ حَرَامٌ عَلَى مُحِلٍّ وَلَا مُحَرَّمٍ
فَانصَرَفَ الرَّجُلُ وَقَالَ الْخَارِجِيُّ فِيهَا :

أَمَا لَكَ أَنْ تَزُورَ وَأَنْتَ خَلَوٌ
فَمَا بَرَحْتَ تُعِيرُكَ مَقْلَتِهَا
وَتَسْهَوُ فِي حَدِيثِ الْقَوْمِ حَتَّى
فَمِتَ يَا قَلْبُ مَالِكٍ مِنْ دِفَاعٍ
وَفِيهَا يَقُولُ :

يَا أَحْسَنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ نَائِلَهَا
وَإِنَّمَا دَلَّهَا سِحْرُ لَطَائِلِهِ
هَلْ تَذْكُرِينَ كَمَا لَمْ أُنْسَ عَهْدَكُمْ
قَوْلِي وَرَكْبُكَ قَدْ مَالَتْ عَمَائِمُهُمْ
يَا لَيْتَ أَنِّي بَأَثَوَانِي وَرَاحَتِي
وَقَدْ أَطْلَتِ اعْتِلَالًا دُونَ حَاجَتِنَا
تَجْلُو بِقَادِمَتِي وَرَقَاءَ عَنْ بَرْدٍ
إِنْ هَبَّتِ الرِّيحُ حَنَّتْ فِي وَشَائِمِهَا
بِيضَاءَ تَعْمَشُو لَهَا الْأَبْصَارُ إِنْ بَرَزَتْ
جَنِيَّةٌ أَوْ لَهَا جِنٌّ يُعَلِّمُهَا
إِنْ كَانَ ذَا قَدَرٍ يَعْطِيكَ نَافِلَةً

قَدِمَا لِمَنْ يَبْقَى مِيسُورُهُ عَسْرُ
وَإِنَّمَا قَلْبُهَا لِلْمَشْتَكِي حَجَرُ
وَقَدْ يَدُومُ لِمَهْدِ الْخِلَّةِ الذِّكْرُ
وَقَدْ سَقَاهُمْ بِكَأْسِ السَّكْرَةِ السَّقَرُ
عَبْدٌ لِأَهْلِكَ هَذَا الْعَامُ مُؤْتَجَرُ
بِالْحِجِّ أَمْسَى فَهَذَا الْحِجُّ وَالنَّفَرُ
حُمَرُ الْمَفَاغِرِ فِي أَطْرَافِهَا أَثَرُ
كَأَيُّهَا عَوْدَ الْقَيْنَةِ الْوَتَرُ
فِي الْحِجِّ لَيْلَةً إِحْدَى عَشْرَةَ الْقَمَرُ
رَمَى الْقُلُوبَ بِقَوْسٍ مَا لَهَا وَتَرُ
مَنَا وَيَحْرِمُنَا مَا أَنْصَفَ الْقَدَرُ

كَانَ الْخَارِجِيُّ قَدْ قَدِمَ الْبَصْرَةَ وَتَزَوَّجَ بِهَا امْرَأَةً مِنْ عَدَوَانِ مَوْسِرَةٍ . فَأَقَامَ عِنْدَهَا
بِالْبَصْرَةِ مَدَّةً ، ثُمَّ اسْتَوَحَّمَ الْبَصْرَةَ فَطَالَبَهَا بِأَنْ تَرْحَلَ مَعَهُ إِلَى الْحِجَازِ . فَقَالَتْ لَهُ :

ما أنا بشاركة مالى ولا ضيعتى هاهنا تذهب وتضيع وأمضى معك إلى بلد الجذب
والفقر والضيق . فإما أن أمت هاهنا أو طلقنى فطلقها ، وخرج إلى الحجاز ثم ندم
وتذكرها فقال من أبيات :

ولقد أردت الصبرَ عنك فعاقني علّقَ بقلبي من هوائك قديمُ
يبقى على حدّث الزمان ورَيْبِهِ وعلى جفائك إنه لكريم
ذهبت معاهد حُبّهنَّ على الصبا ومع الشباب فبتن وهو مقيمُ
وعتبت حين صَحِحت وهو بدائه شتانَ ذاك مُصَحِّح وسقيمُ
طيفُ لُزَيْبٍ ما يزالُ مؤرّقي بعد الهدوء فما يكادُ يريمُ
وإذا تعرّضَ في المنام خيالها نكأَ الفؤادَ خيالها المحلومُ
أجملت ذنبك ذنبه وظلمته عند التحاكم والمدلّ ظلومُ
ولئن تجنّيت الذنوب فإنه ذو الداءِ يمدُّ والصحيح يلوّمُ
وأدبته زما فعاد بحلمه إن الحبَّ على الحبيب حلِيمُ
وزعمت أنك تبخلين وشفّه شوقُ إليك وإن بخلت أليمُ
كان الخارجى منقطعا إلى أبي عُبَيْدَةَ بن عبد الله بن ربيعةَ وكان يكفيه مؤونته
ويُفْضِلُ عليه ويُعْطِيهِ في كل سنة ما يكفيه ويُغْنِي عياله من البرِّ والتَّمَرِ وكسوة
الشتاء والصيف ويُقْطِعُهُ القِطْعَةَ بعد القِطْعَةِ من إبله وغنمه ، وكان منقطعا إليه
وإلى يزيد بن الحسين ، وابنه الحسن بن زيد ، وكاهم به برٌّ واليه مُحْسِنٌ فمات
أبو عبيدة فقال برثيه وكان ينزل العرش^(١) والخارجى ينزل الروحاء^(٢) :
ألا أيها الناعي ابن زَيْبٍ غَدَوَةٌ نعيمَ الذى دارت عليه الدوائرُ

(١) غير واضحة في الأصل وما أثبتناه عن الأغاني - والعرش قيل : اسم لمكة . وعرش مكة
بيوتها (مراد) .

(٢) الروحاء من الفرع على نحو أربعين ميلا من المدينة (مراد) .

لعمري لقد أَمْسَى قَرَى الضيفِ عاتما بذى العرش لما غيبتك المقابرُ
إذا سَوَّفُوا نادوا صَدَاكَ ودُونَهُ صَفِيحٌ وَخَوَّارٌ مِنَ التُّرْبِ مَائِرُ
ينادون من أَمْسَى تَقَطَّعُ دُونَهُ من البعدِ أنفاسُ الصدورِ الزوافرُ
فقوى اضربِ عَيْنِكَ يَا هَندُ لَنْ تَرَى أَبَا مثله تسمو إليه المفاخرُ
وكانت هند هذه ابنته عند عبدِ الله بن حسن بن حسن ، ولما مات أبوها جَزَعَتْ
جزعا شديدا ، ووجِدَتْ وجدا شديدا ، فكلَّم زَوْجُهَا عبدُ الله بن حسن بن حسن
مُحَمَّدَ بْنَ بَشِيرٍ الْخَارِجِيَّ ، وسأله أن يَدْخُلَ عليها ويُعْزِيها عن أبيها ، فدخل معه
إليها فلما نظر إليها صاح بأعلى صوته :

فقوى اضربِ عَيْنِكَ يَا هَندُ لَنْ تَرَى أَبَا مثله تسمو إليه المفاخرُ
وكنت إذا فاخرتِ أَسْمِيتِ والدًا يَزِينُ كَمَا زَانِ الْيَدِينِ الْأَسَاوِرُ
فإن تعولِ ليه يَشْفِ يَوْمًا عَوِيلُهُ غَلِيلَكَ أَوْ يَعْدُرُكَ بِالنُّوحِ عَاذِرُ
ويحزُّنُكَ آيَاتِ طَوَالٍ وَقَدْ مَضَتْ لَدَى الْعَرْشِ لَيْلَاتٌ تَسْرُ قَصَائِرُ
فَلَقَاهُ رَبٌّ يَغْفِرُ الذَّنْبَ رَحْمَةً إِذَا مُبْلِيتٌ يَوْمَ الْحِسَابِ السَّرَائِرُ
فقامت هند وصَكَتْ وَجْهَهَا وَعَيْنَيْهَا وصاحت بويلها وحزنها والخارجيُّ معها
يَبْكِي حَتَّى لَقِيَا جَهْدًا . فقال له عبد الله بن حسن بن حسن : أَلَمْ أَدْعُوكَ
وَيَحْكُ؟ ! فقال : أَظُنْتُ أَنِي أَسْلَيْتُهَا عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَاللَّهِ مَا يُسَلِّينِي عَنْهُ أَحَدٌ وَلَا لِي
عَنْهُ وَلَا عَنْ فَقْدِهِ صَبِرَ فَكَيْفَ يُسَلِّيهَا عَنْهُ مَنْ لَيْسَ يَسْلُوهُ .

وكان لمحمد بن بشير أخٌ يقال له بَشَّارُ بْنُ بَشِيرٍ ، وكان يجالس أعداءه ويعاشر
من يعلم أنه مبينٌ له فقال له فيه :

كفاني الذي ضَيَّعْتَ مِنِّي وَإِنَّمَا يُضَيِّعُ الْحَقُوقَ ظَالِمًا مِنْ أَضَاعَهَا
صَنِيعَةً مِنْ وَلَاكَ سُوءَ صَنِيعَةٍ وَوَلِيَّ سِوَاكَ أَمْرَهَا وَاصْطِنَاعَهَا
أَبَى لَكَ كَسْبَ الْخَيْرِ رَأَى مُقْصِرٍ وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ بِأَعْمَا

إذا هي حَقَّتْهُ عَلَى الْخَيْرِ مَرَّةً
فلولا رجال كاشحون يَسْرُهُمْ
إذا كان إن زَلَّتْ بك النملُ زَلَّةً
وإنِّي متى أُحْمِلُ على ذاك أَطْلِعُ
فإن تك أحلامٌ رَدَّ إِيَّاهُنا
سأُنهاك نهيما مُجْمِلًا وقصائدا
عصاها وإن هَمَّتْ بِشَرٍّ أَطاعها
أذاك وقُرْبَى لا أَحَبَّ انْقِطاعها
عَرَّتَكَ خِلالٌ لا تَطِيقُ اِرْتِجاعها
إليك عيوبا لا أَحَبَّ اِطِّلاعها
علينا فمن هَذَا يَرُدُّ مِمَّا عَها
فواصِحْ تَشْفِي مِنْ شُؤْنٍ صُدَّاعها

نظر الخارجى إلى نَعَشِ سَليمانَ بنِ الحَصينِ فهِتَفَهُ :

ألم تَرَوْا أن فَتَى سَيِّدًا
راحَ عَنِ نَعَشِ بَنى مالِك
لا أنفُسُ العيشِ لَمِنْ بَعْدِهِ
وأنفُسُ المَلِكِ عَلَى الهالِكِ

المهاجر بن خالد بن الوليد^(١)

هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو^(٢) بن مخزوم ابن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب .

كان الوليد بن المغيرة سيّدا من سادات قريش وجّادا من أجوادها ، وكان يُلقَّب بالوحيد ، وأمه صخرة ، بنت الحارث بن عبد الله بن عبد شمس ، امرأة من بَجِيلَة ، ثم من قَيْس ، ولما مات الوليد بن المغيرة جمعت قُريش وفاته تاريخا لإعظامهم إياه^(٣) حتى كان عام الفيل فجعلوه تاريخا . وقيل : إنها كانت تُورَّخ بوفاة هشام بن المغيرة تسع سنين إلى أن بنّوا الكعبة فجعلوها تاريخا .

والخالد بن الوليد من الشهرة بصُحبة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، والغناء في حروبه المحلُّ المشهور ، ولقبه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سيف الله ، وهاجر إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قبل الفتح وبمَدِّ الحديبية ، هو وعمرو ابن العاص وعثمان بن طلحة ، فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم لما رآهم : رَمَتْكُمْ مَكَّةُ بأَفْلاذِ كَيْدِها ، وشهد فتح مَكَّة مع النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وكان أول من دَخَلها من مهاجرة العرب من أسفل مَكَّة ، وشهد يوم مؤتة ، فلما قُتِل زيد بن

(١) أغاني أميرى ١٥ : ١١ تجريد ق ٢ ج ١ - ١٧١٦ .

(٢) في الجمهرة : عمر .

(٣) عقب ابن واصل صاحب التجريد على هذا الخبر بقوله : هكذا خطأه أبو الفرج ، وهذا من أعظم الغلط فإنه يقضى أن الوليد بن المغيرة تقدم على الفيل وليس كذلك؛ فإن الوليد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وكان من رؤوس الكفار والمُشركين المعاندين وفيه نزل قوله تعالى : (ولا تطع كل حلاف مهين) وما أظن أن هذا الخطأ وقع من النساخ ، ولعل الذي أرخت قريش بموته إنما هو أبوه ، التجريد ١٧١٦ .

حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة . ورأى أن لا طاقةَ للمسلمين بالقوم
أنحازَ لهم ، وحامى عنهم حتى سَلِمُوا فَلَقَّبَهُ يومئذ رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ،
سيفَ الله . وكان خالدٌ يوم حُنينٍ على المُقَدِّمة مع رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم .
ومعه بنو سُليَمٍ فأصابته جراحاتٌ كثيرةٌ فأتاه رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ،
بعد هزيمة المشركين . فَفَقَّتَ على جراحِهِ فاندَ مَلَتْ وَنَهَضَ . وله آثارٌ في قتالِ أهلِ
الرِّدَّةِ في أيامِ أبي بكر الصديق ، رضى الله عنه . وهو فتَحُ الحيرةَ وَبَثَّ إليه
أهلُها عبدَ المسيح بن عمرو بن نُفَيْلَةَ فكلَّمَهُ خالدٌ فقال له : من أين أقبلت ؟ قال :
مِنْ ورأى . قال : وأين تريد ؟ قال : أُمَامَى . قال : ابْنُ كَمْ ؟ أنت ؟ قال : ابن رجلٍ
وامرأةٍ . قال : وأين أَقْصَى أَثْرُكَ ؟ قال : مُنْتَهَى عُمْرِي . قال : أَتَمْعِلُ ؟ قال : نعم
وَأَقِيدُ . قال : ما هذه الحصون ؟ قال : بَنَيْنَاهَا نَبَقَى بها السفينة حتى يَرُدَّعَهُ الحليمُ
قال : لأمرٍ مَّا اختارك قَوْمُكَ ، ما هذا في يدك ؟ قال : سَمُ سَاعَةٍ . قال : وما تصنعُ
به ؟ قال : أردت أن أنظر ما تَرُدُّنِي به ، فإن بلغتُ ما فيه صلاحٌ لقوى عُدَّتْ
إليهم ، وإلا شَرِبْتُهُ . فَفَقَلْتُ نَفْسِي ولا أرجعُ إلى قومي بما يَكْرَهُونَ . فقال له
خالد : أَرِنِيهِ فَنَاولَهُ إياه فقال : بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لا يضرُ مع اسمِهِ شَيْءٌ في الأرضِ
ولا في السماء ، وهو السميعُ العليمُ [ثُمَّ أَكَلَهُ] فَتَجَلَّتْهُ غَشِيَةٌ ثُمَّ أَفَاقَ يَمْسَحُ
الْعَرَقَ عَنْ وَجْهِهِ . فَرَجَعَ ابنُ نُفَيْلَةَ إلى قومه فأخبرهم بذلك ، وقال : ما هؤلاء
القَوْمُ إلا من الشياطين . ومالَكم بِهِمْ من طَائِفَةٍ فصَالِحِيهِمْ على ما يريدون ،
ففعَلُوا وأَمَرَهُ أبو بكر . رضى الله عنه ، على جميع الجيوش التي بَثَّ بها إلى الشام
لحرب الروم . وفيهم أبو عبيدة بنُ الجراح ومُعاذُ بنُ جَبَلٍ فَرَضُوا بِإِمَارَتِهِ .
وكان رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم . قد حَلَقَ رأسَهُ ذاتَ يوم ، فأخذ خالدٌ
شَعْرَهُ فجعله في قِلْدَسُوَةٍ له ، فكان لا يَلْقَى جيشاً وهى عليه إلا هَزَمَهُ . وروى
الحديثَ عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وَحَمَلَ عَنْهُ ، وقال صلى الله عليه وسلم .

وقد رأى خالدا متدلّيا من هرشي^(١) : نعم الرجل خالد بن الوليد . ولما مات خالد ابن الوليد لم تبق امرأة من بنى المغيرة إلا وضعت لمتها على قبره ، يعني خلقت رأسها ووضعت شعرها على قبره . وقال عمر : دعوا نساء بنى المغيرة يبكين أبا سليمان . ويرقن من دموعهن سجلا أو سجالين . ما لم يكن نفع أو لقلقة ، والنفع مد الصوت بالنحيب والقلقة حركة اللسان بالاولولة ونحوها .

وكان خالد بن الوليد أشبه الناس بعمربن الخطاب . رضى الله عنه .

لما أراد معاوية أن يطهر البيعة يزيد قال لأهل الشام : إن أمير المؤمنين قد كبرت سنه ورق جلدُه ودق عظمه واقترب أجله ، ويريد أن يستخلف عليكم ، فمن ترون ؟ قالوا : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فسكت وأضرها ثم دس ابن أثال الطبيب إليه فسقاه سماً فقتله ، وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر بن خالد خبره وهو بمكة . وكان أسوأ الناس رأياً في عمه . لأن أباه المهاجر كان مع علي ، عليه السلام ، في صفين . وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية . وكان خالد ابن المهاجر على رأي أبيه هاشمي المذهب ، ودخل مع بني هاشم الشعب فاضطفن ذلك ابن الزبير عليه ، فالتقى عليه زق حمزة وصب بعضه على رأسه وشنع عليه بأنه وجدّه تملاً من الحر فضربه الحد ، فلما قتل عمه عبد الرحمن مرّ به عروة بن الزبير فقال له : يا خالد أتدع ابن أثال يفي^(٢) أوصال عمك بالشام وأنت بمكة مسيل إزارك تجرّه وتخطر فيه متايلاً !! كفى خالد ودعا مولاة نافعاً فأعلمه الخبر وقال : لا بد من قتل ابن أثال الطبيب ، وكان نافع جلدًا شهماً فخرجا حتى قدما دمشق . وكان ابن أثال يمسي عند معاوية ، فجلس له في مسجد دمشق إلى أسطوانة وجلس غلامه إلى أخرى حتى خرج فقال خالد لنافع : إياك أن تعرض له

(١) هرشي : ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة ترى من البحر (مرصد) .

(٢) في الأصل تقرأ (وقد بين) وهي في الأغاني (يفي) وفي التجريد (يقي) .

أنت فإنى أضربُه ولكن احفظْ ظهري واكفني من ورأى فإن رابك شئ
[تراه] من خلفي يريدنى فشأنك ۝ فلما حاذاه وثب إليه خالد فقتله وثار إليه من كان
معه ، فصاح بهم نافع فتفرقوا ۝ ومضى خالد ونافع وتبعهما من كان معه ، فلما غَشُوها
حملوا عليهم فتفرقوا ۝ ودخل خالد ونافع زُقاقاً ضيقاً فقاتل القوم ۝ فبلغ معاوية الخبرُ
فقال : هذا خالد بن المهاجر اقلبوا الزقاقَ وقتِّشوه ، فأُتِيَ بخالد ، فقال له : لاجزأك
الله خيراً من زائرٍ قتلْتَ طيبي ، قال : قتلْتُ المأمورَ وبقي الأمرُ فقال له : عليك
لعنةُ الله أما والله لو كان تشهد مرةً واحدةً لقتلتك به ، أممك نافع ؟ قال : لا .
قال : بلى . والله ما اجترأت إلا به ۝ اطلبوه ۝ فطلب فوجد فجىء به فُضِرَبَ مائة
سوط ، وحُبِسَ خالدٌ ، وألزمَ بنى مخزوم دية ابنِ أنالٍ ، اثني عشرَ ألفَ درهمٍ ۝
أدخل بيتَ المالِ ستةَ آلافٍ وأخذ لنفسه ستةَ آلاف ۝ ولم يزل ذلك يجري في ديةِ
المُماهد حتى ولى عمرُ بنُ عبد العزيز فأبطل ذلك الذى كان يأخذهُ السلطان لنفسه
وأثبت الذى يدخل بيت المال ومما قال خالد فى الحبس :

ما بالُ ليْلِكَ ليس يُنْ قِصُّ طوْلُه طوْلُ النهارِ
لِقَاصِرِ الأزمانِ أم غَرَضُ^(١) الأسيرِ من الإِسارِ
فبلغت أبياتهُ معاويةَ فرَّقَ له وأطلقه ، فرجع إلى مكة ۝ فلقية عروة بنُ الزبير
فقال : أما ابنُ أنال فقد قتلته ، وهذا ابنُ جُرموز يُفنى أوصالَ الزبيرِ بالبصرةِ
فاقتله إن كنت نائراً ، فشكاه عروة إلى أبي بكرٍ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ،
فأقسم عليه أن يُمسِكَ عنه ففعل . وهو القائل :

يا صاح يا ذا الضامِرِ العنَسِ^(٢) والرحلِ ذى الأنساعِ والِحلسِ

(١) غرض : مل وسم .

(٢) العنَس : الناقة القوية شبهت بالصخرة لصلابتها - والأنساع جمع نسَم وهو سير عريض
طويل تشد به الحفائب أو الرحال ونحوها والحلس : كل ما ولى ظهر الدابة تحت الرحل والقتب والسرَج .

معقل بن عيسى^(١)

معقلُ بنُ عيسى المجلى ، أبو دُلف فارسُ شاعرٌ جوادٌ مُغنٍ ذكره الجاحظُ مع
ذكر أخيه أبي دلف وتقرّبطه في المعرفة بالنعم وقال : إنه من أحسن أهل زمانه ،
وأجود طبقة صنعة إذ سلم له ذلك أخوه معقل . وإنما أخمل ذكره ارتفاع شأن أخيه إلى
أبي دُلف ، وهو القائل لأخيه أبي دلف في عتب عتبه عليه :

أُخَيَّ مَا لَكَ تَرْمِيَنِي فَتَقْصِدْنِي وَإِنْ رَمَيْتَكَ سَهْمًا لَمْ يَجْزُ كِبْدِي
أُخَيَّ مَا لَكَ مَجْبُولًا عَلَى تَرْتِي كَأَنَّ أَجْسَادَنَا لَمْ تَعُدْ مِنْ جَسَدِي

وهو القائل لمخارق وقد كان زار أبا دلف إلى الجبل ثم رجع إلى العراق :
لِعَمْرِي لَئِنْ قَرَّتْ بِقَرَبِكَ أَعْيُنُ لَقَدْ سَخِنْتُ بِالْبَعْدِ عَنْكَ عَيْونُ
فَسِرْ أَوْ أَقِمْ وَقِفْ عَلَيْكَ مَوَدَّتِي مَكَانُكَ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ مَصُونُ
فَمَا أَوْحَشَ الدُّنْيَا إِذَا كُنْتَ نَازِحًا وَمَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا بَحِثُ تَكُونُ

(١) أغاني ١٨ : ١٩٤ . هذه الترجمة ناقصة في الأصل ففيه يياض قدره صفحة ونصف

محمد بن صالح^(١)

هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي
ابن أبي طالب عليهم السلام ، كُنْيَتُهُ أبو عبد الله .

شاعرٌ صالحُ الشعرِ « من شعراء أهل بيته المتقدمين .

وكان جدُّه موسى بن عبد الله أخا محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن
ابن الحسن الخارجي في أيام المنصور .

أمُّهم جميعا هند بنت أبي عبيدة « حَمَلَتْ بِمُوسَى بن عبد الله ولها ستون سنة
ولا تحملُ لستين إلا قرشية ولا تحملُ لخَمْسِينَ إلا عريضة .

وكان موسى آدم شديد الأدمة وله تقول أمه هند :

إِنَّكَ أَنْ تَكُونَ جَوْنًا أَنْزَعَا أَجْدُرُ أَنْ تَضُرَّهُمْ وَتَنْفَعَا

وتسلك العيشَ طريقاً مَهِيماً فَرَدَا من الأصحاب أومتبعاً^(٢)

وكان موسى قد استتر بعد قتل إخوته زماناً ، ثم ظفر به أبو جعفر فضرَّبه
بالسوط وحَبَسَهُ مدَّةً « ثم عفا عنه وأطلقه ، وكان قد خرج على المتوكل مع بيض

في تلك السنة « وظفر به أبو الساج وبجماعة من أهله فأخذهم وقيدهم « وقتل بعضهم ،
وأخرب سُوَيْقَةَ ، وهي منزل للحسنين من جملة صدقات علي عليه السلام وعَقَرَهَا

نَحْلًا كثيرًا « وحرَقَ منازلهم بها « وأثر فيها آثاراً قبيحة « وحمل محمد بن صالح^(٣)
فيها « حل إلى سُرٍّ من رأى ، مُخْبِسَ ثلاث سنين « ثم مدح المتوكل وأنشدته الفتحُ

(١) أغاني أميرى ١٥ « ٨٨ تجريد ق ٢٠ ج ١ : ١٧٧٣

(٢) الأغاني (مشيعا) .

(٣) الأغاني (فيمن) .

قصيدته • بعد أن غنى في شعره • فطرب وسأل عن قائله فعرّفه وتلا ذلك إنشاد الفتح
القصيدة • وأحسن الجماعة رفده • فأمر بإطلاقه • على ألا يبرح من سر من رأى،
وأن يكون عند الفتح حتى يقيم له كفيلا بنفسه أن لا يبرح إلا بإذنه فأقام إلى أن مات
بالجدري والأبيات التي كان قائلها في السجن :

طَرَبَ الْفَوَادُ وَعَاوَدَتْ أَحْزَانُهُ وَتَشَعَّبَتْ شَمْبًا بِهِ أَشْجَانُهُ ^(١)
وبداله من بعدما اندمل الهوى بَرَقَ تَأَلَّقَ مَوْهِنًا لِمَعَانُهُ
يبدو كحاشية الرداء ودونه صَعَبُ الذَّرَى مُتَمَنِّعٌ أَرْكَانُهُ
فَدَنَا لِيَنْظُرَ كَيْفَ لَاحَ فَلَمْ يُطِيقْ نَظْرًا إِلَيْهِ وَصَدَّهُ سَجَانُهُ
فَالنَّارُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ وَالْمَاءُ مَا سَمَحَتْ ^(٢) بِهِ أَجْفَانُهُ
ومنها :

يَا قَلْبُ لَا يَذْهَبُ بِحِلْمِكَ بَاخِلُ بِالنَّيْلِ بِاذِلُ تَافِهٍ مَنَانُهُ
يَعْدُ الْقَضَاءُ وَلَيْسَ يُنْجِزُ وَعْدَهُ وَيَكُونُ قَبْلَ قَضَائِهِ لَيَانُهُ
خَدَلُ الشَّوَى حَسَنُ الْقَوَامِ مُخَصَّرُ عَذَبُ لِمَاءِ طَيِّبٍ أَرْدَانُهُ
وَأَفْنَعُ بِمَا قَسَمَ إِلَهُ فَأَمْرُهُ مَا لَا يَزَالُ عَنِ الْفَتَى إِيْتِيَانُهُ
وَالْبُؤْسُ مَاضٍ لَا يَدُومُ كَمَا مَضَى عَصْرُ النِّعَمِ وَزَالَ عَنْكَ أَوَانُهُ

قال أحمد بن أبي طاهر : كنت مع أبي عبد الله محمد بن صالح في منزل بمصر
إخوانه فأقمت إلى أن انتصف الليل و [أنا] أرى أنه يبيت • فإذا هو قد قام فتمكّد
سيفه • وخرج • فأشفقت عليه من خروجه في ذلك الوقت ، وسألته المقام والمبيت
وأعلمته خوفي عليه • فالتفت إلى مبتسما وقال :

إِذَا مَا اشْتَمَلْتُ السِّيفَ وَاللَّيْلَ لَمْ أَهْلُ بِشَيْءٍ وَلَمْ تَقَرَّعْ فَوَادِي الْقَوَارِعُ

(١) وتفرقت فرقا به أشجانه (تجريد ١٧٧٣) .

(٢) سحت (أغاني) .

قال إبراهيم بن المدبر: حدثني محمد بن صالح ، وقد زارني بعد إطلاقه من السجن ، قال لي : إني أريد المقام اليوم عندك على خلوة . لأبثك من أمري شيئا لا يصلح أن يسمعه غيرك . فقلت : افعل . فصرفت من كان يحضرتي وخلوت معه . وأمرت برد دابته وأخذ ثيابه ، فلما اطمأن ، وأكلنا واضطجعنا ، قال لي : أعلمك أني خرجت في سنة كذا وكذا مع أصحابي على القافلة القلانية فقاتلنا من كان فيها فهزمناهم وملكنا القافلة . فبينما أنا أحوزها وأنيخ الجمل إذ طلعت علينا امرأة من العمارية ما رأيت قط أحسن منها وجهاً ، ولا أحلى نطقاً . فقالت لي : يا فتى إن رأيت أن تدعو لي بالشريف المتوكل أمر هذا الجبش . فقلت : قد رأيته وسمعت كلامك . فقالت : سألتك بالله وبحق رسوله . صلى الله عليه وسلم ، أنت هو ؟ فقلت : نعم ، وحق الله وحق رسوله أني لهو . فقالت : أنا حمدونة بنت عيسى ابن موسى بن أبي خالد الحرري ، ولأبي محل من سلطانه . ولنا نعمة ، إن كنت ممن سمع بها فقد كفأك ما سمعت . وإن كنت ما سمعت بها فاسأل عنها غيري . ووالله لا استأثرت عليك شيئا أملكه ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه علي . وما أسألك إلا أن تصونني وتسترني . وهذه ألف دينار ممي لنفقتي نخذها حلالا . وهذا خل على من خمسمائة دينار نخذة ، وصممتي ما شئت بimde آخذة لك من تجار المدينة ومكة ومن أهل الموسم ، فليس منهم أحد يمنعي شيئا أطلبه ؛ وادفع عني واخمني من أصحابك ومن عاري يلحقني . فوقع قولها في قلبي موقعا عظيما . فقلت : قد وهب الله لك مالك وخليك وجهك ووهب لك القافلة جميع ما فيها . ثم خرجت فناديت أصحابي فاجتمعوا فأعلمتهم أني قد أجرت القافلة وأهلها وخفرتها وحميتها . ولها ذمة الله . وذمة رسوله ، وذمتي . ومن أخذ منها خيطا أو عقلا فقد آذنته بحرب ، فانصرفت وانصرفوا معي ، وتوجهت القافلة آمنة سالمة . فلما أخذت وحسبت بينا أنا ذات يوم في محبسي إذ دخل علي السجان فقال لي : بالباب امرأتان ترعان

أنهما من أهْلِكَ ، وقد حُظِرَ عَلَى أَنْ يَدْخُلَ إِلَيْكَ أَحَدٌ إِلَّا أَنَّهُمَا قَدْ أُعْطِيتَانِ دُمْلُجًا
 مِنْ ذَهَبٍ عَلَى أَنْ أُوسِّلَهُمَا إِلَيْكَ ، وَقَدْ أُذِنَتْ لَهَا وَهَاهُنَا الدَّهْلِيزُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا
 إِنْ شِئْتَ ، فَسَكَرْتُ فِي أَمْرِي وَفِيمَنْ يَجِئُنِي مِنْ هَذَا الْبَلَدِ ، وَأَنَا بِهِ غَرِيبٌ لَا أَعْرِفُ
 أَحَدًا ، ثُمَّ قُلْتُ : لَمْلَهُمَا مِنْ وَلَدِ أَبِي أَوْ بَعْضِ نِسَاءِ أَهْلِي نَخْرُجْتُ إِلَيْهِمَا فَإِذَا بِصَاحِبَتِي ،
 فَلَمَّا رَأَيْتُنِي بَسَكَتْ لَمَّا رَأَتْهُ مِنْ تَغْيِيرِ حَالِي وَثِقَلِ حَدِيدِي فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهَا الْآخَرَى فَقَالَتْ :
 أَمْ هُوَ ؟ فَقَالَتْ : أَيْ وَاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيَّ فَقَالَتْ : فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، وَاللَّهِ
 لَوْ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَقِفَكَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ بِنَفْسِي وَمَالِي وَأَهْلِي لَفَعَلْتُ ، وَكُنْتُ بِذَلِكَ مِنْ
 حَقِيقَةٍ ، وَاللَّهِ لَا تَرَكْتُ الْمَعَاوَنَةَ لَكَ وَالسَّعْيَ فِي حَوَائِجِكَ وَخِلَاصِكَ بِكُلِّ حِيلَةٍ وَمَالٍ
 وَشَفَاعَةٍ ، وَهَذِهِ دَنَانِيرٌ وَطِيبٌ وَثِيَابٌ فَاسْتَعْمِنْ بِهَا عَلَى مَوْضِعِكَ ، وَرَسُولِي يَأْتِيكَ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ بِمَا يُصْلِحُكَ حَتَّى يَفْرَجَ اللَّهُ عَنْكَ ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ إِلَى كِسْوَةٍ وَطِيئًا
 وَمَائَتِي دِينَارٍ ، وَكَانَ رَسُولُهَا يَأْتِينِي فِي كُلِّ يَوْمٍ بِطَعَامٍ نَظِيفٍ وَيُوَاصِلُ بَرَّهَا لِلْسَّجَانِ
 فَلَا يَمْتَنِعُ مِنْ كُلِّ مَا أُرِيدُهُ حَتَّى مَنَّ اللَّهُ بِخِلَاصِي ، ثُمَّ رَاسَلَتْهَا وَخَطَبَتْهَا فَقَالَتْ :
 أَمَّا مِنْ جِهَتِي فَأَنَا لَكَ مَطَاوَعَةٌ مُتَابِعَةٌ ، وَالْأَمْرُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَبِي فَأَتَيْتُهُ نَخَطَبْتُهَا إِلَيْهِ
 فَرَدَّنِي وَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأَحَقِّقَ عَلَيْهَا مَا قَدْ شَاعَ فِي النَّاسِ عَنْكَ مِنْ أَمْرِهَا
 وَقَدْ صَيَّرَتْهَا فَضِيحَةً . فَقَمْتُ مُنْكَسًّا مُسْتَحْيِيًا وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ :

رَمَوْنِي وَإِيَّاهَا بِشَنْعَاءِ هُمْ بِهَا أَحَقُّ أَدَالَ اللَّهُ مِنْهُمْ فَمَجَّلا
 بِأَمْرِ تَرَكْنَاهُ وَحَقُّ مُحَمَّدٍ عَيَانًا فَإِمَّا عِفَّةٌ أَوْ تَجْمَلَا

فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ عَيْسَى صَنِيعَةُ أَخِي ، وَهُوَ لِي مُطِيعٌ ، وَأَنَا أَكْفِيكَ أَمْرًا .
 فَلَمَّا كَانَ مِنْ غَدٍ لَقِيتُ عَيْسَى فِي مَنْزِلِهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : قَدْ جِئْتُكَ فِي حَاجَةٍ ، فَقَالَ :
 مَقْضِيَّةٌ ، وَلَوْ كُنْتُ اسْتَعْمَلْتُ مَا أَحْبَبْتُ لَأَمَرْتُنِي فَجِئْتُكَ ، وَكَانَ أَسْرًا إِلَيَّ ، فَقُلْتُ :
 قَدْ جِئْتُكَ خَاطِبًا إِلَيْكَ ابْنَتُكَ ، فَقَالَ : هِيَ لَكَ أُمَةٌ ، وَأَنَا لَكَ عَبْدٌ ، وَقَدْ أَجَبْتُكَ .
 فَقُلْتُ : إِنِّي خَطَبْتُهَا عَلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبَا وَأُمًّا وَأَشْرَفُ لَكَ صَهْرًا وَمُتَصَلًّا .

محمد بن صالح العلوى ، فقال : يا سيدى هذا رجلٌ قد لحقنا بسببه ظنةٌ وقيلتُ فيها أقوالٌ ۖ فقلتُ : أو ليستُ باطلةً . فقال : بلى والحمد لله ، قلتُ : فكأنها لم تُقلْ ومتى وقع النكاحُ زال كلُّ شئٍ من قولٍ وتشنيعٍ ، ولم أزل أرفُقُ به حتى أجاب ۖ وبعثتُ إلى محمد بن صالح فأحضرته ۖ وما برحتُ حتى زوجته وسقتُ الصداقُ عنه . وقال محمد بن صالح فى ذلك :

خطبتُ إلى عيسى بن موسى فردّني	فلاهُ والى حرّةٍ وعليهها
لقد ردّني عيسى ويعلمُ أنى	سليلاً بناتِ المصطفى وعريقها
وأنّ لنا بعد الولادة نعمةً	نبيُّ الإله صنوها وشقيقها
فلما أبى بخلا بها ونمّما	وصيرنى ذا خلةٍ لا أطيّقها
تداركنى المرء الذى لم يزل به	من المكرماتِ رحبها وطميقها
سميُّ خليل الله وابن وليّه	وحمالُ أعباء الورى وطريقها
وزوجها والنّ عندى لغيره	فياييمة وفقنى الرّيح سوقها
ويا نعمةً لابن المدبّر عندنا	يجدّ على كَرِّ الزمانِ أنيقها
ولما حملتُ حمدونةُ إليه شُفّفَ بها وكانت امرأةً جميلةً عاقلةً ومما قال فيها :	
لعمرُ حمدونةُ إنّى بها	لمغرُ القلبِ طويلُ السقام
مجاوِزُ للقدرِ فى حبها	مباينٌ فيها لأهلِ اللام
ممكورة ^(١) الساقِ رُدَيْنِيَّةُ	مع الشوى الخذل وحسن القوام
زينّها الله وما شأنها	وأعطيتُ مُنيّتها من تمام
تلك التى لولا غرامى بها	كنتُ بسامراً قليلَ المقام

(١) ممكورة الساق: مستديرته - وردنية : أى كالردين ، مستوية القامة كالقنات - والشوى الأطراف والخلد : الممتلئ .

ومما قاله في إبراهيم بن المدبر وكانت بينهما صداقة .

أَتَجْبِرُ عَنْهُمْ الدَّمَنُ الدُّنُورُ وَقَدْ يُنْذِي إِذَا سُئِلَ الْخَبِيرُ
وَكَيْفَ تُبَيِّنُ الْأَنْبَاءَ دَارُ تَعَاقِبُهَا الْجَنَائِبُ ^(١) وَالدُّبُورُ

من مدحها :

فَهَلَّا فِي الذِّى أَوْلَاكَ عِرْفَاً تَسْدَى مِنْ مَقَالِكَ مَا تَسِيرُ
ثَنَاءً غَيْرُ مُخْتَلِقٍ وَمَدْحًا مَعَ الرِّكْبَانِ بِنَجْدٍ أَوْ يَنْفُورُ
أَخْ وَاسَاكَ فِي كَلْبِ اللَّيَالِي وَقَدْ خَذَلَ الْأَقَارِبُ وَالنَّصِيرُ
حِفَظًا حِينَ اسْلَمَكَ الْمَوَالِي وَضَنَّ بِنَفْسِهِ الرَّجُلُ الصَّبُورُ
فَإِنْ تَشْكُرُ فَقَدْ أَوْلَى جَمِيلًا وَإِنْ تَكْفُرُ فَإِنَّكَ لِلْكَفُورُ
وَمَا فِي آلِ خَافَانَ أَعْتَصَامُ إِذَا مَا عُمَمَ الْخَطْبُ الْكَبِيرُ
لِثَامُ النَّاسِ إِثْرَاءً وَقَفَرًا وَأَعْجَزُهُمْ إِذَا حَمَى الْفَقِيرُ

السبب في ذكره أهل خافان ها هنا أن عبد الله بن يحيى قصده وتحامل عليه ،
وكان يقوى ما يكره ويؤكد ما يوجب حبسه وكان فيه وفي ولده نصب شديد .
وكان محمد بن صالح لا يكاد يفارق سميد بن حميد ، وكانا يتقارضان الأشعار ،
وكان محمد بن صالح يحتهد في أن يؤذن له في الرجوع إلى الحجاز فلا يجاب إلى
ذلك ، ومات بسر من رأى فقال سميد بن حميد يرثيه بهذه الأبيات :

بَأَى يَدٍ أَسْطَوِ عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَ مَا أَبَانَ يَدِي عَضْبُ الدُّبَابَيْنِ قَاضٍ
وَهَاضَ جَنَاحِي حَادِثٌ جَلَّ خَطْبُهُ وَسُدَّتْ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ الْمَذَاهِبُ
وَمِنْ عَادَةِ الْأَيَّامِ أَنْ صُرُوفَهَا إِذَا سَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ سَاءَ جَانِبُ
لِعَمْرِي لَقَدْ غَالَ التَّجَلَّدَ أَنَا فَقَدْ نَاكَ فَقَدْ الْغَيْثُ وَالْعَامُ جَادِبُ

(١) الجنائب : جمع جنوب وهى الريح التى تهب من الجنوب - وفى رواية الشمال والدبور
ريح تهب من الغرب .

فما أعرفُ الأيامَ إلا ذميمةً
ومالى من الإخوانِ إلا مكاشرةً
فقدتُ خليلًا كان للأرضِ زينةً
لعمري لئن كان الردى بك فاتني
لقد أخذتُ مني النوائبُ حكمها
ولا ترَ كَتَبَنِي أَرَهَبُ الدهرَ بعده
سقى جدًّا أَمْسَى الكَرِيمُ ابنُ صالحٍ
إذا بشرَ الروادَ بالغَيْثِ بَرَقَهُ
فغادرَ باقى الدهرِ تأثيرَ صَوْبِهِ

ومما مدح به المتوكل :

أَلِفَ التَّقَى وَوَفَى بِنَذْرِ النَّاذِرِ
ولقد تهيجُ له الديارُ صَبَابَةً
فراى الهدايةَ أن أنابَ وأنه
يا ابن الخلائفِ والذين بهدِ بهم
وابن الذين حووا تراثَ محمدٍ
نطقَ الكتابُ لكم بذلك مُصَدِّقًا
ووصلت أسبابُ الخلافةِ بالهدى
أحيت سنةً من مَضَى فتجددتُ
فافخرَ بنفسِك أو بمجدك مُعَلِّقًا
ماللِمَكَارِمِ غيركم من أوَّلِ

وَأَبَى الْوُقُوفَ عَلَى الْمَحَلِّ الدَّائِرِ
حينما وتكلفُ بالخلِيطِ السَّائِرِ
قَصَرَ المدحُ على الإمامِ العائِرِ
ظهرَ الوفاءُ وبان غدرُ الغادرِ
دون الأَقَارِبِ بالنصيبِ الوافرِ
ومضت به سُنَنُ النَّبِيِّ الطَّاهِرِ
إذ نَلِمَتَهَا وَأَنَمَتَ عَيْنَ السَّاهِرِ
وَأَمَّتْ سَنَةً ذِي الضَّلَالِ الْخَاسِرِ
أودعَ فقد جاوزتَ فخرَ الفَاخِرِ
بعدَ النَّبِيِّ ومالها من آخِرِ

إني دعوتك فاستجبت لدعوتي
وانتشتني^(١) من قعر موريد الردى
وفككت أسرى والبلاء مؤكلاً
وعظفت بالرحم التي ترجو بها
وأنا أعوذ بفضل حلمك^(٢) أن أرى
أو أن أضيّع بعد ما أنقذتني
ولقد مننت فكنت غير مكدر

والموت مني قيد شبر الشابر
مناً ولم تسمع مقالة زاجر
وجبرت كسراً ما له من جابر
قرب المحل من المليك القادر
عرضاً ببابك للملم الفافر
من ريب مهلكة وجيد عائر
ولقد نهضت بنا نهوض الشاكر

(١) انتاشه انتياشة : أخرجه . انتاشني فلان من التهاكة : أهدنى .

(٢) عفوك (أغاني ١٥ / ٩٤ .

محمد أبو الشيص (١)

محمدُ بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل . وقيل ابن نهيش بن خراش
ابن خالد بن عبد بن دُعبل بن أنس بن خزيمة بن سلامان بن أسلم بن أقصى بن حارثة
ابن عمرو مزيقياء ، وأبو الشيص لقبٌ غلبَ عليه ، وكنيته أبو جعفر ، وهم عمُّ دُعبل
ابن علي بن رزين ، وأبو الشيص من شعراء عصره ، متوسطُ الحُلِّ فيهم ، غيرُ نبيه
الذكر لوقوعه في أيام مُسلم بن الوليد وأشجع وأبي نواس . فحُمِّلَ . وانقطع
إلى عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعي . وكان أميرًا بالرقّة فدحه بأكثر شعره
فأغناه عن غيره ، ولأبي الشيص ابن يقال له عبدُ الله شاعرٌ أيضا صالحُ الشعر .
وكان مُنقطعا إلى محمد بن طالب . وعمي أبو الشيص في آخر عمره . ورثنا عينيّه قبل
ذهابهما وبعد ذهابهما .

حكى عبدُ الله بن المُعتمر أن أبا خالد العامري قال له : من أخبرَكَ أن في الدنيا
أشمرَ من أبي الشيص فكذبهُ ، فوالله لكان الشعرُ عليه أهونَ من شُرْبِ الماءِ
على العسّطان ، وكان من أوصفِ الناسِ للشرابِ وأمدحهم للملوك . وهذا إسرافٌ
شديدٌ ، ولكن ليس هو بساقطٍ في شعره ، ولما أنشدَ عقبة بن جعفر قصيدته التي
مدحَ بها أمرَ بأن تُعدَّ وأعطاه السكّل بيت ألفَ درهم وأولها :

لا تُنكرِي صدّي ولا إغراضِي ليس المُقِلُّ عن الزمانِ براضِ

قال محمدُ بن القاسم بن مهرويه : أنشدتُ إبراهيم بن المدبر أبيات أبي يعقوب
الخريمي التي يرثي بها عينيّه يقول فيها :

إذا ما ماتَ بعضُك فابكِ بعضا فإنَّ البعضَ من بعضِ قريبِ

فَأَنشَدَنِي لِأَبِي الشَّيْصِ يَرْتِي عَيْنِيهِ :

يَا نَفْسُ بَكَى بِأَدْمُعٍ هُتْنٍ وَوَكَفٍ كَالْجَمَانِ فِي سَنَنِ
عَلَى دَرِيلِي وَفَائِدِي وَبِدِي وَنُورِ وَجْهِ وَسَائِسِ الْبَدَنِ
أُبْكِي عَلَيْهَا بِهَا مَخَافَةً أَنْ يَقْرَنِي وَالظَّلَامَ فِي قَرْنِ

قَالَ دَعْبَلُ : لَقِيَتِ امْرَأَةٌ أَبَا الشَّيْصِ فَقَالَتْ : لَهُ يَا أَبَا الشَّيْصِ عَمِيَّتٌ !! فَقَالَ :
قَبْحَكَ اللَّهُ دَعَوْتَنِي بِاللَّقَبِ وَعَيَّرْتَنِي بِالضَّرَرِ .

اجْتَمَعَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ وَأَبُو نَوَاسٍ وَأَبُو الشَّيْصِ وَدَعْبَلُ فِي مَجْلَسٍ ، فَقَالُوا :
لِيُنْشِدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَحْوَدًا مَا قَالَهُ مِنَ الشَّعْرِ ، فَاَنْدَفَعَ رَجُلٌ كَانَ مَعَهُمْ فَقَالَ :
اسْمَعُوا مِنِّي أَخِيرُكُمْ بِمَا يَنْشُدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ قَبْلَ أَنْ تَنْشُدُوا ، فَقَالُوا : هَاتِ ، فَقَالَ
لِمُسْلِمٍ : كَأَنِّي بِكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ قَدْ أَنْشَدْتَ :

إِذَا مَا عَلَتْ مِنَّا ذُؤَابَةُ وَاحِدٍ وَإِنْ كَانَ ذَا حِلْمٍ دَعَتْهُ إِلَى الْجَهْلِ
هَلِ الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَرُوحَ مَعَ الصَّبَا وَتَغْدُو صَرِيحَ السَّكَاسِ وَالْأَعْيُنِ الْفُجْجَلِ
وَبِهَذَا الْبَيْتِ لُقِّبَ صَرِيحُ الْغَوَازِي لُقْبَهُ بِهِ الرَّشِيدُ ، فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ : صَدَقْتَ ثُمَّ أَقْبَلَ
عَلَى أَبِي نَوَاسٍ فَقَالَ لَهُ : كَأَنِّي بِكَ يَا أَبَا عَلِيٍّ قَدْ أَنْشَدْتَ :

لَا تَبْكِي لَيْلِي وَلَا تَطْرَبِي إِلَى هِنْدٍ وَاشْرَبِي عَلَى الْوَرْدِ مِنْ حَمْرَاءِ كَالْوَرْدِ
تَسْقِيكَ مِنْ عَيْنِهَا خَمْرًا وَمِنْ بَدِّهَا خَمْرًا فَا لَكَ مِنْ سُكَّرَيْنِ مِنْ بُدٍّ
[لِي سَكَّرَتَانِ وَلِلنَّدَامَانِ وَاحِدَةٌ ^(١)] شَيْءٌ [خَصَصْتُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَخَدِي

فَقَالَ لَهُ : صَدَقْتَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَبِي الشَّيْصِ فَقَالَ : وَأَنْتِ يَا أَبَا جَعْفَرٍ كَأَنِّي بِكَ
قَدْ أَنْشَدْتَ :

لَا تَنْكَرِي صَدْدِي وَلَا إِعْرَاضِي لَيْسَ الْمَقِيلَ عَنِ الزَّمَانِ بَرَاضِي

(١) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ غَيْرُ وَاضِحٍ بِالْأَصْلِ وَمَا أُتْبِئْتَاهُ عَنْ دِيوَانَ أَبِي نَوَاسٍ .

فقال : لا ! ما هذا أردت أن أنشد ، ولا هذا بأجود شئ قلت . قالوا : فأنشدنا

ما بدا لك فأنشد :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيدة حبا لذكرك فليكني اللوم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذ كان حظي منك حظي منهم
وأهنتني فأهنت نفسي جاهدا^(١) ما من يهون عليك ممن يكرم

فقال له أبو نواس : أحسنت والله وجودت ، وحياتك لأمرقن هذا المعنى منك

لأن غلبتك عليه . فيشهر ما أقول ، ويموت ما تقول ، فسر قولك :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
فقال في الخصب :

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير

فسار بيت أبي نواس وسقط بيت أبي الشيص .

وقيل : إن أبا نواس قال لأبي الشيص ، وقد اجتمعوا : أنشدني قصيدتك

الضادية الخزية فما خطر على بالي قط قولك :

* ليس المقل عن الزمان براص *

إلا استحسنته وأخزيتك ، فإن الأعشى كان إذا قال قصيدة عرضها على بنته :

وقد كان ثقف ابنته وعلمها ما بلغت به استحقاق التحكيم والاختيار لجيد الكلام ،

ثم يقول لها : عدّي الخزيات فتمدّ قوله :

أغرّ أروع يستسقى الغمام به لو قارع الناس عن أحسابهم قرعا

وما أشبهها من شعره ، فقال أبو الشيص : لا أنشدك الضادية فإنها ليست

عندي عقد در مفصل ولكني أكأثر بغيرها ثم أنشد :

■ وقف الهوى بي حيث أنت *

الآيات فقال له أبو نواس : قد أردتُ صَرْفَكَ عنها فأبيتُ أَنْ تَحْجَلَ عَنْ سَلْبِكَ
أَوْ تُدْرِكَ فِي هَرَبِكَ قَالَ : بَلْ أَقُولُ فِي طَلَبِي ، وَكَيْفَ رَأَيْتَ هَذَا الطَّرَازَ فَقُلْتَ :
أَرَى نَمَطًا خُسْرًا وَإِنِّيًّا وَمَذْهَبًا حَسَنًا فَكَيْفَ تَرَكْتَ [قَوْلُهُ] :

فِي رِداءٍ مِنَ الصَّفِيحِ صَقِيلٍ وَقَمِيصٍ مِنَ الْحَدِيدِ مُذَالٍ
قَالَ : تَرَكْتَهُ كَمَا تَرَكْتَ مَخْزَارَ الدَّرَّاتَيْنِ إِحْدَاهُمَا بِمَا سَبَقَ فِي خَاطِرِهِ وَزَيْنَ فِي نَظَرِهِ :
قِيلَ لِأَبِي نَوَاسٍ : مِنْ أَسْعَرَ طَبِيقَاتِ الْمُحَدِّثِينَ ؟ فَقَالَ : الَّذِي يَقُولُ :
يَطُوفُ عَلَيْنَا بِهَا أَحْوَرُ يَدَاهُ مِنَ الْكَأْسِ مَغْضُوبَتَانِ
وَالشَّعْرُ لِأَبِي الشَّيْصِ .

كَانَتْ لِأَبِي الشَّيْصِ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ اسْمُهَا تَبْرُ ■ وَكَانَ يَعْسُقُهَا وَفِيهَا يَقُولُ :
لَمْ تُنْصِفِي يَا سَمِيَّةَ الذَّهَبِ تَتَلَفُ رُوحِي وَأَنْتِ فِي لَمَبٍ
يَا بِنْتَ عَمِّ الْمَسْكِ الذَّكِيِّ وَمَنْ لَوْلَاكَ لَمْ يُتَّخَذْ وَلَمْ يَطْبِ
نَاسَبَكَ الْمَسْكُ فِي السَّوَادِ وَفِي الرَّحْرِ فَأَكْرِمْ بِذَاكَ مِنْ نَسَبِ

كَانَ أَبُو الشَّيْصِ عِنْدَ عُقْبَةَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْأَشْعَثِ الْخَزَاعِي يَشْرَبُ ، فَلَمَّا تَمَلَّ
نَامَ عِنْدَهُ ، ثُمَّ انْتَبَهَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ فَذَهَبَ يَدْبُ إِلَى خَادِمٍ لَهُ فَوَجَّاهُ بِسَكِينٍ ■ فَقَالَ لَهُ :
وَيَحْكُ قَتَلْتَنِي وَاللَّهِ ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَفْتَضِّحَ أَنَّي قَتَلْتُ فِي مِثْلِ هَذَا وَلَا تُفْتَضِّحْ
أَنْتِ أَيْضًا بِي ■ وَلَكِنْ خُذْ دَسْتِجَةً ^(١) فَأَكْسِرْهَا وَلَوْ أَنَّهَا بِدِي وَاجْمَلْ زُجَاجَهَا
فِي الْجُرْحِ ■ فَإِذَا سُئِلْتَ عَنْ خَبْرِي فَقُلْ ^(٢) : إِنِّي سَقَطْتُ فِي سُكْرِي عَلَى الدَّسْتِجَةِ
فَانْكَسَرَتْ ■ فَقَتَلْتَنِي .

(١) الدستجة : الإناء الكبير من الزجاج .

(٢) في الأصل : فقلت .

ومات أبو الشيمص في ساعته . وفعل الخادم ما أوصاه به . ودفن أبو الشيمص وجزع عقبه عليه جَزَعًا شديدًا . فلما كان بعد أيامٍ سَكَرَ الخادمُ فصدقَ عُقْبَةُ عن خبره . وأنه هو قَتَلَهُ فلم يُلَيْسْهُ أَنْ قامَ إليه بِسَيْفِهِ فضربه حتى مات .

دخل أبو الشيمص على أبي دَلْفٍ ، وهو يلعبُ خادماً له بالشَّطْرَنْجِ فقال له :
يا أبا الشيمص سَلْ هذا الخادمَ أَنْ يَحْمِلَ أَزْرارَ قميصِهِ . فقال : الأميرُ أَعَزُّهُ اللهُ
أحقُّ بِمَسْأَلَتِهِ فقال : قد سَأَلْتُهُ فزعم أنه يخافُ العَيْنَ على صدرِهِ . فقل فيه شيئاً
فقال :

وشادِنِ كالبَدْرِ يَجْلُو الدجى في الفرق منه المِسْكُ مَذْرُورُ
يحاذِرُ العينَ على صدرِهِ فالجيبُ منه الدَّهْرُ مَزْرُورُ
فقال أبو دلف : وحياتي أحسنت وأمر له بخمسة آلاف درهم . فقال له الخادم :
يا سيدي قد أحسن والله كما قُلْتَ ولكنك أَنْتَ ما أَحْسَنْتَ ، فضحك وأمر له
بخمسة آلاف درهم أخرى .

المقنع الكندي^(١)

هو محمد بن ظفر بن عمير بن أبي شمر بن فرعان بن قيس بن الأسود بن عبد الله ابن الحارث الوَلَّادَةُ ، سُمِّيَ بذلك لكثرة وَلَدِهِ ، ابن عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مريع بن معاوية بن كِنْدَةَ بن عُفَيْر بن عَدِي بن الحارث بن مُرَّة بن أَدَد بن زَيْد بن يَشْجَب بن عريب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ ابن يشجب ابن يَعْرُب بن قَحْطَان ، والمُقَنَّع لقبٌ غلب عليه لأنه كان أجمل الناس وجهاً وأمدِّهم قامَةً وأَكْمَلَهُمْ خَلْقًا . وكان إذا أسفر اللثامَ عن وَجْهِهِ لَقَعَ أَى : أصابته العين ، فيَمَرَّضُ فكان لا يَمشي إلا مُقَنَّعًا . وهو شاعر مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأموية . وكان له شرفٌ ومحلٌّ كبيرٌ ومروءةٌ وسؤددٌ في عَشِيرَتِهِ . وكان عَمِيرٌ جَدُّهُ سَيِّدَ كِنْدَةَ ، وكان عَمَّهُ عمرو بن أبي شمر يَنازِعُ أباه الرِّياسَةَ ويسأِجِلُهُ فيها ، فيَقْصُرُ عنه . ونشأَ مُحَمَّدُ المُقَنَّعُ وكان متخَرِّقًا في عطاياهِ ، سَمَحَ اليَدِ بِمالِهِ . لا يَرُدُّ سائِلًا عن شيء حتى أَتَلَفَ ما خَلَفَهُ له أبوه من مال . فاستعلاه بنو عَمِّهِ عمرو بن أبي شمر بأموالِهِم وجاهِهِم ، وهَوَى بِنْتَ عَمِّهِ عمرو فخطبها إلى إخوانِها . فردوه وعَيَّرُوهُ بِتَخَرُّقِهِ وفَقْرِهِ وما عليه من الدَّيْنِ فقال :

وإن الذي بيني وبين بني أبي	وبين بني عَمِّي لَمُتَلَفٌ جَدًّا
فما أحملُ الحَقْدَ القديمَ عليهمُ	وليس رئيسُ القومِ من يَحْمِلُ الحَقْدَا
وليسوا إلى نَصْرِي سِراعًا وإن هُم	دَعَوْنِي إلى نَصْرٍ أَتَيْتُهُم شَدًّا
إذا أَكَلُوا الحِمِيَّ وَفَرَّتْ أُحْومُهُمُ	وإن هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُم مَجْدًا
يعاينُنِي في السِّدِّينِ قَوْمِي وإِنما	ديونِي في أَشْيَاءٍ تُكْسِبُهُم رُشْدًا

كان عبدُ الملكِ بنُ مروانَ أولَ خليفةٍ ظهرَ منه البُخلُ فقال يوماً : أَيْ الشعراءُ
أشعرُ ؟ فقال له كثيرُ بنُ هراسة ؟ يُعرِّضُ ببخله : أشعرُهم المَنعُ الكِنْدِيُّ حيث
يقول :

إني أُحَرِّضُ أَهْلَ البُخْلِ كَالِهَمِ	لو كان ينفعُ أَهْلَ البُخْلِ تَحْرِيسِي
مَا قَلَّ مَالِي إِلَّا زَادَنِي كَرَمًا	حَتَّى يَكُونَ بَرْزَقِ اللَّهِ تَعْوِيسِي
وَالْمَالُ يَرْفَعُ مِنْ لَوْلَا دَرَاهِمُهُ	أَمْسَى يُقَلِّبُ فِينَا طَرَفَ تَخْفُوضِ
لَنْ تَخْرُجَ الْبَيْضُ عَفْوَاً مَنْ أَكْفَهُمْ	إِلَّا عَلَى وَجَلٍ مِنْهُمْ وَتَمْرِيسِ
كَأَنَّهَا مِنْ جُلُودِ الْبَاخِلِينَ بِهَا	عِنْدَ النَوَائِبِ تُحَدِّى بِالْمَقَارِيسِ

فقال عبد الملك : وقد عرف ما أراد : الله عزَّ وجلَّ أصدق حيث قال : والذين
إذا أنفقوا لم يُسْرِفُوا ولم يَقْتُرُوا .

مالك بن أسماء^(١)

هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، ولاه الحجاجُ أصبهانَ بعد أن تزوجَ أختهَ هندا وحبسه في خيانةٍ ظهرت عليه ثم خلاه بعد ذلك وطالت أيامه بأصبهان فظهرتُ عليه خيانةٌ أخرى [حبسه] ^(٢) وناله بكل مكروه .

اختلف الحجاجُ وهندُ بنتُ أسماء في حديث ، فبعث إلى مالك بن أسماء من السجن فسأله عن الحديث فحدثته ، ثم أقبل على هندٍ فقال : قومي لأخيك . فقالت : لا أقوم إليه وأنت ساخط عليه ، فأقبل الحجاجُ عليه فقال : إنك والله ما علمتُ للخائنُ أمانته اللئيمُ حسبه ، الزاني فرجه . فقال : إن أذن الأمير تكلمتُ . قال : قل . قال : أما قولك الزاني فرجه فوالله لأنا عند الله أحقر ، وفي عين الأمير أصغر من أن يجبَ على الله حد فلا يُقيمه ، وأما قولك : اللئيمُ حسبه ، فوالله لو علمَ الأمير مكانَ رجلٍ أشرفَ مني لصاهره . وأما قوله الخائن فوالله لقد ولّاني الأميرُ فوفرتُ فأخذني بما أخذني فبعثتُ ما كان وراء ظهري . ولو ملكتُ الدنيا بأسرها لافتديتُ بها من مثل هذا الكلام ، قال : فنهض الحجاج وقال : شأنك يا هندُ بأخيك . قال مالك : فوثبت هندُ إلى فأكتب عليّ ودعتُ بالجوارى فتزعزعتُ عني حديدى . وأمرتُ بي إلى الحمام ، وكستني وانصرفتُ فلبثتُ أياماً ، ثم دخلتُ على الحجاج . وبين يديه عهود ، وفيها عهدى على أصبهان . فقال : خذ هذا وامضِ إلى عمك فأخذه ونهضت . وعزله بعد ذلك . وبلغ به ما بلغ من الشرِّ ، وضيق عليه

(١) أغاني أميري ١٦ : ٤١ .

(٢) فحبسه غير موجودة بالأصل وبها ينسق الكلام (أغاني ١٦/٤١) .

في الحبس حتى كان يشاب له الماء الذي يشربه بالرماد والملح ، فاشتاق الحجاج إلى حديثه يوما . فأرسل إليه فأحضره ، فبينما هو يُحَدِّثُهُ إِذِ اسْتَسْقَى ماءً فَأُتِيَ بِهِ . فلما نظر إليه قال : لا . هاتِ ماءَ السجنِ فَأُتِيَ بِهِ وَقَدْ خُلِطَ بِالْمَلْحِ وَالرَّمَادِ ، فسقيه ، وهربَ من السجنِ ولم يزلْ متواريا حتى مات الحجاج . وكتب إليه بعضُ أهله أن يَمْضِيَ إِلَى الشَّامِ وَيَسْتَجِيرَ بِبَعْضِ بَنِي أُمَيَّةٍ حَتَّى يَأْمَنَ ثُمَّ يَعُودَ إِلَى مِصْرِهِ كَمَا فَعَلَ خَالِدُ بْنُ عَتَّابِ الرِّيَّاحِيِّ . استَجَارَ بَزْفَرِ بْنِ الْحَارِثِ الْكَلَابِيِّ فَأَجَارَهُ . فَرَاغَهُ وَرَاجَعَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ فِي أَمْرِهِ ثُمَّ أَجَارَهُ فَكَتَبَ مَالِكُ إِلَى أَبِيهِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى الْحَجَّاجِ وَيَسْأَلَهُ فِي أَمْرِهِ فَقَالَ أَسْمَاءُ فِي ذَلِكَ :

أَبْنَى فَرَارَةَ لَا تُعْنُوا شَيْخَكُمْ	مَا لِي وَمَا لِرِبَارَةِ الْحَجَّاجِ
شَبَّهْتُهُ شَبْلًا غَدَاةَ لَقَيْتِهِ	يُلْقِي الرُّوسَ شَوَاحِبَ الْأَوْدَاجِ
تَجْرَى الدَّمَاءُ عَلَى النُّطُوعِ كَأَنَّهَا	رَاحُ شَمُولٍ غَيْرُ ذَاتِ مِزَاجِ
لَا تَطْلُبُوا حَاجَاً إِلَيْهِ فَإِنَّهُ	بُسُّ الْمُؤْمَلِ فِي طِلَابِ الْحَاجِ
يَا لَيْتَ هُنْدًا أَصْبَحَتْ مَرْمُوسَةً	أَوْ لَيْتَهَا حُبِسَتْ عَنِ الْأَزْوَاجِ

وأما خبرُ خَالِدِ بْنِ عَتَّابِ الرِّيَّاحِيِّ فَإِنَّ الْحَجَّاجَ كَانَ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى الرَّيِّ . وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمٌّ وَلَدٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ يُلَخِّنُ أُمَّهُ وَيَقُولُ : يَا ابْنَ الْأَخْنَاءِ ، أَنْتَ الَّذِي هَرَبْتَ عَنْ أَبِيكَ حَتَّى قُتِلَ . وَقَدْ كَانَ خَالِدٌ حَلَفَ إِلَّا يَسُبُّ أَحَدُ أُمِّهِ إِلَّا أَجَابَهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ خَالِدٌ : كَتَبْتَ إِلَيَّ تَلَخَّنِي وَتَزَعَّمُ أَنِّي فَرَرْتُ عَنْ أَبِي حَتَّى قُتِلَ . وَلَعَمْرِي فَرَرْتُ عَنْهُ وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ قُتِلَ ، وَلَمْ أَجِدْ لَهُ قَاتِلًا ، وَلَكِنْ أَخْبَرَنِي عَنْكَ يَا ابْنَ الْأَخْنَاءِ الْمُسْتَفْرَمَةِ بِعَجْمِ زَيْبِ الطَّائِفِ حِينَ فَرَرْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ يَوْمَ الْحَرَّةِ عَلَى جَمَلٍ . أَيْكَا كَانَ أَمَامَ صَاحِبِهِ ؟ فَقَرَأَ الْحَجَّاجُ الْكِتَابَ ثُمَّ قَالَ : صَدَقَ أَنَا الَّذِي فَرَرْتُ يَوْمَ الْحَرَّةِ . ثُمَّ تَنَبَّأْتُ كَرَّةً بَفَرَّةٍ .

وَالشَّيْخُ لَا يَفِرُّ إِلَّا مَرَّةً

ثم طلبه فهرب إلى الشام ، وسلم بيت المال ، فلم يأخذ منه شيئا ، فكتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان بما كان منه . وقدم خالد إلى الشام فسأل عن خاصة عبد الملك فقيل له : روح بن زباع فأنام حين طلعت الشمس . فقال : إني جئتك مستجيра . فقال : قد أجرتك إلا أن تكون خالدا ، قال : فأنا خالد ففتغير روح . وقال : أنشدك الله إلا خرجت عني فإني لا آمن عبد الملك ، قال : فأنظرني حتى تغرب الشمس ، فجعل روح يراعيها حتى غربت ، وخرج خالد فأتى زفر بن الحارث السكلابي . فقال : إني قد جئتك مستجيرا ، قال : إني قد أجرتك . قال : إني خالد . قال : وإن كنت خالدا ، فلما أصبح دعا ابنتين له فتهادى بينهما وقد أسن ، ودخل على عبد الملك بن مروان ، فلما رآه دعا له بكرسى فوضعه عند فراشه فجلس ثم قال : يا أمير المؤمنين إني قد أجرتك عليك رجلا فأجره . قال : قد أجرته إلا أن يكون خالدا . قال : فهو خالد ، قال : لا ولا كرامة ، فقال زفر لابنيه : انهضاني ، فلما ولى . قال : يا عبد الملك أم والله لو كنت تعلم أن يدي تطيق حمل القناة . ورد رأس الجواد لأجرت من أجرت ، فضحك وقال : يا أبا الهذيل قد أجرناه . فلا أرينه ، وأرسل إلى خالد بالقي درهم فأخذها ودفع إلى رسوله أربعة آلاف درهم . رأى عمر بن أبي ربيعة مالك بن أسماء ، وهو يطوف بالبيت ، وقد بهر الناس جماله وكأله فسأل فعرفه فعانقه وسلم عليه ، وقال له : أنت أخى حقاً فقال له مالك : ومن أنت ؟ قال : أما أنا فستعرفنى وأما أنت فالذى تقول :

إن لى عند كل نفحة بستان من الورد أو من الياسمين

نظرا والنفاتة أترجى أن تكونى خللت فيما يلينا

ثم قال له عمر : ما زلت أحبك منذ سمعت هذا الشعر فقال له مالك : أنت عمر ابن أبي ربيعة قال : نعم .

ومالك بن أسماء هو الذى يقول :

وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مِمَّا يَنْمَتُ النَّاعَتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا
مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلَحُّنٌ أَحْيَا نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

قال يحيى بن على بن يحيى المنجم : قال لى أبى : قلت للجاحظ : إني قرأت في فصل من كتابك الذى سَمَّيْتَهُ الْبَيَانُ وَالْتِمِينَ « أن مما يُسْتَحْسَنُ من كلام النساء اللحنُ واستشهدت ببيتى مالك بن أسماء قال : هو كذاك ، قال : قلت : أما سمعت بخبر هند بنت أسماء مع الحجاج حين لَحْنَتْ في كلامها فمابَ ذلك عليها فاحتجَّتْ ببيتى أخيها » فقال لها : إن أخاك أراد أن المرأة فَطِنَةٌ فهى تَلَحُّنُ بالكلام إلى غير المعنى فى الظاهر لتَسْتُرَ معناه وتُورِى عنه وتُفْهِمَهُ من أرادت بالتعريض كما قال الله عز وجل « وَلِتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ » ولم يرد الخطأ من الكلام « والخطأ لا يستحسن ، فوجهم الجاحظ ساعة ثم قال : لو سقط إلى هذا الخبر لما قلت ما تقدم ، قال : فقلت له : فأصلحه . قال : الآن وقد ظهر الكتاب وسار فى الآفاق !!

عشق مالك بن أسماء جارية لآخته هند وعشقها أخوه عُيَيْنَةُ بنُ أسماء فعتبه مالك فى حبها وهو لا يعلم ما يجدُ بها فقال مالك :

أَعْيَيْنَ هَلَّا إِذْ كَلِفْتَ بِهَا كَفْتَ اسْتَفْنَتْ بِفَارِغِ الْعَقْلِ
أَقْبَلْتَ تَبْنَى الْغُوثِ مِنْ قَبْلِ الْمُسْتَفَاتِ إِلَيْهِ فِي شُغْلِ

قال أحمد بن داود : ورد على كتاب التوكل ، وأنا على سواد الكوفة ، أن ابتاع لى تل بونا^(١) بمبلغ فأتيتها وهى قرية صغيرة على تل . قد خرب ما حولها من الضياع فابقتها بعشرة آلاف درهم . قال : فظننته حركه على طلبها أنه قد غنى لشعر مالك ابن أسماء :

(١) تل بونا ناحية قرب الكوفة (مراسد) .

حَبْدًا لَيْلِي بَتْلُ بَوْنًا حِينَ تُسْقَى شَرَابَنَا وَنُفَنِّي^(١)

إِذَا رَأَيْنَا جَوَارِيَا عَطْرَاتٍ وَغَنَاءَ وَقَرَقَفًا^(٢) فَتَزَلْنَا

فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ فَعَرَفْتُ أَنَّ جَارِيَتَهُ مَكْتُومَةٌ غَنَّتْهُ هَذَا الصَّوْتُ .

دَعَا الْحِجَاجُ يَوْمًا بِمَالِكِ بْنِ أَسْمَاءَ فَعَاتَبَهُ عِتَابًا طَوِيلًا ۖ ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتَ كَمَا قَالَ أَخُو

بَنِي جَعْدَةَ :

إِذَا مَا سِوَاةَ غَرَاءٍ مَاتَتْ أَتَيْتَ بِسِوَاةٍ أُخْرَى بِهِمْ

فَقَالَ : لَسْتُ كَمَا قَالَ الْجَعْدِيُّ وَلَكِنِّي كَمَا قُلْتُ :

لِكُلِّ جَوَادٍ عَثْرَةٌ يَسْتَقِيلُهَا وَعَثْرَةٌ مِثْلِي لَا تَقَالُ مَدَى الدَّهْرِ

فَهَلْ لِي إِذَا مَا تَبْتُ عَنْْدَكَ تَوْبَةٌ تَدَارِكُ مَا قَدْ فَاتَ مِنْ سَالِفِ الْعُمُرِ

فَقَالَ الْحِجَاجُ : بَلَى وَاللَّهِ لَئِنْ تَبْتُ لِأَقْبَلَنَّ تَوْبَتَكَ وَلَا عَفْوَكَ عَمَّا كَانَ مِنْ ذَنْبِكَ ،

وَمَنْ لِي بِذَلِكَ يَا مَالِكُ ؟ قَالَ : لَكَ بِاللَّهِ ، قَالَ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۖ فَانْظُرْ

مَا تَقُولُ . قَالَ : الْحَقُّ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، لَا يَخْفَى عَلَيَّ أَحَدٌ . فَتَرَكَ مَالِكُ الشَّرَابَ ،

وَوَفَّى لَهُ بِعَهْدِهِ ۖ وَأَظْهَرَ النَّسِكَ ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِ تَرَكُ اللَّذَاتِ وَالشَّرَابِ فَقَالَ :

وَنَدِمَانُ صِدْقٍ قَالَ لِي بَعْدَ هَجْعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ قُمْ نَشْرَبْ فَقُلْتُ لَهُ مَهْلًا

فَقَالَ أَبْخَلًا يَا ابْنَ أَسْمَاءَ هَاكُمَا

كَمَيْتًا كَرِيحِ الْمِسْكِ تَزْدَهْفُ^(٣) الْعَقْلَا

فَتَابَعْتُهُ فِيمَا أَرَادَ وَلَمْ أَكُنْ .

وَلَكِنِّي جَلَدْتُ الْقَوَى أَبْذُلُ النَّدَى وَأَثْرِبُ مَا أُعْطِيَ وَلَا أَقْبَلُ الْعَزْلَا

ضَحُوكُ إِذَا مَا دَبَّتِ الْكَأْسُ فِي الْفَتَى وَغَيْرَهُ سُكْرٌ وَإِنْ أَكْثَرَ الْجَهْلَا

(١) هذا الشطر من البيت والبيت الذي يليه غير واضحين في الأصل وهما عن الأغاني .

(٢) القرقف : الحمر - الماء البارد .

(٣) تزدهف العقل ۖ تذهب به .

وبلغ الحجاج أن مالكا قد راجع الشراب ۝ فقال : لا يأتي مالك بخير ، قاتل الله أيمن بن خريم حيث يقول :

إذا المرء وفي الأربعين ولم يكن له دون ما يأتي حجاب ولا ستر
[فدعه وما يأتي ولا تعدلته] وإن مد [أسباب الحياة له العمر]^(١)
[أخذه] من قول ابن عباس : إذا بلغ المرء أربعين سنة ولم يتب أخذ إبليس
بناصيته وقال : حبذا من لا يفلح أبدا . وأول هذه الأبيات :

وصهباء جرجانية لم يطف بها حنيف ولم تنفر بها ساعة قدر
ولم يشهد القس المهيمن نارها طروقا ولم يشرف على طبخها حبر
أتاني بها يحيي وقد نمت نومة وقد علت الجوزاء وانحدر النسر
فقلت اصطبغها أو لغيري سقها فما أنا بعد الشيب ويحك والخمر

(١) ما بين الأقواس عن الأغاني وهو غير ظاهر بالأصل .

مساور الوراق^(١)

هو مساورُ بنِ سَوَّارِ بنِ عبد الحميد ■ مولَى قيس بن عيلان بن مُضر ■ وقيل
مولى خويلد بن عدوان ، كنيته أبو القاسم ، كوفي قليل الشعر من أصحاب الحديث
وروايته ، رواه ورؤي عنه وهو القائل :

إِنِّي وَهَبْتُ لظَالِمِي ظُلْمِي وَغَفَرْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِ
مَا زَالِ يَظْلِمُنِي وَأَرْحَمُهُ حَتَّى رَأَيْتُ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ

مر مساورُ الوراقُ بِمَقْبَرَةِ فِيهَا حَسِينُ الطَّوَيْسِي^٢ ، وكان صديقاً له ، فوقف
عليه مُسْتَعْمِراً وأنشد :

أَبَا غَانِمٍ أَمَّا ذَرَاكَ فَوَاسِعُ وَقَرُّكَ مَعْمُورُ الْجَوَانِبِ مُحْكَمُ
وَمَا يَنْفَعُ الْمَقْبُورَ عُمْرَانُ قَبْرِهِ إِذَا كَانَ فِيهِ جِسْمُهُ يَتَهَدَّمُ
كَانَ مَسَاوِرُ الْوَرَّاقُ وَحَادُ عَجْرَدٍ وَحَفْصُ بْنُ أَبِي رَدَةَ مَجْتَمِعِينَ ، فَجَمَلَ حَفْصُ

يَعِيبُ شِعْرَ الْمُرْقَشِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ مُسَاوِرُ فَقَالَ :

لَقَدْ كَانَ فِي عَيْنَيْكَ يَا حَفْصُ شَاغِلُ وَأَنْفُ كَثِيلُ الْعُودِ عَمَّا تَتَّبَعُ
تَتَّبَعْتَ لِحَنًا فِي كَلَامِ مُرْقَشٍ وَوَجْهَكَ مَبْنِيٌّ عَلَى اللَّحْنِ أَجْمَعُ
فَقَامَ حَفْصُ مِنَ الْمَجْلِسِ خَجَلًا وَهَاجِرَ مُدَّةٍ .

قَدِمَ جَارُ لِمَسَاوِرِ الْوَرَّاقِ مِنْ سَفَرٍ فَجَاءَهُ مَسَاوِرُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ■ فَقَالَ : يَا جَارِيَّةُ
هَاتِي لِأَبِي الْقَاسِمِ غَدَاءً ، فَجَاءَتْ بِرَغِيفٍ فَوَضَعَتْهُ عَلَى الْخَوَانِ ، فَمَدَّ يَدَهُ بِأَكْلِ كُلِّ مَعَ
مُسَاوِرٍ ■ وَجَمَلَ يَقُولُ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ كُلْ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ فَإِنَّكَ كُنْتَ قَطُّ أَطِيبَ
مِنْهُ . فَقَالَ مَسَاوِرُ :

(١) أغاني ١٦ : ١٦٧ - تهذيب التهذيب ١٠ : ١٠٣ .

ما كنتُ أحسبُ أنْ الحُبْرَ فأكْهَ حتى رأيتكَ ياوْجَهَ الطَّبرِزِ
كَأَنَّ لِحْيَتَه في وَجْهه ذَنْبٌ أوْ شَعْرَةٌ فَوْقَ بَطْرِ غَيْرِ مَخْتُونِ
لَمَّا سَمِعَ مَسَاوِرَ الْوَرَّاقِ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ وَصِيَّاحَهُمْ قَالَ :

كُنَّا مِنَ الدِّينِ قَبْلَ الْيَوْمِ فِي سَمَةٍ حَتَّى ابْتَلَيْنَا بِأَصْحَابِ الْمَقَائِسِ
قَوْمٌ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَجُّوا كَأَنَّهُمْ ثَعَالِبٌ ضَجَّتْ بَيْنَ النُّوَالِسِ
فَبَلَغَ أَبَا حَنِيفَةَ وَأَصْحَابَهُ ذَلِكَ فَشَقَّ عَلَيْهِمْ وَتَوَعَّدُوهُ فَقَالَ أَيْبَانَا يُرْضِيهِمْ بِهَا
إِذَا مَا النَّاسُ يَوْمًا قَايَسُونَا بِأَبْدَةٍ مِنَ الْفُتْيَا ظَرِيفَةٍ
أَنَيْتُ لَهُمْ بِمُقْيَاسٍ مُصِيبٍ صَلِيبٍ مِنْ قِيَاسِ أَبِي حَنِيفَةَ
إِذَا سَمِعَ الْفَقِيهَ لَهَا وَعَاَهَا وَأَثْبَتَهَا بِحَبْرِ فِي الصَّحِيفَةِ

فَبَلَغَتْ أَبَا حَنِيفَةَ فَرَضِي عَنْهُ . قَالَ مَسَاوِرُ : ثُمَّ دُعِينَا لَوْلِيَةٍ فِي الْكُوفَةِ فِي
يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ فَدَخَلْتُ فَلَمْ أَجِدْ لِرَجُلِي مَوْضِعًا مِنَ الزَّحَامِ . وَإِذَا أَبُو حَنِيفَةَ فِي
صَدْرِ الْبَيْتِ ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ : إِلَيَّ يَا مَسَاوِرُ ، فَجِئْتُ فَإِذَا مَكَانٌ وَاسِعٌ بَارِدٌ ،
فَجَلَسْتُ . وَقَلْتُ فِي نَفْسِي : نَفَعَتْنِي أَيْبَاتِي الْيَوْمَ ، وَكَانَ إِذَا رَأَى بَعْدَ ذَلِكَ فِي
مَكَانٍ يَقُولُ لِي : هَاهُنَا هَاهُنَا وَيُوسِّعُ لِي إِلَى جَانِبِهِ وَيَقُولُ إِنَّ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ .

محمد بن مُناذر ^(١)

هو محمد بن مُناذر « مولى صُبَيْر بنِ يَرْبوع ، وكنيته أبو جعفر » وقيل :
أبو عبد الله وقيل : أبو ذُرَيْح . وكان له ابن اسمه ذُرَيْح فأت وهو صغير ، ولعله
اكتسب به قبل وفاته وفيه يقول :

كَأَنَّكَ لِلْمَنَايَا يَا ذُرَيْحُ اللَّهُ صَوَّرَكَ
فَنَاطَ بِوَجْهِكَ الشَّمْرَى وَبِالْإِكْلِيلِ قَلَدَكَ

قال الجاحظ : كان محمد بن مُناذر مولى سليمان القهرمان ، وكان سليمان مولى
عبيد الله بن أبي بكر ، وعبد الله بن أبي بكر مولى سيدنا رسول الله « صلى الله
عليه وسلم » وأبو بكر مولى لثقيف ، ثم ادعى عبيد الله بن أبي بكر أنه ثقفى
وادعى سليمان القهرمان أنه تميمي ، وادعى ابن مُناذر أنه صليبي من بني صُبَيْر بن
يَرْبوع ، وابن مُناذر مولى مولى مولى ، فهو دعى مولى دعى مولى دعى ، وهذا مما
لم يجتمع قط في غيره ممن عرفناه وبلغنا خبره .

وكان محمد بن مُناذر شاعرا فصيحاً متقدماً في العلم وكلام العرب واللغة إماماً
فيهم « أخذ عنه [أكبر أهلها] » ^(٢) .

وكان في أول أمره ناسكاً يتأله ، ثم عدل عن ذلك « فهجا الناس وتهتك
وخلع وقدف أعراض أهل البصرة حتى نُفي عنها إلى الحجاز . فأت هناك
فلم يزل محمد بن مُناذر ناسكاً ملازماً للمسجد جميل الطريقة إلى أن فتن بمبد المجيد
ابن عبد الوهاب الثقفى فتهتك بمد ستره وفتك بمد نسكه .

(١) أغاني (أميرى) ١٧ : ٨ - معجم الأدباء ١٩ / ٥٥ - طبقات القراء ج ٢ .

(٢) عن الأغاني وهي غير واضحة في الأصل .

وكان عبد الحميد محدثاً جليلاً قد رَوَى عنه أكبرُ المحدثين وكبراء الرواة .
 وكان في غاية المحبة لابن مناذرٍ والشغف به والمساعدة له ، وكان من أحسن الناس
 وجهاً وأدباً ولباساً وأكملهم في كل حال ، وكان يبلغُ أباه خبره على جلالته وسنّه
 وموضعه من العلم فلا ينكرُ ذلك لأنه لم تكن تبلغه ربيّةً عنه ، وكان ابن مناذرٍ
 حينئذٍ جميلَ الأثرِ حسنَ الرواةِ عفيفاً .

كان ابن مناذرٍ يجالسُ سفيانَ بنَ عُيينَةَ ، ويسأله سفيانُ عن معاني حديثِ
 رسولِ الله ﷺ ، فيخبره ابن مناذرٍ عنها ، ويقول : هذا مأخوذٌ
 من هذا ، وإذا مأخوذٌ من ذا ، فيقول سفيانُ : كلامُ العربِ بعضُه آخذٌ بربابِ
 بعضِ .

وأدرك ابنُ مناذرٍ المهديَّ ومدَّحه ومات في أيام المأمون .

وكان ابنُ مناذرٍ إذا قيل له : ابنُ مناذرٍ ، بفتح الميم ، يَغضبُ ثم يقول أَمَنَّا ذُرُّ
 الصُّغْرَى أم مناذرُ الكُبْرَى ؟ وهما كورتان من كَوَرِ الأهوازِ ، إنا هو مُناذِرُ
 على وزن مُفاعِلٍ من نَازَرَ فهو مُناذِرٌ ، مثل ضَارَبَ يضاربُ فهو مُضاربٌ وقَاتَلَ
 فهو مُقاتِلٌ .

ولما فتك ابنُ مناذرٍ وعدلَ عما كان عليه من النُّسكِ والتَّعَالَى وعَظَمَتِهِ المَعْتَزَلَةُ
 فلم يَتَعَمَّزْ وأَوْعَدَتْهُ بالكُفْرِ فلم يَزِدْجِرْ ، ومنعوه دخولَ المسجدِ فَنَابَذَهُمْ وطعنَ
 عليهم وهَجَّاهُمْ . وكان يأخذ المِدادَ بالليل فيَمِصُّهُ في مَطَاهِرِهِمْ فإذا تَوَضَّأُوا به تَسَوَّدَ
 وجوهُهُم وثيابُهُمْ .

دخل ابن مناذرٍ المسجدَ الجامعَ بالبصرة فوقعت عينه على غُلامٍ مُسْتَفِيدٍ إلى
 ساريةٍ . فخرج يلتمسُ غلاماً ودواةً وورقةً وكتب إليه أبياتاً يَمْتَدِّحُ بها . وسألَ
 الغلامَ الذي خَرَجَ يَلْتَمِسُهُ أن يُوصِلَ الرُّقْمَةَ إلى الفَتَى المُسْتَفِيدِ إلى السارية . فذهب
 بها الغلامُ إليه فلما قرأها قَلْبَهَا وكتب في ظهرها :

مِثْلُ امْتِدَاحِكَ لِي بِبَلَا وَرِقٍ مِثْلُ الْجِدَارِ بُنِيَ عَلَى خُصٍّ
وَالَّذُ عِنْدِي مِنْ مَدِيحِكَ لِي سُودُ النِّعَالِ وَلَيْنُ الْقُمْصِ
وَإِذَا حَبَوْتَ مُرَاقِمًا وَرَقًا لَمْ تَخْشَ مِنْهُ بَوَادِرَ الْمُقْصِي
فَإِذَا عَزَمْتَ فَهَيَّ لِي وَرَقًا فَإِذَا فَعَلْتَ فَلَسْتُ أُسْتَمْعِي

فلما قرأها ابنُ مناذرٍ قامَ إليه ، وقال له : ويلك أنت أبو نواس ، قال : نعم .
أفأنت ابنُ مُناذِرٍ ؟ قال : نعم . فسلمَ عليه وتماثقا ، وكان ذلك أولَ المودةِ بينهما .
قال الأصمى : حضرنا مأدبةً . ومعنا أبو مُحَرِّزٍ خلفُ الآخر وحضرها ابنُ
مناذر . فقال لخلف : يا أبا مُحَرِّزِ ، إن يكن امرؤُ القيس والنابغةُ وزهيرٌ قد ماتوا
فهذه أشعارهم باقيةٌ مُخلَّدةٌ فقسْ شِعْرِي إلى شِعْرِهِمْ ، واحكم بالحق . فنضب خلفٌ
وأخذ صَحْفَةً مملوءةَ مِرْقَةٍ فرمى بها عليه فسلأه ، وقام ابنُ مناذرٍ مُفضَّباً وجهاً
بعد ذلك .

وكان ابنُ مناذرٍ ينحو نحو عَدِيَّ بنِ زَيْدٍ في شعره ، ويُقدِّمُهُ وَيَتَّخِذُهُ إماماً .
قال محمد بنُ الْحِجَّاجِ : قلت لابنِ مناذرٍ : من أشعرُ الناس ؟ قال : من كَذَبَ في
شعره . قلت : من ذاك ؟ قال : عَدِيُّ بنُ زَيْدٍ . وكانت أمُّ عبيدِ المجيدِ بنِ
عبد الوهابِ بَانَةَ بنتِ أَبِي العاصي . وهي مولاةُ جنانٍ التي يُشَبِّبُ بها أبو نُوَاسٍ
في شِعْرِهِ ولما ماتت [بَانَةُ هَذِهِ] ^(١) خرج جوارِيها إلى قَبْرِها فخرج ابنُ مناذرٍ
مَعَهُنَّ إلى الجَبَّانَةِ بالبصرة . فقيل له : أين تريد ؟ فقال :

اليومَ يومُ الثَّلَاثَا ويومُ ثَالِثِ بَانَةَ
اليومَ تَكْتَرُ فِيهِ الظَّ سَبَاءُ بِالْجَبَّانَةِ

(١) غير ظاهرة بالأصل وما كتب عن الأغاني ١٧ : ١٢ .

وولدت بانه « من عبد الوهاب [أولاده] : عبد المجيد وأبا العاصي وزيدا »

وزياد هو الذي عناه أبو نواس بقوله :

جفن عيني قد كاد يسقط مما قد اخلاج
وفؤادي من حر حجبك قد كاد أو نضج
خبريني فدتك روحي وأهلي متى الفرج
كان ميعادنا خروجا زياد وقد خرج

وكان لعبد الوهاب ابن يقال له محمد « هو أسن أولاده » وكان يعمش بانه امرأة أبيه ، ويقال إن زيادا كان منه وكان أشبه الناس به .

خرج ابن منذر يوما من صلاة التراويح من مسجد البصرة « وخرج عبد المجيد بن عبد الوهاب خلفه فلم يزل يحدثه إلى الصبح » وها قائمان « إذا انصرف عبد المجيد شيعه ابن منذر ، فإذا بلغه وانصرف ابن منذر شيعه عبد المجيد » لا تطيب نفس أحدهما بفراق صاحبه حتى أصبحا « فقبل لعبد الوهاب : إن ابن منذر قد أفسد ابنك فقال : أو ما يرضى ابني أن يرضى به ابن منذر .

مرض عبد المجيد بن عبد الوهاب مرضاً شديداً ، وكان ابن منذر ملازماً له يمرضه ويخدمه ، ولا يتولى غيره أمره ، ولا يسكنه إلى أحد ، فحدث بهض أهله قال : حضرته يوماً وقد أسخن له ماءً حاراً ليشر به ، واشتد به الأمر ، فجعل يقول : آه بصوت ضعيف فيغمس ابن منذر يده في الماء ، ويتأوه مع عبد المجيد « ويده تحترق حتى كادت تسقط فحذ بناها » وأخرجناها « وقلنا له : أجنون أنت ؟ ! أي شيء هذا مما ينتفع به ذاك ؟ فقال : أساعده وهذا جهد المقل ، ثم استقل من علمته تلك » وعوفي مدة طويلة « ثم تردى من سطح فات » فجزع عليه جرعاً شديداً ، حتى كان يفضل إخوته وأهله في البكاء والمويل ، وظهر منه من الجزع ما عجب الناس

منه ورثاه بقصيدته المشهورة ورواها أهل البصرة ورنج بها على عبد المجيد ، وكان الناس يُعجبون بها ويستحسنونها وأولها :

كلُّ حَيٍّ لاقى الحمام فمُودِي ما لي حَيٍّ مؤمِّلٍ من خلود
لا تهابُ المنونُ شيئاً ولا تُبْـ رقي على والدٍ ولا مولود

وكان سببُ تردِّيه من السطح أنه تزوج امرأةً من أهله ، فأولمَ عليها شهراً ، يجتمع عنده وجوهُ أهل البصرة وأدباؤها وشعراؤها ، فصعد يوماً إلى السطح فرأى طنباً من أطناب السَّارَةِ قد انحَلَّ ، فأكبَّ عليه ليشُدَّه ، فتردَّى على رأسه ومات من سَقَطَتِهِ ، فما رأيت مصيبةً قطُّ أعظمَ منها ولا أنكأَ للقلوب . قال محمد بن عمرو : قال لي محمد بن منذر : ويحك ! ترى نساءً ثقيفٍ ينحْنِ على عبد المجيد نياحةً على استواء ؟ قلت : فما تحب ؟ قال : تخرجُ معي حتى أطارحك فطارحني بقصيدته التي [يقول فيها] (١) :

إن عبدَ المجيدِ حين تَوَلَّى هدَّ رُكنًا ما كان بالمهدودِ
هدَّ عبدُ المجيدِ رُكني وقد كُنَّ تُ برُكنٍ أنوء منه شديدٍ

فما زلتُ حتى حَفَظْتُها ، فلما كان في الليلة التي يُتاحُ فيها على عبد المجيد صَلَّينا العشاءَ الآخرةَ في المسجد ، وخرجنا إلى دارهم ، وقد صعدَ النساءُ إلى السطح ينحْنِ عليه فسكَّنتُ سَكَنَةً لهنَّ . فاندفعنا أنا وهو ننوحُ عليه . فلما سمعنا أقبِلنَ علينا يَلَطِمُنَ ويَصِحْنُ حتى كدُنَ بِنَقْلَيْنِ من السطحِ إلى أسفل . لشدة تشوُّفهنَ لنا (٢) وإعجابهنَ بما سمِعنه . وأصبح أهلُ المسجد ليس لهم حديثٌ غيرنا ، وشاع الخبرُ بالبصرة ، وتحدث الناس به . ولما قال ابنُ منذر في هذه القصيدة :

(١) أغاني ١٧ : ١٤ .

(٢) تشرفهن علينا (أغاني) - وتشوف له وإليه : تطلع .

لَأَقِيمَنَّ مَأْتَمًا كَنَجُومِ الْـ لَمِيلِ زَهْرًا يَلْطَمُنَ حُرَّ الْخُدُودِ
 مَوْجَعَاتٍ يَبْكِينَ لِلْكَبِيدِ الْحِـ رَى عَلَيْهِ وَلِلْفَوَادِ الْعَمِيدِ
 قَالَتْ أُمُّ عَبْدِ الْمَجِيدِ : وَاللَّهِ لَا بَرْنَ قَسَمَهُ ، فَأَقَامَتْ عَلَيْهِ مَأْتَمًا ، وَقَامَتْ مَعَ أَخَوَاتِ
 عَبْدِ الْمَجِيدِ وَجَوَارِيهِ يَنْحُنُّ عَلَيْهِ وَيَصِحُّنَ : وَای وَیه وَای وَیه .
 فَيُقَالُ : إِنَّهَا أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَقَالَهُ فِي الْإِسْلَامِ .
 وَمِمَّا رَتَاهُ بِهِ ابْنُ مُنَازِرٍ قَوْلُهُ :

يَا عَيْنُ حَقِّ لَكَ الْبُكَاءُ ۖ لِحَادِثِ الرِّزِّ الْجَالِيلِـ
 فَاْبْكِي عَلَى عَبْدِ الْمَجِيدِـ يَدِ وَأَعْيُولِي كُلَّ الْعَوِيلِـ
 لَا يَبْعِدُ اللَّهُ الْفَتَى الْـ فَيَاضَ ذَا الْبَاعِ الطَّوِيلِـ
 عَجَلَ الْحَمَامُ بِهِ فَوَدَّ عَمَّا وَآذَنَ بِالرَّحِيلِـ
 لَهَفَى عَلَى الشَّعْرِ الْمَعْدِـ فَرَّ مِنْكَ وَالْخُدَّ الْأَسِيلِـ
 كَسِفَتْ لِفَقْدِكَ شَمْسُنَا ۖ وَابْدُرُ آذَنَ بِالْأَفْوَالِـ

وَكَانَ ابْنُ مُنَازِرٍ مِنْ أَخْضَرِ النَّاسِ جَوَابًا ۖ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ ۖ ذَاتَ يَوْمٍ : مَا شَأْنُكَ
 بِفَتْحِ الْفَوْنِ ۖ قَالَ : عِظَمٌ فِي أَنْفِي .

دَارَ بَيْنَ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ وَبَيْنَ ابْنِ مُنَازِرٍ كَلَامٌ فَقَالَ لَهُ الْخَلِيلُ : إِنَّمَا أَنْتُمْ ۖ
 مَعَاشِرَ الشُّعْرَاءِ ۖ تَبِجُّ لَنَا ، وَنَحْنُ سُكَّانُ السَّفِينَةِ إِنْ قَرَّظْنَاكُمْ وَرَضِينَا قَوْلَكُمْ
 نَفَقْتُمْ وَإِلَّا كَسَدْتُمْ فَقَالَ ابْنُ مُنَازِرٍ : وَاللَّهِ لَا فَوْلَانِ فِي الْخَلِيفَةِ قَصِيدَةً أَمْتَدَّحُهُ بِهَا
 وَلَا أَحْتَاجُ فِيهَا إِلَيْكَ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ ۖ فَقَالَ فِي الرَّشِيدِ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوْلَاهَا :

مَا هَيْجَ الشَّوْقَ مِنْ مَطْوَقَةٍ ۖ أَوْفَتْ عَلَى بَانَةٍ تَغْنِينًا

يَقُولُ فِيهَا :

وَلَوْ سَأَلْنَا بِمَحْسَنِ وَجْهِكَ يَا هَارُونَ صَوَّبَ النِّمَامُ أُسْقِينَا

وأراد أن يُنفذها إلى الرشيد فلم يلبث أن قدّم الرشيد البصرة حاجاً ليأخذ على طريق النّجاج^(١)، وهو كان الطريق قديماً ، فدخله وعديله إبراهيم الحرّاني فتحمل إليه ابن مناذر بثمان بن الحكم الثقفي ، وأبو بكر السّلمى حتى أوصلاه إلى الرشيد ، فأنشده إياها فلما بلغ آخرها كان فيها بيت يفتخر فيه وهو :

قوى تميمٌ عند السّماءِ لهم مجدٌ وعزٌّ فما يُنالونا

فلما أنشد هذا البيت تعصب عليه الجلساء فقال بعضهم : يا جاهل أتفخر في قصيدة مدحت فيها أمير المؤمنين ؟ وقال : آخر هذه حماقة بصريّة فسكتهم عنه الرشيد ، ووهب له عشرين ألف درهم .

كان الرشيد قد استسقى في سنة فخط فسق الناس فسرّ بذلك ، وقال لله درّ ابن مُناذِرٍ حيث يقول :

ولو سألنا بحسن وجهك يا هارون صوب الغمام أسقيتنا
وسأل عنه فأخبر أنه بالحجاز فبعث إليه بجائزة .

شهد بكر بن بكار عند عبید الله بن الحسن العنزي بشهادة فتبسم ثم قال له : يا بكار مالك ولا بن مناذِرٍ حيث يقول فيك :

أعوذُ بالله من النارِ ومنك يا بكار بن بكارِ

فقال : أصلح الله القاضي ذاك رجل شاعرٌ خليعٌ لا يبالي ما قال . فقال له : صدقت وزاد تبسمه وقيل شهادته ، وقام بكرٌ وقد تشوّر وخجل وهذه القصيدة يقول ابن مناذِرٍ في بكر بن بكار وهي :

أعوذُ بالله من النارِ ومنك يا بكار بن بكارِ
يا رجلاً ما كان فيما مضى لآل حمران بزوارِ

(١) النجاج قيل : في بلاد العرب نجاجان ؛ أحدهما على طريق البصرة يقال له نجاج بني عامر وهو بجذاء فيد . والآخر نجاج بني سعد بالقريتين .

مامنزلُ أَخَذْتَهُ رابعا منترحا عن عَرَصَةِ الدارِ
ما تبرحُ الدهرَ على سَوَاةٍ تَطْرَحُ حبا للخُشْنَشَارِ
يامعشر الأخذانِ يا وَيْحَكُمُ تمودوا بالخالقِ البارِ
من حَرَبَةٍ نِطَطَ إلى حِقْوِهِ يسمى بها كالبطلِ الشارِ
يومَ تَمَنَّى أنْ في كَفِّهِ أَيْرَ أبى الخضرِ بدِنارِ

الخشنشارُ : معاوية الزبدي بن محمد بن معاوية المحدث ، ويكنى أبا الخضر
وكان جميل الوجه والخشنشارُ لقبه .

كان محمد بن عبد الوهاب أخو عبد المجيد يعادى محمد بن منذر بسبب ميّله
إلى أخيه عبد المجيد ، وكان ابن منذر يهجوهُ وَيُسَبِّهُ ، وكل واحدٍ منهما يَطْلُبُ
لصاحبه المكروه . ويسمى عليه ، فلقبه محمد بن عبد الوهاب في مسجد البصرة .
ومع ابن منذر كتابُ العروضِ بدَوَائِرِهِ . ولم يكن محمد بن عبد الوهاب يعرفُ
العروضَ . فجعل يَلْحَظُ الكتابَ ويقرؤه ولا يفهمُ ، وابن منذرٍ يتغافلُ عنه .
ثم قال له محمد بن عبد الوهاب : ما في كتابك هذا ؟ فَخَبَّأَهُ في كُمِّهِ . وقال له : أَيْ
شَيْءٍ عَلَيْكَ مِمَّا فِيهِ فَتَعَلَّقَ بِهِ وَلَبَّيْهِ . فقال له ابن منذر : يَا أَبَا الصَّلْتِ اللَّهُ اللَّهُ
فِي دَمِي . فَطَمِعَ فِيهِ وصاح : يَا زَنْدِيقُ فِي كُمِّكَ الزُّنْدَقَةُ ، واجتمع عليه الناسُ
فَأَخْرَجَ الكتابَ من كُمِّهِ وأراهم إياه ، فمرفوا براءتَهُ ووُثِبوا على محمد بن عبد الوهاب
فاسْتَخَفَّوْا بِهِ ، وانصرف يَجْرِي وَجْهًا ابن منذرٍ بأبيات أولها :

إِذَا أَنْتَ تَعَلَّقْتَ بجبلٍ من أبى الصَّلْتِ
تَعَلَّقْتَ بجبلٍ وَ هُنَّ الْقُوَّةُ مُنْبَتٌ
إِذَا مَا بَلَغَ المَجْدَ ذُو الأَحْسَابِ وَالْمَتِ
تَقَاصَرَتْ عَنِ المَجْدِ [بِأَمْرِ رَائِبِ شَخْتِ (١)]

(١) ما بين الأقواس غير واضح في الأصل وهو عن الأغاني .

فلا تَسْمُ إلى المجد فا أصلك بالثبوت
ولا فَرُعُكَ في العيدا ن عُودٌ ناضِرُ النَّبْتِ
فها فاسْمَعُ قريضاً من رقيقِ حسنِ النَّعْتِ
يقول الحقُّ إن قال ولا يَرْمِيكَ بالبهْتِ
وفي نَعْتِ لوجماء قد اسْتَرَحَّتْ من الفتِّ
فعندي لك يا مأبُو نُ مثْلُ [الفالج البختِ]
عقلٌ يعمل الكومَ من السبِّ إلى السبِّ
له فيشَلَّةٌ أن أَدُ خِلَتْ واسمةُ الخُرْتِ
وإلا فاطلُ وجماء له بالخَضْخاضِ والزُّفْتِ
ألم يبلِّغْكَ تَسَالَى لدى العَلَّامَةِ المَرْتِ
وما يبقِ لكم [يا قو م من أثْلِكُم نحْيُ] (١)
وقال الشيخ ما سرجو . (٢) داه المرء من تَحْتِ
نخذ من ورق الدفلا وخذ من ورق القَتِّ
وخذ من جمد كيسان ومن أظفارِ شِبْحَتِ
فغرَّغِرْهُ به واسمط بَدَا في دائِه أنْفَتِ

شَبَّخْتُ لقبُ أبي عبيدة وهو اسمٌ من أسماء اليهود، تعريضاً بأن جدّه كان يهودياً . وكان أبو عبيدة وَسِخًا طويل الأظفارِ والشَّعْرِ ، وكان يفضُّب من هذا اللقب . قال ابن مناذر :

وقال الشيخ ماسرَجُو هُ داه المرء من تَحْتِ
بلغَ ذلك ما سَرَجُويهِ ، فجاء محمدُ بن عبد الوهاب « فوقف عليه في مجلسه وعنده

(١) ما بين الأقواس غير واضح بالأصل وهو من الأغاني .

(٢) في الأغاني (سرجويه) .

جماعة من أهله وإخوانه وجيرانه فسلم عليه وكان أعجمياً لا يفصح وقال له : برکت
 کمن کفتم أن کتسر مناذر کفت داء المرء من تحت ، فکاد القوم أن یفتضحوا
 من الضحك . وصاح به محمد : اعزب قبحک الله . فظن أنه لم یقبل عذره فأقبل یحلف
 له مُجْتهداً ما قال ذاك . ومحمد یصیح به : ویلك اعزب عني . وكلما زاده من الصیاح
 إلیه زاده فی العذر والایمان فضحك الناس حتی غلبوا وقام محمد خجلاً .

قال محمد بن إسحاق البلخی : دخلت يوماً علی ابن مُناذِرٍ وعنده رجلٌ ضریرٌ
 جالسٌ عن یمنه . وآخرٌ عن شماله ساکتٌ لا ینطق . فقلت : ما خبرُک؟ فقال :
 بین أعمی وأخرس أخرس الله لسانَ الأعمی وأعمی البصیرا [فوثبا من عنده
 وخرجا یشمانه .

قال حجاجُ بنُ الأعورِ الصوّافی : خرجتُ إلی مکةَ ، وكان ابنُ مُناذِرٍ لی صديقاً
 ألفاً فلما دخلتُ مکةَ سألتُ عنه فقیل لی : لا یبرحُ من المسجدِ ، فدخلتُ المسجدَ
 فالتصّته فوجدته بیفناء زَمَزَمَ . وعنده أصحابُ الأخبارِ والشعراءِ یکتبون عنه ، فسلمتُ
 علیه . وأنا أقدرُ أن یكون عنده من الشوق إلی مثلٍ ما عندی له . فرفع رأسه فردّ
 السلام ردّاً ضعیفاً ، ورجع إلی القوم ولم یحفل بی ، فقلت فی نفسی : أترأه ذهب
 عنه معرفتی . فبینا أنا مفکرٌ إذ طلّع أبو الصلتِ محمدُ بن عبد الوهاب من باب
 بَنی شَیبةٍ داخلاً إلی المسجدِ فرفع رأسه فنظرَ إلیه . ثم أقبل علیّ وقال : أتعرف
 هذا ؟ فقلت : نعم ، هذا الذی قال فیهِ من قطع الله لسانه :

إذا أنت تملّقتَ بحبلٍ من أبي الصلتِ

قال : فتناقلَ عني وأقبلَ علیهم ، ثم أقبلَ علیّ . فقال : من أيّ البلاد أنت ؟
 قلت : من أهل البصرة ، قال : وأین تنزلُ منها ؟ قلت : بحضرة بنی عائش الصوّافین .
 قال : أتعرف هناك ابن زانيةٍ یقال له حجاجُ الصوّافِ ؟ قلت : نعم تركته فی عافيةٍ
 ینیک أم ابن زانيةٍ یقال له ابنُ مُناذِرٍ فضحك . ووثبَ إلی فعاتقني .

[ولابن مُناذر هجاء في حجاج الصواف على سبيل العبث وهو قوله ^(١)]

إن أدعاء الحجاج في العرب عند تقيف من أعجب العجَب
وهو ابنُ زانٍ لألفِ زانيةٍ وألفِ عُلجٍ مُعلَّجٍ الحسب ^(٢)
ولو دعاه داعٍ فقال له يا ألامَ الناس كلَّهم أجب
إذا لقال الحجاجُ لبيك من داعٍ دعاني بالحق لا الكذب
ولو دعاه داعٍ فقال له من المولى في [اللؤم قال أبي] ^(٣)
أبوه زانٍ والأُم زانيةٌ بنتُ زُناةٍ مهتوكة الحُجب

تقول : عَجَّلْ ادْخِلْ لِنائِكِها

أتركه في أَسْتِيَّ إن شئتَ أو رُكْبِي

من نا كنى فيهما فأوسَمَنِي رَهْزًا دِرَاكا أعطيتُه سَلَبِي
هَمْ حَرِي النَّيْكَ فابتنوا لِحَرِي أَيْرَ حمارٍ أَقْضِي به أَرَبِي
أَحِبَّ أَيْرَ الحمارِ [وابأبي] فَيْشَةُ أَيْرِ الحمارِ [وابأبي] ^(٣)
إذا رَأَتْهُ قالتَ فَدَيْتُكَ يا قُرَّةَ عَيْنِي وَمُنْتَهَى طَلَبِي
إذا سَمِعْتُ النِّهيقَ هاجَ حَرِي شوقًا إِلَيْهِ وَهاجَ لِي طَرَبِي
يَأْخُذُنِي في أَساْفِلِي وَحَرِي مثلَ اضْطِرامِ الحَرِيقِ في الحَطَبِ
شَكَتْ إلى نِسْوَةٍ فَقُلْنَ لَهَا وَهي تَفادِي بِالوَيْلِ والحَرْبِ
كُفِي قَلِيلًا فَقالتَ فَكَيْفَ وَبِي في جَوْفِ صَدْمِي كَحَلَّةِ الجَرْبِ
أرى أَيْوَرَ الرِّجالِ من عَصَبٍ لَيْتَ أَيْوَرَ الرِّجالِ من خَشَبِ

(١) غير واضح في الأصل وما كتبناه عن الأغاني .

(٢) ناقص في الأصل » » » »

(٣) ما بين الأقواس عن الأغاني وهو غير واضح بالأصل .

كان ابن منذر يجلس إلى إسكافٍ بالبصرة ، فلا يزال يهجوهُ بالأبياتِ فيصيحُ
من ذلك ويقول له : أنا صديقك فاتقِ الله وأبقِ على الصداقة ۝ وابنُ منذرٍ يُلحِّحُ عليه
فقال له الإسكاف : فإني أستمعُ بالله عليك ، وأتماطى الشَّعرَ ، فلما أصبح غدا عليه
ابنُ منذرٍ كما كان يفعلُ ۝ وأخذ يَمبِثُ به ويهجوهُ ، فقال الإسكاف :

كَثُرَتْ أَبْوَتُهُ وَقَلَّ عَدِيدُهُ وَرَمَى الْقَضَاءَ بِهِ فَرَّاشَ مُنَادِرٍ
عَبْدَ الصَّبِيرِينَ لَمْ تَكُ شَاعِرًا فَلِمَ ادَّعَيْتَ الْيَوْمَ نَسَبَةَ شَاعِرٍ

فشاع البيتان بالبصرة ، ورواهما أعداؤه ، وجعلوا يتناشدونهما إذا رأوه ، فكانت
من بعض أسباب خروجه من البصرة . وقال ابن منذر ما [مرّ بي] قطُّ شيء
أشدَّ على من قول الإسكاف :

كَثُرَتْ أَبْوَتُهُ وَقَلَّ عَدِيدُهُ وَرَمَى الْقَضَاءَ بِهِ فَرَّاشَ مُنَادِرٍ

انظر بكم صنف هجائي في البيت . قبحه الله ، ثم منمنى من مكافأته أنى لم أجد
نباهةً فأغضها ولا شرفاً فأهدمه ولا قدراً فأضمه .

وكان ابنُ منذرٍ يقول : إن الشعرَ ليسهلُ علىّ حتى لو شئتُ ألا أتكلم
إلا بالشعر لَفَعَلْتُ .

أنشد ابن عائشة يوماً مَرثِيَةَ ابنِ منذرٍ في عبد الحميد ۝ فجعل كلما أنشد بيتاً
يَسْتَحْسِنُهُ حتى أتى على قوله :

لَأَقِيمَنَّ مَا تَمَّا كَنُجُومِ الْـ لَمِيلَ زُهْرًا بِالطَّمَنِ حُرَّ الْخُدُودِ

فقال ابن عائشة : هذا من كلام الخنثين فلما أنشد هذا البيت :

إِنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ يَوْمَ تَوَلَّى هَذَا رَكْنَا مَا كَانَ بِالْمَهْدِودِ
مَا دَرَى نَعْسُهُ وَلَا حَامِلُوهُ مَا عَلَى النَّعْشِ مِنْ عَفَافٍ وَجُودِ
وَأَرَانَا كَالزَّرْعِ يَخْصِدُنَا الدَّهْ رُفْنِ بَيْنَ قَائِمٍ وَحَصِيدِ

فقال ابن عائشة : جَمَلْنَا زَرْعًا لِلدَّهْرِ ؟ مَا هَذَا مِنْ كَلَامِ الْمُسْلِمِينَ ؟ فَقِيلَ : أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ :

يَحْكُمُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَمْنَعُ لَيْسَ حُكْمُ الْإِلَهِ بِالْمُرْدُودِ
قال ابن منذر : حجَّ الرشيد بعد إيقاعه بالبرامكة . وحج معه الفضل بن الربيع ،
وكنت مُضِيْعًا مُمْلِقًا فَمِيتَ فِيهِ قَوْلًا أَجَدْتُ تَنْمِيقَهُ وَتَنَوَّقْتُ فِيهِ فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فِي
يَوْمِ التَّرْوِيَةِ ، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِّي وَيَطْلُبُنِي ، فَبَدَّرَنِي الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ قَبْلَ أَنْ
أَتَكَلِّمَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا شَاعِرُ الْبِرَامِكَةِ وَمَادِحُهُمْ . وَقَدْ كَانَ الْبَشْرُ
ظَهَرَ لِي فِي وَجْهِهِ لَمَّا دَخَلْتُ ، فَتَنَكَّرَ وَعَبَسَ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَرُّهُ أَنْ يُنْشِدَكَ قَوْلَهُ فِيهِمْ :

* أَنَا نَا بَنُو الْأَمْلَاكِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ *

فقال لي : أنشدتها . فأبيت ، فتوعدني وأكرهني فأنشدته :

أَنَا نَا بَنُو الْأَمْلَاكِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ	فِيَا طَيْبَ أَخْبَارٍ وَيَا حُسْنَ مَنَظَرٍ
إِذَا وَرَدُوا بِطَحَاءِ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ	بِخَيْيَ وَبِالْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَجُمْفَرٍ
فَقُظِّمُ بَفْدَاذٍ وَيَجْلُو لَنَا الدُّجَى	بِمَكَّةَ مَا حَجَّوْا ثَلَاثَةَ أَبْدَرٍ
فَمَا صَلَحَتْ إِلَّا لَجُودٍ أَكْفَهُمْ	وَأَقْدَامُهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادٍ مِنْبَرٍ
إِذَا رَاضَ يَحْيَى الْأَمْرَ ذَلَّتْ صِعَابُهُ	وَحُسْبُكَ مِنْ رَاعٍ لَهُ وَمُدَبَّرٍ
تَرَى النَّاسَ إِجْلَالًا لَهُ وَكَأَنَّهُمْ	غَرَانِيقُ مَاءٍ تَحْتَ بَازٍ مُصَرَّرٍ

ثُمَّ أَتْبَعْتُ ذَلِكَ بِأَنْ قُلْتُ : كَانُوا أَوْلَئِكَ أَيَّامَ مَدَحَتَهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي
طَاعَتِكَ لَمْ يَلْحَقَهُمْ سُخْطُكَ ، وَلَمْ تَحُلْ بِهُمْ نِقْمَتُكَ ، وَلَمْ أَكُنْ فِي ذَلِكَ مُبْتَدِعًا
وَلَا خَلًّا أَحَدٌ مِنْ نُظَرَائِي مِنْ مَدَحِهِمْ ، وَقَدْ كَانَ أَظَلَّنِي فَضْلُهُمْ وَأَغْنَانِي رِفْدُهُمْ
فَأَنْتَبَيْتُ بِمَا أَوْلَوْا فَقَالَ : يَا غِلَامَ الظُّمِّ وَجْهَهُ . فَلَطِمْتُ وَاللَّهِ حَتَّى سَدِرْتُ وَأَظْلَمَ
مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَهْلِ الْمَجْلِسِ . ثُمَّ قَالَ : اسْحَبُوهُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَاللَّهِ لِأَخْرِمَنَّكَ

ولا تركتُ أحداً يعطيك شيئاً في هذا العام ، فسُحِبْتُ حتى أُخْرِجْتُ وانصرفتُ
أسوأ الناسِ حالا في نفسي وحالي وما جرى عليّ ، ولا والله ما عندي يومئذ ما يُقيمُ
بقوتِ عيالي لعيدِهِمْ . فإذا أنا بشابٍ قد وَقَفَ عليّ وقال : أعزُّ عليّ والله يا كبيرنا
بما جرى عليك ودفعَ إليّ صُرَّةً وقال : تَبَلَّغْ بما في هذه فظننتُها دراهمَ فإذا هي
مائةُ دينار ، فقلتُ له : من أنت جملني الله فداك ! قال : أنا أخوك أبو نواس .
فاستعِنَ بهذه الدنانير ، واعدِرنِي ، فقبلتها ، وقلت : وصلك الله يا أخي وأحسنَ
جزاءك .

قال ابنُ منذر : قال لي جعفرُ بنُ يحيى : قلْ في وفي الرشيدِ شعراً نصف فيه
الألفَةَ بيننا فقلت :

قَدْ تُقَطِّعُ الرَّحِمَ الْقَرِيبُ وَتُكْفِرُ اللَّهَ عَمَى وَلَا كَتَقَارِبِ الْقَلْبَيْنِ
يُذْنِي الْهَوَى هَذَا يُبْذِنِي ذَا الْهَوَى فَإِذَا هُمَا نَفْسٌ تَرَى نَفْسَيْنِ
وهذا مأخوذٌ من كلام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إِنَّ الرَّحِمَ تُقَطِّعُ ، وَإِنْ
النِّعَمَ تُكْفَرُ . ولم تَرَ مثلاً تقاربِ القلوب .

قال ابنُ منذر : العذراء البتولُ والبتورُ واحدٌ وهي المُنْقَطِعُ إلى ربِّها
عز وجل .

سئل أبو عبيدة عن اليوم الثاني من النَّحْرِ : ما كانت العربُ تُسمِّيهِ؟ فقال : ليس
عندي من ذلك عِلْمٌ فسئل ابنُ منذر فقال : أَيْسَقُطُ هذا على مِثْلِ أَبِي عُبَيْدَةَ ؟
وعجب ، وقال : هي أَرْبَعَةٌ . على حَرْفِ الرَّاءِ . يوم النَّحْرِ ويوم القَرِّ ويوم النَّفْرِ
ويوم الصَّدْرِ .

ومما رَوَى ابنُ منذر من الحديث أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لما نَظَرَ إلى
الْقَتْلَى يومَ بَدْرٍ ، وهم مُصَرَّعُونَ ، قال لأبي بكر : رضي الله عنه : لو أَنَّ أَبَا طَالِبٍ

حَتَّى لَعَلَّمْ أَنَّ أَسْيَافَنَا قَدْ أَخَذَتْ بِالْأَنَامِلِ ، يَعْنِي قَوْلَ أَبِي طَالِبٍ :

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ إِنْ جَدَّ مَا أَرَى لَمَلَّتَبَسْنَ أَسْيَافَنَا بِالْأَمَانِلِ

وَقَالَ فِي شَيْرَوِيهِ الزِّيَادِيُّ : وَشَيْرَوِيهِ لَقَبُهُ ، وَاسْمُهُ أَحْمَدُ ، وَكَانَ سَأَلَهُ حَاجَةً فَأَبَى

أَنْ يَقْضِيَهَا [لَهُ إِلَّا ^(١) عَلَى] أَنْ يَدَّحَهُ :

يَاسَمَى النَّبِيُّ بِالْعَرِيبَةِ وَسَمَى اللَّيْثُ بِالْفَارِسِيَّةِ

إِنْ غَضِبْنَا فَأَنْتَ عَبْدٌ ثَقِيفٌ أَوْ رَضِينَا فَأَنْتَ عَبْدٌ أَمِيَّةٌ

فَغَضِبَ شَيْرَوِيَهُ ، وَشَاعَ الشُّعْرُ وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا قِيلَ لِشَيْرَوِيهِ : ابْنُ مَنَاذِرٍ

عَلَيْكَ غَضَبَانُ أَوْ رَاضٍ ؟ يَشْتَمُّ مَنْ يَقُولُ لَهُ ذَلِكَ .

نَظَرَ ابْنُ مَنَاذِرٍ إِلَى غُلَامٍ حَسَنِ الْوَجْهِ فِي مَسْجِدِ الْبَعْرَةِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِهَذِهِ

الْأَبْيَاتِ :

وَجَدْتُ فِي الْآثَارِ فِي بَعْضِ مَا حَدَّثَنَا الْأَشْيَاحُ فِي الْمُسْنَدِ

مِمَّا رَوَى الْأَعْمَشُ عَنْ جَابِرٍ وَعَامِرِ الشَّعْبِيِّ وَالْأَسْوَدِ

وَمَا رَوَى شُعْبَةُ عَنْ عَاصِمٍ وَقَالَ حَمَادُ عَنْ فَرَقْدٍ

وَصِيَّةٌ جَاءَتْ إِلَى كُلِّ ذِي خَدَةٍ خَلَا مِنْ شَعْرِ أَسْوَدٍ

أَنْ تَقْبَلُوا الرَّاغِبَ فِي وَصْلِكُمْ فَاقْبَلْ فَإِنِّي فِيكَ لَمْ أَزْهَدْ

نَوَّلَ فَكُمْ مِنْ جَمْرَةٍ ضَمَمَهَا قَلْبِي مِنْ حُبِّكَ لَمْ تَسْرَدْ

فَلَمَّا قَرَأَهَا الْفَتَى ضَحِكَ وَقَلَبَ الرَّقْعَةَ وَكَتَبَ فِي ظَهْرِهَا : لَسْتُ شَاعِرًا فَأُجِيبُكَ

وَلَا فَاتِكَ فَأَسَاعِدُكَ ، وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ وَمِنْ شَرِّكَ .

[لَقِيَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ مُحَمَّدَ بْنَ مَنَاذِرٍ بِمَكَّةَ ، فَجَمَلَ يَمَازِحُهُ وَبِضَاحِكُهُ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى

الرَّشِيدِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا ابْنُ مَنَاذِرٍ شَاعِرُ الْبَصْرَةِ يَقُولُ قَصِيدَةً فِي سَنَةِ

(١) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ عَنِ الْغَنَائِي وَهُوَ غَيْرُ وَاضِحٍ بِالْأَصْلِ .

وأنا أقولُ في سنةٍ مائتي قصيدة ۝ فقال له الرشيد : أَدْخِلْهُ فَأَدْخِلْهُ وَقَدَّرَ أَنْ يَضَعَ مِنْهُ عِنْدَهُ ، فَدَخَلَ فَسَلَّمَ وَدَعَا لَهُ ، فقال له الرشيد : ما هذا الذي يَحْكِيهِ عَنْكَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ . فقال : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : يزعم أنك تعملُ قصيدةً في سنة . وأنه يقول مائتي قصيدةً في سنة . فقال : يا أمير المؤمنين لو كنتُ أقول كما يقول هو :

ألا يا عُتْبَةَ السَّاعَةِ أَمُوتِ السَّاعَةُ السَّاعَةِ

لَقَلْتُ مِثْلَهُ كَثِيرًا ، وَلَسَكُنِيَ أَقُولُ :

إِنَّ عَبْدَ الْمَجِيدِ يَوْمَ تَوَلَّى هَدَّ رُكْنًا مَا كَانَ بِالْمَهْدُودِ

مَا دَرَى نَعْمَهُ وَلَا حَامِلُوه مَا عَلَى النَّمَشِ مِنْ عَفَافٍ وَجُودِ

فقال له الرشيدُ : هَاتَهَا ، فَأَنْشُدْهَا . فقال له الرشيد : ما كان ينبغي أن تكون هذه القصيدةُ إِلَّا خَلِيفَةً أَوْ وَلِيًّا عَهْدٍ ، مَا لَهَا عَيْبٌ إِلَّا أَنهَا قِيلَتْ فِي سُوءَةٍ وَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ ۝ فقام أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَجُرُّ رِجْلَيْهِ وَكَادَ أَنْ يَمُوتَ غَيْظًا وَأَسْفًا . سَأَلَ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَنَازِرٍ الشَّاعِرِ فَقَالَ : لَمْ يَكُنْ بِثِقَةٍ وَلَا مَأْمُونٍ ، رَجُلٌ سُوقِيٌّ مِنَ الْبَصْرَةِ مَوْصُوفٌ بِالْجَوْنِ وَالْخِلَاعَةِ ۝ فَقِيلَ : إِنَّمَا نَكْتُبُ عَنْهُ شِعْرًا وَحِكَايَاتٍ عَنِ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ ، فَقَالَ : أَمَا هَذَا فَنَعَمْ ، وَأَمَا الْحَدِيثُ فَلَسْتُ أَرَاهُ مَوْضِعًا لَهُ .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ : رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مَنَازِرٍ فِي الْحِجِّ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتَسْمِينٍ وَمِائَةٍ تَقُودُهُ جُوزِيْرِيَّةٌ حُرَّةٌ وَقَدْ كُفَّ بَصْرُهُ ، وَهُوَ وَاقِفٌ يَشْتَرِي قَرْبَةً ، وَهُوَ وَسِخٌ الثَّوْبِ وَالْبَدَنِ فَلَمَّا صَرَتْ إِلَى الْبَصْرَةِ أَتَتْهَا وَفَاتَهُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ .

محمد العماني^(١)

هو محمد بن ذؤيب بن محمد بن قدامة الحنظلي الدارمي الراجز .

وقيل له العُماني وهو بصريّ ، لأنه كان شديد الصفرة ، وليس هو ولا أبوه من عُمان ، وإنما أقبلَ يوماً وقد خَرَجَ من عِلَّةٍ ، ووجهه مُصْفَرٌّ فقال له بعض أصحابه : يا أبا عبد الله خَرَجْتَ من هذه العِلَّةِ كأنك جَمَلٌ عُمانِيٌّ وكانت جِمالُ عُمانَ تحملُ الورسَ من اليمنِ إلى عُمانَ فتَصْفَرُّ . وهو من بني تميم ، ثم من بني فُقيّم . وكان شاعراً راجزاً مُتَوَسِّطاً من شعراء الدولة العباسية ليس من نظراء الشعراء الذين شاهدَهُم في عَصْرِهِ مثل أشجع وسَلَمَ ومروان ، ولكنه كان لطيفاً مقبولاً . وأفاد بشعره أموالاً جَليلة . قصد العمانيُّ عبدَ الملك بن صالح الهاشمي متوسلاً به إلى الرشيد في الوصولِ إليه مع الشعراء ، ومدح عبدَ الملك بقصيدته التي يقول فيها :

نَمَتْهُ العَرانين من هاشم إلى النَّسَبِ الأَوْضَحِ الأَصْرَحِ
إلى نَبْعَةٍ فرعُها في السماء ومفرُّها مُرَّةُ الأبطحِ

وأدخله عبدُ الملك بنُ صالح إلى الرشيد فأنشده :

يا ناعشَ الجَدِّ إذا الجَدُّ عَثَرَ وجابرَ العَظَمِ إذا العَظَمُ انكَسَرَ
أنت رَبيمي والربيعُ يُنْتَظَرُ وخيرُ أنواءِ الربيعِ ما بَكَرَ
فقال الرشيد : إذا يَبْكُرُ عليك رَبيمُنا ، يا فضلُ أعطه خمسةَ آلافِ دينارٍ .
وخسين ثوباً .

كان المهديُّ قد أجرى الخيلَ فسَبَقَها فرَسٌ يُقال له العَصَبانُ ، وطلب الشعراء فلم

(١) الأغاني أميري ١٧ : ٧٨ - طبقات الشعراء لابن المعتز .

يَخْضُرُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَبُو دُلَامَةَ ۖ فَقَالَ : قَلَدَهُ يَارَنْدُ فَلَمْ يَفْهَمْ مَا أَرَادَ فَقَلَدَهُ عِمَامَتَهُ
فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ : يَا ابْنَ الْإِخْنَاءِ ۖ أَنَا أَكْثَرُ عِمَائِمَ مِنْكَ ۖ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ تُقَلِّدَهُ
شِعْرًا ۖ ثُمَّ قَالَ : يَا لَهْفَى عَلَى الْعُمَانِيِّ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِهَا حَتَّى أَقْبَلَ الْعَمَانِيُّ فَقِيلَ لَهُ : هَذَا
هُوَ قَدْ أَقْبَلَ السَّاعَةَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ فَقَالَ : قَدَّمُوهُ فَقُدِّمَ فَقَالَ : قَلَدْتُ فَرَسِي هَذَا
فَقَالَ غَيْرَ مُتَوَقِّفٍ :

قَدْ غَضِبَ الْفَضِيانُ إِذْ جَدَّ الْغَضَبُ	وَجَاءَ يَحْمِي حَسَبًا فَوْقَ الْحَسَبِ
مِنْ إِرْثِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ	وَجَاءَتْ الْخَلِيلُ بِهِ تَشْكُو الْيَتِيمَ
لَهُ عَلَيْهَا مَالِكُمْ عَلَى الْعَرَبِ	النَّسَبُ الْمَعْرُوفُ غَيْرُ الْمُؤْتَشَبِ

فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ، وَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ .

مُخَارِقُ^(١)

هو مَخَارِقُ بْنُ يَحْيَى بْنِ نَاوُسِ الْجَزَارِيِّ ، مولى الرشيد ، وقيل : ناووس لقبُ أبيه يحيى .

وكنية 'مَخَارِقُ أَبُو الْمَهَنَّا ، كناه الرشيدُ بذلك ، وكان قبَلَهُ لعاتكة بنتُ سُهْدَةَ ، وهى من المغنياتِ الْمُحْسِنَاتِ .

ونشأ مَخَارِقُ بالمدينة ، وقيل بالكوفة ، وكان أبوه جَزَّارًا مملوكًا ، وكان مَخَارِقُ ، وهو صَبِيٌّ ، يُنادى على اللحم الذى يبيعه أبوه ، فلما بانَ طيبُ صَوْتِهِ علِمَتْهُ مولاهُ طَرَفًا من الفناء ، وأرادت بَيْتَهُ فاشتراه إبراهيمُ المَوْصِلِيُّ منها ، وأهداه للفضلِ بْنِ يَحْيَى ، فأخذَه الرشيدُ ثم أَعْتَقَهُ ، وكانت مولاهُ قَدِمَتْ به من الكوفةِ فنزلَ المَخْرَمُ^(٢) . وصار إبراهيمُ إلى الأصْبَغِ بْنِ سِنَانِ الْمُقَيِّنِ وشيرينَ ابْنِ طَرْخَانَ النَّخَّاسِ فقالا له : إن ها هنا امرأةٌ من أهل الكوفةِ قد قَدِمَتْ ومعها غلامٌ مُغْنٍ ، ونحبُّ أنْ تَنْفَعَهَا فيه فوجهوا بغلامٍ لإحضاره قال : فوجده مُتَمَرِّغًا فى رمل الجزيرة التى بإزاء المَخْرَمِ ، وهو يلعب ، فحملَه وأتى به إبراهيمُ فغَسَّى بين يديه ، فقال لها : كم أملكُ فيه ؟ فقالت : عشرةُ آلافِ دِرْهَمٍ . قال : قد أخذتهُ بها ، وهو خير منها ، فقالت : أَقْلَيْنى . قال : قد فعلتُ ، فكم أملكُ فيه ؟ قالت : عشرون ألفًا ، قال : قد أخذتهُ بها ، وهو خير منها . فقالت : والله وما تطيبُ نفسى أنْ أَمْنَعَ كَبِدًا رَطْبَةً عشرين ألفَ دِرْهَمٍ ، فهل لك فى خَصْلَةٍ تعطينى به ثلاثين ألفَ دِرْهَمٍ ، ولا أستعيلك بعدها ؟ فقال : قد فعلتُ وهو خير منها ، فصَفَقْتُ على يَدِهِ

(١) الأغاني ٢١ : ١٤٣ ومواضع أخرى .

(٢) المخرم : محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر معلى منسوبة إلى مخرم بن يزيد بن شريح .

وبابعتَه . وأحضرَ المالَ وأمرَ بزيادةِ ثلاثةِ آلافِ درهمٍ عليه ، وقال : تكونَ هذه
لهديَّةٍ تُهدينها أو كُسوَّةٍ تَكْتَسِيها ولا تتَلَمِينِ المالَ وراحَ إلى الفضلِ بنِ يحيى .
فقالَ له : ما خبرَ غُلامٍ بلغنِي أنكَ اشتريتَه ؟ فقال : هو ما بَلَغَكَ قال : فأرنيه
فأحضرَه فلما تَفَنَّى بينَ يدي الفضلِ ، قال : ما أَرى فيه الذي رأيتَ قال : أنتَ
تريدُ أن يكونَ في الغناءِ مِثْلِي في ساعةٍ واحدةٍ . ولم يكنْ مثلهُ في الدنيا ولا يكونُ
أبداً . فقال : بكمْ تَبِعُهُ ؟ قال : قد اشتريتُهُ بثلاثةِ وثلاثينَ ألفَ درْهمٍ وهو خُرٌّ
لوجهِ الله إن بَعَثَهُ إلا بثلاثةِ وثلاثينَ ألفَ دينارٍ ، فغضبَ الفضلُ . وقال : إنما
أردتَ أن تَمْنَعَنِيهِ أو أن تجعلَه سبباً لأنْ تأخذَ مني ثلاثةَ وثلاثينَ ألفَ دينارٍ ،
فقالَ له : أنا أصنعُ بك خِصْلَةً . أيُّمك نصفَه بنصفِ هذا المالِ ، وأكونَ شريكَكَ
في نصفه . فإنْ أعْجَبَكَ إذا عَلِمْتَهُ أتممتَ لِي باقى المالِ وإلا بَعَثَهُ بعدُ وكانَ الربحُ
بينِي وبينكَ . فقالَ له الفضلُ : إنما أردتَ أن تأخذَ مني المالَ الذي قَدَّمْتَ ذَكَرَهُ .
فلما لم تَقْدِرْ على ذلكَ أردتَ أن تأخذَ نصفَه وَغَضِبَ . فقالَ له إبراهيمُ : فأنا أهْبُهُ
لك على أَنه يساوى ثلاثةَ وثلاثينَ ألفَ دينارٍ ، قال : قد قَبِلْتُهُ قال : قد وهبْتُهُ لك .
وغدا إبراهيمُ على الرشيدِ فقال : يا إبراهيمُ ما غلامٌ بلغنِي أنكَ وَهَبْتَهُ للفضلِ ، فقال :
يا أميرَ المؤمنين : غلامٌ لم تَمْلِكِ العربُ ولا العجمُ مثلهُ ، ولا يكونُ مثلهُ أبداً قال :
فوجَّهْ إلى الفضلِ بِأمرِهِ بِإحضاره . فوجهَ به إليه ، فتَفَنَّى بينَ يديهِ قالَ إبراهيمُ :
فقالَ لِي : كم يساوى ؟ فقلتُ : يساوى خَراجَ مِصرَ وضياعَها ، فقالَ لِي : وبلكَ
أندري ما تقولُ ؟ مبلغُ هذا المالِ كذا وكذا . قلتُ : وما مقدارُ هذا المالِ في شيءٍ
لم يَمْلِكِ أحدٌ مثلهُ قط ، قال : فالتفتَ إلى مسرورِ الكبيرِ وقال : قد عرفتَ يميني
ألا أسألُ أحداً من البرامكةِ شيئاً بعدَ قَنَقَنَةٍ ، فقالَ مسرورُ : أنا أمضي إلى الفضلِ
فأستوهبُهُ منه . فإذا وَهَبَهُ لِي وكانَ عَبْدِي فهو عَبْدُكَ . فقالَ له شأنُكَ فمضى

مسرورٌ إلى الفضل فقال له : قد عرفتم ما وقعتُم فيه من أمر قنقنه وإن منعتموه هذا النلام قامت القيامة واستوهبه منه فوهبه له ، فكان علوية إذا غضب على مخارق يقول له حيث يقول : أنت مولى أمير المؤمنين ، متى كنت كذلك ؟ إنما أنت عبد الفضل بن يحيى أو مولى مسرور ، وكان سبب لقب أبيه ناووس أنه كان بايع رجلا أن يمضى إلى ناووس الكوفة فيطبخ فيه قدرًا بالليل حتى ينضج ، فطرح رهنه بذلك ، فذس الرجل الذى راهنه رجلا فالتقى نفسه فى الناووس بين الموتى فلما فرغ ناووس من الطبخ مد الرجل يده من بين الموتى وقال له : أطمني . فغرف له مِلءَ المغرفة من المرققة وصبها فى يد الرجل فأحرقها وضربها بالمغرفة . وقال له : اصبر حتى نطعم الأحياء أولا ثم نتفرغ للموتى فلقب ناووس بذلك . ولما اشتراه الرشيد كان يقف بين يديه مع النلمان لا يجلس ويفنى وهو واقف ففنى له جامع يوما بين يدى الرشيد :

كأن نيراننا فى جنب قلعتهُم مصبغات على أُرسانٍ قصارٍ
هوت هرقلة لما أن رأت عجبا جوائنا ترتعى بالنفط والنار

فطرب الرشيد واستعاده منه عدة مرات . وهو شعرٌ مدح به لما فتح هرقلة ، وأقبل على ابن جامع دون غيره ، فمزمز مخارق إبراهيم بيمينه وتقدمه إلى الخلاء ، فلما جاءه قال : ما أراك منكسرا ؟ قال : أما ترى إقبال أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت ، قل : فقد والله أخذته منه . فقال : ويحك ، إنه الرشيد وابن جامع من تعلم . ولا يمكن معارضة إلا بما يزيد على غناؤه وإلا فهو الموت . قال : دعنى وخلاك دَمٌ ، وعرفه أنى أغنى به فإن أحسنتُ فإليك يُنسب وإن أسأتُ فإلى يمود . فقال للرشيد : يا أمير المؤمنين أراك متعجبا من هذا الصوت بغير ما يستحقه وأكثر ما يستوجبه . فقال : لقد أحسن فيه ابن جامع ما شاء . قال :

ولابن جامع هو؟ قال : نعم كذا ذكر ، قال : فإنَّ عبدَكَ مخارقاً يُغْنِيهِ فنظر إلى مخارق . فقال : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : هاته . فغناه وتحفظَ فيه فأتى بالمجائب فطربَ الرشيدَ حتى كاد يطيرُ فرحاً ، وشربَ ثم أقبل على ابن جامع ، فقال : ويلك ، ما هذا ؟ فابتدأ يحلفُ بالطلاقِ وكلُّ مُخرِجَةٍ أنه لم يسمعَ هذا الصوتَ قط إلا منه ، ولا صَمنه غيره ، وأنها حيلةٌ جرَّت عليه ، فأقبلَ على إبراهيم وقال : أصدقني بحياتي . فصدقَ عن قصَّةِ مخارق . فقال له : أكَذلك هو يا مخارق ؟ قال : نعم يا مولاي ، قال : فاجلس إذاً مع أصحابك ، فقد تجاوزتَ مرتبةً من يقومُ وعَتَقَهُ ووَصَلَهُ ثلاثين ألفَ دينار . وأقطعهُ ضيعةً وأعطاه منزلاً .

قال هارون بن مُخارق : كان أبي إذا غنى هذا الصوت :

يا ربِّعَ سَلَمَى لَقَدْ هيجتَ لى طرباً زِدْتَ الفؤادَ على عِلَّاتِهِ وَصَبَا
رَبِّعُ تَبَدَّلَ مِمَّنْ كان يَسْكُنُهُ عُفَرَ الظباءِ وظُلُمَاناً به عُصْبَا

يبكي ويقول : أنا مولى هذا الصوت ، فقلت له : وكيف يا أبا ؟ فقال : غنيتُه مولاي الرشيدَ فبكي وشربَ عليه رطلاً ثم قال : أحسنت يا مخارق ، فسألني حاجتك ، فقلت : تعفِّقني يا أمير المؤمنين من الرِّقِّ وتَسْتَرِّقني بولائك . اعتقَكَ اللهُ من النار ، فقال : أنت حر لوجهِ الله ، أعدِ الصوتَ فأعدته فبكي وشربَ رطلاً ، وقال : أحسنت يا مخارق فسألني حاجتك . فقلت : ضيعةٌ تقيمُني غَلَّتْها قال : قد أمرتُ لك بها . أعدِ الصوتَ فأعدته فبكي ، وقال : سل حاجتك فقلتُ يا أمير المؤمنين : تأمرُني بمنزلي وما يُصلِحُهُ وفرَّشٍ وخادمٍ . قال : ذلك لك ، أعدِ الصوتَ فأعدته فبكي . وقال : سل حاجتك فقبِلْتُ الأرضَ بين يديه وقلت : حاجتي أن يُطِيلَ اللهُ بقاءَكَ ويديمَ عِزَكَ ويجعلَني من كلِّ سوءٍ فدائك فأنا مولى هذا الصوتِ بعدَ مولاي .

قال مخارق : اصطبَحَ الرشيدُ يوماً فقال للمغنين من منكم يُعَنِّي :

* يا ربّ سلمى لقد هيّجت لى طرباً *

فَقَمْتُ وَقُلْتُ: أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : هَاتِهِ ، فَغَنَيْتُهُ فطَرِبَ وَشَرِبَ ثُمَّ قَالَ :
 عَلَى بَهْرَثَةٍ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا تَرَاهُ يَرِيدُ بِهِ ، فَجَاءُوا بِبَهْرَثَةٍ ، فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَجْرُ
 سَيْفُهُ فَقَالَ : يَا بَهْرَثَةُ ، مَخَارِقُ الشَّارِي الَّذِي قَتَلَنَاهُ بَنَوَاحِي الْمَوْصِلِ ، مَا كَانَتْ كُنْيَتُهُ ؟
 فَقَالَ : أَبُو الْمُهَنَّا . فَقَالَ : أَنْصَرَفُ فَأَنْصَرَفَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى فَقَالَ : قَدْ كُنَيْتُكَ أَبَا الْمُهَنَّا
 لِإِحْسَانِكَ وَأَمَرْتُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَأَنْصَرَفْتُ بِهَا وَبِالْكُنْيَةِ وَكَانَ الْوَاقِقُ يَقُولُ :
 خَطَأُ إِسْحَاقَ كَصَوَابِ مَخَارِقٍ وَخَطَأُ مَخَارِقَ كَصَوَابِ عَلَوِيَّةٍ ، وَمَا غَنَانِي مَخَارِقُ
 قَطُّ إِلَّا قَدَّرْتُ أَنَّهُ مِنْ قَلْبِي خُلِقَ ، وَلَا غَنَانِي إِسْحَاقُ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّهُ زَيْدٌ فِي مُلْكِي
 مُلْكٌ آخَرٌ . وَكَانَ يَقُولُ : أَتَرِيدُونَ أَنْ تَنْظُرُوا فَضْلَ مَخَارِقٍ عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِهِ ؟ انْظُرُوا
 إِلَى هَؤُلَاءِ الْغُلَامَانِ الَّذِينَ يَقْفُونَ فِي السَّمَاءِ . فَكَانُوا يَتَفَقَدُونَهُمْ وَهُمْ وَقُوفٌ . وَكُلُّهُمْ
 يَسْمَعُ الْغَنَاءَ مِنَ الْغَنَّانِينَ جَمِيعًا ، وَهُوَ وَاقِفٌ مَكَانَهُ ضَابِطٌ لِنَفْسِهِ . فَإِذَا غَنَى مَخَارِقُ
 خَرَجُوا عَنْ صُورِهِمْ فَتَحَرَّكَتْ أَرْجُلُهُمْ وَمِنَا كِبُهُمْ وَبَانَتْ أَسْبَابُ الطَّرِبِ فِيهِمْ .
 وَازْدَحَمُوا عَلَى الْحَبْلِ الَّذِينَ يَقْفُونَ مِنْ وَرَائِهِ . قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي الْقَتَاهِيَةِ ، وَقَدْ حَضَرَتْهُ
 الْوَفَاةُ : هَلْ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ تَشْتَهِيهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . يَحْضُرُ مَخَارِقُ السَّاعَةِ وَيَغْنَى :
 سَتُعْرِضُ عَنْ ذِكْرِي وَتَنْسَى مَوَدَّتِي وَيَحْدُثُ بَعْدِي لِلْخَلِيلِ خَلِيلٌ
 إِذَا مَا انْقَضَتْ عَنِّي مِنَ الدَّهْرِ مُدَّتِي فَإِنْ غَفَاءَ الْبَاكِاتِ قَلِيلٌ
 كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَهْلٍ وَجَاعَةً وَقُوفًا بِكُنَاسَةِ الدَّوَابِّ . فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ بَيْفُتَادٌ ،
 يَتَحَدَّثُونَ ، فَأَقْبَلَ مَخَارِقُ عَلَى حِمَارٍ أَسْوَدَ . وَعَلَيْهِ قَيْصٌ رَفِيقٌ وَرَدَاءُ مُسَهَّمٍ . فَقَالَ :
 فِيمَ كُنْتُمْ ؟ فَأَخْبَرُوهُ . فَقَالَ : دَعَوْنِي مِنْ وَسْوَاسِكُمْ هَذَا . أَيْ شَيْءٌ لِي عَلَيْكُمْ إِنْ رَمِيتُ
 بِنَفْسِي بَيْنَ قَبْرَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْقُبُورِ . وَغَطِيتُ وَجْهِي وَغَنَيْتُ صَوْتًا . فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ
 فِي الْكُنَاسَةِ وَلَا فِي الطَّرِيقِ . مِنْ مُشْتَرٍ وَلَا بَائِعٍ وَلَا صَادِرٍ وَلَا وَارِدٍ إِلَّا تَرَكَ عَمَلَهُ
 وَقَرَّبَ مِنِّي وَاتَّبَعَ صَوْتِي فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِنِّي لَا حِبَّ أَنْ أَرَى هَذَا . فَقُلْتُ مَا شِدَّتْ .

فقال : فَرَسُكَ الْأَشْقَرُ الَّذِي طَلَبْتُهُ مِنْكَ فَمَنَعْتَنِيهِ قَالَ : هُوَ لَكَ إِنْ فَعَلْتَ مَا قُلْتُ «
ثُمَّ دَخَلَهَا وَرَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ قَبْرَيْنِ وَتَغَطَّى بِرِدَائِهِ ثُمَّ اِنْدَفَعَ يَغْنَى فِي شَعْرِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

نَادَتْ بَوْشَكَ رَحِيلَ الْأَيَّامِ أَفَلَسْتَ تَسْمَعُ أَمْ بِكَ اسْتِصْنَامُ
وَمَضَى أَمَامَكَ مِنْ رَأَيْتِ وَأَنْتِ لَا بَارِقِينَ حَتَّى يَلْحَقُوكَ إِمَامُ
مَالِي أَرَأَيْكَ كَأَنَّ عَيْنَكَ لَا تَرَى عِبرًا تَعْرِ كَأَنَّهُنَّ سِهَامُ
تَمْغِي الْخُطُوبُ وَأَنْتِ مُنْقَبِهِ لَهَا فَإِذَا مَضَتْ فَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ

قال : فرأيت الناسَ يَنْفَضُونَ إِلَى الْقَبْرِ أَرْسَالًا بَيْنَ رَاكِبٍ وَرَاجِلٍ وَصَاحِبِ
شَوْكٍ وَصَاحِبِ كَرَرٍ وَمَا رِ الطَّرِيقِ وَلَمْ يَبْقَ بِالطَّرِيقِ أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ لَنَا : مَنْ تَحْتَ
رِدَائِهِ « هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ ؟ قُلْنَا : لَا ، وَقَدْ وَجِبَ الرَّهْنُ فَقَامَ فَرَكَبَ حِمَارَهُ وَعَادَ النَّاسَ
إِلَى صَنَائِعِهِمْ ، وَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ : اخْضِرِّ الْفَرَسَ فَقَالَ : عَلَى أَنْ تُقِيمَ الْيَوْمَ عِنْدِي «
قَالَ « نَعَمْ » فَأَنْصَرَفُوا وَسَلَّمُوا الْفَرَسَ إِلَيْهِ وَبَرَّهَ وَأَحْسَنَ رِفْدَهُ .

[دَخَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَوْمًا إِلَى صَدِيقٍ لَهُ ، وَعِنْدَهُ جَارِيَةٌ تَغْنَى ، فَقَالَ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، إِنْ
هَذِهِ الْجَارِيَةُ تَغْنَى صَوْتًا حَسَنًا فِي شَعْرِ لَكَ أَفْتَنْبَسُطُ لِسَاعِهِ قَالَ : هَاتِهِ ، فَغَنَّتْ لِحْنًا عَمْرُو
ابْنِ بَانَةَ فِي قَوْلِهِ :

* نَادَتْ بَوْشَكَ رَحِيلَ الْأَيَّامِ *

فَعَبَسَ وَبَسَرَ ، وَقَالَ : لَا جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ صَنْعِ هَذِهِ الصَّنْعَةِ فِي شِعْرِي ،
قَالَ : فَإِنَّهَا تُغْنِي فِيهِ لِحْنًا لِحَارِقٍ قَالَ : فَلَتَغْنَنَّهُ فَمَنَعَتْهُ فَأَعْجَبَهُ وَطَرِبَ طَرَبًا شَدِيدًا ،
حَتَّى بَكَى . وَقَالَ : جَزَى اللَّهُ هَذَا عَنِّي خَيْرًا .

قال مخارق : رأيت « وَأَنَا حَدَّثْتُ ، كَأَنَّ شَيْخًا جَالَسًا عَلَى سُرِيرٍ فِي رَوْضَةٍ حَسَنَةٍ
قَدْ دَعَانِي ، فَقَالَ : غَنِّي يَا مَخَارِقَ ، فَقُلْتُ : أَصَوْتًا تَقْتَرِحُهُ أَوْ مَا خَضَرَ ؟ فَقَالَ :
بَلْ مَا خَضَرَ « فَغَنَيْتُهُ فِي هَذَا الشَّعْرِ بِصُنْعَتِي :

دَعِ الْقَلْبَ لَا يَزِدُّ خَبَالًا مَعَ الَّذِي بِهِ مِنْكَ أَوْ دَاوَى جَوَاهِ الْمُسَكَّتَمَا

وليس بتزويق اللسانِ وصَوْنِهِ ولكنّه قد خالطَ اللحمَ والدِّمَا
فقال : أحسنت يا مخارق ، ثم أخذ وترًا من أوتار العود فلَفَّهُ على المضرب
ودفعه إلى فجعل المضربُ يطولُ وَيَقْلُظُ والوترُ يَنْتَشِرُ وَيَعْرُضُ حتى صار المضربُ
كلُّهُ منح والوترُ كالمَدَنَةِ عليه وصار في يدي عَلمًا ، ثم انتهتُ فحدثتُ رؤياي إبراهيمَ
المَوْصِلِيَّ فقال لي : الشيخُ ، بلا شك ، إبليسُ وقد عَقَدَ لك لواءَ صِنَاعَتِكَ فأنت
ما حييتَ رئيسُ أَهْلِهَا ، وأظنُّ مادحَ مخارقٍ غَنَى هذا بقوله :

لقد عقدَ الشيخُ الذي غرَّ آدمًا فأخرجه من جَنَّةٍ وحدائقِ

لواءي فنونَ للقرىضِ وللِفَنَّا وأقسمَ لا يُعطِيهما غيرَ حاذِقِ

كان هارونُ بنُ أحمدَ بنِ هشامٍ عندَ مخارقٍ ، فلمبِ معه بالترُّدِ فَمَقَرَهُ مخارقُ
مائتي رطلٍ باقِلِيَّ طَرِيًّا : فقال مخارقُ : وأنتم عِنْدِي أَطْعِمُكُمْ من لَحْمِ جَزَورٍ
من الصَّنَاعَةِ ، يعني من صِنَاعَةِ أبيه ومرَّ بهارونُ بنُ أحمدَ فصِيلٌ ينادى عليه «
فاشترَاة بأربعة دنانيرَ ووجَّهَ به إلى مُخَارِقِ : وقال : يكون ما تُطْعِمُنَا من هذا
الفصيلِ ، فاجتمعوا وطَبَّخَ مخارقُ بيده جُزَارَتَهُ ، وعمل من سَنَانِهِ وَكَبَدَهُ وَلَحْمَهُ
ضَفَائِرَ وشَوَّبَتْ في التَّنُورِ ، وعمل من لَحْمِهِ لونا يشبه الهَرِيسَةَ بشميرٍ مُقَشَّرٍ في نهايةِ
الطَّيِّبِ « فأكلنا وجلسنا نَشْرَبُ فإذا بامرأةٍ تَصِيحُ من الشُّطِّ : يا أبا المَهْنَأُ « اللهَ اللهَ
في » ، حلف زوجي عَلَيَّ بالطلاقِ الثلاثِ أن يَسْمَعَ غِنَاءَكَ ويشربَ عليه . فقال : اذهبي
جِئِيْني به « فجاء مجلس . فقال له : ما حملك على ما صَنَعْتَ فقال له : يا سيدي كنتُ
سمعتُ صوتًا من صَنَعَتِكَ فطربتُ عليه حتى استخَفَّفَنِي الطربُ فخلفتُ أن أسمعَ منكَ
ثَقَّةً يا بَاجِبَكَ حقَّ زوجتي ، وكانت زوجته دَايَةَ هارونَ من مخارقٍ فقال : وما الصوتُ ؟
فقال شعر الحسين بن مطير :

بَكَرْتُ عَلَيْكَ فَهَيَّجَتْ وَجَدًا هُوجُ الرِّيحِ وَأَذْكَرَتْ نَجْدًا

أَتَحْنُ مِنْ شَوْقٍ إِذَا ذُكِرْتُ نَجْدٌ وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا عَمْدًا

ففناه إياه وسقاء رطلا ، وأمره بالانصراف ونهاه ألا يعاود ، وخرج فلم يلبث أن عادت المرأة تصرخ ، الله الله يا أبا المنأ قد أعاد زوجي المشؤم تلك اليمين أنك تمنيه صوتا آخر ، فقال لها : أحضريه . فقال له : ويلك مالى ولك ، أى شئ قضيتك فقال : يا سيدى أنا رجل طروب فقد كنت سمعت لك صوتا آخر فاستغزنى الطرب إلى أن حلفت بالطلاق ثلاثا أتى أسمعه منك قال : وما هو ؟ قال :

أبلغ سلامة أن البين قد أديا وأن صحبك عنها راحون غدا
هذا الفراق يقينا أن صبرت له أولا فإنك منها ميت كمدا
لا شك أن الذى بسوف يهلكنى إن كان أهلك حب قبله أحدا

ففناه إياه مخارق وسقاء رطلا وقال له : احذر أن تماود فانصرف ولم تلبث أن عادت الصياح ، تصرخ : ياسيدى قد عاود اليمين ثلاثة ، الله الله فى وفى أولادى ، قال : هاتيه فأحضرتة فقال لها : انصرفى أنت ، فإن هذا كلما انصرف حلف وعاد ، فدعيه بقيم يومه وليلتته ، فتركته وانصرفت . فقال له مخارق : ما قضيتك أيضا ؟ قال : قد عرفتك يا سيدى أننى رجل طروب وكنت سمعتك تبنى صوتا من صنعك فاستغزنى الطرب إلى أن حلفت أن أسمعه منك قال وما هو قال :

ألف الظبي ببادى ونفى عنى رقادى
وعدا الهجر على الوض ل بأسيا فى حداد
قل لمن زيف وددى لست أهلا لودادى

ففناه إياه وسقاء رطلا ثم قال : يا غلام ، مقارع فجى بها ، وأمر به فبطح وضرب خمسين مقرة ، وهو يستغيث ولا تكلمه ثم قال : أحلف بالطلاق ثلاثا أنك لا تذكرنى أبدا وإلا كان هذا دأبك إلى الليل خلف بالطلاق ثلاثا على ما أمره به ثم أقيم وأخرج من الدار فجعلنا نضحك بقية يومنا من حقه .

خرج مخارق مع بعض إخوانه إلى بعض المُنْتَزَهِاتِ فنظر إلى قَوْسٍ مُذْهَبَةٍ
مع بعض من خرج ، فسأله إياها ، فكان المسئولُ ضَنًّا بها ، وسنحتُ طباءً بالقرب
منه فقال لصاحب القوسِ : أرايتَ إن تغنيتُ صوتاً فمَظَفْتُ على به صدورُ هذه
الطبباءِ أتدفعُ إلى القوس ؟ قال : نعم ، فاندفع يغنى :

ماذا تقول الطباءُ أفرقةً أم لقاء
أم عهدُها بسُلَيْمَى وفي البيانِ الشفاء
مرّت بنا سانشاتٍ وقد بدا الإمساء
فما أحارتُ جواباً وطال فيها العباء

فمَظَفَتِ الطبباءُ راجعةً إليه حتى وقفتُ بالقرب منه فنظرُ إليه مُضْغِيَةً إلى صوته
فمَجِبَ من حضر من رُجوعها ووقوفها ۞ وناولهُ الرجلُ القوسَ ۞ فأخذها منه
وقطعَ الغناء وعادَتِ الطبباءُ رفاها ومضت راجعة على سَنَنِها .

دخل المتوكل إلى جارية من جواريه وهى تغنى :

أَمِنْ قَطْرِ الندى نَظْمٌ تَرْتَفِرُكُ أم من البردِ
ورِيقُك من سلافِ الكر مِ أم من صفوقِ الشَّهْدِ
أيا من قد جَرَى مَتْنِي كم جَرَى الروح في الجَسَدِ
ضميرُك شاهدي فيما أفا سيهِ من الكَمَدِ

فقال لها : ويحك لمن هذا الغناء ؟ قالت : أخذته عن مخارق ۞ قال : فألقيه على
الجوارى جميعاً ۞ ففعلت ۞ فلما أخذته عنها أمر بإخراجهنَّ إليه ۞ ودعا بالنبيذ
وأمرهن ألا تغنينه غيره ثلاثة أيام متوالية ، وكان ذلك بعد وفاة مخارق .

قال عبدُ الله بنُ إبراهيم بنِ المهدي : غَنَتْ شاريةُ يوماً بحضرة أبي صوتاً فأحْدَثَ
النظر إليها ، وصبر حتى قَطَعَتْ نَفْسَهَا ثم قال لها : امسِكِي فأَمْسَكَتْ . فقال : قد
عرفتُ إلى أين ذهبتِ أردتِ أن تشبهى بمخارق في تزايدِهِ ، قالت : نعم يا سيدي ۞

قال : فإياك أن تمودى ، فإن مخارقا خلّقه الله وحده في طبعه وخلّقه وصورة
ونفسه يتصرف في ذلك أجمع كيف أحب . ولا يلحقه أحد ، ولقد أراد غيرك أن
يتشبه به في هذه الحال فهلك واقتضح ولم يلحقه فلا أسمعك تعترضين لمثل هذا
بعد وقتنا هذا .

قال مخارق : دعاني الأمين يوما ، وقد اصطبح واقترح على :

استقبكت ورق الريحان تلفظه وعنبر الهند والوردية الجدا

ألسنت تعرفني في الحى جارية ولم أخفك ولم أمدد إليك يدا

فغنيته إياه ، فطرب عليه طربا شديدا ، وشرب عليه أرطالا . وأسرلى بألف
دينار وخلّع على جبة وثى كانت عليه مذهبة ودراعة مثلها ، تسكاد نعشى
البصر من كثرة الذهب ، فلما لبست ذلك ورآه على نديم . وكان كثيرا ما يفعل
ذلك ، فقال لبعض الخدم : قل للطباخ بأيتنا بمصلية^(١) معقورة الساعة فأتي بها .
فقال لى : كل معي ، وكنت أعرف الناس به وبكراهيته ذلك . فامتنعت فحلف أن
أكل معه . فحين أدخلت يدي في الفضارة^(٢) رفع يده وقال : أف نعتمتها . والله ،
على وقدّرتها عندي بإدخالك يدك فيها ، ثم رفس القصعة رفسة فإذا هي في
حجرى . وودكها يسيل على الخلعة ، حتى نفذ إلى جلدي فقامت مبادرا فنزعتهما
وبعثت بها إلى منزلى . وعدت وأنا مغموم بها ، وهو يضحك . فلما رجعت إلى
منزلى جمعت كل صانع حاذق فجهدوا في إخراج الأثر منها فلم يخرج . ولم انتفع بها
حتى أحرقتهما . فأخذت ذهبها ، وضرب الدهر ضربا ثمة فدعاني المأمون فدخلت
إليه . وهو جالس . وبين يديه مائدة عليها رغيقان ودجاجتان . فقال لى : تعال
وكل ، فامتنعت . فقال لى : ويليك تعال فساعدنى فجلست فأكلت حتى استوفى ووضع

(١) المصلى : الشوى .

(٢) الفضارة : القصعة الكبيرة .

النبيذ ودعا علوية جلس فقال لى : يا مخارق أنغنى :

أقول التماس العذر لما ظلمتني وحملتني ذنبا وما كنت مُدُنبا

هيبنى امراً إماماً ربنا ظلمته وإماماً مُسيئاً قد أناب وأعْتَبَا

فقلت : نعم ياسيدى ، فقال : غنّه ، فغنّيته فعبّس فى وجهى ، وقال : قبحك

الله ، أهكذا يُغنّى هذا ثم أقبل على علوية ، فقال : تُغنّيه ؟ فقال : نعم ياسيدى .

فقال : غنّه فغنّاه ، فوالله ما قارَ ببنى فيه ، فقال : أحسنت والله ، وشرب رطلا

وأمر له بمشرة آلاف درهم واستماده ثلاثاً ، وشرب عليه ثلاثة أرتال ، يُعطيه مع

كل رطل عشرة آلاف درهم ، ثم حدف بإصبعه وقال : برقُ يمان . وكان إذا أراد

قطع الشربِ فعل ذلك فقمنا . فعملت من أين أتيت . فلما كان بعد أيام دعانى

فدخلت إليه ، وهو جالس فى ذلك الموضع بعينه ، يأكلُ فقال لى : تعال ، ويحك .

فساعدنى . فقلت : الطلاق لازم لى إن فعلت . فضحك . ثم قال : ويحك أترانى

بخيلاً على الطعام ؟ لا ، والله ، ولكن أردت أن أودّبك فإن السادة لا ينبغي

لعبيدها أن تؤاكلها أفهمت ؟ فقلت : نعم : قال : الآن إذن فكلْ ولك الأمان .

فقلت : أكون أول من أضاع تأديبك واستحق العقوبة من قريب ، فضحك

حتى استمرب . وأمر لى بألف دينار ، ومضيت إلى حُجرتى المرسومة لى للخدمة

فأتيتُ هناك بطمام فأكلتُ ووضع النبيذ ودعا علوية فلما جلسنا قال يا علوية

أنغنى :

ألم تقولى نعم قالت أرى وهما منى وهل يؤخذ الإنسان بالوهم

قولى نعم إن لا إن قلت قائلتى ما ذا تريد من قتلنى بغير دم

فقال : نعم ياسيدى ، فقال . غنّه ، فغنّاه فعبّس فى وجهه وبسر ، وقال :

قبحك الله . أنغنى هذا هكذا ! ثم أقبل على فقال : أنغنيه يا مخارق ؟ فقلت : نعم

ياسيدى . وعرفت أنه أراد أن يستقيّد لى من علوية . ويرفع منى . وإلا فما أتى

علوية بما يعاب فيه . فغنيته فطرب وشرب رطلا ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم ، وفعل ذلك ثلاث مرات . كما فعل به ثم أمر بالانصراف . وما عاودت بمد ذلك مؤاكلة خليفة إلى وقتنا هذا .

غضب المعتصم على مخارق فأمر أن يُجمل في المؤذنين . ويلزمهم ، ففعل ذلك . فأمله حتى علم أن المعتصم جلس للشراب وأذنت العصر ، فدخل هو إلى الستر حيث يقف المؤذن للسلام ثم رفع صوته جهده وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . الصلاة برحمتك الله ، فسكى حتى جرت دموعه وبكى كل من حضره ، ثم قال : أدخلوه إلى وأقبل علينا وقال : سمعتم هكذا قط ، هذا الشيطان لا يترك أحداً يقضب عليه . فأدخل عليه فقبل الأرض بين يديه ، ودعا المعتصم إليه وأعطاه يده فقبلها وأمره بإحضار غوده فأحضره وأعادته إلى مرتبته .

قال أبو يعقوب الخريزمي : ما رأيت كثلاثة رجال كانوا يأكلون الناس أكلاً حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الرصاص على النار ، كان هشام بن السكبي علامة نسابه راوية للمثالب عيابة ، فإذا رأى الهيثم بن عدي ذاب كما يذوب الرصاص . وكان عدي بن الهيثم جوثقا مفعمانيا^(١) صاحب تقعر يستولى على كل كلام ، ولا يحفل بخطيب ولا شاعر فإذا رأى موسى الضبي ذاب كما يذوب الرصاص . وكان علوية واحد الناس في الغناء رواية وحكاية فإذا رأى مخارقاً ذاب كما يذوب الرصاص على النار .

كان مخارق يهوى جارية لأم جعفر يقال لها نهار ويستتر ذلك عن أم جعفر حتى بلغها فأقصته ومنعته من المرور بها فات كلفاً بها ، وقيل : إن مخارقاً لما بلغ

(١) من التفقيع وهو التشقق في الكلام .

أم جعفر قطعها إجلالاً لها وطمأ في السلوة عن جارتها « وضاق ذرعُه بذلك ، فبينما هو ذات ليلة في زلال وقد انصرف من دار المأمون ، وأم جعفر تشرف على دجلة إذ حاذى دارها فرأى الشمع يزهر فلما صار برأى منها ومسمع اندفع يغنى في شعر العباس بن الأحنف :

إن ينعوني تمرى قرب داركم فسوف أنظر من بُعد إلى الدار
سبى الهوى عرفت حتى شهرت بها إني محب وما بالحب من عار
ما ضر جيرانكم والله يصلحهم لولا شقائي إقبالي وإدباري
لا يقدر على منعي وإن جهدوا إذا صررت وتسليمي بإضماري

فقات أم جعفر : مخارق . والله « رُدُّوه فصاحوا بملاحه فقدم فأمره الخدم بالصمود فصمد وأمرت له أم جعفر بكرسى وصينية فيها نبيذ فشرب وخلعت عليه وأمرت الجوارى فغنين ثم ضربن عليه فغنى فكان أول ما غنى للعباس ابن الأحنف :

أغيبُ عنك بُودٍ لا يُغيِّرُهُ نأى الحَلِّ ولا صرفُ من الزمن
فإن أعشْ فلمل الدهر يجمعنا وإن أمت فقتيلُ الهم والحزن
قد حسن الله في عيني ما صنعت حتى أرى حسناً ما ليس بالحسن
قال : فاندفعت نهاراً فغنت كأنها ثباينه^(١) « وأجابته عن معنى ما عرض

لها به :

تعتلُّ بالشغلِ عنا ما تليماً بنا الشغلُ للقلب ليس الشغلُ للبدن
فقطنت أم جعفر أنها خاطبته بما في نفسها ، فضحكت وقالت : ما سمعنا بأملح مما صنعتما وهبتما له .

قال مخارق : كنت عند المأمون يوما فجاءه الخادم الحرثي ، فأسرّ إليه شيئا .
فوثبَ فدخل معه . ثم أبطأ علينا ساعة وعاد وعيناه تَدْرِقان ، فقال : دخلت الساعة
إلى جارية لي كنت أتحفظها فوجدتها في الموت . فسلمت عليها فلم تستطع ردّ السلام
إلا إيماء بأصبعها فقلت هذين البيتين .

سلامٌ على مَنْ لم يُطَقْ عندَ بَيْتِهِ سلاما فأومى باليمن المَخَضَّبِ
فما اسطَعْتُ تودِيعا له بسوى البُكا وذلك جهدُ السَّهامِ المَعْدَبِ
ثم قال : غنّ فيها يا مخارق . ففعلت : فما استمادني ذلك الغناء قط إلا بكى .
حج رجلٌ مع مخارق فلما قضيا الحجَّ وعادا قال له الرجل : بحق غنّنى
صوتا فغناه :

رَحَلْنَا فشرَقْنَا وراحوا فغرَّبُوا وفاضت لروعاتِ الفِراقِ عيُونُ
وتوفى مخارقُ في أولِ خلافةِ المَتَوَكِّلِ وقيل في آخرِ خلافةِ الواثقِ وكان
أكل قنبيطة باردة فقتلته في يومه .

نجز الجزء السابع من مختار الأغاني بحمد الله تعالى وعونه وتوفيقه . فرغ من
تعليمه جامعه عبد الله محمد بن المكرم الأنصارى في دمع .

مسلم^(١)

هو مسلمُ بنُ الوليد مولى الأنصارِ . ثم مولى أبي أمامة ، سعد بن زُرارة الخَزَرَجِيُّ ولُقِّبَ صريعَ الفوائِ . شاعرٌ متقدمٌ من شعراء الدولة العباسية ، ومولده بالكوفة . وهو فيما زعموا أولُ من قال الشعرَ المعروفَ بالبديع ، وتبعه فيه جماعة . وأشهرهم أبو تمام الطائي ، فإنه جعل شعره كله مذهباً واحداً ، وكان مسلم متفنناً متصرفاً في شعره حسن النظم جيد القول في الشراب ، وكثيرٌ من الرواة يُقرِّبه من أبي نواس في هذا المعنى ، وهو أولُ من عقدَ المعاني اللطيفة واستخرجها . وكان هو وأخوه مُنْقَطِعِينَ إلى يزيد بن مَزِيد ومحمد بن منصور بن زياد ، ثم الفضل بن سهل بعد ذلك ، وقلده الفضل المظالم بِجُرْجَانِ فأت بها ، وعلق مسلمُ جاريةً ذاتَ ذِكْرٍ وشرفٍ ، وكان منزِلُها في مَهَبِّ الشمال من منزله فقال في ذلك :

أَحِبُّ الرِّيحَ مَا هَبَّتْ شِمَالاً	وَأَحْسُدُهَا إِذَا هَبَّتْ جَنُوباً
أَهَابُكَ أَنْ أَبُوحَ بَذَاتِ نَفْسِي	وَأَفَرِّقُ إِنْ سَأَلْتُكَ أَنْ أَخِيماً
وَأَهْجُرُ صَاحِبِي حُبَّ التَّجَنِّي	عَلَيْهِ إِذَا مَا تَجَنَّيْتُ الذُّنُوبَا
كَأَنِّي حِينَ أَغْضِي عَنْ سِوَاكُمْ	أَخَافُ لَكُمْ عَلَى عَيْنِي رَقِيبَا

وكانت له جاريةٌ يُرْسِلُهَا إِلَيْهَا وَيَبْتِئُهَا سِرَّهُ فتعودُ إِلَيْهِ بِأَخْبَارِهَا وَرَسَائِلِهَا . فطال ذلك بينهما حتى أَحْبَبَتْهَا الْجَارِيَةُ التي علقها مسلمٌ ، ومالت إِلَيْهَا وَكَلَّتْهَا فِي

(١) اعتمدنا في تحقيق هذه الترجمة على ديوان مسلم ومقدمته التي جمعت ما كتب عنه في كتب

نهاية الحسن والكمال ، وكان مسلم يحب جاريتة محبة شديدة ، ولم يكن يهوى تلك ، إنما كان يريد الغزل والأدب فلما رأى مودة تلك الجارية لجاريتها هجر جاريتها منكراً لذلك وقطعها عن الذهاب إلى تلك وقال :

تدعى الشوق إن نأت وتجننى ^(١) إذا دنت
واعدتنا وأخلفت فأساءت وأحسنت
سررتي لو صبرت عن ما فتجزى بما جنت

وأتى مسلم بن الوليد أبو نواس فقال له : ما أعرف لك بيتاً إلا فيه سقط قال :
فما تحفظ من ذلك ؟ قال : قل أنت ماشئت حتى أريك سقطاً فيه ، فقال أبو نواس :
ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا وأمله ديك الصباح صياحا
فقال له مسلم : كيف أمله ، وهو الذى ذكره وبه ارتاح ؟ فقال له أبو نواس :

فأنشدنى شيئاً من شعرك ليس فيه خلل فأنشده مسلم :

عاصى الشباب فراح غير مُفند وأقام بين عزيمة وتجلد

فقال له أبو نواس : كيف جعلته راحاً مقياً فى حال واحدٍ وبيت واحدٍ
[فتشاعباً وتساباً] ساعة ، وكلا البيتين صحيح المعنى .

واجتمع أصحاب المأمون عنده يوماً فأفاضوا فى ذكر الشعراء فقال له بعضهم :
أين أنت يا أمير المؤمنين من مسلم بن الوليد ؟ قال : حيث ماذا ؟ قال : حيث يقول
وقد رثى رجلاً :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

وحيث مدح رجلاً بالشجاعة فقال :

يجود بالنفس إذا ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وهما رجلا بُقِّحَ الوجه والأخلاق فقال :
 قُبِّحَتْ سناظرُهم فحين خَبَرُهمُ حَسُنَتْ مناظرُهم بُقِّحَ المخْبَرُ
 وتغزل فقال :

هوَى بَجَلٍ وحبيبٌ يلمبُ أنتَ لقاَ بينهما مُمَذَّبُ
 فقال المأمون : هذا أشعر من خُصَّتُم اليوم في ذكره .

وحكى يزيدُ بن مَزِيد قال : أرسل إلى الرشيدي في ساعة لا يُرسلُ إلى مثلي فأثبته
 وأنا لابسُ سلاحى مستعدٌ لأمرٍ يريدُه . فلما رآنى ضحك وقال : يا يزيدُ خبرنى
 من الذى يقول فيك :

لله من [هائم] ^(١) فى أرضه جَبَلٌ وأنت [وابئكَ] ركنًا ذلك الجبلِ
 تراه فى الأمنِ فى درعٍ مضاعفةٍ لا يأمنُ الدهرُ أن يأتى على عَجَلِ
 فقلت : لا أعرفه يا أمير المؤمنين ، فقال : سوءةٌ لك من سيِّدِ قومٍ ۖ تَمْدَحُ
 بمثلِ هذا الشعرِ ولا تعرف قائله ! وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ، ووصل قائله ۖ
 هو مسلمُ بن الوليد ۖ فأنصرفت فدعوتُ به ووصلتهُ .

وحكى عنه أنه دخل على الرشيد يوما فقال : يا يزيد من الذى يقول فيك :
 لا يَعْبُقُ الطيبُ خَدَيْهِ ومُفْرِقُهُ ولا يَمْسَحُ عَيْنِيهِ من الكُحُلِ
 قد عود الطيرَ عاداتٍ وَثَقْنَ بها فُهْنٌ يَتَّبَعْنَهُ فى كل مُرْتَحَلِ
 فقال : لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين ۖ فقال : أيقال فيك مثل هذا الشعر
 ولا تعرف قائله ! ؟ فخرج من عنده خَجَلًا ۖ فلما صار إلى منزله دعا بالحاجب ، فقال :
 من بالباب من الشعراء ؟ قال : مسلمُ بن الوليد ۖ فقال له : وكيف حَجَبْتَهُ عني فلم

(١) ما بين القوسين عن الديوان وقد جاء محرفا فى الأصل مع زيادة حرف الجر « فى » قبل
 (ذلك الجبل) .

تُعَلِّمْنِي مَكَانَهُ ؟ قَالَ : أَخْبَرْتُهُ أَنَّكَ مُضَيِّقٌ وَأَنَّكَ لَيْسَ فِي يَدَيْكَ شَيْءٌ . تَمَطَّيْهِ ،
وَسَائِلَهُ الْإِمْسَاكَ وَالْمُقَامَ إِلَى أَنْ تَنْتَسِعَ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَدْخِلْهُ . فَأَدْخَلَهُ
إِلَيْهِ . فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ فِيهِ :

أَجْرَرْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ فِي الصَّبِيِّ غَزَلٍ وَكَشَرْتُ هَمُّهُ الْمُدَّالِ فِي عَدَلٍ

رد^(١) البكاء على المين الطُمُوح هَوًى

مُفَرَّقٌ بَيْنَ تَوَدِيعٍ وَمُحْتَمَلٍ

مما جئت^(٢) وإن كانت مُسَيَّ صَدَقَتْ صِبَابَةً خَلَسَ التَّسْلِيمُ^(٣) بِالْمَقْلِ

فَقَالَ لَهُ : قَدْ أَمَرْنَاكَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَأَقْبَضَهَا وَاعْتَذَرَ : فَخَرَجَ ، وَخَرَجَ الْحَاجِبُ ،
فَقَالَ لِمُسْلِمٍ : قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُرْهِنَ ضَيْعَةً مِنْ ضِيَاعِهِ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، خَمْسُونَ أَلْفًا
مِنْهَا لَكَ ، وَخَمْسُونَ أَلْفًا لِنَفَقَتِهِ . فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، وَبَلَغَ الْخَبْرَ الرَّشِيدَ فَأَمْرًا لِيَزِيدَ بِمِائَةِ أَلْفِ
دِرْهَمٍ وَقَالَ : أَقْبَضَ الْخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ الَّتِي أَخَذَهَا الشَّاعِرُ ، وَزَدَهُ مِثْلَهَا ، وَخَذَ مِائَةَ أَلْفِ
لِنَفَقَتِكَ فَافْتَتَكَ ضَيْعَتَهُ ، وَأَعْطَى مُسْلِمًا خَمْسِينَ أَلْفًا أُخْرَى ، وَحَدَّثَ مُسْلِمٌ قَالَ : كُنْتُ
جَالِسًا فِي دُكَّانِ خِيَاطٍ بِإِزَاءِ مَنْزِلِي إِذْ رَأَيْتُ طَارِقًا يَبِى فَمَعَتْ إِلَيْهِ ، فَإِذَا صَدِيقِي مِنْ أَهْلِ
الْكُوفَةِ قَدْ قَدِمَ مِنْ [قَم] فَسَرَرْتُ بِهِ وَكَأَنَّ إِنْسَانًا لَطَمَ وَجْهِي . لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي
دِرْهَمٌ وَاحِدٌ أَنْفَقَهُ عَلَيْهِ ، فَمَعَتْ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَأَدْخَلْتُهُ مَنْزِلِي . وَأَخَذْتُ خُفَيْنِ كَانَا لِي
أَتَجَمَّلُ بِهِمَا ، فَدَفَعْتُهُمَا إِلَيَّ جَارِيَتِي ، وَكَتَبْتُ مَعَهَا رَقْمَةً إِلَى بَعْضِ مَعَارِفِي فِي السُّوقِ .
أَسْأَلُهُ فِي بَيْعِ الْخُفَيْنِ ، وَيَشْتَرِي لِحَاً وَخِزْرًا بِشَىءٍ سَمِيئَةٍ ، فَضَتِ الْجَارِيَةُ وَعَادَتْ إِلَى
وَقَدْ اشْتَرَتْ لَهَا مَا حَدَّدْتُهُ لَهُ . وَقَدْ بَاعَ الْخُفَّ بِتِسْعَةِ دِرَاهِمٍ . فَكَانَهَا إِنَّمَا جَاءَتْنِي
بِخُفَيْنِ جَدِيدَيْنِ . فَقَعَدْتُ أَنَا وَضَيْقِي نَطْبِخُ وَسَأَلْتُ جَارًا لِي أَنْ يَسْقِينَا قَارُورَةَ

(١) هاج (ديوانه قصيدة ١) .

(٢) مما جئ لي .

(٣) في الأصل (مجلس لا التسليم) .

من نبئذ ۝ فوجه بها إلى فغلقت الباب وإذا طارق ۝ فقامت إليه ۝ فإذا قاصد الأمير
يزيد بن مزيّد قد جاء يطلبني إليه ۝ ومعه ثلاثة عشر ألف درهم ، فأخذته ودخلت
إلى منزلي ۝ والرجل ممي فأكلنا ذلك الطعام وازددت منه ومن الشراب ۝ واشترت
فاكهة ووهبت لضيقي من الدراهم ما يهدي به هدية لعياله ، وأخذت في الجهاز ۝
ثم ما زلت معه حتى صرنا بالرقّة إلى باب يزيد بن مزيّد ، فدخل الرجل فإذا هو
أحد حجابيه ، فوجده في الحمام ۝ فخرج إلى فجلس ممي ، ثم خرج الحجاب بأنه
قد خرج من الحمام فأدخلني إليه ، فقال لي : أتدري ما الذي حدّاني على أن وجهت
إليك ؟ فقلت : لا والله ۝ قال : كنت عند الرشيد منذ ليل أغمر رجليه إذ قال لي :
يا يزيد من القائل فيك ؟

سلّ الخليفة سيفاً من بني مطر ۝ يمضي فيخترم الأجسام والهاما
كالدهر لا ينثني [عما بهم]^(١) به ۝ قد أوسع الفاس إنعاما وإرغاما
فقلت : والله لا أدري ۝ فقال الرشيد : يا سبحان الله ۝ إنك مقيم على أعرايتك
يقال فيك مثل هذا الشعر ولا تدري من قائله ۝ فسألت عن قائله ۝ فأخبرت أنك
هو ، فقم حتى أدخلك على أمير المؤمنين ، ثم قام فدخل على الرشيد [فما علمت حتى
خرج على الأذن فأذن فدخلت على الرشيد] فأنشدته ما لي فيه من الشعر ۝ فأمر لي
بمائة ألف درهم ، فلما انصرفت إلى يزيد أمر لي بمائة وتسعين ألف درهم ۝ وقال :
لا يجوز أن أعطيك مثل ما أعطاك أمير المؤمنين ۝ وأقطعني إقطاعات تبلغ غلتها
مائتي ألف درهم قال مسلم : ثم أفضت بي الأمور بعد ذلك إلى أن أغضبني فهجوته
فشكاني إلى الرشيد ، فدعاني وقال : أتبلي عني عرض يزيد ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين .
فقال لي : بكم ؟ [فقلت]^(٢) برغيف . فغضب ، حتى خفته على نفسي ، وقال : قد كان رأيي

(١) غير واضحة في الأصل وهي من مقدمة الديوان عن الأغاني .

(٢) ما بين القوسين عن الأغاني وبه ينظم السياق .

أن اشتريه منك بمالٍ جسيم ، ولست أفعل . ولا كرامة ، فقد عرفت إحسانه إليك ، وأنا نفى عن أبى . والله ثم والله والله لئن بلغنى أنك هَجَوْتَهُ لأزعنَّ لسانك من بين فكيك . فأمسكتُ عنه بعد ذلك وما ذكرته بخير ولا شر .

وحدث البيدقُ الراويةُ ، وكان من أهل نصيبين . قال : دخلت دارَ يزيدَ يوماً وفيها الخلقُ ، وإذا فتى جالسٌ فى أفناء الناس ، ولم يكن يزيدُ عَرَفَهُ بعد ، وإذا هو مسلمُ بنُ الوليد ، فقال لى : ما فى نفسى أن أقولَ شعراً أبداً فقلت : ولم ؟ قال : لأنى مدحتُ هذا الرجلَ بشعرٍ مأمُوحٍ بمثلِهِ قط . ولست أجِدُ من يوصلُهُ ، فقلت : أنشدنى بعضه فأنشدنى منه :

مُوفٍ على مُهَجٍّ فى يومٍ ^(١) ذى رَهَجٍ	كأنه أَجَلٌ يسمى إلى أَمَلٍ
يَقْرِى السيفَ نفوسَ الناكثين به ^(٢)	ويجعلُ الهامَ تيجانَ القنأ الذُّبُلِ
لا يَمُبِقُ الطيبُ خَدَّيْهِ وَمَفْرِقَهُ	ولا يُمَسِّحُ عَيْنَيْهِ مِنَ الكُحُلِ
إذا انتضى سَيْفَهُ كانت مَسَالِكُهُ	مَسَالِكَ الموتِ فى الأبدانِ والقُلُلِ
وإن خَلَّتْ بمحدث النفسِ فِكْرَتُهُ	عاشَ الرجاءُ وماتَ الخوفُ من وَجَلِ
كاليث إن هِجَّتْه فالموتُ [راحته] ^(٣)	لا يَسْتَرِيحُ إلى الأيامِ والدُّوَلِ
لله من هاشمٍ فى أرضه جَبَلٌ	وأنت [وابنك ركننا] ^(٣) ذلك الجَبَلِ
صَدَقَتْ ظَنِّى وَصَدَقَتْ الظنونَ به	وحلَّ جودُكَ عَقْدَ الرَّحْلِ عن جَمَلِى

قال : فأخذتُ منها بيتين وقلت له : أنشدنى أيضاً مالِكُ فأنشدنى قصيدةً أخرى

ابتدأوها :

(١) واليوم ذو رهج (ديوان) .

(٢) يكسو السيف دماء الناكثين به (ديوان) .

(٣) ما بين الأفواس بياض فى الأصل وهو عن الديوان .

كالدهر لا يَنْثَنِي عَمَّا يَهْمُ بِهِ ^(١) وقد أوسعَ الناسَ إنمَاءً وإرغاماً ^(٢)
قال: فَأُنشِدَتِ الأبياتُ ليزيدَ فأمرله بخمسمائة درهم، وذكر له بالرقعة فقلت له:
هذا الشاعرُ الذي مَدَحَكَ فبعثَ إليه بخمسمائة درهم أخرى، وكان مسلمٌ جالسا بين
يدي يزيدَ فأتاه كتاب فيه مُهِمُّ لَهُ [فقرأه سرّاً ووضعه ثم أعاد قراءته ووضعه] ^(٣)
ثم أراد القيام فقال له مسلم:

الحزْمُ [تَحْرِيقُهُ] إِنْ كُنْتَ ذَا حَذَرٍ وَإِنَّمَا الْحَزْمُ سِوَةُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ
لَقَدْ أَتَاكَ وَقَدْ [أَدَّى] أَمَانَتَهُ فَاجْمَلْ صَيَانَتَهُ فِي بَطْنِ [أُرْمَاسٍ] ^(٤)

قال: فضحك يزيد وخرق الكتاب وأمر بإحراقه.

[وأهديت إلى يزيد بن مزيد جارية، وهو يأكل، فلما رُفِعَ الطعام من بين يديه
وطئها فلم ينزل عنها إلا ميتاً وهو بيردة، ودفن بمقابرها] ^(٥).

[كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبى يجلس للشعراء في السنة مجلساً واحداً
فيقصدونه لذلك اليوم وينشدونه فيه.. فدخل على داود حاجبُه فقال له: قدم على الأمير
شاعر بشعرٍ ما قيل فيه مثله. فقال: أدخل قائله فأدخله. فقال: هات. فلما افتتح
القصيدَةَ وقال] ^(٦):

لا تدعُ بى الشوقُ إني غيرُ معمود نهى النهى عن هوى البيض الرعايد
استوى جالسا وأطرق حتى أتى الرجلُ على آخر الشعر ثم رفع رأسه إليه فقال:

(١) عمن يهْمُ بِهِ (ديوان).

(٢) مطلع القصيدة:

طيف الخيال حمدنا منك إلماً داويت سقما وقد هيجت أسقاما

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني وبه ينتظم الكلام.

(٤) ما بين القوسين في الشعر غير واضح بالأصل.

(٥) ما بين القوسين مضطرب في الأصل وغير واضح.

(٦) ما بين القوسين غير موجود بالأصل وهو ضرورى لتمام الخبر، ويلاحظ أنه سيرد مرة

أخرى بعد قليل.

هذا شعرك ؟ فقال : نعم ، أعز الله الأمير . قال : في كم قلته يا فتى ؟ قال : في أربعة أشهر . قال : ولو قلته في ثمانية أشهر كنت محسنا . وقد اتهمتُك لجودة شعرك وخمول ذكرك ، فإن كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرْتُكَ أربعة أشهر في مثله . وأمرتُ بالإجراء عليك ، فإن جئتنا بمثل هذا الشعر وهبتُك مائة ألف درهم وإلا جرمْتُك^(١) . فقال : أو الإقالة . أعز الله الأمير . قال : أفلتُك قال : الشعر لمسلم ابن الوليد . وأنا راويته والوافدُ عليك بشعره فقال : يا ابن حاتم لما افتتحتُ شعره سمعتُ كلامَ مسلم يناديني فأجبتُ نداءه . واستويتُ جالسا ثم قال : يا غلام أعطه عشرة آلاف درهم واحمل الساعة إلى مسلم مائة ألف درهم .

ودخل مسلمُ بن الوليد على الفضل بن سهل ليُنشده شعرا فقال : أيها الكهل إني أُجلك عن الشعر فسل حاجتك قال : بل [تَسْتَحِمُّ اليَدُ]^(٢) عندي بأن تسمع فأنشد :

دُمُوعُهَا مِنْ حِذَارِ الْبَيْنِ تَتَسَكَّبُ وَقَلْبُهَا مُغْرَمٌ مِنْ حَبَا يَجِبُ
جَدُّ الرِّحِيلُ بِهِ عَنْهَا فَفَارَقَهَا لَبِنَةُ اللَّهْوِ وَاللِّذَاتُ وَالطَّرْبُ
يَهْوَى الْمَسِيرَ إِلَى مَرَوْ وَيَحْزُنُهُ فِرَاقُهَا فَهُوَ ذُو نَفْسَيْنِ يَرْتَقِبُ
فقال له الفضل : إني أُجلك عن الشعر . قال : فأغْنِنِي بما أَحْبَبْتَ مِنْ عَمَلِك
فولاه البريد بجرَّ جان .

وقيل لمسلم بن الوليد : أيُّ شعرك أحبُّ إليك ؟ قال : إن في شعري لبيتا أخذت معناه من التورية وهو قولي :

دَلَّتْ عَلَى عَيْبِهَا الدُّنْيَا وَصَدَّقَهَا مَا اسْتَرَجَعَ الدَّهْرُ مِمَّا كَانَ أُعْطَانِي
وجاء إلى مسلم يوما راويته بعد أن تاب ليمرضَ عليه شعره ففناقله مُسلمٌ ،

(١) جرم الرجل يجرمه وأجرمه : أ كسبه جرما .

(٢) ما بين القوسين غير واضح بالأصل .

ثم أخذ منه الدفتر الذى فى يده فقفّ به فى البحر ، فلهذا قلّ شعْرُه • فليس فى أبدي الناس منه إلا ما كان بالعراق وما كان فى أيدي المدوحين .
وقيل لمسلم : ما معنى قولك :

* لا تدعُ بى الشوق إني غير معمود *

[قال : لا تدعُنى صريح الغوانى ، وكان يكره هذا اللقب وكان ^(١) داود بن يزيد بن حاتم المهكسي يجلس للشعراء فى السنة مرة واحدة فيقصّدونه لذلك اليوم ويُشددونه ، فوجه إليه مُسلمُ براويته فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء • ولحقهم بعقب خروجهم عنه ، فتقدم إلى الحاجب وحسّر لثامه عن وجهه • ثم قال : استأذن لى على الأمير قال : ومن أنت ؟ قال : شاعر . قال : قد انصرم وقتك وانصرف الشعراء ، وهو على القيام ، فقال له : ويحك ! قد وفدت على الأمير بشعرٍ ما قالت العربُ مثله ، وكان مع الحاجب أدبٌ يفهم ما يسمع ، فقال : هات حتى أسمع • فإن كان الأمر كما ذكرت أوصلتك إليه ، فأنشده بعض القصيدة فسمع شيئاً يقصر الوصفُ عنه • فدخل على داود فقال له : قد قدم على الأمير بشعرٍ ما قيل فيه مثله فقال : أدخل فائله فأدخله فلما مثل بين يديه سلّم وقال : قدمت على الأمير ، أعزه الله تعالى ، بمدح أسمعه فيعلم به تقدى على غيرى ، فقال : هات • فلما افتتح القصيدة قال :

* لا تدعُ بى الشوق إني غير معمود *

خرج دعبيلٌ إلى خراسان لما بلغه حظوة مسلم بن الوليد عند الفضل بن سهل فصار إلى مرو وكتب إلى الفضل بن سهل :

لا تعبأَنَّ ببنِ الوليدِ فإنه يرَميك بعد ثلاثة بملالٍ
إن الملول وإن تقادم عهده كانت مودته كفى ظلالٍ

(١) سبقت رواية هذا الخبر موجزا .

فدفع الفضل إلى مُسلمِ الرقعة ، وقال له : أنظريا أبا الوليد إلى رقعة دُعبلٍ ، فلما
قرأها قال : هل عرف الأمير لقبَ دِعْبِل وهو غلامُ أمردٍ يُفْسَقُ به ؟ فقال : لا .
قال : كان يلقبَ بِمَيَّاس ، وكتب إليه يقول :

مَيَّاسُ قُلْ لِي أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْوَرَى لَا أَنْتَ مَعْلُومٌ وَلَا مَجْهُولُ
أَمَّا الْهَجَاءُ فَدَقَّ عَرَضُكَ دُونَهُ وَالِدُحُ عَنْكَ كَمَا عَلمَتْ جَلِيلُ
فَاذْهَبْ فَإِنَّ طَلِيقُ عَرَضِكَ إِنَّهُ عَرَضٌ عَزَزَتْ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

وحدث دُعبلُ قال : [بينا] أنا جالسُ بباب الكرخِ إذ مرت بي جاريةٌ لم أرَ
أحسنَ منها وجهاً ولا قدّاً تنثنى في مَشْيَتِهَا وتَنْظَرُ في أعْطَافِهَا . فقلت مُعْرِضاً لها :
دموعُ عَيْنِي بِهَا انْبِساطُ وَنَوْمُ عَيْنِي بِهِ انْقِبَاضُ

فأجابتنى بِسُرْعَةٍ وقالت :

وَذَا قَلِيلٌ لِمَنْ دَهْتُهُ بَلَحْظُهَا الْأَعْيُنُ الْمِرَاضُ
فَادْهَشْتَنِي وَعَجِبْتُ مِنْهَا فَقُلْتُ :

فَهَلْ لِمَوْلَايَ عَطْفُ قَلْبٍ وَالَّذِي فِي الْحِشَا انْقِرَاضُ

فأجابتنى غير متوقفة فقالت :

إِنْ كُنْتَ تَهْوَى الْوِدَادَ مِنَّا فَالْوَدُ فِي دِينِنَا قِرَاضُ

قال : فما دخل أذنِي قَطُّ كَلَامُ أَحْلَى مِنْ كَلَامِهَا ، وَلَا رَأَيْتُ أَنْضَرَ وَجْهًا مِنْهَا
فقلت :

أَتَرَى الزَّمَانَ يَسْرُنَا بِتَلَاقٍ وَيَضُمُّ مُشْتَقَا إِلَى مُشْتَقٍ

فأجابتنى بِسُرْعَةٍ فقالت :

مَا لِلزَّمَانِ وَلِلتَّحَكُّمِ بَيْنِنَا أَنْتَ الزَّمَانُ فَسْرُنَا بِتَلَاقٍ

قال : فضيت أَمَامَهَا أَوْثَمَ بِهَا دَارَ مُسْلِمٍ ، وَهِيَ تَتَّبِعُنِي ، فَصَرْتُ إِلَى مَنْزِلِهِ ،

فصادفته على غيرة فدفع إلى منديلا وقال : اذهب فيعه ، وخذ لنا ما نحتاج إليه ، وعُد ، فضيت مسرعا فلما رجعت صادفت مسلما قد خلا معها في سرداب ، فلما أحس بي وثب إلى ، وقال : عرفك الله ، يا أبا علي ، جميل ما فعلت ولقائك ثوابه وجملة أحسن حسنة لك ففاظني قوله وجمعت أفكر في شيء أغمه به ، فقال لي : يا أبا علي أخبرني من الذي يقول :

بِتُّ في درعها وبات رفيق
جنب القلب طاهر الأطراف
فقلت :

من له في حرامه ألف قرن وقد أنافت على علو مناف
وجملت أشتمه وأتب عليه فقال لي : يا أحمق « منزلي دخلت ومنديلي بعت
ودراهي أنفقت » على من تحرد وأي شيء سبب حردك أنت يا قواد . فقلت : مهما
كذبت على فيه من شيء فما كذبت في الحق والقيادة . وكان مسلم بن الوليد أستاذ دعبل ،
وعنه أخذ ومن بحره استقى . وحدث أبو تمام الطائي قال : ما زال دعبل متعصبا
لمسلم ما نلا إليه ممتزعا بأستاذيته حتى ورد عليه جرجان كجفاه مسلم وهجره دعبل
فكتب إليه :

أبا مخلص كنا عقيدي مودة	هوانا وقلباننا جميعا ماما
أحوطك بالعتب الذي أنت حائطي	وأجزع إشفافا من أن يتوجعا
فصيرتني بعد انتهايك متهما	لنفسى عليها أرهب الخلق أجما
غششت الهوى حتى تداعت أصوله	بنا وابتذلت الوصل حتى تقطعا
وانزلت من بين الجوانح والحشا	ذخيرة ود طال ما قد تمنعا
فلا تلحيني ليس لي مطمع تخر	قت حتى لم أجد لك مرقعا
فهبك يميني استأكلت فقطعتها	وجشمت قلبي صبوة فتجشما

قال : ثم تهاجرا بعد ذلك فما التقيتا حتى ماتا .

وحدث دعبل قال : كان أبو دعبل قال : كان أبو نواس يسألني أن أجمع بينه وبين مسلم بن الوليد ، وكان مسلم يسألني أن أجمع بينه وبين أبي نواس ، فكان أبو نواس إذا حضر تخلف مسلم وإذا حضر مسلم تخلف أبو نواس ، إلى أن اجتمعا ، فأنشد أبو نواس :

أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكَ غَيُورٌ وَمَيْسُورٌ مَا يُرْجَى لَدَيْكَ عَسِيرٌ
وَأَنْشَدَ مُسْلِمٌ :

لِلَّهِ مِنْ هَاشِمٍ فِي أَرْضِهِ جَبَلٌ وَأَنْتَ وَابْنُكَ رُكْنَا ذَلِكَ الْجَبَلِ
فقلت لأبي نواس : كيف رأيت مسلم ؟ فقال : هو أشعرُ الناس بعدي ، وسألت مسلما عنه فقال هو أشعرُ الناس ، وأنا بعده .

وحدث مسلم قال : وجه إلى ذُو الرِّيَّاسَتَيْنِ مُخْلِمْتٌ إِلَيْهِ ۖ فقال : أَنْشِدْنِي قَوْلَكَ :

بِالْفَمْرِ مِنْ زَيْنَبَ أَطْلَالُ مَرَّتْ بِهَا بَعْدَكَ أحوالُ
فأنشدته إياها حتى انتهت إلى قولي :

وَقَائِلٍ لَيْسَتْ لَهُ هِمَّةٌ كَلَّا وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَالٌ
وَهِمَّةُ الْمُقْتِرِ أُمْنِيَّةٌ هَمٌّ مَعَ (١) الدَّهْرِ وَأَسْفَالُ
لَا حِدَّةَ تَنْهَضُ عَظْمِي بِهَا (٢) وَالنَّاسُ سُؤَالٌ وَبُخَالُ

فأقم (٣) مَعَ الدَّهْرِ إِلَى دَوْلَةٍ تَرْفَعُ فِيهَا حَالَكَ الْحَالُ
فلما أنشدته هذا البيت قال : هذه الدولة التي يُرْفَعُ فِيهَا حَالُكَ ، وأمرني بمالٍ عظيم وقلدني جرجان .

(١) عون على (الديوان) ص ١٢١ .

(٢) لا حدة تنهض في عزمها (ديوان) .

(٣) فاصبر . . . تحمل .

وكان يزيد بن مزيّد قد أجرى على مُسلمٍ ما يكفيه ويكفي عياله وقال له : ليس هذا بدلاً من جائزة أو ثوابٍ مديحٍ ، فلما مات يزيد رثاه مُسلمُ فقال :

أحقا أنه أودى يزيدُ [تَبَيَّنَ أيها]^(١) الناعي المسيد
أندري من نعيمٍ وكيف [فاهت] به شفتاك كأن بها الصميد
أحامي المجد والإسلام أودى فما للأرض ويحك لا تميد
تأمل هل ترى الإسلام مالت دعائمه وهل شاب الوليد
وهل شيمت سيوف بني زارٍ وهل وضعت عن الخيل اللبؤد
وهل تسقى البلاد يقال مزن [بدرئها] وهل يخضر عود
أما هدت لمصرعه زارٍ بلى وتمرض المجد المشيد
وحلّ ضريحه إذ حلّ فيه طريف المجد والحسب التليد
أما والله لا تنفك عينٌ عليك بدمعها أبداً تجود
فإن تجمد دموع لئيم قومٍ فليس لدنم ذي حسبٍ جمود
أبعد يزيد يختزن البواكي دموعاً أو يُصان لها خدود
لتبكيك [قبة] الإسلام لما^(٢) وهت أطنابها ووهى العمود
ويبكيك شاعرٌ لم يبق دهرٌ له نشباً وقد كسد القصيد
فإن يهلك يزيد فكلُّ حيٍّ فريس للمنية أو طريد

ودخل مسلمٌ على الفضل بن سهلٍ فأنشده قوله فيه :

لو ينطق الناس أو أئنونوا بعلومهم ونبات عن معالي دهرٍ الكتب
لن يلبثوا فيك أدنى ما تمت به إذا تفاخرت الأملاك وانتسبوا

(١) تأمل (الديوان) وما بين الأقواس غير واضح في الأصل وهو عن الديوان .

(٢) جاء هذا الشطر محرفاً في الأصل بمحذف وزيادة والتصويب عن الديوان .

فأمر له عن كل بيت من هذه القصيدة بألف درهم . ثم قُتِلَ الفضلُ فقال يرثيه :
 ذُهِلْتُ فلم أقنع عليك^(١) بِمَبْرَةٍ وَأَكْبَرْتُ أَنْ أَلْقَى بِيَوْمِكَ نَاعِيَا
 فَلَمَّا بَدَأَ لِي أَنَّهُ لَاعِجُ الْأَسَى وَأَنْ لَيْسَ إِلَّا الدَّمْعُ لِلْحُزْنِ شَافِيَا
 أَقْتُ لَكَ الْأَنْوَاحَ تَرْتَدُّ بَيْنَهَا مَا تَمُّ يَنْدُبْنَ النَّدَى وَالْمَالِيَا
 وَمَا كَانَ مَنَعِي الْفَضْلَ مَنَعَى وَجَادَةٍ وَلَكِنْ مَنَعَى الْفَضْلَ كَانَ مَنَاعِيَا
 اللَّبَاسِ أَمْ لِلْجُودِ أَمْ لِلْقَاوِمِ مِنْ الْمُلْكِ يَرْحَمَنَّ الْجِبَالَ الرُّوَاسِيَا
 فَلَمْ أَرَ إِلَّا قَبْلَ يَوْمِكَ ضَاحِكَا وَلَمْ أَرَ إِلَّا بَعْدَ يَوْمِكَ بَاكِيًا
 عَفْتُ بِمَدِّكَ الْأَيَّامُ لَا بَلْ تَبَدَّلَتْ وَكُنَّ كَأَعْيَادٍ فَعَدَنْ مَبَاكِيًا

ووفد مسلمٌ على محمد بن يزيد بن مزيد بعد وفاة أبيه ، فمدَّحه وعزَّاه عن أبيه ،
 وأقام بيابه فلم يرَ منه ما يُحِبُّ فانصرف عنه وقال فيه :

لَبِستُ عزاءً من لقاء مُحَمَّدٍ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ مُنْصِيفًا وَوَدُودًا
 وَقِلْتُ لِنَفْسٍ قَادَهَا الشَّوْقُ نَحْوَهُ فَمَوْضِعًا مِنْهُ الْلِقَاءُ صُدُودًا
 هَبِيهِ امْرَأً قَدْ كَانَ أَصْفَاكَ [وُدَّهُ]^(٢) فَاتَ وَإِلَا فَاحْسِيهِ يَزِيدَا
 لِعَمْرِي لَقَدْ وَلَّى فَلَمْ أَلْقَ بَعْدَهُ وَفَاءً لَنِي عَهْدٍ يُعَدُّ حَمِيدَا

دخل مسلمٌ بنُ الوليد يوما على الفضل بن الربيع وهو بمجلس الشُّربِ

فأنشده :

أَتَيْتَكَ الْمَطَايَا تَهْتَدِي بِعَظِيمَةٍ عَلَيْهَا فَتَى كَالنَّصْلِ يُؤْنِسُهُ النَّصْلُ
 يقول فيها :

وردت رواق الفضل آملُ فضله^(٣) نَظْمُ الثَّنَاءِ الْجَزْلُ الْجَزْلُ فَائِلُهُ الْجَزْلُ

(١) فلم أقنع غليلا (أغاني) .

(٢) ما بين القوسين تصوير للأصل عن الديوان .

(٣) وردن : رواق الفضل فضل بن جعفر (ديوانه ٢٠٢) .

فَتَرْتَعِي الْأَمَالَ مُزَنَةَ جُودِهِ وَإِنْ كَانَ مَرْعَاهَا الْأَمَانِيُّ وَالْبُظْلُ
الْحَلَّ عَلَى الْأَيَّامِ يَقْرِي خُطُوبَهَا عَلَى مَنَهَجِ الْفَنَى أَبَاهُ بِهِ قَبْلُ
أَنَافَ بِهِ الْعِلْيَاءُ بِحِجِّي وَخَالِدٌ^(١) فَلَيْسَ لَهُ مِثْلٌ وَلَا لَهَا مِثْلُ
فَرُوعٌ أَصَابَتْ مَغْرَسًا فَقَمَكَمَتْ وَأَصْلًا فَطَابَتْ حَيْثُ وَجَّهَهَا الْأَصْلُ
بَكَفٌ أَبِي الْعَبَّاسِ يُسْتَمَطَّرُ النَّدَى وَتَسْتَنْزِلُ النُّعْمَى وَيَسْتَرْعَفُ النَّصْلُ

قال : فطربَ الفضلُ طرباً شديداً ، وأمر أن تُعدَّ الأبياتُ فعدَّتْ فكانت
ثمانين بيتاً فأمرَ له بثمانين ألفَ درهم ، وقال : لولا أنها أكثر ما وُصِّلَ به الشعراءُ
لزدتُكَ وأمره بالجلوسِ عنده والقيامِ لمناذمتِهِ . فأقام عنده وشربَ معه ، وكانت
على رأسِ الفضلِ وصيفةٌ تَسْقِيهِ كَأَنَّهَا لَوْلُؤَةٌ ، فلهجَ الفضلُ مُسْلِماً يَنْظُرُ إِلَيْهَا فَقَالَ :
وقد ، وَحَيَاتِي . يَا أَبَا الْفَضْلِ ! أَعْجَبْتُكَ ، فَقُلْ فِيهَا آيَاتًا حَتَّى أَهْبَأَ لَكَ فَقَالَ :

إِنْ كُنْتَ تَسْقِيَنِ غَيْرَ الرَّاحِ فَاسْقِيْنِي كَأْسًا أَلَذَّ بِهَا مِنْ فَيْكِ تَشْفِيْنِي
عَيْنَاكَ رَاحِي وَرَيْحَانِي حَدِيثُكَ لِي وَلَوْ أَنَّ حَدِيثَكَ لَوْنُ الْوَرْدِ يَكْفِيْنِي
إِذَا نَهَانِي عَنْ شَرْبِ الظَّلَا حَرَجٌ نَحْمَرُ عَيْنَيْكَ يُغْنِيْنِي وَيَجْزِيْنِي
فَقَالَ لَهُ : خُذْهَا بُوْرِكَ لَكَ فِيهَا . وَأَمَرَ بِتَوْجِيهِهَا مَعَ بَعْضِ خَدَمِهَا إِلَيْهِ ،
وَجَمِيعَ مَا كَانَ لَهَا مِنَ الْمَالِ .

وكانت لمسلم بن الوليد زوجةٌ من أهلِهِ تَكْفِيهِ أَمْرَهُ وَتَسْتَرُهُ عَنِ النَّاسِ بِمَا لَهَا
فماتت كَجَزَعٍ عَلَيْهَا جَزَعًا شَدِيدًا وَتَنَسَّكَ مَدَّةً طَوِيلَةً وَعَزَمَ عَلَى مَلَازِمَةِ ذَلِكَ فَأَقْسَمَ
عَلَيْهِ بَعْضُ إِخْوَانِهِ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ يَزُورَهُ ففعلَ فَأَكَلُوا وَقَدَّمُوا الشَّرَابَ فامتنعَ وأباهُ
وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

بُسْكَاءُ وَكَأْسٌ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ^(٢) سَبِيلَاهَا فِي الْقَلْبِ مُخْتَلِفَانِ

(١) وجعفر (ديوانه ٢٠٣)

(٢) يتفقات (أغانى) ديوان .

دعاني وإفراط البكاء فإنني أرى اليوم فيه غير ما ترين
 غدت والترى أولى بها من وليها إلى منزل ناء لعمرك دان
 فلا حزن حتى تنزف العين ماءها وتعرف^(١) الأحشاء بالخفقان
 وكيف بدفع اليأس والوجد بعدها

وهو ما في القلب يعقلجان

وكان مسلم قد هاجى الحكم بن قنبر المازني فغلب عليه الحكم مدة
 وأخرسه ثم عاد مسلم^(٢) بعد أن أخمه فهتك ابن قنبر حتى كف عن منافضته فكان
 يهرب منه فإذا لقيه مسلم أنشده^(٣) هجاء فيه فيمسك عن إجابته ثم جاءه ابن
 قنبر إلى منزله واعتذر إليه مما سلف ، وتحمل^(٤) عليه بابنه وسأله الإمساك عنه
 فأمسك وتصالحا .

(١) ما بين القوسين غير واضح في الأصل وهو عن الديوان .

(٢) بعد أن انحزل وأفحم فهتك ابن قنبر (أغاني) .

(٣) قبض عليه وهاجاه وأنشده ما قاله فيه (أغاني) .

(٤) تحمل بفلان عليه في الشفاعة والحاجة : اعتمد .

محمد بن وهيب^(١)

هو محمد بن وهيب الحميري صليبة شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية وأصله من شعراء البصرة ، وله أشعار يذكرها في شعره ويتشوقها ، وكان يكتسب بالمديح . وتوصل إلى الحسن بن سهل بالحسن بن رجا بن أبي الضحاك ومدحه فأوصله إليه وسمع شعره فأعجبه . وأوصله إلى المأمون فدحه وشفع له فأسنى جائزته ثم لم يزل منقطعا إليه حتى مات . وكان يتشيع وله مرات في أهل البيت وهو متوسط من شعراء طبقة ، وفي شعره أشياء فاضلة .

اجتمع الشعراء على باب المعتصم فبعث إليهم محمد بن عبد الملك الزيات أن أمير المؤمنين يقول لكم : من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول النُمَيْري في الرشيد :

خليفة الله إن الجود أودية أحلك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بنى العباس معتصما فليس بالصلوات الخمس ينتفع
إن أخلف الغيث لم تخلف مخايله أو ضاق أمر ذكرناه فمتسع
فليدخل . وإلا فليُنصَرَفْ فقام محمد بن وهيب [فقال فيما من يقول مثله قال :

وأى شيء قلت ؟ فقال]^(٢) :

ثلاثة تُشرق الدنيا بهمجتهم [شمس الضحى وأبو إسحق والقمر]
يُحكي أفاعيله في كل نائبة الغيث والليث والصمصامة الذكر
فأمر بإدخاله فأشده وأحسن جائزته .

(١) الأغاني ب ١٧ : ١٤١ - المذهب ٧/١٤٤ تاريخ بغداد ١٤/١٤٦ .

(٢) ما بين الأقواس عن الأغاني وهو غير ظاهر بالأصل .

كان محمد بن وهيب لما قدِمَ المأمونُ من خراسانَ مُضَاعاً مُطَرَّحاً ، إنما يتصدى
للعامةِ وأوساطِ الكتّابِ والقوادِ بالمديحِ ، ويسترفِدُهُم فيَحْظِي باليسيرِ . فلما
هدأت الأمورُ واستقرَّتْ جلسَ أبو محمدِ الحسنُ بنُ سهلٍ يوماً مُنفرداً بأهله وخاصّتهِ
وذوى مودّتهِ ومن يقربُ من أنسهِ . فتوسَّلَ إليه محمد بن وهيب بالحسنِ بن رجاء حتى
أوصله مع الشعراء ، فلما انتهى إليه القولُ استأذنه في الإنشاد فأذن له فأنشدته
من أبيات :

ودائعُ أسرارٍ طوّتها السرائرُ وباحتْ بمكتماتهنَّ النواظرُ
ملسكن^(١) إلى طيّ الضميرِ وتحتَه شبّالوعةٌ عَضْبُ الغرارينِ باتِرُ
فأعْجَمَ عنها ناطقٌ وهو مُعْرِبُ وأغرِبتِ المعجمَ الجفونُ العواطرُ
حتى انتهى إلى قوله :

إلى الحسنِ الباني المعالي^(٢) سمّتْ بنا عوَالِي المُنَى حيثَ الحَيَا المُمْتَظَاهِرُ
إلى الأملِ البسوطِ والأجلِ الذي بأعدائِهِ تَكْبُو الجُدودُ العواثرُ
فَتَى أَنْبَمَتْ عَيْنُ المِكَارِمِ كَفَهُ فقامتْ مقامَ القطرِ والروضِ دائِرُ
تَمَصَّبَ تاجَ المُلْكِ في عُنفوانِهِ وأطَّتْ به عَصَرَ الشَّبَابِ المائِرُ
تَعْظُمُهُ الأوهامُ قَبْلَ عِيَانِهِ ويصدرُ عنه الطرفُ والطرفُ حاسِرُ
به تُجْتَدَى النُّعْمَى وتُسَدْرُكُ المُنَى وتُسَكَّمُ الحُسْنَى وتُرْعَى الأواصرُ
قَسَمْتُ صُرُوفَ الدهرِ بأساً وناثلاً فإلِكَ موتورٌ وسَيْفُكَ واتِرُ
ولما رأى اللهُ الخلافةَ قد وَهَتْ دعائمُها واللهُ بالأمرِ خابِرُ
بني بك أركاناً عليها مُحِيطَةٌ وسقف سماء أنشأتها الحوافِرُ^(٣)

(١) ملكت لها (أغاني) .

(٢) الملا حين يعمت (أغاني) .

(٣) فأنت لها دون الحوادث سائر (أغاني) .

له فَلَكَ فِيهِ الْأَسِنَّةُ أَنْجُمُ وَنَقَعُ النَّيَا مُسْتَطِيرُ وَثَارُ
أَجَزَتْ قِضَاءَ الْمَوْتِ فِي مُهْجِ الْعَدَا ضَحَى فَاسْتَبَاحَتْهَا النَّيَا الْغَوَادِرُ
لَكَ اللَّحْظَاتُ الْكَالِثَاتُ قَوَاصِدَا بِنُعْمَى وَبِالْبَاسَاءِ وَهَى شَوَازِرُ^(١)
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا بِنَفْسِكَ فَآخِرَا لِمَا انْتَسَبْتَ إِلَّا إِلَيْكَ الْمَفَاخِرُ
فَطَرَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَ عَنْ سَرِيرِهِ إِلَى الْأَرْضِ وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ
وَأَجَمَلْتَ ، وَلَوْ لَمْ تَقُلْ قَطُّ ، وَلَا تَقُولُ^٢ ، فِي بَاقِي عَمْرِكَ إِلَّا هَذَا لِمَا احْتَجَجْتَ إِلَى
الْقَوْلِ ، وَأَمْرُهُ بِخَمْسَةِ آلَافٍ دِينَارٍ ، وَاقْتَطَعَهُ إِلَى نَفْسِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ فِي أَصْحَابِهِ أَيَّامَ
وَلَايَتِهِ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ مَا تَصَدَّقَ لغيره .

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ وَهَيْبِ الْحِمَيْرِيِّ قَدْ مَدَحَ عَلَى بْنِ هِشَامٍ ، وَتَرَدَّدَ إِلَى بَابِهِ دَفْعَاتٍ
كَفَجَبِهِ ، وَلَقِيَهُ يَوْمًا فَعَرَّضَ لَهُ فِي طَرِيقِهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرْفَعْ إِلَيْهِ طَرَفَهُ ، وَكَانَ
فِيهِ تِيْمَةٌ شَدِيدٌ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً يَعَاتِبُهُ فِيهَا ، فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ خَرَقَهَا وَقَالَ : أَيْ
شَيْءٍ يَرِيدُ هَذَا الثَّقِيلُ السَّيِّئُ الْأَدَبُ . فَقِيلَ لَهُ ذَلِكَ ، فَانصَرَفَ مُغَضَّبًا ، وَقَالَ :
وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ مَالَهُ وَإِنَّمَا أَرَدْتُ التَّوَصُّلَ بِجَاهِهِ ، وَسَيَعْنِينِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ ، أَمَا
وَاللَّهِ لَأَذْمَنُ فَعَلَهُ وَقَالَ يَهْجُوهُ مِنْ أَيْيَاتِ :

لَمْ تَنْدُ كَفْكَ مِنْ بَذْلِ النِّوَالِ كَمَا لَمْ يَنْدَ سَيْفُكَ مَذْقُلْدَتَهُ بِدَمٍ
كَنتَ امْرَأً رَفَمْتَهُ فِتْنَةً فَعَمَلَا أَيَّامَهَا غَادِرَا بِالْمَهْدِ وَالذَّمِّ
حَتَّى إِذَا انْكَشَفَتْ عَنَّا غِيَابَتُهَا وَرَتَبَ النَّاسُ بِالْأَحْسَابِ وَالْقَدَمِ
مَاتَ التَّيْخُلُ فَارْتَدَّتْكَ مُرْتَجِمَا طَبِيعَةٌ نَذَلَةُ الْأَخْلَاقِ وَالشِّيمِ
كَذَاكَ مِنْ كَانَ لَا رَأْسًا وَلَا ذَنْبَا كَرُ^(٢) الْيَدَيْنِ حَدِيثَ الْمَهْدِ بِالنَّعْمِ
هِيَهَاتَ لَيْسَ بِحِمَالِ الدِّيَاتِ وَلَا مُعْطَى الْجَزِيلِ وَلَا الْمَرْهُوبِ فِي النِّقَمِ

(١) الشوازر : الناظرات نظرة الغضب .

(٢) الكرايدين : البخيل .

فلما بلغت هذه الآيات على بن هشام ندم على ما كان منه وجزع لها . وقال :
 لعن الله اللجاج فإنه شر خلق تخلفه الناس . ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام
 فقال : الله يعلم أنى لا أدخل على الخليفة . وعلى السيف إلا وأنا مستح منه اذ كر
 قول محمد بن وهيب في :

* كما لم يند سيفك مذ قلدته بدم *

كان ابن الأعرابي يقول : أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهيب :
 لم تند كفك من بذل النوال كما لم يند سيفك مذ قلدته بدم
 قال محمد بن وهيب : جلست إلى عطار وإذا بأعرابية سوداء قد جاءت فاشتريت
 من المطار خلوقاً ، فقلت له : تجدها اشتريته لا بنتها . وما ابنتها إلا خنفساء .
 فالتفتت إلى متضاحكة وقالت : لا والله إلا مهابة خبنداء^(١) ، إن قامت فقتاة وإن
 قعدت فخصاة . وإن مشت فقطاة أسفلها كتيب وأعلها قضيب ، لا كفتياتكم
 اللواتي تسمنونهن بالفتوت ثم انصرفت وهي تقول :

إن الفتوت للفتاة مضرطه يكرؤها في البطن حتى تثلطه
 ولا أعلم أنى ذكرتها قط إلا أضحكني ذكرها .

كان محمد بن وهيب يتردد إلى مجلس يزيد بن هارون فلزمه عدة مجالس
 يملئ فيها كلها فضائل أبي بكر وعمر وعثمان ، رضي الله عنهم . ولا يذكر شيئاً
 من فضائل علي عليه السلام ، فقال فيه محمد بن وهيب :

آتي يزيد بن هارون أداوجه في كل يوم ومالي وابن هارون
 فليت لي يزيد حين أشهده راحاً وقصفاً وندماناً يسليني
 أغدو إلى عصابة صمت مسامهم عن الهدى بين زنديق ومأفون

(١) الخبنداء : يقال : جارية خبنداء : تامة القصب ، أو مملثة أو ثقيلة الوركين .

إني لأعلم أني لأحِبُّهم كما همُ يَيقِنُ لا يُحِبُّونِي
لا يذكرون علياً في [مشاهدتهم] ولا بنِيه [١] بِنِي البِيضِ المِيامينِ
لوِستَ طَيِّمُونُ من ذِكْرِي أبا حَسَنٍ وَفَضْلِهِ قَطْعُونِي بالسَّكَاكِينِ
ولست أتركُ تَفْضِيلِي أبا حَسَنٍ حَتَّى المَاتِ عَلَى رَغَمِ المَلَاعِينِ
قال مُحَمَّدُ بنُ القَاسِمِ بنِ بوسفَ : كان مُحَمَّدُ بنُ وَهْبٍ يَأْتِي أَبِي فَقَالَ لَهُ يَوْمًا :
إِنَّكَ تَأْتِينَا وَقَدْ عَرَفْتَ مَذَاهِبَنَا فَتُحِبُّ أَنْ نَعْرِفَنا مَذْهَبَكَ فَنُوافِقَكَ أَوْ نُخَالَفَكَ
فَقَالَ : فِي غَدِ ابْنُ لَكَ أَمْرِي وَمَذْهَبِي ، فَلَمَّا كَانَ فِي غَدٍ كَتَبَ إِلَيْهِ :

أَيُّهَا السَّائِلُ قَدْ	نَتُّ إِنْ كُنْتَ ذَكِيًّا
أَحْمَدُ اللَّهِ كَثِيرًا	بِأَيَادِيهِ عَلَيَّا
شَاهِدًا إِلَّا إِلَهَ	غَيْرُهُ مَا دُمْتُ حَيًّا
وَعَلَى أَحْمَدٍ بِالصَّدِّ	قِي رَسُولًا وَنَبِيًّا
وَمَنْحَتُ الْوَدِّ قُرْبًا	هُ وَوَالَيْتُ الْوَصِيًّا
وَأَنَا خَيْرُ مُطَّ	رَحُّ لَمْ يَكْ شَيْئًا
أَنْ عَلَى غَيْرِ اجْتِمَاعٍ	عَقِدُوا الْأَمْرَ بَدِيًّا
فَوَقَفْتُ الْقَوْمَ تَيْمًا	وَعَدِيًّا وَأُمِّيًّا (٢)
غَيْرَ شَتَامٍ وَلَكِ	نِي تَوَالَيْتُ عَلَيًّا

دَخَلَ مُحَمَّدُ بنُ وَهْبٍ عَلَى أَحْمَدَ بنِ هِشَامٍ يَوْمًا وَقَدْ مَدَّحَهُ ، فَرَأَى بَيْنَ يَدَيْهِ
غُلَمًا نَارُوقَةً مُرَدًّا وَخَدَمًا بِيضًا قُرْهَا فِي نَهَايَةِ الْحَسَنِ وَالسَّكَالِ فَدَهَشَ لِمَا رَأَى
وَبَقِيَ مُتَعَبِّلًا لَا يَنْطِقُ بِحَرْفٍ ، فَضَحِكَ أَحْمَدُ وَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ وَيَحْكُ تَكَلِّمَ بِنَا
تَرِيدُ ؟ فَقَالَ :

(١) ما بين القوسين غير واضح في الأصل وهو عن الأغاني .

(٢) تيم قبيل أبي بكر وعدي قبيل عمر وأمية قبيل عثمان .

قد كانت الأصنامُ وهى فديعةٌ كُسرَتْ وجَدَّعْنِ إبراهيمُ
ولَدَبِكَ أصنامٌ سلَمْنِ من الأذى وصَفَتْ لَهْنٌ غَضَارَةٌ ونعيمُ
وبنّا إلى صنمٍ تلوذُ برُكنه قَقْرُ وأنت إذا هُرُزْتَ كريمُ

فقال له: اختر ما شئت منهم ، فاختر واحدا منهم فأعطاه إياه ، فقال يمدحه :

فَضَلْتُ مَكَارِمُهُ عَلَى الْأَفْوَامِ وَعَلَا فَخَارُ مَكَارِمِ الْأَيَامِ
وعليه أَبْهَةُ الْجَالِ كَأَنَّهُ قَرُّ بَدَاكَ مِنْ خِلَالِ غَمَامِ
إِنَّ الْأَمِيرَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا بَعْدَ الْخَلِيفَةِ أَحَدُ بَنِي هِشَامِ

بلغ ابن وهيب أن دعبل الخزاعي قال: أنا ابن قولي:

لَا تَعْجَبْنِي يَا سَلْمٌ مِنْ رَجُلٍ ضَحَكَ الشَّيْبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
وَأَنَا أَبَا تَمَامٍ قَالَ: أَنَا ابْنُ قَوْلِي :

قَلْبٌ فَوَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
فقال محمد بن وهيب وأنا ابن قولي :

مَا لِمَنْ تَمَّتْ مُحَاسِنُهُ أَنْ يُعَادِيَ طَرْفَ مَنْ رَمَقَا
لَكَ أَنْ تُبْدِيَ لَنَا حُسْنًا وَلَنَا أَنْ نَعْمَلَ الْخَدَقَا

وهذا من جيد شعره ونادره، وأول هذه الأبيات:

نَمْ فَقَدْ وَكَلْتُ بِي الْأَرْقَا لَاهِيَا بُعْدًا مِنْ عَشَقَا
إِنَّمَا أَبْقَيْتَ مِنْ جَسَدِي شَبَحًا غَيْرَ الَّذِي خُلِقَا
وَفَسَّتْ نَادَاكَ مِنْ كَثَبِ أُسْمِرَتْ أَحْشَاؤُهُ خُرْقَا
[غَرِقَتْ فِي الدَّمْعِ مَقْلَعَتُهُ] فِدَمَا إِنْسَانَهَا ۝ الْفَرْقَا (١)
إِنَّمَا عَاقِبَتْ نَازِرُهُ إِذَا أَعَادَ الطَّرْفَ مُسْتَرْقَا (٢)

(١) تفرى بمن عشقا (الأغاني) .

(٢) هذان البيتان غير ظاهرين في الأصل وهما عن الأغاني .

ما لِمَنْ تَمَّتْ مَلَاخَتُهُ أَنْ يَمَادَى طَرْفَ مَنْ رَمَقَا
لَكَ أَنْ تُبْدِيَ لَنَا حُسْنًا وَلَنَا أَنْ نُعْمِلَ الْحَدَقَا
قَدَحَتْ كَفَّاكَ زَنْدَ هَوَى فِي سَوَادِ الْقَلْبِ فَاحْتَرَقَا

لما قدم المأمون ولقيته الحسن بن سهل دخلا جميعا فعارضهما ابن وهيب فقال :
اليوم جُدَّتْ النعماء والمِنَّةُ فالحمد لله حلَّ الْمُعْدَةَ الزَّمَنُ
اليوم أَظْهَرَتِ الدُّنْيَا حَسَنَهَا لِلنَّاسِ لِمَا التَّقَى الْمَأْمُونُ وَالْحَسَنُ

فلما جلسا سأله المأمون عنه فقال : هذا رجل من حمير ، شاعر مطبوع ، اتصل
بى مُتَوَسِّلًا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وطلب الوصولَ إليه مع نظرائه فأمرَ بإيصاله
مع الشعراء ، فلما وقف بين يديه وأذن له فى الإنشاد أنشد :

طَلَّلَانِ طَالَ عَلَيْهِمَا الْأَمْدُ دَثَرَا فَلَا عِلْمَ وَلَا نَضْدُ
لَبَسَا الْبِلَى فَكَأَنَّمَا وَجَدَا بَعْدَ الْأَحِبَّةِ مِثْلَ مَا أَجِدُ
حُيِّتُمَا طَلَّلَيْنِ حَالُهُمَا بَعْدَ الْأَحِبَّةِ غَيْرُ مَا عَهْدُوا
إِنْ مَا طَوَاكَ سَلَوُ غَانِيَةٍ فَهَوَاكَ لَا مِلْلَ وَلَا فَنِدُ
إِنْ كُنْتُ صَادِقَ الْهَوَى فِرْدَى فِي الْحَبِّ مِنْهُلَهُ الَّذِى أَرِدُ
أَدْرَى أَرَقْتُ وَأَنْتَ آمِنَةٌ أَمْ لَيْسَ لِي عَقْلٌ وَلَا قَوْدُ

منها :

يَا خَيْرَ مُنْتَسِبٍ لِمَكْرُمَةٍ فِي كُلِّ أَنْمَلَةٍ لِرَاحَتِهِ
نَوْءٌ يَسَحُّ وَعَارِضٌ حَسِدُ وَكَأَنَّ ضَوْءَ جَبِينِهِ قَمَرُ
وَكُنْهُ فِي صَوْلَةٍ أَسَدُ وَكَأَنَّهُ رُوحٌ تُدَبِّرُنَا
حَرَكَاتُهُ وَكَأَنَّنَا جَسَدُ

فاستحسنها المأمون ، وقال لأبى محمد : احْكُمْ لَهُ . فقال له : أمير المؤمنين أولى

بالحكم . ولكن إن أذن لي في المسألة سألت له ، وأما الحكم فلا . فقال :
يلحقه بجوارز مروان ابن أبي حفصة فقال : ذلك والله أردت . وأمر أن تُعدَّ
الآيات فكانت خمسين فأعطاه خمسين ألف درهم .

كان المؤمنون كثيرا ما يُنشدُ إذا حزبه أمر :

ألا ربما ضاق الفضاء بأهله وأمكن من بين الأسنة مخرجُ

وهذا البيت من قصيدة لمحمد بن وهيب وهي :

هل الهم إلا كربةٌ تتفرجُ لها معقب تجرى إليه وترعجُ

وما الدهر إلا غارٌ مثل سالفٍ وما العيش إلا حدةٌ ثم تنهجُ

وكيف أشيمُ البرق والبرقُ خلبُ ومطمئني إنعامه المتبلجُ

وكيف أديمُ الصبر لا بي ضراعةٌ ولا الرزقُ محذورٌ ولا أنا مخرجُ

ألا ربما كان التصبر ذلةً وأدنى إلى الحال التي هي أسمعُ

وهل يحمل الهم الفتى وهو ضامرٌ سرى الليل رجال المشيات مدجُ

أبى لي إغضاء الجفون على القذى يقيني ألا عسر إلا سيفرجُ

ألا ربما ضاق الفضاء بأهله وأمكن من بين الأسنة مخرجُ

وقد يركب الخطبُ الذي هو قاتلٌ إذا لم يكن إلا عليه مخرجُ

كان محمد بن وهيب تياها شديد الذهاب بنفسه ، فلما قدم الأفشين وقد قتل

فانكا مدحه بقصيدته التي أولها :

* طول معانيها نناجها ونبكها *

ومنها :

* نعت الخيل والخير عقد في نواصيها *

وهي من جيد شعره . فأنشدها وقال : مالها عيب سوى أن لا أخت لها فأمر

المعصم للشعراء الذين مدحوا الأفشين بثلاثمائة ألف درهم يفرقها عليهم ابن أبي داود ،

فأعطى محمد بن وهيب منها ثلاثين ألفا وأعطى أبا تمام عشرة آلاف درهم . قال ابن أبي كامل : فقلت لعلّ بن يحيى النجم : ألا تعجب من هذا الحظ . يُعطى أبو تمام عشرة آلاف وابن وهيب ثلاثين ألفا وبينهما كما بين السماء والأرض !! فقال : لذلك علة لا تعرفها ؛ ابن وهيب مؤدب الفتح بن خاقان فلذلك وصله على هذه الحال . حدث من دخل إلى محمد بن وهيب يموده وهو عليل فسأله عن خبره فشكى ما به وقال :

نُراع لذكر الموت ساعة ذكره	ونعترض الدنيا ونلهو ونلعب
وآجالنا في كل يوم وليلة	إلينا على غراتنا تقرب
أيقن أن الشيب ينمى حياته	مدر لأخلاف الحطيئة مذنب
يقين كأن الشك أغلب أمره	عليه وعرفان إلى الجهل ينسب
وقد ذمت الدنيا إلى نعيمها	وخاطبني إعجامها وهو معرب
ولسكنى منها خلقت لغيرها	وما كنت منه فهو شئٌ مُحِبُّ

سأل محمد بن وهيب محمد بن عبد الملك الزيات حاجة فأبأ فيها ، فقال له :

طبع الكريم على وفائه	وعلى التفضل في إخائه
تغنى عنايته الصدي	ق عن التعرض لاقتضائه
حسب الكريم حياؤه	فكل الكريم إلى حياؤه

فقال له : حسبك . قد أبلغته والحاجة سبقتك إلى منزلك ووفى له بذلك .

مصعب بن الزبير^(١)

هو مصعبُ بنُ الزبير بن العوام بن خُوَيْلِد بن لُبْد بن عبد العزى بن قصي ابن كلاب .

لما كانت سنة اثنَين وسبعين استشار عبدُ الملكِ عبدَ الرحمن بنَ الحَكَم في السيرِ إلى العراق ، لمحاربةِ مُصْعَبِ بنِ الزبير ومناجَزةِ ه . فقال : يا أمير المؤمنين قد واليتَ بينَ عامين تَغزُو فيهما وقد خَسِرْتَ خَيْلَكَ ورجالَكَ . وهذا عامٌ حارِثٌ فأرحَ نَفْسَكَ وجُنْدَكَ ، ثم تَرى رأيَكَ . قال : إني أبادرُ ثلاثةَ أشياء . الشامَ وهى أرضُ المالِ بها قليلٌ فأخافُ أن يَنفَدَ ما عِنْدى . وأشرفُ أهلِ العراقِ قد كاتبونى يَدْعوننى إلى أَنْفُسِهِمْ ، وثلاثةٌ من أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قد كبروا وتقدتْ أعمارُهُمْ ، فأنا أبادرُهُم الموتَ^(٢) أحبُّ أن يحضروا معى . ثم دعا يحيى بنَ الحَكَم ، وكان يقول : من أراد أمراً فليُشاورْ يحيى بنَ الحَكَم . فإذا أشارَ عليه بأمرٍ فليعملْ خلافَه ، فقال : ما ترى فى السيرِ إلى العراق ؟ فقال : أرى أن تَقْنَعَ بالشام ، وتُقيمَ بها . وتدعَ مُصعباً بالعراق فلمنَ اللهُ العراقَ - فضحك عبدُ الملك ودعا عبدَ الله بنَ خالد بنَ أسيد . فشاوره ، فقال : يا أمير المؤمنين قد غَزَوْتُ مرَّةً فنَصَرَكَ اللهُ ، وغزوتُ ثانيةً فزادكَ اللهُ بها عِزًّا فأقيمَ عامَكَ هذا . فقال لِمحمد بنِ مَرْوان : ما ترى ؟ قال : أرجو أن يَنْصُرَكَ اللهُ أقمْتُ أمَ غَزَوْتُ . فشمَرْتُ فإنَّ اللهَ ناصرُكَ فأمرَ الناسَ فاستعدُّوا للسيرِ . فلما أَجْمَعَ عليه ، قالت عاتكةُ بنتُ يزيدَ زوجتهُ : يا أمير المؤمنين وَجَّهَ الجنودَ وأَقِمْ فليسَ الرأى أن يباشرَ الخليفةُ الحربَ

(١) أغاني ١٧ : ١٦١ وأخباره فى ترجمة أبى بكر بن النطاح - الطبرى ٧/ ٦٨٧ - أنساب

الأشراف ٥ / ٣٣٢ .

(٢) أبادر بهم (أغاني) .

بنفسه . فقال : لو وجهت أهل الشام كلهم فعلم مصعب أنى لست معهم لئيهلكن الجيش كله ثم قدم أخاه محمد بن مروان . ومعه عبد الله بن خالد بن أسيد . وبشر ابن مروان أخاه أيضا ونادى مناديه أن أمير المؤمنين قد استعمل عليكم سيد الناس محمد بن مروان ، وبلغ مصعب بن الزبير سير عبد الملك فأراد الخروج فأبى عليه أهل البصرة وقالوا : عدونا مظلعلينا يعنون الخوارج فأرسل إليهم بالهلب ، وهو عامله بالموصل . فولاه قتال الخوارج وخرج مصعب فنزل بدر الجاثليق وهو بمسكن ، ونزل عبد الملك الأحوفية فقدم عبد الملك أخوته محمدًا وبشرا كل واحد على جيش ، والأمير محمد . وقدم مصعب إبراهيم ابن الأشتر ، وكتب عبد الملك إلى أشراف الكوفة والبصرة يدعوم إلى نفسه ويمنهم فأجابوه وشرطوا عليه شروطًا ، وسألوه ولايات ، وسأله ولاية أصبهان أربعون رجلًا منهم . فقال عبد الملك لمن حضره : ويحكم ما أصبهان هذه ! ! تمجبا من كثرة من يطلبها . وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر ولاية ماسقى الفرات إن تبعني فناء إبراهيم بالكتاب إلى مصعب فقال : هذا كتاب عبد الملك ولم يخصني بهذا دون غيري من نظرائي فأطعني فيهم فقال : أصنع ماذا ؟ قال : تدعو بهم فتضرب أعناقهم فقال : أقتلهم على ظن ظننته ، قال : فأوقرهم حديدًا وابت بهم إلى أرض المدائن حتى تنقضي الحرب . قال : إذا تفسد قلوب عشائرم ، ويقول الناس عبث مصعب بأصحابه ، قال : فإن لم تفعل فلا تمدني بهم فإنهم كلومسة تريد كل يوم خليلا . وهم يريدون كل يوم أميرا ، وأرسل عبد الملك رجلا إلى مصعب يدعوه إلى أن يجمل الأمر شورى في الخلافة . فأبى مصعب فقدم عبد الملك أخاه محمدًا ، وقال اللهم انصر محمدًا ثلاثا ، ثم قال : اللهم انصر أصلحنا وخيرنا لهذه الأمة ،

وقدم مصعبُ إبراهيمَ بنَ الأَشْثَرِ فالتَقَتِ المَقْدَمَتانِ وبينَ عسْكَرِ مُصْعَبٍ وعسْكَرِ عبدِ الملكِ فرسخٌ ، ودنا عبدُ الملكِ حتَّى قَرَّبَ من عسْكَرِ محمدٍ فتنافسوا فقتلَ رجلٌ من مقدمةِ محمدٍ يقال له فراسٌ « وقتل صاحبُ لواءِ بشرٍ ، وكان يقال له أُسَيْدٌ » فأرسلَ محمدٌ إلى عبدِ الملكِ أنِ بِشْرًا قد ضَيَّعَ لواءه فصَيَّرَ عبدُ الملكِ الأمرَ كله إلى محمدٍ وكَفَّ الناسَ وتواقفوا « وجعل أصحابُ ابنِ الأَشْثَرِ يَهْمُونَ بالحربِ ومحمدُ بنُ مروانٍ يَكُفُّ أصحابه « فأرسلَ عبدُ الملكِ إلى محمدٍ نَاجِزُهُم فَأَبَى ، فرد عليه رسولاً آخرَ وشتمه ، فأمرَ محمدٌ رجلاً وقال له : قفْ خلفي في ناسٍ من أصحابك « ولا تدعَنَّ أحداً يَأْتِيَنِي من قِبَلِ عبدِ الملكِ « وكان قد دَبَّرَ تدبيراً سديداً في تأخيرهِ المناجزةَ إلى وقتٍ رآه ، فكَرِهَ أنْ يُفْسِدَ عليه عبدُ الملكِ تدبيرَه فوجَّهَ إليه عبدُ الملكِ عبدَ اللهِ ابنَ خالدِ بنِ أُسَيْدٍ فلما رآوه أرسلوه إلى محمدٍ ، هذا عبدُ اللهِ بنُ خالدٍ ، فقال : ردوه بأشدَّ مما رَدَدْتُم من جاء قَبْلَه ، فلما قَرَّبَ المساءَ أمرَ محمدٌ أصحابه بالحربِ « وقال : حرُّ كُومٍ قايلاً ، فتهابحَ الناسُ « ووجهَ مصعبُ إبراهيمَ ابنَ عَتَّابِ بنِ وَرْقَاءِ الرِّياحِي يُعْجِزُ إبراهيمَ . فقال : قد قلتُ له لا تُمِدَّنِي بأحدٍ من العِراقِ « فلم يَقْبَلْ فاقتتلوا « وأرسلَ إبراهيمُ بنُ الأَشْثَرِ إلى أصحابه بمحضرةِ الرسولِ لِيُرِيَهُ خِلافَ أَهْلِ العِراقِ عليه في رأيه أَلَّا تَنْصَرَفُوا عن الحربِ حتَّى يَنْصَرِفَ أَهْلُ الشَّامِ عَنْكُمْ « فقالوا : ولم لا نَنْصَرِفُ فأنصرفوا « وانهزمَ الناسُ حتَّى أتوا مصعباً « وصبرَ إبراهيمُ فقاتلَ حتَّى قُتِلَ . فلما أصبحوا أمرَ محمدُ بنُ مروانِ رجلاً فقال « انطلقْ إلى عسْكَرِ مُصْعَبٍ فانظر كيف تَرامُ بعد قتلِ إبراهيمَ بنِ الأَشْثَرِ ، فضى الرجلُ « ثم رجعَ إلى محمدٍ فقال : رأيتهم مُنْكَسِرِينَ ، وأصبحَ مصعبُ « ودنا منه محمدُ بنُ مروانِ حتَّى التَقَوْا « وتركَ قومٌ من أصحابِ مُصْعَبٍ مُصْعَباً ، وأتوا محمدَ بنَ مروانٍ ، فدنا محمدُ بنُ مروانِ إلى مصعبٍ فناداه : فداكَ أبى وأُمى إن القومَ خَذِلُوكَ وَلَكَ الأمانُ « فأبى قبولَ ذلك ، فدعا محمدُ بنُ مروانِ عيسىَ بنَ

مصعب ، فقال له أبوه : انظر ما يريدُ محمد ، فذنا منه فقال له : إني لكم ناصحٌ إن القومَ خاذلوكم . ولك ولأبيك الأمانُ وناشدَه ، فأبى قبولَ ذلك ورجع إلى أبيه فأخبره . فقال له : يا بني إني أظن أن القومَ سَيَفُون ، فإن أحببت أن تأتِهم فَأَتِهم . فقال : والله لا تَتَحَدَّثُ نساءَ قريشٍ إني خَذَلْتُكَ . ورغبتُ بنفسى عنك . قال : فتقدم حتى أَحْدَسَيْكَ ، فتقدم ومعه ناس من أصحابه فُقُتِلَ وقُتِلُوا ، وترك أهلُ العراقِ مُصعباً حتى بقى في سبعة . وجاء رجلٌ من أهل الشام ليَحْزَنَ رأسَ عيسى فشدَّ عليه مصعبٌ فقتله . وشدَّ على الناس فانهرجوا ، ثم رجع فعمد على مِرْفَقَةٍ^(١) ديباج ، ثم جعل يقومُ عنها ويحملُ على أهل الشام ، فيَهْرِجُونَ عنه ثم يرجعُ فيعمدُ على المِرْفَقَةِ . ففعل ذلك مراراً ، ودعاه عبدُ الله بنُ زياد بن ظبيان إلى المبارزة ، فقال : أغزُبْ يا كلبُ وشدَّ عليه مصعبٌ فضربَه على البيضةِ فهشمها . وجرحه ، فرجع عبيدُ الله فمصَّبَ رأسه . وجاء ابنُ أبي فرَوة كاتبُ مصعبٍ فقال له : جعلتُ فداك ، قد تركك الناسُ ، وعندي خَيْلٌ مُضَمَّرَةٌ فاركبها وانجُ بنفسك . فدَثَّ^(٢) في صدره وقال : ليس أخوك بالعبد ، ورجع ابنُ ظبيان إلى مصعب فحمل عليه هو وزرَقَ زائدة بن قدامة مُصعباً^(٣) ونادى بالثاراتِ المختارِ فصَرَعه . وقال عبيدُ الله لفلان له ديلُي : احتز رأسه ، فنزل فاحتز رأسه فحمله إلى عبد الملك ، فلما وضعه بين يديه سَجَدَ . قال ابنُ ظبيان : فهمتُ والله أن أقتله فأكون أقتك العرب . قتلتُ مَلَكَينِ من قريشٍ في يوم واحدٍ . ثم وجدتُ نفسى تنازِعُنِي الحياةَ فأمسكت .

وقال يزيدُ بن الرِّقَاعِ العامليُّ أخو عَدِيٍّ ويقال : إنها للبعيثِ اليشكريِّ :
ونحن قتلنا ابنَ الحواريِّ مُصعباً أخا أسدٍ والمذحيجيِّ اليمانيِّ

(١) المِرْفَقَةُ : المِخْدَةُ .

(٢) فدَثَعَ (أغانى) .

(٣) في الأصل وزرَقَ بن زائدة بن قدامة ونادى والتصويب عن الأغاني ١٧ : ١٩٣ .

وَمَرَّتْ عُقَابُ الْمَوْتِ مِنَّا بِمُسْلِمٍ . فَأَهْوَتْ لَهُ ظَفَرًا فَأَصْبَحَ ثَاوِيًا
مُسْلِمٌ هَذَا هُوَ مُسْلِمُ بْنُ عَمْرِو الْبَاهِلِيِّ ، وَكَانَ عَلَى مَيْسَرَةِ ابْنِ الْأَشْثَرِ ، فُطِنَ
فَسَقَطَ ، فَلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبُ أُرْسِلَ إِلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ أَنْ يَطْلُبَ الْأَمَانَ
مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ : مَا تَصْنَعُ بِالْأَمَانِ وَأَنْتَ بِالْمَوْتِ ؟ فَقَالَ : لِمَالِي وَلَوْلَدِي ^(١)
تُحْمِلَ عَلَى سِرِّرٍ حَتَّى أُدْخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : هَذَا أَكْفَرُ النَّاسِ
لِمَعْرُوفٍ ، وَيَحْكُ أَكْفَرَتَ مَعْرُوفَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ عِنْدَكَ ؟ فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : تَوَمَّنْهُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَمَّنَّهُ ، ثُمَّ حُمِلَ فَلَمْ يَبْرَحِ الصَّحْنَ حَتَّى مَاتَ .

قَالَ رَجُلٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ ظَبْيَانَ : بِمَاذَا تَحْتَجُّ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ قَالَ : إِنْ
تَرَكْتُ أُحْتَجُّ رَجُوتُ أَنْ أَكُونَ أُخْطَبَ مِنْ صَعْمَعَةَ بْنِ صُوحَانَ .

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ قُتْلِ مُصْعَبٍ دَخَلَ إِلَى سُكَيْنَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ . فَنَزَعَ عَنْهُ ثِيَابَهُ
وَلَبَسَ غِلَالَةً وَتَوَشَّحَ بِثَوْبٍ وَاحِدٍ وَأَخَذَ سَيْفَهُ . فَعَلِمَتْ سُكَيْنَةُ أَنَّهُ لَا يَرِيدُ أَنْ
يَرْجِعَ ، فَصَاحَتْ بِهِ مِنْ خَلْفِهِ : وَاحْزَنَاهُ عَلَيْكَ يَا مُصْعَبُ ، فَالْتَقَتْ إِلَيْهَا وَقَدْ كَانَتْ
تُخْفِي مَا فِي قَلْبِهَا مِنْهُ ، فَقَالَ : أَوْكُلْ هَذَا لِي فِي قَلْبِكَ ! فَقَالَتْ : إِي وَاللَّهِ ،
وَمَا كُنْتُ أَخْفِي مِنْهُ أَكْثَرَ ، فَقَالَ : لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ لِي عِنْدَكَ لَكُنْتُ لِي
وَلَكِ حَالٌ ، ثُمَّ خَرَجَ وَلَمْ يَرْجِعْ . وَيَقَالُ : إِنْ سُكَيْنَةُ لَمَّا قَدِمَتْ عَلَى مُصْعَبٍ أَعْطَى
أَخَاهَا عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . وَوَلَدَتْ مِنْ مُصْعَبٍ ابْنَةً سَمَّيَهَا الرَّبَّابَ ،
وَلَمَّا دَخَلَتْ سُكَيْنَةُ السُّكُوفَةَ بَعْدَ قُتْلِ مُصْعَبٍ خَطَبَهَا عَبْدُ الْمَلِكِ . فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ
لَا يَتَزَوَّجُنِي بَعْدَهُ قَاتِلُهُ أَبَدًا . فَرَدَّتهُ ، وَتَزَوَّجَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنَ حَكِيمٍ بْنِ حِزَامٍ وَدَخَلَتْ بَيْنَهُمَا رَمْلَةٌ بِنْتُ الزَّيْبِرِ أُخْتُ مُصْعَبٍ حَتَّى تَزَوَّجَهَا

(١) لِيَسْلَمَ لِي مَالِي وَيَأْمَنَ وَلَدِي (أَغَانِي) ١٧ : ١٦٤ .

خوفا من أن تصير إلى عبد الملك فولدت منه ابنا فسمته عثمان ثم مات عنها عبد الله ابن عثمان فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان .

وقال الشعراء في مصعب كثيرا ، فما رثاه عدى بن الرقاع :

لعمري لقد أصحرت خيلنا بأكناف دجلة للمصعب
يهزّون كل طویل القنا مقلد النصل والثعلب
فداؤك أمي وأبناؤها وإن شئت زدت عليها أبي
إذا شئت نازلت مستقبلا أزاحم كالجلد الأجر
فمن يك منا بيت آمنا ومن يك من غيرنا يهرب

وقال قيس بن ثعلبة :

لقد أورت المصيرين خزبا وذلة قتيل بدير الجاثليق مقيم
فاقاتلت في الله بكر بن وائل ولا صبرت عند اللقاء تميم
ولكنه رام^(١) القيام ولم يكن بها مضري يوم ذاك كريم

قال الشعبي : دخلت المسجد فإذا أنا بمصعب بن الزبير على سرير جالس والناس عنده فسلمت ثم ذهبت لأنصرف . فقال لي : اذن فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه فقال لي : إذا قت فانبمني . فجلس قليلا ثم نهض فتوجه نحو دار موسى بن طلحة ، فبعثته فلما طمن في الدار التفت إلى فقال : أدخل فدخلت فإذا حجلة^(٢) وأنها لأول حجلة رأيته لأمر . فممت . ودخل الحجلة فسمعت حركة ففكرت الجلوس ولم يأمرني بالانصراف . فإذا جارية قد خرجت فقالت : يا شمسي إن الأمير يأمرك بالجلوس . فجلست على وسادة ورُفع السجف الآخر فإذا بمائشة بنت طلحة ، فلم أر زواجا قط أجمل منهما ؛ مصعب وعائشة .

(١) ضاع الدمام (طبري ٧ : ٦٨٧) .

(٢) الحجلة : ستر يضرب للعروس في جوف البيت - بيت يزين لها .

فقال مُصعب : يا شعبي ، هل تعرفُ هذه ؟ فقلت : نعم أصلحَ اللهُ الأميرَ . قال :
ومن هي ؟ قلت : سيدةُ نساءِ العالمين عائشةُ بنتُ طلحة . قال : لا ، ولكن هذه
ليلى التى يقولُ فيها الشاعر :

وما زلتُ من لَيْلى لَدُنْ طُرِّ شاربى إلى اليومِ أخفى حُبَّها وأداجى

وأحملُ فى لَيْلى لقومٍ ضغينةً وتَجملُ فى لَيْلى على الضغائنِ

ثم قال : إذا شئتَ فقم . فقامت . فلما كان العشي رحتُ وإذا هو جالسٌ على
سريره فى المسجد ، فسلمتُ فلما رآنى قال : اذنُ فدنوتُ حتى وضعتُ يدي على مَرافقه
وأصغى إلى فقال : هل رأيتَ مثل ذلك الإنسان قط ؟ قلت : لا والله . قال :
أفتدري لم أَدْخلناك ؟ قلت : لا . قال : لتُحدِّثَ بما رأيتَ . ثم التفت إلى عبدِ اللهِ
ابنِ أبى فروة فقال : أعطه عشرةَ آلافِ درهم ، وثلاثين ثوباً . فما انصرف واحدٌ
يومئذ بمثل ما انصرفتُ به ؛ عشرةَ آلافِ درهم وثلاثين ثوباً مثلَ كارة^(١) القصار
وبنظرة من عائشة بنت طلحة .

وكان مصعبٌ لما قدِمَ الكوفةَ يسألُ عن الحسينِ بنِ عليٍّ ومن قَتَلَه فجعل
عروة بنُ النيرة يحدِّثه عن ذلك . فقال متمثلاً بقول سليمان (بن قنّة) :

إن الألى بالطفِّ من آل هاشمٍ تأسَّوْا فسنَّوْا للكرامِ التأسيا

قال عروة : فعلت أن مصعباً لا يَفِرُّ أبداً .

حدث شيخٌ من أهل مكة قال : لما أتى عبدَ اللهِ بنَ الزبير خبرُ أخيه مُصعبٍ
أضربَ عن ذِكْرِهِ أياماً حتى تحدَّثَ به إمامُ مكة فى الطريق ، ثم صعد المنبرَ فجلس
عليه ملياً لا يتكلم . فنظرتُ إليه والكتابةُ على وجهه وجبينه يَرشحُ عرقاً .
فقلت لآخرِ إلى جنبي : ماله لا يتكلمُ أترأه يهابُ المنطقَ ؟ فوالله إنه لخطيبٌ ؛

(١) الكارة من الثياب . ما يكوره القصار منها ويجمله فيكون بعضه فوق بعض .

فما تراه يهاب ؟ قال : أراه يريد أن يذكّر قتل أخيه مُصْعَبٍ سيد العرب فهو لفظيغ تذكره غير ملوم . فقام فقال : الحمد لله الذى له الخلق والأمرُ ومالك الدنيا والآخرة . يُعِزُّ من يشاء وَيُذِلُّ من يشاء . أما إنا والله لا يُذِلُّ الله من كان الحقُّ معه . وإن كان مُفْرَدًا ضعيفا . ولا يُعِزُّ الله من كان الباطلُ معه وإن كان فى العُدَّةِ والعَدَدِ كثيرا . ثم قال : إنا قد أئانا خبرٌ من العراقِ ببلدِ الغديرِ والشقاقِ . فسأنا وسرنا ، أئانا أن مصعبا قُتِلَ رحمةُ الله عليه ومغفرته . فأما الذى ساءنا وأخزنا فإن إِمْرَاقَ الحِمْيَرِ لَدَعَةً يَجِدُهَا حِمِيمُهُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ . ثم يَرْعَوِي من بَعْدُ ذُو الرأى والدينِ إلى جميلِ الصَّبْرِ . وأما الذى سرنا فإننا علمنا أن قَتَلَهُ مُهَادَّةً لَهُ ، وأن الله عزَّ وجلَّ . جاعلٌ لنا وله فى ذلك خَيْرَةً إِنْ شاء الله . عز وجل .

إِنْ أَهْلَ الْعِرَاقِ أَسْلَمُوهُ وَبَاغُوهُ بِأَقْلٍ ثَمَنٍ كَانُوا يَأْخُذُونَهُ مِنْهُ . واحسرتاه أسلموه إِسْلَامَ النَّمَمِ الْمُحْطَمِّ ، فَقُتِلَ وَأَيُّ قَتْلٍ ! فَقَدْ قُتِلَ أَبُوهُ وَعَمُّهُ وَأَخُوهُ . وَكَانُوا اخْتِيَارَ الصَّالِحِينَ ، وَاللَّهُ مَا نَمُوتُ كَمَا يَمُوتُ بَنُو مِرْوَانَ حَتْفَ أَنْفُونِنَا . مَا نَمُوتُ إِلَّا قَتْلًا . قَتْلًا قَمَصًا . قَمَصًا بَيْنَ قَصَبِ الرِّمَاحِ وَتَحْتَ ظِلَالِ السِّبْوَفِ ، وَلَيْسَ كَمَا يَمُوتُ بَنُو مِرْوَانَ . وَاللَّهُ مَا قُتِلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فِى جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ قَطُّ ، وَإِنَّمَا الدُّنْيَا عَارِيَةٌ مِنَ الْمَلِكِ الْقَهَّارِ الَّذِى لَا يَزُولُ سُلْطَانُهُ وَلَا يَبِيدُ مُلْكُهُ . فَإِنْ تُقْبَلِ الدُّنْيَا عَلَى أَخْذِهَا أَخَذَ الْأَمِيرُ الْبَطْرَ وَإِنْ تُدِيرُ عَنِ لَا أَبْكُ عَلَيْهَا بَكَاءَ الْخَرْفِ الْهَتْرِ .

ثم نزل .

قال عبدُ الملكِ يوما لجلسائه : من أشجعُ الناسِ ؟ فأكثرُوا فى هذا المعنى ، فقال : أشجعُ الناسِ مصعبُ بنُ الزُّبَيْرِ جَمَعَ بَيْنَ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ وَسَكِينَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ وَابْنَةِ الْحَمِيدِ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَاصِمٍ وَوَلِيَّ الْعِرَاقِينَ . وَزَحَفَ إِلَى الْحَرْبِ فَبَدَّلَ لَهُ الْأَمَانُ وَالْحَبَاءُ وَالْكَرَامَةُ وَالْوَلَايَةُ وَالْمَقْوُ عَمَّا خَاصَ فِى يَدِهِ فَأَبَى قَبُولَ ذَلِكَ وَاطَّرَحَ مَا كَانَ مَشْغُوفًا بِهِ مِنْ مَالِهِ وَأَهْلِهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَأَقْبَلَ يِقَاتِلُ بِسَيْفِهِ

قَرَمًا ولم يبق معه إلا سبعةُ نفرٍ حتى قُتِلَ كريماً .

ولما ولي مصعبُ العَراقيَن أقرَّ عبدُ العَزيزِ بن عبد الله بن عامر على سِجِسْتان

وأمدّه بِخَيْلٍ فقال ابن قيس الرقيات :

لَيْتَ شَمْرِي أَوَّلُ الْهَرَجِ هَذَا أَمْ زَمَانٌ مِنْ فِتْنَةٍ غَيْرِ هَرَجٍ
إِنْ يَمْشُ مُصْعَبٌ فَنَحْنُ بِمُخِيرٍ قَدْ أَتَانَا مِنْ عَيْشِنَا مَا نُرْجَى
أَعْطَى النَّصْرَ وَالْمَهَابَةَ فِي الْأَعْدَاءِ سَدَاءٌ حَتَّى أَتَوْهُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
حَيْثُ لَمْ تَأْتِ قَبْلَهُ خَيْلُ ذِي الْأَكْزَفِ تَأَفَّ يَوْجِفْنَ بَيْنَ قُفٍّ (١) وَمَرْجٍ
مَلِكٌ يُطْعَمُ الطَّعَامَ وَيَسْقَى لَبَنَ الْبُخْتِ فِي عِساسِ الْخَلَنَجِ (٢)

كان ابن قيس الرقيات عند عبد الملك بن مروان فأقبل غلمانُ عبد الملك معهم عِساسُ الْخَلَنَجِ فيها لَبَنُ الْبُخْتِ فقال عبد الملك : يا ابن قيس ! أين هذه من عِساسِ مُصْعَبٍ التي تقول فيها :

مَلِكٌ يُطْعَمُ الطَّعَامَ وَيَسْقَى لَبَنَ الْبُخْتِ فِي عِساسِ الْخَلَنَجِ
فقال : لا ! أين يا أمير المؤمنين لو طُرِحَتْ هذه في عِساسٍ من مُصْعَبٍ لَوَسِمَتْهَا وَتَغْلُظَتْ في جَوْفِهِ فَضَحَكَ عبدُ الملك وقال : قاتل الله ابنَ قيسِ يابَنِي إِلَّا وِفَاءً وَكِرَامًا .

وقال رجلٌ من بني أسد بن عبد العزى يَرِثِي مُصْعَبًا :

لَمَمْرُكُ إِنْ الْمَوْتَ مَنَا لَمَوْعٌ بِكُلِّ فَتًى رَحْبِ الذَّرَاعِ أَرِيبِ
جَمِيلِ الْحَيَا يَوْهِنُ الْقِرْنَ غَرْبُهُ وَإِنْ عَضَّهُ دَهْرٌ فَنِيرٌ هَيُوبِ
فإِنْ يَكُ أَمْسَى مُصْعَبٌ نَالَ حَتْفَهُ لَقَدْ كَانَ صُلْبَ الْعُودِ غَيْرَ رَهُوبِ
أَتَاهُ حَمَامُ الْمَوْتِ وَسَطَ جَنُودِهِ فَطَارُوا سَلَالًا وَاسْتَقَى بِذَنُوبِ
وَلَوْ صَبَرُوا نَالُوا حَبًّا وَكِرَامَةً وَلَكِنْهُمْ وَلَّوْا بَنِيرِ قُلُوبِ

(١) القف : ما ارتفع من الأرض وصلبت حجارته .

(٢) العس : القدح أو الإناء الكبير والخَلَنَج شجر .

مرج راهط^(١)

كان بدء حرب قيس وكلب في فتنة ابن الزبير ما كان من وقعة مرج راهط، وكان سبب ذلك أن مروان بن الحكم قدم بعد هلاك يزيد بن معاوية والناس يمجون، وكان سعيد بن بجذل الكلبي على قيس، فوثب عليه زفر بن الحارث فأخرجه منها وبايع لابن الزبير. فلما قعد زفر على المنبر قال: الحمد لله الذي أقعدني مقعد الغادر الفاجر. وحصر فضحك الناس من قوله، وكان النعمان بن بشير على حمص فبايع لابن الزبير. وكان حسان بن بجذل على فلسطين والأردن فاستعمل على فلسطين روح بن زنباع الجذامي وترك الأردن. فوثب نابل بن قيس الجذامي على روح بن زنباع فأخرجه من فلسطين وبايع لابن الزبير. وكان الضحاك بن قيس الفهري عاملاً ليزيد بن معاوية على دمشق حين هلك، فجعل يقدم رجلاً ويؤخر أخرى. إذا جاءته اليمانية وشيعة بني أمية أخبرهم أنه أموي. وإذا جاءته القيسية أخبرهم أنه يدعو إلى ابن الزبير. فلما قدم مروان قال له الضحاك: هل لك أن تقدم على ابن الزبير ببئمة أهل الشام؟ قال: نعم. وخرج من عنده، فلقية عمرو بن سعيد بن العاص ومالك وحصين الكنديان. وعبيد الله بن زياد. فسألوه عما قال الضحاك فأخبرهم، فقالوا: أنت شيخ بني أمية، وأنت عم الخليفة. هلم نبأ بك. فلما فشا ذلك أرسل الضحاك إلى بني أمية يمتدرون إليهم ويدكر حسن بلائه عندهم. وأنه لم يرد شيئاً يكرهونه. فاجتمع مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد بن العاص وخالد

(١) أغاني ١٧ : ١١١ - الطبري ٥٣٥ / - الكامل لابن الأثير ٤ / ٥٨ - أنساب

وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية ، فقال لهم : اكتبوا إلى حسان بن بحدل فليسر من
الأردن حتى ينزل الجابية ، ونسير من هنا حتى نلقاه فيستخلف رجلا ترضونه ،
فكتبوا إلى حسان فأقبل من الأردن وسار الضحاك بن قيس وبنو أمية في أهل
دمشق ، فلما استقلت الرايات من قبل دمشق ، قالت القيسية للضحاك : دعوتنا
إلى دعوة ابن الزبير ، وهو رجل هذه الأمة ، فلما تابعناك خرجت تابعا لهذا
الأعرابي مع كلب تباع لابن أخيه تابعا له قال : فتقولون : ماذا ؟ قالوا : نقول أن
تنصرف وتظهر بيعة ابن الزبير ونظهرها معك ، فأجابهم إلى ذلك ، وسار حتى
نزل مرج راهط ، وأقبل حسان حتى ألقى مروان بن الحكم ، فسار حتى دخل
دمشق فأنتمت اليمانية [تشكر بلاء بني] ^(١) أمية فساروا مع مروان حتى نزلوا المرج
على الضحاك ، وهم نحو سبعة آلاف ، والضحاك في نحو ثلاثة آلاف ، فلقوا
الضحاك وقتل الضحاك وقتل معه أشراف من أشراف قيس وأقبل زفر هاربا
من وجهه ذلك حتى دخل قرقيسيا ، وأقام عمير بن الحباب شيئا على طاعة بني
أمية ، ثم أقبل حتى دخل قرقيسيا على زفر وأقام معه ، وقال زفر يبكي قتلى المرج :
لعمري لقد أبقت وقيعة راهط
أتدب كلب لم نفلها رماحنا ^(٢)
وقد يثبت المرعى على دمن الترى
أبعد ابن صقر وابن عمرو تبا
فقال ابن الخلالة الكلبي يحميه :
لعمري لقد أبقت وقيعة راهط
تبكى على قتلى سليم وعامر
مع قصائد كثيرة قيلت في ذلك .

(١) غير واضحة في الأصل وهي عن الأغاني ١٧ : ١١١ .

(٢) هذا الشطر محرف في الأصل وصحته عن الأغاني ١٧ : ١١١ .

مسكين أبو صدقة

هو مسكين بن صدقة من أهل المدينة . مولى لقريش مليمُ الغناء طيبُ الصوت من أكثر الناس نادرة ، وأخفهم رُوحاً . وأشدّهم طمعا ، وألحّهم في مسألة ، وكان خياطاً حاذقاً .

وكان له ابن يُقال له صدقة يُغنى ، وابن ابنه أحمد بن صدقة الطنبوري أحد الحسنين . وهو أشبه الناس بجده في المزح والنوادر . وأبو صدقة من المغنين الذين أقدمهم هارون الرشيد من الحجاز في أيامه . قيل لأبي صدقة : ما أكثر سؤالك وأشدّ إلحاحك !! فقال : وما يمنعني من ذلك . واسمى مسكيناً وكُنيتي أبو صدقة وامرأتى فاقة وابني صدقة .

قال الرشيد يوماً للحارث بن بسخر : قد اشتبهت أن أرى ندمائى . ومن يحضر مجلسي من المغنين جميعاً في مجلس واحد ، يأكلون ويشربون مُتبدلين متبسطين على غير هيبة ولا احتشام ، يفعلون ما يفعلونه مع إخوانهم ونظرائهم وفي منازلهم ، وهذا لا يتم إلا أن يكونوا بحيث لا يروني وعن غير علمٍ منهم برؤيتي إياهم . فأعد لي مكاناً أجلس فيه أنا وعمي سليمان وإخوتي إبراهيم بن المهدي وإسماعيل بن جعفر . وجعفر بن يحيى فإننا مُغلّسون إليك غداً غدٍ واسترر أنت محمد بن خالد بن برمك . وخالداً أخامهرويه . والخضر بن جبريل . وجميع المغنين وأجلسهم بحيث نراهم ولا يرونا ، وأبسط الجميع وأظهر برهم وأخلع عليهم ولا تدع من الإكرام شيئاً إلا فعلته بهم ، ففعل ذلك الحارث وقدم إليهم الطعام

فأكلوا . والرشيد ينظرُ إليهم . ثم دعا لهم بالنبيذ فشرَبوا . وأحضرت الخَلَع .
وكان ذلك في يومٍ شديدِ البردِ نخلعَ علي ابن جامعٍ جُبَّةً طارونِيَّةً مبطَّنةً بِسُمُورٍ^(١)
صينيَّة . وخلعَ علي إبراهيمَ الموصلي جُبَّةً وَشِيَّ مَبْطُنةً بِفَنَكٍ^(٢) ، وخلعَ علي
أبي صدقةَ دُرَّاعَةً مُلَحَمَ^(٣) خراساني محشوةً بقَرَّ . ثم تَغَنَّى ابن جامعٍ ، وتَغَنَّى بعده
إبراهيمُ . وتلاها أبو صدقةَ فَغَنَّى لابن سُرَيْج :

ومن أجل ذاتِ الخالِ أَعْمَلْتُ نَاقِي أَكَلَفُهَا سِيرَ الكَلالِ مع الظَّلَعِ
فأجاده واستعماده الحارثُ ثلثنا وهو يُعَمِّده ، فقال له : أحسنتَ والله .
يا أبا صدقةَ فقال له : هذا غِنائي ، وقد قرصني البردُ ، فكيف تراه فدَيْتُكَ يكون
لو كان تحت دُرَّاعِي شميراتٍ ، يعني الوبرَ ؟ ، والرشيدُ يسمع ذلك ، فضحك وأمر
بأن يُخلَعَ عليه دُرَّاعَةٌ مُلَحَمَ مَبْطُنةً بِفَنَكٍ ، ففعلوا ذلك ثم تَغَنَّى الجماعةُ وتغنى
أبو صدقةَ لَمَعَبَد :

بان الخليطُ ولو طَوَّعْتُ ما بانا وقطَّعُوا من حبالِ الوصلِ أَقْرانا
فأقام فيه القيامةُ ، فطرب الرشيدُ حتى كاد أن يخرج إلى المجلس طربا ، فقال له
الحارثُ أحسنتَ والله يا أبا صدقةَ وأجملت ، فقال له أبو صدقة : فكيف ترى ،
فدَيْتُكَ ، الحال لو كانت على الدَّرَّاعَةِ نُقْمِطَاتٍ ، يعني الوشي ، فضحك الرشيدُ حتى
ظَهَرَ ضَحْكُهُ ، وعلموا بموضعه وأمرَ بإدخالهم إليه ، وأمرَ أن يُخلَعَ علي أبي صدقةَ دُرَّاعَةٌ
أُخْرَى بِوَشْيٍ نُخْلَمَتِ عليه . وكان الرشيدُ يعبثُ به كثيرا . فقال ذات يومٍ
لمسرور : قل لابنِ جامعٍ وإبراهيمَ الموصلي والزبير بن دَحْمان . وزلزل وبرصوم

(١) السُمُور حيوان يرى يشبه ابن عرس ومنه لون أحمر مائل إلى السواد يتخذ من جلده فراءً
ثميَّة .

(٢) الفَنَك : جنس من الثعالب أصفر من الثعلب المعروف وفروته من أحسن الفراء .
(٣) المُلَحَم : جنس من الثياب وهو ما كان سداه لإبراهيم (حرياً أبيض) ولحمته غير إبراهيم .

وعمرو الغزال وسائر المغاني : إذا رأيتموني قد طابت نفسي فليسأل كل واحد منكم حاجة ، مقدارها مقدارُ صلته ، وذكرَ لكل واحد منهم مقدارَ ذلك وأمرهم أن يكتبوا أمرهم عن أبي صدقة ، فقال لهم مسرور ما قال له : ثم أذن لأبي صدقة قبل إذنه لهم ، فلما جلس قال : يا أبا صدقة قد أضجرتني بكثرة مسائلك وأنا في هذا اليوم ضجرت وقد أحببت أن أتفرج وأفرح ، ولست آمن أن تنفص عليّ بجلسي بمسألتك فإما ألا تسألني اليوم حاجة . وإلا انصرف فقال له : لست أسألك في يوم هذا حاجة إلى شهر ، فقال له الرشيد : أما إذ شرطت هذا على نفسك فقد اشتريت منك حوائجك بخمسمائة دينار . وها هي تُخذها طيبةً مُعجّلةً . فإن سألتني شيئاً بعدها هذا اليوم . فلا لوم عليّ أن لم أصلك سنةً بشيء . فقال له : نعم وسنتين ، فقال له الرشيد : زدني في الوثيقة فقال : قد جعلتُ أمر أم صدقة في يدك فطلّقهما إن شئت واحدة أو ألفا إن سألتك في يوم هذا حاجة وأشهد الله ومن حضر على ذلك . ودفع إليه المال ثم أذن للجلساء والمغنين . فدخلوا وشرب القوم فلما طابت نفسه ، قال له ابن جامع : يا أمير المؤمنين قد بلغت منك ما لم يبلغه غيري وكثرت إحسانك عليّ حتى كبت أعدائي . وليس لي دار تشبه حالي فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي بمال أبي به داراً وأفرشها بباقية لأفقا عيوني أعدائي وأزهي نفوسهم ففعل . قل : وكم قدرت لذلك قال : أربعة آلاف دينار ، فأمر له بها . ثم قام إبراهيم الموصلي فقال : يا أمير المؤمنين قد ظهرت نعمتك عليّ وعلى ولدي وفي أكابرهم من أحتاج إلى ظهره وفي أصاغرهم من أحتاج إلى أن أتخذ لهم خدنا فإن رأى أمير المؤمنين معونتي على ذلك ففعل ، فأمر له بمثل ما أمر به لابن جامع وجعل كل واحد يقول في الثناء ما يحضره ويسأل حاجته على قدر جائزته . وأبو صدقة ينظر إلى الأموال تفرق يميناً وشمالاً فوثب على رجله قائماً وأخرج الدنانير من كُمه وقال للرشيد : أفلني أقالك الله من عثرتك يا أمير المؤمنين . فقال له الرشيد :

لَا أَفْعَلُ فَعَمِلَ يَسْتَحْلِفُهُ وَيَضْطَرُّ وَيُلِحُّ وَالرَّشِيدُ يَضْحَكُ وَيَقُولُ : مَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ ، وَالشَّرْطُ أَمْلَكَ ، فَلَمَّا عِيلَ صَبْرُهُ رَمَى بِالْدَانِيَةِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ وَقَالَ : هَا كَهَا قَدْ رَدَدْتُهَا عَلَيْكَ وَزِدْتُكَ أُمَّ صَدَقَةٍ فَطَلَّقَهَا إِنْ شِئْتَ وَاحِدَةً وَإِنْ شِئْتَ أَلْفًا ، وَإِنْ لَمْ تَلْحَقْنِي بِجَوَازِ الْقَوْمِ فَأَلْحِقْنِي بِجَاوِزَةِ هَذَا الْبَارِدِ عَمْرٍو وَالْغَزَالِ ، وَكَانَتْ جَاوِزَتُهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِينَارٍ ، فَضَحِكَ الرَّشِيدُ حَتَّى اسْتَلْقَى ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ الْخَمْسَمِائَةَ دِينَارًا وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفٍ دِينَارٍ أُخْرَى ، وَكَانَ ذَلِكَ أَكْثَرَ مَا أَخَذَ مِنْهُ مِنْ يَوْمِ خَدَمَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ وَانْصَرَفَ بِأَلْفٍ وَخَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ .

قَالَ إِسْحَاقُ : مُطَرَّنَا وَنَحْنُ بِالرَّقَّةِ مَعَ الرَّشِيدِ مَعَ الْفَجْرِ ، وَاتَّصَلَ ذَلِكَ إِلَى غَدٍ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَعَرَفْنَا خَبَرَ الرَّشِيدِ أَنَّهُ مَقِيمٌ عِنْدَ أُمِّ وَلَدِهِ الْمَسَاءَةِ شَجَرٍ ، فَتَشَاغَلْنَا فِي مَنَازِلِنَا ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَاءَنَا رَسُولُ الرَّشِيدِ ، فَخَضَرْنَا جَمِيعًا ، وَأَقْبَلَ يَسْأَلُ كُلَّ وَاحِدٍ مَنَا عَنْ يَوْمِهِ الْمَاضِي وَمَا صَنَعَ فِيهِ ، فَيُخْبِرُهُ إِلَى أَنْ انْتَهَى إِلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى فَسَأَلَهُ عَنْ خَبَرِهِ فَقَالَ : كَانَ عِنْدِي أَبُو زَكَرِيَّا الْأَعْمَى وَأَبُو صَدَقَةٍ فَكَانَ أَبُو زَكَرِيَّا كَلَّمَأَ غَنَى صَوْتًا لَمْ يَفْرَغْ مِنْهُ حَتَّى يَأْخُذَهُ أَبُو صَدَقَةٍ ، فَإِذَا انْتَهَى الدَّوْرُ إِلَيْهِ أَعَادَهُ وَحَكَى أَبَا زَكَرِيَّا فِيهِ وَفِي شَمَائِلِهِ وَحَرَكَاتِهِ ، وَيَفْطِنُ أَبُو زَكَرِيَّا لَذَلِكَ فَيُجَنِّ وَيَعُوتُ غِيظًا وَيَشْتُمُ أَبَا صَدَقَةٍ كُلَّ شَتْمٍ حَتَّى يَضْجَرَ وَهُوَ لَا يُجِيبُهُ وَلَا يَدَعُ الْعَبَثَ بِهِ ، وَأَنَا أَضْحَكُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَوَسَّطَ الشَّرْبُ وَسُمِمْنَا مِنْ عَيْثِهِ بِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : دَعْ هَذَا عَنْكَ وَغْنٌ غِنَاءُكَ فَغَنَى رَمَلًا ذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ صَنَعَتِهِ فَطَرِبْتُ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ طَرَبًا مَا أَذْكَرُ أُنَى طَرِبْتُ مِثْلَهُ مِنْذُ حِينٍ ، وَهُوَ :

فَتَنَتْنِي بِفَاحِمِ اللَّوْنِ جَمِدٍ وَبَشَرٍ كَأَنَّهُ نَظْمٌ دُرٌّ
وَبَوَجْهِ كَأَنَّهُ خَلْقَةُ الْبَدَنِ رَوَعِينَ فِي طَرَفِهَا نَفْثُ سِحْرِ

فَقُلْتُ لَهُ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا أَبَا صَدَقَةٍ ، فَلَمْ أَسْكُتْ مِنْ هَذِهِ السَّكَمَةِ حَتَّى قَالَ

لى : يا سيدى إني قد بنيت داراً أنفقتُ عليها حَريتي^(١) ، وما أعددتُ لها فرشاً فافرِشها لى نَجَّدَ اللهُ لك فى الجنة ألفَ قصر ۥ فتغافلُ عنه ۥ وعاود الغناء فتعمدتُ أن قلتُ له : أحسنتَ ليعاود المسألة وأتغافلُ عنه ۥ فسألنى وتغافلُ عنه ، فقال : يا سيدى : هذا التغافلُ متى حَدَثَ لك ؟ سألتُك بالله وبحقِّ أليك عليك إلا أَجَبْتَنى عن كلامى ولو بَشْتَمَ ، فأقبلتُ عليه وقلتُ له : أنت بغيضُ فاسكتُ يا بغيضُ واكفُفُ عن هذه المسألة المُلحَّة فوثب من بين يديّ ، وظننتُ أنه خرج لحاجة فإذا هو قد نَزَعَ ثيابه وتَجَرَّدَ منها خوفاً من أن تَبْتَلَّ ۥ ووقف تحت السماء لا يواريه منها شئٌ ۥ والمطر يأخذه ، ورفَعَ رأسه ۥ وقال : يارب أنت تعلمُ أُنَّى مُلِهٍ ولستُ ناعماً ۥ وعبدُك هذا الذى رَفَعْتَهُ وأخَوَجْتَنى إلى خِدْمَتِهِ يقول لى : أحسنتَ لا يقول لى : أسأتَ ، وأنا منذ جلستُ أقول له : بَنَيْتُ ۥ لا أقول له هَدَمْتُ ، فيحلفُ بك جُرْأَةً عليك أُنَّى بغيضُ ، فاحكمُ بينى وبينه ۥ وأنت خيرُ الحاكمين . فغلبنى الضحكُ وأمرتُ به فتَنَحَّيَ وَجِهْتُ به أن يُغْنَى فامتنع حتى حَلَفْتُ له بحياتِكَ يا أميرَ المؤمنين أُنَّى أفرشُ له داره وخَدَعْتُهُ فلم أُسَمَّ له ما أفرِشها . فقال الرشيد : طيِّبُ والله ، لأنَّ تمَّ لنا به اللهُ ، وهو ذا ، أدعُ به فإذا رَأَى فسوف ينتجزُ منك الفَرشَ لأنك حلفتَ له بحياتى ، فهو يَقْتَضِيكَ بِحَضْرَتِي لِيَكُونَ أَوْثَقَ له ، فنقول له : أنا أفرِشها لك بالبوارى^(٢) ، وحاكِمُهُ إِلَى ۥ ثم دعا به فحضر ، فما استقر فى مَجْلِسِهِ حتى قال لجعفر بن يحيى : الفَرش الذى حَلَفْتَ بِحَيَاةِ أمير المؤمنين أنك تفرِشُ به دارى تقدِّمُ فيه ، فقال له جعفر : اخترْ إن شئتَ فرشَتها لك بالبوارى ۥ وإن شئتَ بالبردى من الحَصَر ، فصاح واضطرب ، فقال له الرشيد : كيف كانت القِصَّة ، فأخبره . فقال له : أخطأتُ يا أبا صدقة إذ لم تُسَمِّ النوعَ ۥ

(١) حرية الرجل : ماله الذى يعيش منه .

(٢) البورياء : الحَصير المنسوج من القصب : فارسى معرب .

ولم تَحُدِ القِيَمَةَ ، فإذا فَرَشَهَا لك بالبرْدَى أو بما دون ذلك فقد وَفَى بِعَمَلِهِ وَإِنَّمَا
خَدَعَكَ ولم تَفْطِنِ أَنْتَ ، ولا تَوَقَّعْتَ وَضِيعَتَ حَقِّكَ ، فَسَكَتَ وقال : توفّرُ
البوارى والبرْدَى أعزّك الله ، وغنى المغنّون حتى انتهى الدورُ إليه ، فأخذ يغنى
غناء الملاحين والبنّائين والسقّائين وما يجرى مجراه من الغناء فقال له الرشيد :
إيشُ هذا الغناء وَيْلَكَ !! فقال من فَرَشَ دارَه البوارى والبرْدَى فهذا الغناء كثيرُ
منهُ وكثيرُ أيضا لمن هذه صِلَتُهُ ، فضحك الرشيدُ وطَرِبَ وصَفَّقَ وأمر له بألفِ
دينارٍ من ماله ، وقال له : افرشْ دارك بهذه ، فقال له : وحياتِكَ لا آخذُها
أو تحكّم لي على جَعْفَرٍ بما وَعَدْتَنِي وإِلّا مِتُّ والله أَسَفًا لِفَوْتِ ما حصل في طَمَعِي
وَوَعَدْتُ بِهِ فحكّم له على جعفر بخمسمائة دينار فقبِلها وأمر له بها .

محمد بن أبي محمد الزيدى^(١)

هو محمد بن أبي محمد ، يحيى بن المبارك الزيدى ، وسيأتي نسبه تحت ترجمة أبيه في حرف الياء .

جاء محمد بن أبي محمد إلى باب المأمون فاستأذن فقال له الحاجب : إنه قد أخذ دواءً وأمرنى ألا آذن لأحد ، فقال له محمد : فأمرك ألا توصل إليه رقعة ؟ قال : لا ، فدفع له رقعة فيها :

هَدَيْتِي التَّحِيَّةُ لِلْإِمَامِ	إِمَامِ الْمَدَلِّ وَالْمَلِكِ الْهَامِ
لَأَنِّي لَوْ بَدَّلْتُ لَهُ حَيَاتِي	وَمَا أَحْوَى لِقَلًا لِلْإِمَامِ
أُرَاكَ مِنَ الدَّوَاءِ اللَّهُ نَفْعًا	وَعَافِيَةً تَكُونُ إِلَى تَمَامِ
وَأَعْقَبَكَ السَّلَامَةَ مِنْهُرَبٌ	يُرِيكَ سَلَامَةً فِي كُلِّ عَامِ
أَتَأْذُنُ فِي السَّلَامِ بِلَا كَلَامِ	سَوْى تَقْبِيلِ كَفِّكَ وَالسَّلَامِ

قال : فأوصلها وخرج فأذن له فدخل وسلم وحمل معه ألفى دينار .

قال محمد بن أبي محمد : ما سَرَقْتُ من الشعر قط إلا معنيين لمسلم بن الوليد قال :
 ذَاكَ ظَنِّي تَحْيَرُ الْحَسَنُ فِي الْأَرْكَانِ مِنْهُ وَحُلُّ كُلِّ مَكَانٍ
 عَرَضَتْ دُونَهُ الْحِجَالُ فَمَا يَلْدُ قَاكَ إِلَّا فِي النُّومِ أَوْ فِي الْأَمَانِ
 فقلت أنا :

يَا بَعِيدَ الدَّارِ مَوْصُو	لَا بَقْلِي وَلِسَانِي
رَبِّمَا بَاعَدَكَ الدَّهْرُ	رُفَادَتَكَ الْأَمَانِي

وقال مسلم أيضا :

متى ما تسمى بقتيل حُبٍّ (١) أُصِيبَ فَإِنِّي ذَاكَ الْقَتِيلُ

فقلت أنا :

أَتَيْتُكَ عَائِذَا بِكَ مِنْ كَ لِمَا ضَاقَتْ الْحِيلُ
وَصَيَّرَنِي هَوَاكَ وَبِي لِحَيِّينِي يَضْرِبُ النُّلُ
فَإِنْ سَلِمْتَ لَكُمْ نَفْسِي فَمَا لَأَقِيْتُهُ جَلَلُ
وَإِنْ قَتَلَ الْهَوَى رَجُلًا فَإِنِّي ذَاكَ الرَّجُلُ

قال أبو سَمِيرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَيُّوبَ مَوْلَى بَنِي أُمِيَّةَ . بَاتَ عِنْدِي لَيْلَةً مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ فَظَهَرَ لَنَا قُنْفُذٌ فَقُلْتُ لَهُ : قُلْ فِيهِ شَيْئًا فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

وَطَارِقُ لَيْلٍ زَارَنَا بَعْدَ هَجْمَةٍ مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا مَا تَحَدَّثَ سَامِرُ
فَقُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ مَا طَارِقُ أَتَى فَقَالَ : امْرُؤٌ سَيِّقَتَ إِلَيْهِ الْمَقَادِرُ
قَرِينَاهُ صَفْوَةُ الزَّادِ لِمَا رَأَيْتُهُ وَقَدْ جَاءَ خَفَاقُ الْحَشَى وَهُوَ سَادِرُ
جَمِيلُ الْحَيَا فِي الرِّضَا فَإِذَا أَبِي حَمَمَهُ مِنَ الضَّيْمِ الرَّمَاحُ الشَّوَاغِرُ
وَلَسْتُ تَرَاهُ وَاضِعًا لِسِلَاحِهِ يَدُ الدَّهْرِ مَوْتُورًا وَلَا هُوَ وَاتِرُ

قال مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ : دَخَلْتُ عَلَى الْعَتَصِمِ ، وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدٍ ، وَقَدْ طَلَعَ الْقَمَرُ فَتَنَفَّسَ ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ : قُلْ أُمَيَّاتًا فِي مَعْنَى طُلُوعِ الْقَمَرِ ، وَإِنْ غَابَ مَدَّةً كَمَا غَابَ مُحِبٌّ عَنْ مُحْبُوبِهِ ثُمَّ طَلَعَ فَإِنْ جِئْتُ بِمَا أَحِبُّ فَلَكَ بِكُلِّ بَيْتٍ مِائَةُ دِينَارٍ فَقُلْتُ :

هَذَا شَبِيهِ الْحَبِيبِ قَدْ طَلَمَا غَابَ كَمَا غَابَ ثُمَّ قَدْ لَمَا
وَمَا أَرَى غَيْرَهُ يَشَاكِكُهُ فَاسْأَلْهُ بِاللَّهِ عَنْهُ مَا صَنَمَا
فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ قَدَرٌ هُوَ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا جَمَا

فهل له عودةٌ فأرْقُبْهُ كما رأينا شِبْهَهُ رَجَمَا
فقال له : أحسنتَ وحياتي • وأمر لي بأربعمائة دينار • وأمر علوية ففَعَنِي فيها
وأعطاه أيضا أربعمائة دينار .

قال محمدُ بن أبي محمد : شكوتُ إلى المأمون ديناً على فقال : إن عبدَ الله بن
طاهر اليومَ عندي • وأريد الخلوةَ معه ، فإذا علمتَ بذلك فاستدعُ أن تكون ثالثنا
أو إخراجهُ إليك • فإني سأحكمُ عليه بما لى ، فلما علمتُ أنهم جالسوا للشرب صرت
إلى الدار فكتبتُ بهذين البيتين :

ياخيرَ ساداتٍ وأصحابِ هذا الطفيلِ على البابِ
فصيرُوا لى معكم مَجْلِسًا أوأخِرِ جوالى بعضَ أصحابِ

وبعثَ بهما إليه فقال المأمون : لقد صدقَ اكتبوا إليه واسألوه من يختارُ ؟
فكتب : ما كنتُ لأختارَ على أبى العباسِ أحداً • فقال له المأمون : قم إلى صديقك
فقال : يا أميرَ المؤمنين إن رأيتَ أن تُفِيفَينى من ذلك ، أنْخِرْجُنِى مَعْمَا شَرَفْتَنِى
به من منادمتك وتبَدِّلْنى بها منادمةَ ابنِ الزيدى ؟ فقال : لا بد من ذلك أو تُرْضِيَهُ
قال : فليحْكَمْ قال : أخافُ أن يَشْتَطَّ أو تُقَصِّرَ أنت • ولكنى أحكمُ فأُعْدِلُ .
قال : قد رضيتُ قال : يُحْمَلُ إليه ثلاثةُ آلافِ دينارٍ مُعْجَلَةً • قال : قد فعلتُ •
فأمر صاحب بيتِ المالِ بِحَمْلِهَا مَعِى وأمر عبدَ الله بِرَدِّهَا إلى بيتِ المالِ .

الْمَنْخَلُ الشُّكْرِيُّ^(١)

هو المنخلُ بنُ عمرو . وقيل : المنخلُ بنُ مَسْعُودٍ بنِ أَفْلَتِ بنِ كَعْبِ بنِ سَوَّاةِ بنِ غَنْمِ بنِ حَبِيبِ بنِ يَشْكُرِ بنِ بَكْرِ بنِ وائِلٍ . شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراءِ الجاهلية . وكان النعمانُ بنُ الْمُنْذِرِ اتَّهَمَهُ بِأَمْرَاتِهِ الْمُتَجَرِّدَةِ . وَوَجَدَهُ مَعَهَا ، وقيل : بل سَمَى إِلَيْهِ بِهِ فِي أَمْرِهَا فَقَتَلَهُ ، وقيل : حَبَسَهُ ، ثُمَّ غَمَضَ خَبْرُهُ . فلم يُعْرِفْ لَهُ حَقِيقَةً . فيقال : دَفَنَهُ حَيًّا ويقال : غَرَّقَهُ . والعربُ تُضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ كَمَا تُضْرِبُ بِالْقَارِظِ الْعَمَزِيِّ . قال ذو الرِّمَّة :

تُقَارِبُ حَتَّى تُطْمَعَ التَّابِعَ الصَّبَا وليست بأَذْنَى مِنْ إِيَابِ الْمَنْخَلِ
وقال النمر بن تواب :

وقولي إذا ما أَطْلَقُوا عَنْ بَعِيرِهِمْ تَلَاقُونَهُ حَتَّى يُوْبَّ الْمَنْخَلُ
كانت المتجردةُ امرأةُ النعمانِ فاجرةً وكانت تُتَّهَمُ بِالْمَنْخَلِ الشُّكْرِيِّ ، وقد ولدت غلامَيْنِ عَلَى فِرَاشِ النعمانِ ، كَنا أَشْبَهَ النَّاسِ بِالْمَنْخَلِ ، ويقال : إِنْهُمَا مِنْهُ . وكان المنخلُ جَمِيلًا وَسِيمًا وكان النعمانُ أَحْمَرَ أَبْرَشَ قَصِيرًا ذَمِيمًا ، وكان للنعمانِ يَوْمٌ يَرُكَبُ فِيهِ لِلصَّيْدِ فَيُطِيلُ الْمُسْكَتَ . وكان المنخلُ مِنْ نُدَمَائِهِ لَا يَفَارِقُهُ . فكان يَأْتِي الْمُتَجَرِّدَةَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرُكَبُ فِيهِ النعمانُ ، فَيُطِيلُ عِنْدَهَا ، حَتَّى إِذَا جَاءَ النعمانُ أَذْنَتْهَا بِجَيْئِهِ وَلَيْدَةً لَهَا مُوَكَّلَةٌ بِذَلِكَ . فتَخْرِجُهُ . فركب النعمانُ ذاتَ يَوْمٍ غَانَاها الْمَنْخَلُ كَمَا كَانَ يَأْتِيهَا فَلَاعِبَتَهُ وَأَخَذَتْ خَلْخَالَها فَجَعَلَتْهُ فِي رِجْلِهِ وَأَرْسَلَتْ شَعْرَهَا فَشَدَّتْ بِهِ خَلْخَالَها إِلَى خَلْخَالِهِ . وقيل : أَخَذَتْ قِيدًا فَجَعَلَتْ إِحْدَى حَلَقَتَيْهِ

(١) الأغاني أميري ١٨ : ١٥٣ . الشعر والشعراء - المذهب .

في رِجلِهِ والأخرى في رِجلِها ، وغَفَلَتِ الوليدةُ عن تَرَقُّبِ النعمانِ ۝ لأن الوقت الذي كان يحبىء فيه لم يكن قَرُبَ بَعْدَ ، فأقبل النعمانُ حينئذٍ ولم يطل في وَجْهَتِهِ كما كان يفعل ۝ فدخل إلى المتجردة فوجدها مع المُنْخَلِّ وقد قَيَّدَتْ رِجلِها ورِجلَهُ ، فأخذه النعمان فدفمَهُ إلى عكَبِ صاحبِ سِجْنِهِ لِيَمْدَبَهُ ، وعكَبُ رجلٌ من لُحْمٍ ۝ فعدَّبه حتى قَتَلَهُ ، واسم المتجردة ماوِيَّةُ . وقيل : هندُ بنتُ المنذرِ بنِ الأسودِ الكَلْبِيِّ ۝ وكانت عند ابنِ عَمِّ لَهَا يقال له حُلُمٌ ، وهو الأسودُ بنُ المنذرِ بنِ حارثة الكَلْبِيِّ ، وكانت أَجَلَ أَهلِ زمانِها ، فرآها الملكُ المنذرُ بنُ المنذرِ اللُخُمِيُّ فَعَشَقَهَا ، فجلس ذات يوم على مِثْرابِهِ ومعه حَلَمٌ زَوْجُ المتجردةِ فقال له المنذرُ : إنه قبيحٌ بالرجُلِ أن يقيم مع المرأةِ حتى لا تَبْقَى في رأسِهِ شعرةٌ بيضاء إلا عَرَفَتْها فهل لك أن تُطَلِّقَ المتجردة ، وأطْلُقْ أنا امرأتِي سَلَمَى ؟ قال : نَعَمْ وأخذ كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه المهودُ ۝ فطلقَ المنذرُ امرأته سَلَمَى وأطلق حُلُمٌ امرأته المتجردة فتزوجها المنذرُ ولم يُطَلِّقْ سَلَمَى أن تزوج حلما وحجَّبا وهي أمُّ ابنِ النعمانِ بنِ المنذرِ ثم مات المنذرُ ابنُ المنذرِ فتزوجها بعده النعمانُ ابنُهُ وكان النابغةُ ممن يجالسُهُ ويشربُ معه وكان جميلا عفيفا فأمره النعمانُ بوصفِ المتجردةِ فقال فيها القصيدة التي أولها :

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَأَيْتُ أَوْ مُتَدَيِّ عَجَلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوَّدٍ

ووصفها فَأَفْحَشَ فقال من هذه القصيدة :

وَإِذَا طَعَنْتَ طَعَنْتَ فِي مُسْتَهْدَفٍ رَأَى الْحِجْسَةَ بِالْمَبِيرِ مُقَرَّمَدٍ
وَإِذَا نَزَعْتَ نَزَعْتَ مِنْ مُسْتَحْصَفٍ نَزَعَ الْحَزَّورَ بِالرِشَاءِ الْمُحْصَدِ

فغار المُنْخَلُّ من ذلك وقال : هذه صِفَةُ مُعَايِنٍ ۝ فهم النعمانُ بقتلِ النابغةِ حتى هَرَبَ مِنْهُ وَخَلَا المُنْخَلُّ بِمَجَالَسَتِهِ ۝ وهو يَهْوَى المتجردةَ وَتَهْوَاهُ ۝ جَرَى لَهَا مَعَهُ ماجرى . من تقييدها رِجلِها ورِجلَهُ بِخَلْخَالِها وشَعْرِها من شِدَّةِ إعْجَابِها بِهِ وَمَحَبَّتِها لَهُ ، ودخولِ النعمانِ عليهما وَقَتْلِهِ فقال المُنْخَلُّ عند قَتْلِهِ :

إن كنتِ عاذلتِ فسيري نحو المراق ولا تحوري
 لا تسألي عن جُلِّ ما لي واذا كُرى كُرى وخيري
 وإذا الرياحُ تَفَاوَحَتْ بجوانبِ البيتِ الكبيرِ
 أَلْفَيْتَنِي هَشَّ النَّدَى يَ بمرِّ قدحى أو شَجِيرِ
 الشجير : القدح الذى لم يصلحُ حُسناً ويقال : بل هو القدح المارِيةُ .
 منها :

ولقد دخلت على الفتا عِ الخدرِ فى اليومِ المَطِيرِ
 الكاعبِ الحَسَناءِ ترَ فُلٌّ فى الدَّمَقْسِ وفى الحريرِ
 فدفعتهما فتدافعتْ
 وَلَثَمْتُهُمَا فَتَقَنَّسَتْ
 ورنتِ وقالتِ يامُنْحَ لُ ما بجسمك من فقورِ
 ما شَفَّ جِسْمِي غيرُ حُبِّ لك فاهْدئ عني وسيري
 ولقد شربتُ من المدا مةِ بالصغيرِ وبالكبيرِ
 وإذا سَكِرْتُ فَإِنِّى رَبُّ الخَوَرَنَقِ والسديرِ
 وإذا صَحَوْتُ فَإِنِّى رَبُّ الشُّوْبَةِ والبعيرِ
 ياربِ يومِ المُنْحَ سلِ قد لها فيه قَصِيرِ

ومن الناس من يزيد فيها :

وَأَحِبُّهَا وَتُحِبِّى
 وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِ

محبوبة الشاعر^(١)

مولدة من مولدات البصرة ، سريضة الخاطر ، لا تكاد فضلُ الشاعرة اليمامية أن تتقدمها ، وكانت محبوبة أجمل من فضل وأعف ، بارعة الحسن والظرف والأدب ومَلَكَها التوكل ، وهى بكرٌ أهداها له عبدُ الله بن طاهرٍ فى جملة أربعمائة جارية . وبقيت بمدة مدة فما طمِع فيها أحدٌ . وكانت تغنى غناء ليس بالفاخر .

كان على بن الجهم يقرب من أنس التوكل جداً ولا يكتُمه شيئاً من سرِّه مع حرِّمه وأحاديثِ خلواته ، فقال له يوماً : إني دخلتُ على قبيحة فوجدتها قد كتبت اسمي على خدِّها بغالية . فلا والله ما رأيت شيئاً أحسن من سوادِ تلك الغالية على بياضِ ذلك الخدِّ . فقلُ فى هذا شيئاً ، وكانت محبوبة حاضرة الكلام من وراء الستارة ، فدعا على بن الجهم بدواةٍ فإلى أن أتوه بها وابتدأ يُفكِّرُ قالت محبوبة على البديهة ، من غيرِ فِكْرٍ ولا رويّةٍ ولا دواةٍ :

وكاتبته بالسك في الخدِّ جعفرًا	بنفسي نخطُّ المسك من، حيثُ أئرا
لئن كتبت في الخدِّ سطرًا بكفها	لقد أودعت قلبي من الحب أسطرًا
فيامن لملوك لملك يمينه	مطيع له فيما أمر وأظهره
ويا من هواها في السريرة جعفر	سقى الله من سقى ثناياك جعفرًا

فبقى على بن الجهم واجماً لا ينطق بحرف . وأمر التوكلُ عريباً أن تغنى فى الأبيات ولم يقدر على بن الجهم على حرفٍ واحد يقوله .

ولما قُتِلَ تَفَرَّقَ جَوَارِيهِ فَصَارَ إِلَى وَصِيفَ عِدَّةٍ مِنْهُنَّ ، وَكَانَتْ مَحْبُوبَةً فِيْ مَنْ
أَخَذَ فَاصْطَبَحَ يَوْمًا فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ جَوَارِيِ التَّوَكُّلِ فَأُحْضِرْنَ ۖ عَلَيْهِنَ الثِّيَابَ
الْمَلُونَةَ وَالْمَذْهَبَةَ وَالْحُلِيَّ وَقَدْ تَزَيَّنَّ وَتَعَطَّرْنَ إِلَّا مَحْبُوبَةً فَإِنَّهَا جَاءَتْ وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ
بَيْضٌ غَيْرُ فَاخِرَةٍ حُزْنَاً عَلَى التَّوَكُّلِ فَتَغَنَّى الْجَوَارِي جَمِيعاً وَشَرِبْنَ فَطَرِبَ وَصِيفٌ
وَمَرَبٌ ثُمَّ قَالَ : يَا مَحْبُوبَةُ غَنَّى فَأَخَذَتِ الْعُودَ وَغَنَتْ وَهِيَ تَبْكِي ۖ

أَيَّ عَيْشٍ يَطِيبُ لِي	لَا أَرَى فِيهِ جَعْفَرًا
مَلِكًا قَدْ رَأَيْتُهُ عَي	بَنِي قَتِيلًا مُعَفَّرًا
كُلُّ مَنْ كَانَ ذَاهِيًا	مِنْ وَحْزَنِ فَقْدِ بَرَا
غَيْرَ مَحْبُوبَةٍ الَّتِي	لَوْ تَرَى الْمَوْتَ يُشْتَرَى
لَا شَرْتَهُ بِلَيْكِيهَا	كُلُّ هَذَا لَتُقْبَرَا

فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى وَصِيفٍ وَهَمَّ بِقَتْلِهَا ، وَكَانَ بُنَا حَاضِرًا فَاسْتَوْهَبَهَا مِنْهُ فَوَهَبَهَا لَهُ
وَأَعْتَقَهَا وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهَا ، وَإِنْ تَسْكُونُ بِمَحِثٍ تَخْتَارُ مِنَ الْبِلَادِ ۖ فَخَرَجَتْ مِنْ سُرٍّ
مِنْ رَأْيِ إِلَى بَنْدَادٍ ۖ وَأَخْلَتْ ذِكْرَهَا طَوْلَ عُمرِهَا .

كَانَتْ مَحْبُوبَةً قَدْ حَظِيَتْ عِنْدَ التَّوَكُّلِ ، حَتَّى كَانَ يُجْلِسُهَا خَلْفَ السِتَارَةِ وَرَاءَ
ظَهْرِهِ إِذَا جَلَسَ لِلشَّرْبِ وَيَدْخُلُ رَأْسَهُ إِلَيْهَا وَيَرَاهَا فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَيُحَدِّثُهَا ،
فَنَاضِبَهَا يَوْمًا وَهَجَرَهَا وَمَنَعَ جَوَارِيَهَا جَمِيعاً مِنْ كَلَامِهَا وَنَازَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَيْهَا وَأَرَادَ
ذَلِكَ فَنَازَعَتْهُ الْعِزَّةُ عَنْهَا وَامْتَنَعَتْ مِنْ ابْتِدَائِهِ إِذْ لَا عَلَيْهِ لِحَاحُهَا مِنْهُ ۖ قَالَ عَلَى
ابْنِ الْجَهْمِ ۖ فَبَكَرْتُ إِلَيْهِ يَوْمًا ، فَقَالَ لِي : يَا عَلَى رَأَيْتُ مَحْبُوبَةَ الْبَارِحَةِ فِي النَّوْمِ
كَأَنِّي قَدْ صَالَحْتُ مَحْبُوبَةً فَقُلْتُ : أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَا مَعَكَ عَلَى خَيْرٍ
وَأَقِظْكَ عَلَى سُرُورٍ ۖ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ هَذَا الصَّلَاحُ فِي الْيَقِظَةِ ۖ فَبَيْنَا هُوَ يُحَدِّثُنِي
وَأَجِيبُهُ إِذَا هُوَ بِوَصِيفَةٍ قَدْ جَاءَتْ إِلَيْهِ فَأَسْرَتْ إِلَيْهِ شَيْئًا ، فَقَالَ : أَتَدْرِي مَا أَسْرَتْ
إِلَى هَذِهِ ؟ قَات : لَا ۖ قَالَ : حَدَّثَنِي أَنَّهَا اجْتَازَتْ مَحْبُوبَةَ السَّاعَةِ وَهِيَ فِي حُجْرَتِهَا

تُغْنِي أَفْلا تَعْجَبُ مِنْ هَذَا ! أَنَا مَغَاضِبُهَا • وَهِيَ مَتَهَاوَنَةٌ بِذَلِكَ لَا تَبْدُوْنِي بِصُلْحٍ ثُمَّ
لَا تَرْضَى حَتَّى تُغْنِيَنِي فِي حُجْرَتِهَا • قُمْ بِنَا يَا عَلِيَّ حَتَّى نَسْمَعَ مَا تُغْنِي • ثُمَّ قَامَ وَتَبِعَتْهُ
حَتَّى انْتَهَى إِلَى حُجْرَتِهَا فَإِذَا هِيَ تُغْنِي :

أَدُورُ فِي الْقَصْرِ لَا أَرَى أَحَدًا أَشْكُو إِلَيْهِ وَلَا يُكَلِّمُنِي
حَتَّى كَأَنِّي أَتَيْتُ مَعْصِيَةً لَيْسَتْ لَهَا تَوْبَةٌ تُخَلِّصُنِي
فَهَلْ لَنَا شَافِعٌ إِلَى مَلِكٍ قَدْ زَارَنِي فِي الْكَرَى وَصَالَحَنِي
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبَاحُ عَادَ لَنَا عَادَ إِلَى هَجْرِهِ وَصَارَ مِنِّي
فَمَجَّبَ الْمُتَوَكِّلَ وَطَرِبَ وَأَحْسَنَ بِمَكَانِهِ فَأَمَرَتْ خَدَمَهَا أَنْفَرُوا إِلَيْهِ وَتَنَجَّيْنَا
وَخَرَجَتْ إِلَيْهِ فَخَدَّعَتْهُ أَنَّهَا رَأَتْهُ فِي مَنَامِهَا وَقَدْ صَالَحَهَا ، فَانْتَبَهَتْ وَقَالَتْ هَذِهِ
الْأَيَّاتُ • وَغَدَّتْ فِيهَا • فَخَدَّعَهَا هُوَ أَيْضًا بِرُؤْيَاةٍ وَاصْطَلَحَهَا ، وَبَعَثَ كُلَّ مَنَّهُمَا إِلَى
بِجَارَةِ وَخِلْمَةٍ . وَلَمَّا قُتِلَ الْمُتَوَكِّلُ تَسَلَّاهُ جَمِيعُ جَوَارِيهِ غَيْرَهَا ، فَإِنَّهَا لَمْ تَزَلْ
حَزِينَةً هَاجِرَةً لِكُلِّ لَذَّةٍ حَتَّى مَاتَتْ وَرَثَتُهُ بِمَدَّةٍ مَرَاتٍ .

المؤمل بن أميل^(١)

هو المؤمل بن أميل بن أسيد الحاربي . من محارب بن خصة بن قيس بن عيلان بن مضر . شاعر كوفي مخضرم شهد دولتي بني أمية وبني العباس . وشهرته في العباسية أكثر ، لأنه من الجند المرتزقة معهم^(٢) ، وخدمهم من أول أمرهم . وانقطع إلى المهدي في حياة أبيه وبمده . وكان صالح المذهب في شعره . ليس من المبرزين الفحول ولا من الرذولين . وله طبع صالح وفي شعره لين . قال المؤمل : قد مننت على المهدي ، وهو ولي عهد الرائي . فامتدحت بأبيات ، فأمر لي بعشرين ألف درهم ، فكتب بذلك صاحب البريد إلى أبي جعفر المنصور . وهو بمدينة السلام . فكتب أبو جعفر إليه يمدله ويلومه ويقول له : إنما ينبغي أن تعطى الشاعر بعد أن يُقيم يبابك سنة أربعة آلاف درهم ، وكتب إلى كاتب المهدي أن توجه إليه بالشاعر ، فطلب فلم يقدر عليه ، فكتب إلى المنصور أنه قد توجه إلى مدينة السلام ، فأجلس قائداً من قواده على جسر النهر وان ، وأمره أن يقصف الناس رجلاً رجلاً ، فجعل لا تمر به قافلة إلا تصفح من فيها ، حتى مرت به القافلة التي فيها المؤمل فتصفحهم فلما سأله : من أنت ؟ قال : أنا المؤمل بن أميل الحاربي الشاعر أحد زوار الأمير المهدي فقال : إياك أريد . قال المؤمل : فسكاد قلبي أن ينصنع خوفاً من أبي جعفر فقبض عليّ ، وسلمني إلى الربيع فأدخلني إلى أبي جعفر . وقال له : هذا الشاعر الذي أخذ من المهدي عشرين ألف

(١) أغاني أميرى ١٩ : ١٤٧ - المذهب ٤ / ١٣٥ - تاريخ بغداد ١٣ / ٢٢٥ .

(٢) ومن يخدمهم ويخدمهم (أغاني .)

دِرْهَمٍ قَدْ ظَفِرْنَا بِهِ « فَأَدْخَلْتُ عَلَيْهِ فَسَلِمَتْ تَسْلِيمٌ مُرَوِّعٌ فَرَدَّ عَلَى السَّلَامِ ، وَقَالَ لِي :
لَيْسَ هَذَا إِلَّا خَيْرٌ ، أَنْتَ الْمُؤْمَلُ بْنُ أُمَيْلٍ » قُلْتُ : نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
قَالَ : أَتَيْتَ غُلَامًا غِرًّا نَخْدَعُهُ فَانْخَدِعْ . قُلْتُ : نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَيْتُ
غُلَامًا غِرًّا كَرِيمًا نَخْدَعُهُ فَانْخَدِعْ ، قَالَ : فَكُنْ ذَلِكَ أَعْجَبَهُ فَقَالَ : أَنْشِدْنِي
مَا قُلْتَ فِيهِ فَأَنْشَدْتُهُ :

هو المهدى إلا أن فيه	مشابهة من القمر المنير
تشابهة ذا وذا فهما إذا ما	أنارا مُشْكِلَانِ عَلَى الْبَصِيرِ
فهذا في الظلام سراجٌ كليل	وهذا في النهار ضياءُ نور
ولكن فضلَ الرحمن هذا	على ذا بالمقابرِ والسريرِ
وبالملكِ العزيزِ فذا أميرٌ	وماذا بالأميرِ ولا الوزيرِ
ونقصُ الشهرِ ينقصُ ذا وهذا	منيرٌ عند نقصانِ الشهورِ
فيا ابنَ خليفةِ اللهِ المصطفى	به تملو مفاخرةَ الفخورِ
لئن فُتَّ الملوكَ وقد تَوَافَوْا	إليك من السهولةِ والوعورِ
لقد سبقَ الملوكَ أبوكَ حتى	بقوا ما بين كابٍ أو حسيرِ
وجئتَ مُسَلِّيًا تجري حثيثا	وما بك حين تجرى من فتورِ
فقال الناسُ ما هذان إلا	كما بين الخَلِيقِ إلى الجديرِ
لئن سبقَ الكبيرُ فأهلُ سبقِ	له فضلُ الكبيرِ على الصغيرِ
وإن بلغَ الصغيرُ مدىَ كبيرِ	فقد خُلِقَ الصغيرُ من الكبيرِ

فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَحْسَنْتَ ، وَلَكِنْ هَذَا لَا يَسَاوِي عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ « فَأَيْنَ
الْمَالُ ؟ قُلْتُ : هَذَا . قَالَ : يَارَبِيعُ امْضِ مَعَهُ فَأَعْطَاهُ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ،
وَحُذِّمَتْهُ الْبَاقَى . قَالَ الْمُؤْمَلُ : نَخْرُجُ مَعِيَ الرَّبِيعُ وَحَطَّ ثِقَلِي وَوَزَنَ لِي مِنَ الْمَالِ أَرْبَعَةَ

آلاف درهم وأخذ الباقي . فلما ولي المهدي الخلافة ولي ابن ثوبان المظالم ، فكان يجلس للناس بالرصافة فإذا ملأ كساءه رقاعا رفعها إلى المهدي ، فدفعته إليه رُقمه . فلما دخل ابن ثوبان بالرقاع جعل المهدي ينظر فيها حتى إذا وصل إلى رُقمته ضحك . فقال له ابن ثوبان : أصلح الله أمير المؤمنين ما رأيتك ضحكت في شيء من هذه الرقايع إلا من هذه الرُقمه فقال هذه رُقمه أنا أعرف سببها أعطوه عشرين ألف درهم فأخذتها وانصرفت .

قال محمد الطائي : رأيت المؤمل شيخا كبيرا مُصَفِّراً نحيفا أغمى فقلت له :

لقد صدقت في قولك :

وقد زعموا لي أنها نذرت دمي ومالي بحمد الله لحِمٍّ ولا دم

فقال : نعم فدَيْتُكَ ما كنت لأقول إلا حَقًّا .

وأول هذا الشعر :

ولاذنب لي إن كنت في النوم أخلم	حلمتُ بكم في نَوْمَتِي ففَضَيْتُمُ
إذا ما أتاني النوم والناس نَوْمُ	سأطرُدُ عني النومَ كي لا أراكم
أَبْرُ بها من والديها وأزحم	تُصارِمُنِي والله يعلمُ أنني
ومالي بحمد الله لحِمٍّ ولا دم	وقد زعموا لي أنها نَذَرَتْ دمي
وإن زعموا أني صَحِيحٌ مسلمٌ	بري حبُّها لَحِيْمِي ولم يُبقِ لي دما
ولا مثل من لا يعرف الحبَّ يَسْقِمُ	فلم أر مثل الحبِّ صحَّ سَقِيمُهُ
وليس يُبالي القتلَ جِلْدٌ وأعظمُ	سَتَقْتُلُ جِلْدًا باليًّا فوقَ أعْظَمُ

وكان يَهْوَى امرأة من الحيرة يقال لها هِنْدُ ، فرأى في نومه قائلا يقول له :

أنت المَتَأَلَّى على الله ألا يعذبَ المحبين حيث يقول :

حَسْبُ المحبين في الدنيا عَذَابُهُمْ والله لا عَذَابَتُهُمْ بِمَدِّهَا سَقَرُ

فقال : نعم . قال : كذبت يا عدو الله ثم أدخل أصبمه في عيني وقال : وأنت
القائل :

شَفَّ المؤمل يوم الحيرة النَّظْرُ ليت المؤمل لم يُخلَقْ له بَصَرُ
هذا ما تمنيت فانتبه رُعباً فإذا هو أعمى .

مالك بن الربيع^(١)

هو مالك بن الربيع بن حوط بن فرط بن حسل بن ربيعة بن حرقوص بن مازن ابن مالك بن عمرو بن تميم . شاعرٌ فائقٌ لصيٍّ ، منشؤه في بادية بني تميم في البصرة ، من شعراء الإسلام أول دولة بني أمية . استعمل معاوية بن أبي سفيان سميداً ابن عثمان بن عفان على خراسان « فر سميدٌ بجنده على طريق فارس » فلقي بها مالك ابن الربيع المازني . وكان من أجل الناس وجهاً وأحسنهم ثياباً . فلما رآه سميد أعجبه . فقال له مالك : ويحك تُفسدُ نفسك بقطع الطريق ، وما يدعوك إلى ما يبلُغني عنك من العبث والفساد ، وفيك هذا الفضل . قال : يدعوني إليه العجزُ عن المعالي ومساواة ذوي الروآت ومكافأة الإخوان . قال : فإن أنا أغنيتك واستصحبتك أتكفُّ عما كنتَ تفعل ؟ قال : أي والله أيها الأمير ، أكفُّ كفاً لم يكف أحدٌ أحسن منه . فاستصعبه وأجرى له في كل شهر خمسمائة درهم . وانطلق مالك مع سميد حتى إذا كانوا في بعض مسيرهم احتاجوا إلى لبن . وطلبوا صاحب إبليهم فلم يجدوه ، فقال مالك للام من غلمان سميد : أدن مني فلانة لناقة كانت لسميد عزيزة ، فادناها منه فمسحها وأيس بها حتى درت ثم حلبها فإذا أحسن حلب حلبه الناس وأغزره درة . فقال سميد للمالك : هل لك أن تقوم بأمرٍ إيلي فأجزل لك الرزق إلى ما أرزقك وأضع عنك الغزو فقال مالك في ذلك :

وإني لأستعحي الفوارس أن أرى	بأرض العدا بوّ المحاض الروائم
وإني لأستعحي إذا الحرب شمرت	أن أرخي دون الحرب ثوب المسالم
وما أنا بالنائي الحفيظة في الوغى	ولا التقي في السلم جرّ الجرائم

ولا المتأني المواقب في الذي أهمُّ به من فاتكات الغزائم
ولكنني مستوحِدُ العزم مُقَدِّمٌ على غمراتِ الحادثِ المُتغافِرِ
قليل اختلاف الرأي في الحَرْبِ بأسلِّ جميعُ الفؤادِ عن حلِّ العظامِ

فلما سمع ذلك سعيدٌ منه علم أنه ليس بصاحبِ إبلٍ وأنه صاحبُ حَرْبٍ فانطلق
معه ، وكان السببُ الذي وقع^(١) به مالك بن الربيع إلى فارسٍ أن مروان بن الحكم
عامل معاوية على المدينة ، طلبه هو ومن كان يَقَطِّعُ الطريقَ معه من أصحابه ، فهربوا ،
فكتب إلى الحارث بن حاطب الجَحِيَّ « وهو على بني عمرو بن حَنْظَلَةَ فطلبهم فهربوا
منه » فبعث الحارث رجلا من الأنصار ومعه جماعة ، فأخذوه وأخذوا أبا حَرْدَبَةَ
بعض أصحابه « وتخلَّف الأنصاريُّ مع القوم الذين كان مالكٌ فيهم » وأمر غلاما له
فجعل يَسُومُه مالكا ، ففعلَ غلامُ الأنصاري فَمَلَّاهُ مالكٌ بالسيف فقتله ، وجعل
يَقْتُلُ من كان معه يمينا وشمالا ، ولحق بأبي حَرْدَبَةَ فخلَّصه وركبا إبلَ الأنصاري
وخرجا هاربين حتى أتيا البَحْرَيْنِ ، واجتمع إليهما أصحابهما ، ثم قطعوا إلى فارس
فرارا مما أخطأه مالك ، فلم يزل مالكٌ بفارس حتى جرى له مع سعيد ما جرى .

بينما مالك بنُ الرِّيبِ ذات ليلةٍ نائما في بعض مغاراته ، إذ بَيْتُهُ ذئبٌ فزجره
فلم يزدجر فأعاد فلم يبرح فوثب إليه بالسيف فضر به فقتله « وقال في ذلك :

أذئبُ الفضا قد صرَّت للناس ضَحَكَةً	تفادى بك الركبانُ شرقاً إلى غَرْبِ
فأنت وإن كنتَ الجريءَ جَنَانُهُ	مُنيتَ بضرغامٍ من الأسدِ الغُلبِ
بمن لا ينامُ الليلَ إلا وسيفُهُ	رَهينةُ أقوامٍ سراعٍ إلى الشعبِ
ألم ترني يا ذئبُ إذ جئتُ طارقاً	تُخَاتِلُنِي إني امرؤٌ وافرُ اللَّبِ
زَجَرْتُكَ مراتٍ فلما غَلَبَتْنِي	ولم تَزَجِرْ نَهْهتُ غَرْبَكَ بالضربِ

(١) يقال : وقع إلى كذا ذهب وانطلق مسرعاً .

فصرت لقي لما علاك ابن حرة
 ألا رب يوم ريب لو كنت شاهدا
 ولست ترى إلا كميًا مجدلاً
 وآخر يهوى طائر القلب هارباً
 أصول بذى الزرين^(١) أمشي عُرْضَةً
 أرى الموت لا أنحاش عنه تَكْرُماً
 ولكن أبت نفسي وكانت أيمّة
 ولما خرج مالك بن الربيع مع سعيد بن عثمان تعلّقت ابنته بشوّه وبكت وقالت:
 أخشى أن يطول سفرُك أو يفرّق الموت بيني وبينك فلا نلتقي فأنشأ يقول:
 ولقد قلت لابنتي وهي تكوى
 وهي تدرى من الدموع على الخدّ
 عبرات يكدن يجرّخن ما جز
 حذر الحقف أن يصيب أباهـا
 استكتي قد حرّزت بالدمع قلبي
 فعسى الله أن يدافع عني
 ليس شيء يشاؤه ذو المالـي
 ودعي أن تقطعي الآن قلبي
 أنا في قبضة الإله إذا كـد
 كم رأينا امراً أتى من بعيد
 فدعيني من انتحايك إني
 بأبيض قطاع يُنجي من الكرب
 لهالك ذكري عند مغمّة الحرب
 يداه جيما تثبتان من الترب
 وكنت أراقى الحرب مجتمّع القلب
 إلى الموت والأقران كالإبل الجرب
 ولو شئت لم أركب على المركب الصعب
 تقاعس أن انصاع يوماً من الرعب
 بدخيل المهوم قلباً كثيباً
 ين من لوعة الفراق غروباً
 ن به أو يدغن فيه ندوباً
 ويلاقى في غير أهل شعوباً
 طالما حرّ دممك القلوبـا
 ريب ما تحذرين حتى أووبـا
 بعزير عليه فادعي الجيبـا
 أو تريني في رحلتى تمذيبـا
 ت بعيداً أو كنت منك قريبا
 ومقيماً على الفراش أصيبـا
 لا أبالي إذا اعزمت النحيبـا

(١) بذى الزرين أى الحدين يقال زر السيف أى حده .

حَسْبِيَ اللَّهُ ثُمَّ قَرَّبْتُ لِلسَّيْرِ عِلَاةً أَنْجِبَ بِهَا مَرْكُوبًا
 وَقِيلَ : إِنْ سَبَبَ اكْتِنَابَهُ مَعَ سَمِيدٍ وَخُرُوجِهِ إِلَى خِرَاسَانَ ضَرْطَةٌ ضَرَطَهَا ،
 فَهَرَبَ مِنْهَا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مَرَّ بَلَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةِ . فَجَلَسَ إِلَيْهَا وَحَادَثَهَا طَوِيلًا . وَأَشْدَهَا
 فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ وَأَعْجَبَتْ بِهِ حَتَّى طَمَعَ فِي وَصْلِهَا ، ثُمَّ إِذَا هُوَ بِقَتْنَى قَدْ جَاءَ إِلَيْهَا كَأَنَّهُ
 نَصْلُ سَيْفٍ . فَجَلَسَ إِلَيْهَا فَأَعْرَضَتْ عَنْ مَالِكٍ وَتَهَاوَنَتْ بِهِ حَتَّى كَانَ عِنْدَهَا كَأَنَّهُ
 عَصْفُورٌ ، وَأَقْبَلَتْ عَلَى صَاحِبِهَا مَلِيًّا مِنْ نَهَارِهَا . فَنَظَرَ مَالِكًا ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهَا .
 فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : تَوْبَةُ بْنُ الْحَمِيرِ فَقَالَ : هَلْ لَكَ فِي
 الْمَصَارِعَةِ قَالَ : مَا دَعَاكَ إِلَى ذَلِكَ وَأَنْتَ ضَيْفُنَا وَجَارُنَا ؟ فَقَالَ : لَا بَدَأَ مِنْهُ . قَالَ :
 لَا تَفْعَلْ . فَازْدَادَ لَجَاجًا ، فَقَامَ تَوْبَةُ فَصَرَاعَهُ فَلَمَّا سَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ ضَرَطَ ضَرْطَةً
 هَائِلَةً ، فَضَحَكَتْ لَيْلَى مِنْهُ . وَاسْتَحَى مَالِكٌ وَخَرَجَ إِلَى خِرَاسَانَ حَتَّى مَاتَ
 وَقَبِرَهُ هُنَاكَ .

اجْتَمَعَ مَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ وَأَبُو حَرْدَبَةَ وَشُطَّاطُ يَوْمَا فَقَالُوا : تَعَالَوْا نَتَحَدَّثُ
 بِأَعْجَبِ مَا عَمَلْنَا فِي سَرَاقَاتِنَا . فَقَالَ أَبُو حَرْدَبَةَ : أَعْجَبُ مَا صَنَعْتُ وَأَعْجَبُ مَا سَرَقْتُ
 أَنِّي صَحَبْتُ رَفْقَةً فِيهَا رَجُلٌ عَلَى رَحْلِ فَأَعْجَبَنِي ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي وَاللَّهِ لَا سُرِقَنَّ رَحْلَهُ ،
 ثُمَّ لَا رَضِيْتُ بِهِ حَتَّى آخَذَ مِنْهُ جُمَالَةً . فَرَمَقْتُهُ حَتَّى رَأَيْتُهُ خَفَقَ بِرَأْسِهِ فَأَخَذْتُ
 بِخُطَامِ جَمَلِهِ فَقُدُّتُهُ وَعَدَلْتُ بِهِ عَنِ الطَّرِيقِ حَتَّى إِذَا صَيَّرْتُهُ فِي مَوْضِعٍ لَا يَنَاقُ فِيهِ
 إِنْ اسْتَفَاثَ أَنْخَتُ الْبَمِيرَ وَصَرَعْتُهُ فَأَوْقَعْتُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَسَقَتُ الْجَمَلَ فَنَقِيتُهُ
 ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الرَّفْقَةِ وَقَدْ قَدَّوْا صَاحِبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَرْجِعُونَ . فَقُلْتُ : مَا لَكُمْ .
 فَقَالُوا : صَاحِبُنَا لَنَا قَدَدْنَاهُ . فَقُلْتُ : أَنَا أَهْلُ النَّاسِ بِأَثَرِهِ . فَجَعَلُوا إِلَى جُمَالَةٍ فَخَرَجَتْ
 بِهِمْ أَنْتَبَعَ الْأَثَرَ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيْهِ . فَقَالُوا : مَا لَكَ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِي نَعِسْتُ فَأَنْتَبَهْتُ
 فَإِذَا بِخَمْسِينَ رَجُلًا قَدْ أَخَذُونِي فَقَاتَلْتَهُمْ فغلبوني . قَالَ أَبُو حَرْدَبَةَ : فَجَعَلْتُ أَضْحَكُ

من كذبه ، وأعطوني جُماليّتي ، وذهبوا بصاحبهم (وأعجب ما سرقت) (١) أنه مرّ بي رجلٌ ومعه ناقةٌ وجَمَلٌ وهو على الناقةِ فقلتُ لأخذنّهما جميعاً ، فجملتُ أعارضهُ . وقد رأيته خفق برأسه فدرتُ فأخذتُ الجملَ فحَلَلْتُهُ وسقتهُ وغَيَّبْتُهُ في القصيمِ . وهو على الموضع الذي كانوا يسرقون فيه فانتبه فلم يرَ جَمَلَهُ فنزل وعَقَلَ راحِلَتَهُ ومضى في طلب الجمل فدرتُ فحَلَلْتُ عُقالَ الناقةِ وسقْتُها فقالوا لأبي حَرْدَبَةَ : ويحك فحَتَّامٌ تكونُ هكذا ! قال : اسكتموا فكَأَنكُمْ بي قد تَبَّتْ واشتريتُ فرساً وخرجتُ مجاهداً ، فيينا أنا واقفٌ إذ جاءني سَهْمٌ كأنه قِطْمَةٌ رشاءُ فوقع في نَحْرِي فمِتُّ شهيداً ، فكان كذلك تابَ بالبصرةِ واشترى فرساً وغَزَا الرومَ فأصابه سهمٌ في نحره فاستشهد . ثم قالوا لشظاظ : أخبرنا أنت بأعجب ما أخذتَ في لصوصيتك فقال : نعم كان رجلٌ من أهل البصرة له بنتٌ عَمَّ ذاتُ مالٍ كثيرٍ وهو وَلِيَّهَا ، وكانت له نِسْوَةٌ فخطبها فأبَتْ أن تزوجه . فحلف ألا يزوجهَا من أحدٍ ضرارا لهما ، وكان يخطبها رجلٌ غنيٌّ من أهل البصرة فحرصتُ عليه وأبى الآخر أن يزوجهَا منه ، ثم إن وَلِيَّ المرأة حج (١) حتى إذا كان بالدَّوِّ على مَرَحَلَةٍ من البصرة ماتَ فدُفِنَ على رابيةٍ وشيّدَ على قَبْرِه . فتزوجت الرجل الذي كان يخطبها . قال شظاظ : وتخرج رفقةٌ من البصرة . ومعهم بُرٌّ ومتاع فبصرتُ بهم وما معهم وأتبعنّهم من البصرة حتى نزلوا ، فلما ناموا بَيَّتَهُمْ وأخذتُ من متاعهم ثم إن القوم أخذوني وضربوني ضرباً شديداً وذلك في ليلةِ قَرَّةٍ وسلبوني كلَّ قليلٍ وكثيرٍ عليَّ . وتركوني غُرَباءَ . وتماوتُ لهم ، وارتحل القومُ فقلت : كيف أصنع وذَكَرتُ قَبْرَ الرَّجُلِ فَأَتَيْتُهُ فَتَرَعْتُ لَوْحَهُ واحترفتُ فيه سرباً ، ودخلتُ ثم سَدَدْتُ عليَّ باللوح . وقلت : لعلّي الآن أفيقُ فَأَتْبِعَهُمْ قال : ومرا الرجل الذي تزوج

(١) كذا في الأغاني بين قوسين وكأنه قال : وقال أبو حردبة .

بالرأفة في الرقعة فرأى بالقبر الذي أنا فيه ، فوقف عليه ، وقال لرفيقه : والله لأنزلن
إلى قبر فلان حتى أنظر هل يحىي الآن بضع فلانة ! قال شطاط : وعرفت صوته
فقلعت اللوح ، ثم خرجت عليه بالسيف من القبر وقلت : بلى ورب الكعبة لأخمينها
فوقع الرجل على وجهه مغشياً عليه ما يتحرك ولا يعقل وسقط من يده خطام
الراحلة ، فأخذت ، وعهد الله ، بخطامها فجلست عليها وعلى كل أداة وثياب ونقد
كان معه ، ثم وجهتها قصد مطلع الشمس هاربا من الناس ، فنجوت بها ، وكنت
بعد ذلك أسممه يحدث الناس بالبصرة ويحلف لهم أن الميت الذي كان منع من
تزويج فلانة خرج عليه من قبره فسلبه وكفنه وبقى يومه ثم هرب منه ، والناس
يعجبون منه فعاقبهم يكذبونه وأحقهم يصدقه ، وأنا أعرف القصة وأضحك منهم
كالمعجب . قالوا : فزنا قال : أنا أزيدكم ، أعجب من هذا ، وأحق من هذا
الرجل أنى لأمشي في الطريق أبتغى شيئا أسرقه فما وجدت شيئا فإذا شجرة بنام
تحتها الركبان يمكن ليس فيه ظل غيرها وإذا أنا برجل يسير على حمارة له فقلت له :
أسمع ؟ قال : نعم . فقلت : إن المقيلا الذي تريد أن تقيل فيه يخسف فيه بالدواب
فاخذره فلم يلتفت إلى قولي فرمقته حتى نام ثم أقبلت إلى حمارة فاستمقته حتى إذا
برزت به قطعت طرف ذنبه وأذنيه ورجمت إلى موضعه ففرست طرف ذنبه في
الأرض ، ثم تجاوزته مقدار ما بين ذنبه وأذنيه ثم غرست أذنيه وأخذت الحمار
وخبأته وأبصرته حتى استيقظ من نومه ، فقام ليطلب الحمار ويقفو أثره فبينا هو
كذلك إذ نظر إلى طرف أذنيه وذنبه فقال : لعمري لقد خدرت لو نفعتني الخدر ،
واستمر هاربا خوفا من أن يخسف به ، وأخذت جميع ما بقي من رخله ، فحملته
على الحمار واستمر فالحق بأهلي .

صلب الحجاج رجلا من الشراة بالبصرة وراح عشيما لينظر إليه ، وإذا برجل
واقف بإزائه مقبل عليه بوجهه ، فدنا منه فسمعه يقول للمصلوب طال ما ركبنت

فَأَعْقِبْ ۖ فَقَالَ الْحِجَااجُ: مِنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: شِظَاطُ اللَّصِّ، فَقَالَ: لَا جَرَمَ وَاللَّهِ لِيُثَبِّتَنَّكَ
ثُمَّ أَمَرَ بِالْمَصْلُوبِ فَأَنْزِلُ وَصُلبَ شِظَاطُ مَكَانِهِ.

ولما توجه مالكُ بن الرِّيبِ مع سَمِيدٍ إلى خراسانَ مريضاً في طريقه ۖ فلما أشرف
على الموتِ تخلف عليه امرأةٌ ورجلٌ من تميمٍ وهما اللذان يقول فيهما هذه الأبياتُ:
أَيَا صَاحِبِي رَحِلِي دَنَا الْمَوْتَ فَأَنْزِلَا بَرَايِيَةَ إِنْ مَقِيمٌ لِيَا لِيَا
وخطأَ بأطرافِ الأَسِنَّةِ مَضْجَعِي وَرَدًّا عَلَى عَيْنِي فَضَّلَ رَدَائِيَا
وَلَا تَحْسُدَانِي بَارِكِ اللَّهُ فِيكُمَا

على الأرضِ ذاتِ العَرَضِ أَنْ تُوسِمَا لِيَا
يقولون لَا تَبْعَدْ وَهَمْ يَدْفَنُونِي وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُؤْسِ إِلَّا مَكَانَا
لِعَمْرِي لَنْ غَالَتْ خِرَاسَانُ هَامَتِي لَقَدْ كَفْتُ عَنْ بَائِي خِرَاسَانَ نَائِيَا
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتُ لَيْلَةً بُوَادِي الْفَضَاءِ زَجَى الْقُلُوصِ النَّوَاجِيَا

أخبار مجنون بني عامر ونسبه^(١)

[هو على ما يقوله من صحح نسبه وحديثه - قيس ، وقيل : مهدي .
والصحيح أنه قيس بن الملوّح بن مُزاحم بن عُدَس بن ربيعة بن جمدة بن
كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

ومن الدليل على أن اسمه قيس قولُ كَيْلَى صاحبة فيه :
ألا ليت شمري والخطوبُ كثيرة متى رَحَلُ قيس مستَقِلُّ فراجع
وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال : سمعتُ من لا أخصى
يقول : اسم المجنون قيسُ بن الملوّح [^(١)] .
[عن أبي الحسن البیضاء قال :

بيننا أنا وصديق لي من قريش نمشي بالبلاط ليلا ، إذا بظُلّ نسوة في القمر ،
فسمعت إحداهن تقول أهو هو ؟ فقالت لها أخرى ممها : إي والله إنه لهو هو ! !
فدنت مني ثم قالت : يا كهل ! قل لهذا الذي معك :

ليست لياليك في خاخٍ بعائدة كما عهدت ولا أيامُ ذي سلمٍ
فقلت : أجب فقد سمعت . فقال : قد والله قُطِعَ لي وأرتج عليّ . فأجب عني ،
فقلت :

فقلت لها يا عزّ كل مصيبة إذا وطئت [يوما] لها النفس ذلت
ثم مضينا حتى إذا كنا بمفترق الطريقين مضى الفتى إلى منزله ومضيت إلى منزلي

(١) جاءت ترجمة المجنون مبتورة من أولها في المخطوط فرأينا أن ننقل نسبه من الأغاني (ج ٢ ص ١
الأغاني دار الكتب) وهو ما بين القوسين .

كذلك بدأنا الخبر الناقص من أوله نقلًا عن الأغاني ج ٢ ص ٨ وهو ما بين القوسين التالين .

(٢) والترجمة في مذهب الأغاني // ٢٠٢ - والتجريد ١٥٢ .

فإذا أنا بجورية تجذب ردائي فالتفتت . فقالت لى : المرأة انى كلمتها تدعوك ففضيت معها حتى دخلت دارا [واسمة . ثم صرت إلى بيت فيه حصير ، وثبتت لى وسادة فجلست عليها . ثم جاءت الجارية بوسادة مثنية فطرحتها ، ثم جاءت المرأة فجلست عليها ، فقالت لى : أنت المجيب ؟ قلت : نعم . قالت : ما كان أفظ جوابك وأغلظه . فقلت : ما حضرنى غيره ، فسكمت ، ثم قالت : لا والله ما خلق الله خلقا أحب إلى من إنسان كان معك ! فقلت : أنا الضامن لك عنه ما تحبين فقالت : هيهات أن يقع بذلك وفاء . فقلت : أنا الضامن وعلى أن آتيك به الليلة القابلة ، قال : فانصرفت فإذا الفتى يبابى . فقلت : ما جاء بك فقال : ظننت أنها سترسل إليك ، وسألت عنك فلم أعرف لك خبرا ، فظننت أنك عندها ، فجلست أنتظرك ، فقلت له : قد كان الذى ظننت وقد وعدتها أن أمضى بك إليها فى الليلة المقبلة . فلما أصبحنا تهيأنا ، ولما جاء الليل رُحنا إليها ، فإذا بها منتظرة لنا ، فدخلنا الدار فإذا رائحة طيبة ، ومجلس قد أعد ونُصِد فجلسنا على وسائد قد بُنيت لنا ، وجلست مليا ثم أقبلت عليه تماثبه وقالت :

وأنت الذى أخلفتنى ما وعدتني واشمت بى من كان فيك يَـلُومُ
وأبرزتني للناس حتى تركتني لهم غرضا أرمى وأنت سليمُ
فلو كان قولُ يكلم الجسم قد بدا بجسمي من قول الوشاة كُـلُومُ
شعر أُمَيمة امرأة ابن الدُمَينة .

ثم سكنت وسكت الفتى هنيهة ثم قال :

عذرت ولم أعذر وخفت ولم أخن وفى بعض هذا للمحب عزاه
جزيتك ضعف الود ثم صرمتني فحبك من قلبي إليك أداه
فالتفتت إلى ففألت : ألا تسمع ما يقول ! قد أخبرتك ، فغمزته أن كُفْ
فكف ، ثم أقبلت عليه وقالت :

تَجَاهَلْتُ وَصَلِي حِينَ لَجَّتْ عَمَّا يَتِي
وَلِي مِنْ قُوَى الْجَبَلِ الَّذِي قَدْ قَطَعْتَهُ
فَهَلَّا صَرَمْتَ الْجَبَلَ إِذَا أَنَا أَبْصِرُ
نَصِيبٌ وَإِذَا رَأَيْتُ جَمِيعَ مُوقَرُ
وَلَكِنَّا آذَنْتَ بِالصَّرْمِ بِنَفْتَةٍ
وَلَيْسَ عَلَى مِثْلِ الَّذِي جِئْتَ أَقْدِرُ
فَقَالَ :

لَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي - وَأَنْتَ اجْتَرَمْتَهُ
وَكُنْتَ أَعَزَّ النَّاسِ - عَنْكَ تَطْيِبُ
قَالَ : فَبَسَكْتُ ثُمَّ قَالَتْ : أَوْ قَدْ طَابَتْ نَفْسُكَ !! لَا وَاللَّهِ مَا فَيْكَ بَعْدَ هَذَا
خَيْرٌ ثُمَّ التَفَمَّتْ إِلَىَّ وَقَالَتْ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَا تَقِي بِضْمَانِكَ وَلَا بِنِي بِهِ عَنْكَ [وَهَذَا
الْبَيْتُ الْآخِرُ لِلْمَجْنُونِ وَإِنَّمَا ذَكَرَ هَذَا الْخَبْرَ هُنَا وَلَيْسَ مِنْ أَخْبَارِ الْمَجْنُونِ لَذِكْرِهِ
فِيهِ] (١) .

قَالَ الْهَيْثُمُ بْنُ عَدِيٍّ : إِنْ رَهَطَ الْمَجْنُونُ اجْتَازُوا فِي نُجْمَةٍ (٢) لَهُمْ بِحَى لَيْلِي .
وَقَدْ جَمَعْتَهُمْ نُجْمَةً فَرَأَى آيَاتَ أَهْلِهَا ، وَلَمْ يَقْدِرْ (٣) عَلَى الْإِلْمَامِ بِهِمْ . وَعَدَلَ أَهْلُهُ
إِلَى جِهَةِ أُخْرَى ، فَقَالَ الْمَجْنُونُ :

لَعَمْرُكَ إِنْ الْبَيْتَ بِالْقَبْلِ (٤) الَّذِي
وَبِالْجَزْعِ مِنْ أَعْلَى الْجَنَيْنَةِ مَنَزَلُ
مَعْمَرُكَ إِنْ الْحُبَّ يَا أُمَّ مَالِكٍ
يُضْمُّ عَلَى اللَّيْلِ أَطْرَافَ حُبِّكُمْ
مَرَرْتُ وَلَمْ أَلِمَّ عَلَيْهِ لَشَائِقُ
فَسَمِحَ الَّذِي قَلْبِي بِهِ مُتَضَابِقُ (٥)
بِقَلْبِي بِرَأْيِ اللَّهِ مِنْكَ لِلْأَصْقُ
كَأَضْمٍ أَزْرَارُ (٦) الْقَمِيصِ الْبَنَائِقُ

(١) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ عَنِ الْأَغَانِي وَفِيهِ تَمَامُ السِّيَاقِ (أغانى ٢ : ٦٠ .

(٢) النُّجْمَةُ : الذَّهَابُ فِي طَلَبِ الْكَلَالِ وَالْعُشْبِ فِي مَوْضِعِهِ .

(٣) يَقْدُمُ (أغانى ٢ : ٦٠ .

(٤) الْقَبْلُ : النَّاحِيَةُ .

(٥) شَجَاحِزُنْ صَدْرِي بِهِ مُتَضَابِقُ (أغانى) .

(٦) أَطْرَافُ (أغانى) .

وماذا عسى الواشون أن يتحدّثوا سوى أن يقولوا إني لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة إلى وإن لم تصف منك الخلاق

دخلت ليلى على جارية لها من عَقِيل ، وفي يدها مسواك تستاك به فتنفست
ثم قالت : سقى الله من أهدى لي هذا المسواك فقالت لها جارتها : ومن هو ؟
قالت : قيس بن الملوح وبكت ثم زعت ثيابها تغتسل فقالت : ويحه ! لقد علق
مني ما أهلكه من غير أن استحي ذلك ! فنشدتك الله أصدق في صفتي
أم كذب ؟ فقالت لا والله ، بل صدق ! وبلغ المجنون ذلك من قولها فبكى وأنشأ
يقول :

نبئت ليلى وقد كنا نبخلها قالت سقى الزن غيثاً منزلاً خرباً
وحبذا راكبٌ كنا نهش له يهدي لنا من أراك الموسم القضباً
قالت لجارتها يوماً تسألها لما استحمت وألقت عندها السلباً
يا عمرك الله ألا قلت صادقة أصادقا وصف المجنون أم كذبا

حدث رجل من بني عامر قال : مطرنا مطراً شديداً في ربيع ارتبنا ، ودام
المطر ثلاثاً ، ثم أصبحنا في اليوم الرابع على صحوة وخرج الناس يمشون على الوادي ،
فرايت رجلاً جالساً حجرة وحده ، فقصدته فإذا هو المجنون جالس وحده يبكي ،
فوعظته وكلمته طويلاً وهوساً ، ثم رفع رأسه إلى فأنشدني بصوت حزين لا أنساه
أبداً وخرقته :

جرى السيل فاستبكاني السيل إذ جرى وفاضت له من مقلتي غروب
وما ذاك إلا حين أيقنت أنه يمر بوادي أنت منه قريب
يكون أجاباً دونكم فإذا انتهى إليكم تلقى طيبكم فيطيب
أظل غريب الدار في أرض عامر ألا كل مهجور هناك غريب

وإن الكئيبَ الفردَ من أين الحمى إلى وإن لم آتِه الحبيبُ
فلا خيرَ في الدنيا إذا أنتَ لم تَزُرْ حبيباً ولم يَطْرَبْ إليك حبيبُ
وأول القصيدة :

ألا أيها البيتُ الذي لا أزوره وهجرته مِتي إليه ذُنوبُ
هَجَرْتُكَ مشتاقاً وزُرْتُكَ خائفاً وفيك على الدهر منك رقيبُ
سأستعطفُ الأيامَ فيك لعلها بيوم مُرورٍ في هواك تُثيبُ
وأفردتُ إفرادَ الطريدِ وباعدتُ إلى النفسِ حاجتُ وهنَّ قريبُ
لئن حال يأسٌ دونَ ليلي لربما أتى اليأسُ دون الأمر وهو قريبُ
ومَنِّتَنِي حتى إذا ما رأيتني على شرفٍ للناظرين يُربُّ
صددتِ وأشمتِ المدوّ بصرِنا أثابك يا ليلي الجزاء مُثيبُ
مر المجنونُ في بعضِ توخُّشِهِ ، فصادفَ حَيَّ ليلي راحلاً وأقيها فجأةً فعرَفَهَا
وعَرَفَتْهُ . فصُمِقَ وسَقَطَ على وجهه ، وأقبلَ فتَيَّانٌ من حَيَّ ليلي « فأخذوه ومسَحُوا
الترابَ عن وَجْهِهِ وأسندوه إلى صُدُورِهِم وسألوا ليلي أن تَقِفَ له وَقْفَةً فَرَقَّتْ لما به
وقالت : أما هذا فلا يجوز أن أفتضح به ، ولكن يا فلانةُ ودعت أمةً لها فقالتُ
لها : اذهبي إلى قَيسٍ ، فقولِي له : ليلي تقرأ عليك السلامَ وتقول لك : أعزِّزْ على
بما أنتَ فيه ، ولو وجدتُ سبيلاً إلى شفاءِ دائِكَ لوقَّيتُكَ بنفسِي منه ، فمضت الوليدةُ
إليه فأخبرته بقولها . فافاق ، وجلس وقال أبلغها السلامَ وقولِي لها : هيهات !!
إن دائي ودوائِي أنتِ ، وإن حياتي ووفاتي في يديك ، ولقد وكَّلتُ بي شقاءَ لازماً
وبلاءَ طويلاً ثم بكى وأنشأ يقول :

أقول لأصحابي هي الشمسُ ضوءها قريبٌ ولكن في تناوُلها بُمدُ
لقد عارضتَنِي الريحُ منها بِنَفْخَةٍ (١)

(١) لقد عارضتنا ريح ليلي بنفخة (أغاني) .

فما زلتُ مَعْشِيًّا عَلَى وَقْدٍ مَضَتْ
أَقْلَبُ بِالْأَيْدِي وَأَهْلِي بِمَوْلَةٍ (٢)
ولم يبقَ إلَّا الجِلْدُ والعَظْمُ عَارِيًّا
أَدْنِيَايَ مَالِي فِي انْقِطَاعِي وَرَغْبَتِي
عِدِي بِنَفْسِي أَنْتِ وَعَدَا فَرُبَّمَا
وَقَدْ يُبْتَلَى قَوْمٌ وَلَا كِبَالِيَّتِي
غَزَنِي جُنُودُ الْحُبِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وقيل : كَانَ سَبَبُ تَوَحُّشِ الْمَجْنُونِ أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا بِضَرِيَّةٍ جَالِسًا وَحْدَهُ إِذْ نَادَاهُ
مِنَادٍ مِنَ الْجَبَلِ :

كَلَانَا يَا أَخِي يُحِبُّ لَيْلِي بَفِيَّ وَفِيكَ مِنْ لَيْلِي التُّرَابُ
لَقَدْ خَبَلْتُ فَوَادَكَ ثُمَّ ثَنَّتْ بَقَلْبِي فَهُوَ مَهْمُومٌ مُصَابُ
قَالَ : فَتَنَفَسَ الصُّعْدَاءُ ثُمَّ غَشِيَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ هَذَا سَبَبُ تَوَحُّشِهِ ، فَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ
حَتَّى وَجَدَهُ نَوْفَلُ بْنُ مُسَاحِقٍ قَالَ : قَدِمْتُ الْبَادِيَةَ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي : تَوَحَّشَ
وَمَا لَنَا بِهِ عَهْدٌ ؟ وَلَا نَذَرِي إِلَى أَيْنَ صَارَ . فَخَرَجْتُ يَوْمًا أَنْصِيدُ الْأَرُوعَى وَمَعِيَ
جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِنَاصِيَةِ الْحِمَى إِذَا نَحْنُ بِأَرَاكَةِ عَظِيمَةٍ قَدْ بَدَأَ مِنْهَا
قَطِيعٌ مِنَ الظَّبَاءِ فِيهَا شَخْصٌ إِنْسَانٍ يُرَى مِنْ خَلَلِ تِلْكَ الْأَرَاكِ فَمَجَّبَ أَصْحَابِي
مِنْ ذَلِكَ فَمَرَفَتُهُ وَأَتَيْتُهُ . وَعَلِمْتُ أَنَّهُ الْمَجْنُونُ الَّذِي أَخْبَرْتُ عَنْهُ . فَزَلْتُ عَنْ دَابَّتِي
وَتَخَفَّفْتُ مِنْ ثِيَابِي . وَخَرَجْتُ أَمْشِي رَوِيدًا ، حَتَّى أَتَيْتُ الْأَرَاكَ فَارْتَقَيْتُ حَتَّى صُرْتُ

(١) الْأَنَاءَةُ : الْإِنْتِظَارُ .

(٢) الْعَوْلَةُ رَفْعُ الصَّوْتِ بِالْبُكَاءِ وَمِثْلُهَا الْعَوْلُ .

(٣) إِنْ دَامَ مَا بِي (أَغَانِي ٢ : ٦٥) .

إلى أعلاها وأشرفت عليه وعلى الأطباء ، وإذا به وقد تدلى الشعرُ على وجهه فلم أكد
أعرفه إلا بعد تأملٍ شديدٍ وهو يرتدى من ثمر تلك الأراكمة فرفع رأسه فتمثلتُ
ببيت من شعره :

أَتَبَسَّكِي عَلَى لَيْلَى وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَكَانَكَ مِنْ لَيْلَى وَشَعْبَاكُمَا مَعَا
قال : فَتَفَرَّتِ الطَّبَاةُ وَانْدَفَعُ فِي بَاقِي الْقَصِيدَةِ يُنَشِّدُهَا فَمَا أُنْسَى نِعْمَتَهُ وَحُسْنَ
صَوْتِهِ يَقُولُ :

فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا وَتَجَزَّعَ أَنْ دَاعَى الصَّبَابَةِ اسْمَعَا
بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتَهَا عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْجِلْمِ اسْبَلْنَا مَعَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحَمَى ثُمَّ أَنْثَنِي عَلَى كِبْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحَمَى بِرَوَاجِعٍ إِلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِيكَ تَدَمَعَا
ثُمَّ سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَتَمَثَّلْتُ بِقَوْلِهِ :

يَا دَارَ لَيْلَى بِسِقْطِ الْحَمَى قَدْ دَرَسَتْ إِلَّا التَّمَامَ وَإِلَّا مَوْقِدَ النَّارِ
مَا تَفَقَّأَ الدَّهْرُ مِنْ لَيْلَى تَمُوتُ كَذَا فِي مُوقِفٍ وَقَفْتَهُ أَوْ عَلَى دَارِ
قال فرفع رأسه إلى وقال لي : من أنت حيَّاك الله ؟ فقلت : أنا نوفلُ بنُ مُسَاحِقٍ
خِيعَانِي فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَحْدَثَتْ بَعْدِي [فِي بَاسِكَ مِنْهَا] ^(١) فَأَنْشَدَنِي :

أَلَا حُجِبَتْ لَيْلَى وَآلَى أَمِيرُهَا عَلَى يَمِينَا جَاهِدًا لَا أَزُورُهَا
وَأَوْعَدَنِي فِيهَا رِجَالُ أَبَوْهُمْ أَبِي وَأَبُوهَا خَشْنَتْ لِي صَدُورُهَا
عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهَا وَأَنَّ فَوَادِي رَهْنُهَا وَأَسْبَرُهَا
ثُمَّ سَنَحْتُ لَهُ طَبَاةً فِقَامَ يَمْدُو فِي أَثَرِهَا حَتَّى لَحِقَهَا فُضِي مَعَهَا . وَمِنْ شَعْرِهِ فِيهَا :
أَعَدُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ وَقَدْ عَشْتُ دَهْرًا لَا أَعَدُّ اللَّيَالِيَا

أراني إذا صَلَّيْتُ يَمَعْتُ نَحْوَهَا
وما بِي إِشْرَاكٌ وَلَكِنْ حُبُّهَا
أَحَبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ اسْمُهَا
وخبَّرْتَنِي أَنْ تَيْمَاءُ مَنْزِلُ
فَهَذِي شَهْرُ الصَّيْفِ عَنِّي قَدْ انْقَضَتْ
ولو كان واشٍ بِالْيَمَامَةِ يَبْتُهُ
وما ذالهم - لَا أَحْسَنَ اللَّهُ حِفْظَهُمْ - (٢)
فَأَنْتِ الَّتِي (٣) إِنْ شئتِ أَشَقَيْتِ عَشِيَّتِي
أَمْضُوبَةٌ لَيْلِي عَلَى أَنْ أَزُورَهَا
إِذَا سَرْتُ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءَ رَأَيْتُنِي
يَمِينًا إِذَا كَانَتْ يَمِينًا وَإِنْ تَكُنْ
هِيَ السَّحَرُ إِلَّا أَنْ لِّلْسَحْرِ رُقِيَّةٌ

وقال الهَيْثَمُ : مرَّ المَجْنُونُ بِوَادٍ فِي أَيَّامِ الرِّبْعِ وَحَمَامُهُ يَتَجَاوَبُ فَقَالَ :

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ مَا لَكَ بِأَكْيَا
أَفَارَقْتُ إِنْفَاً أَمْ جَفَاكَ حَبِيبُ
دَعَاكَ الْهَوَى وَالشَّوْقُ لِمَا تَرْنَمْتُ
هَتُوفُ الضُّحَى بَيْنَ الْفُصُونِ طَرُوبُ
تُجَاوَبُ وَرُقَاً قَدْ أَذِنَ لَصَوْتِهَا
فَكُلُّ لِكُلِّ مُسْعِدٌ وَحَبِيبُ
وقيل : إِنْ رَجَلَا مِنْ بَنِي جَمْدَةَ كَانَ أَخَاً وَخِلًا لِّلْمَجْنُونِ مَرَّةً وَهُوَ جَالِسٌ

(١) كَتَل (أَغَانِي) ،

(٢) حَالَهُمْ (أَغَانِي) .

(٣) فِي الْأَصْلِ : الَّتِي .

(٤) (أَغَانِي) ٦٩:٢ - وَلَيْ لَا أَلْنِي لَهَا الدَّهْرُ رَاقِيَا .

يَخْطُ فِي الْأَرْضِ . وَيَعْبَثُ بِالْحَصَى ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَجَلَسَ عِنْدَهُ ، فَأَقْبَلَ يَخَاطِبُهُ وَيَعِظُهُ وَيُسَلِّيه . وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَعْبَثُ بِيَدِهِ كَمَا كَانَ يَعْبَثُ وَهُوَ مُفَكِّرٌ قَدْ غَمَرَهُ مَا هُوَ فِيهِ : فَلَمَّا طَالَ خِطَابُهُ إِيَّاهُ قَالَ لَهُ : يَا أَخِي مَا عَلِمْتُ أَنَّكَ تُكَلِّمُنِي فَأَعِذِرْنِي فَإِنِّي كَمَا تَرَى مَذْهُوبٌ فِي مَشْرَئِكَ اللَّبِّ وَبِكِي ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

وَشَغِلْتُ عَنْ فَهْمِ الْحَدِيثِ سَوَى مَا كَانَ مِنْكَ فَإِنَّهُ شَغَلَنِي
وَأَدِيمُ لِحَظِّ مُحَدَّثِي لِيرَى أَنْ قَدْ فَهَمْتُ وَعِنْدَكُمْ عَقْلِي
كَانَ زَوْجُ لَيْلَى وَأَبُوهَا خَرَجَا فِي أَمْرِ طَرَقَ الْحَيَّ إِلَى مَكَّةَ ، فَأَرْسَلَتْ لَيْلَى أُمَّةً
لَهَا إِلَى الْمَجْنُونِ قَدْ عَثَهُ لَهَا فَأَقَامَ عِنْدَهَا لَيْلَةً وَأَخْرَجَتْهُ فِي السَّحَرِ . وَقَالَتْ لَهُ : صِرْ إِلَيَّ
فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مَا دَامَ الْقَوْمُ سَفَرًا فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهَا حَتَّى قَدِمُوا وَقَالَ فِيهَا فِي آخِرِ لَيْلَةٍ
لَقِيَهَا وَوَدَّعَتْهُ :

تَمَتَّعْ بِلَيْلِي إِنَّمَا أَنْتَ هَامَةٌ مِنْ الْهَامِ يَذْنُوكُلَّ يَوْمَ حَامِهَا
تَمَتَّعْ إِلَى أَنْ يَرْجِعَ الرِّكْبُ إِلَيْهِمْ مَتَى يَرْجِعُوا يَحْرُمُ عَلَيْكَ كَلَامُهَا

حَدَّثَ بَعْضُ بَنِي عَقِيلٍ قَالَ : قِيلَ لِلْمَجْنُونِ : أَى شَيْءٍ رَأَيْتَهُ أَحَبَّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ :
لَيْلَى . قَالُوا : دَعِ لَيْلَى فَقَدْ عَرَفْنَا حَالَهَا عِنْدَكَ ، وَلَكِنْ سِوَاهَا ، قُلْ : وَاللَّهِ مَا أَعْجَبَنِي
شَيْءٌ لَقِطْتُكَ كَرْتُ لَيْلَى إِلَّا سَقَطَ مِنْ عَيْنِي وَأَذْهَبَ ذِكْرُهَا بِشَاشَتِهِ عِنْدِي ، غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ
ظَبِيئًا مَرَّةً فَتَأَمَّلْتُهُ وَذَكَرْتُ لَيْلَى . فَجَعَلَ يَزِدُّدُ فِي عَيْنِي ، ثُمَّ إِنَّهُ عَارَضَهُ ذَنْبٌ وَهَرَبَ
مِنْهُ وَتَبِعَهُ حَتَّى خَفِيََا عَنْهُ فَوَجَدْتُ الذَّنْبَ قَدْ صَرََعَهُ وَأَكَلَ بَعْضُهُ فَرَمَيْتُهُ بِسَهْمٍ
فَمَا أَخْطَأْتُ قَتْلَهُ وَبَقَرْتُ بَطْنَهُ فَأَخْرَجْتُ مَا أَكَلَ مِنْهُ . ثُمَّ جِئْتُهُ إِلَى بَقِيَّةِ شَلُوهِ (١)
فَدَفَنْتُهُ وَأَحْرَقْتُ الذَّنْبَ وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ :

أَبَى اللَّهُ أَنْ تَبْقَى لِحَيِّ بِشَاشَةٍ فَصَبَرًا عَلَى مَا شَاءَ اللَّهُ لِي صَبْرًا

(١) الشلو : العضو من أعضاء اللحم - كل مسلوخ أكل منه شيء وبقيت منه بقية .

رَأَيْتُ غَزَالًا يَرْتَمِي وَسْطَ رَوْضَةٍ فَقُلْتُ أَرَى لَيْلَى تَرَأَتْ لَنَا ظَهْرًا
فِيَا ظَبْيَ كُلِّ رَعْدَاهِنِيَا وَلَا تَخَفْ فَإِنَّكَ لِي جَارٌ وَلَا تَرْهَبِ الدَّهْرَا
فَمَا رَأَيْتَنِي إِلَّا وَذَنْبٌ قَدْ انْتَحَى فَأَعْلَقَ فِي أَحْشَائِهِ النَّابَ وَالظُّفْرَا
فَبَوَّأْتُ^(١) سَهْمِي فِي كَتُومٍ^(٢) غَمَزَتْهَا نَخَالِطُ سَهْمِي مُهْجَةَ الْقَلْبِ وَالسَّحْرَا^(٣)
فَأَذْهَبَ غَيْظِي قَتْلَهُ وَشَفَى الْجَوَى بِقَلْبِي إِنْ الْحَرَاقَ قَدْ يُدْرِكُ الْوِثْرَا
وَبَلَغَ الْمَجْنُونُ قَبْلَ تَوَحُّشِهِ أَنْ زَوْجَ لَيْلَى ذَكَرَهُ وَسَبَّهَ وَقَالَ : أَوْ بَلَغَ مِنْ قَدْرِ

قَيْسِ بْنِ الْمُلُوحِ أَنْ يَدْعَى حُبَّةَ لَيْلَى وَيُنَوِّهَ بِاسْمِهَا !! فَقَالَ لِيَمْنِظُهُ بِذَلِكَ :

فَإِنْ كَانَ فِيكُمْ بَعْلٌ لَيْلَى فَإِنِّي وَذَى الْعَرْشِ قَدْ قَبَّلْتُ لَيْلَى ثَمَانِيَا
وَأَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ أَنِّي رَأَيْتُهَا وَعِشْرِينَ مِنْهَا أُصْبَمًا مِنْ وَرَائِيَا
أَلَيْسَ مِنَ الْبَلَوَى الَّتِي لَا شَوَى لَهَا^(٤) بَأَنْ زُوِّجْتَ كَلْبًا وَمَا بُذِلَتْ لِيَا
خَرَجَ الْمَجْنُونُ فِي عِدَّةٍ مِنْ قَوْمِهِ يَرِيدُونَ سَفَرًا فَرَوْا فِي طَرِيقٍ يَتَشَمَّبُ وَجْهَتَيْنِ ؛
إِحْدَاهُمَا يَنْزِلُهَا رَهْطُ لَيْلَى وَفِيهَا زِيَادَةُ مَرَحَلَةٍ ، فَسَأَلَهُمْ أَنْ يَعْدِلُوا مَعَهُ إِلَى تِلْكَ
الْوَجْهَةِ فَأَبَوْا فَضَى وَحْدَهُ وَقَالَ :

أَتَزُكُّ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَوَى لَيْلَةٍ إِنْ إِذَا لَصِبُورُ
هَبُونِي امْرَأً مِنْكُمْ أَضِلُّ بِمِيرَةٍ لَهُ ذِمَّةٌ إِنْ الدَّمَامُ كَبِيرُ
وَالصَّاحِبُ الْمَتْرُوكُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَضِلَّ بِمِيرُ
عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى الْفِدَاءَ فَإِنَهَا إِذَا وَلَّيْتُ حُكْمًا عَلَى تَجَوُّرُ
مَرِ نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ الْبَيْنِ بِالْمَجْنُونِ ، فَوَقَفُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، فَأَنشَأَ يَقُولُ :

(١) ففوقت سهمي (أغانى) .

(٢) الكتوم من القسي التي لا ترن إذا أنبضت .

(٣) مهجة الذئب والنحرا (أغانى) . - والسحر : الرئة والكبد وسواد القلب ونواحيه .

(٤) لا شوى لها : لا بقيا لها .

ألا أيها الركبُ اليمَانُونَ عَرَّجُوا علينا فقد أَمْسَى هَوَانًا يَمَانِيَا
 أَسْأَلُكُمْ هل سال نَعمانَ بعدنا وَحُبُّ إِيْلِنَا بَطْنُ نَعْمَانَ وَادِيَا
 ألا يَا حَمَامِي قَصْرِي وَدَانِ هَجْمَا عَلَى الْهَوَى لَمَّا تَفَنَيْتُمَا لِيَا
 وَأَبْكَيْتُمَانِي وَسَطَ أَهْلِي وَلَمْ أَكُنْ أُبَالِي دَمُوعَ الْعَيْنِ لَوْ كُنْتُ خَالِيَا
 فَوَاللَّهِ إِنِّي لَا أُحِبُّ لَغَيْرِ أَنْ تَحُلَّ بِهَا لَيْلِي الْبِرَاقَ الْأَعَالِيَا
 أَلَا يَا خَلِيلِي حُبُّ لَيْلِي مُجَشَّمِي حِيَاضَ الْمَنَايَا أَوْ مُقِيدِي ^(١) الْأَعَادِيَا
 وَيَا أَيُّهَا الْقُمْرِيَّتَانِ تَجَاوَبَا بِلَحْنَيْكُمَا ثُمَّ اسْجَمَا عَدْلَانِيَا
 فَإِنَّ أُنْتُمَا اسْتَطَرَبْتُمَا [وَارْدَعَا لِحَاقًا بِأَطْرَافِ الْغُضَى فَاتَبِعَا نِيَا] ^(٢)
 كَانَ الْمَجْنُونُ ذَاتَ لَيْلَةٍ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابٍ لَهُ مِنْ بَنِي عَمِّهِ وَهُوَ وَإِلَيْهِ يَتَكَلَّفُ
 وَيَتَمَلَّمُ ، وَهُمْ يَمْظُونَهُ وَيُحَادِثُونَهُ ، إِذْ هَتَفَتْ حَمَامَةٌ فِي سَرَحَةٍ ^(٣) كَانَتْ يَازَاهِمُ
 فَوَثَبَ قَائِمًا وَقَالَ :

لَقَدْ غَرَّدَتْ فِي جَنَحِ لَيْلٍ حَمَامَةٌ عَلَى إِلْفِهَا تَبْكِي وَإِنِّي لَنَائِمُ
 كَذَبْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا لَمَّا سَبَقَتْنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَائِمُ
 ثُمَّ بَكَى حَتَّى سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَأُفَاقَ حَتَّى حَمَيْتُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ
 مِنْ غَدٍ .

لَمَّا أَرَادَ زَوْجُ لَيْلٍ الرَّحِيلَ بَلِيلِي إِلَى بَلَدِهِ بَلَغَ الْمَجْنُونُ أَنَّهُ غَادٍ بِهَا فَقَالَ :
 أَمْزِعَةٌ لِلْبَيْنِ لَيْلِي وَلَمْ تَمُتْ كَأَنَّكَ عَمَّا قَدْ أَظْلَمَكَ غَافِلُ
 سَقَطَ لَمَّا شَقَّتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى وَزَالُوا بَلِيلِي أَنْ لَبِكَ زَائِلُ

(١) مقيدى الأعاديا : يجعل قيادى فى يدهم .

(٢) ما بين القوسين غير ظاهر فى الأصل وهو عن الأغاني ٢ ٧٩

(٣) السرحة : كل شجر لا شوك فيه . وقيل : كل شجر طال .

وإنك ممنوع التصبر والقرى إذا بَعَدَتْ مِنْ تَحِبِّ المنازل

ذكر ابن الأعرابي أن نسوة جَلَسْنَ إلى المجنون فَقُلْنَ له : ما الذى دعاك إلى أن أَحَلَّكَ بنفسك ما تَرَى فى هَوَى ليلى ؟ فإنما هى امرأةٌ من النساء . هل لك فى أن تُصَرِّفَ هواك عنها إلى إحدانا فنُسَاعِفُكَ وَنَجْزِيكَ بهواك وبرَّجِعْ إليك ما عَزَبَ من عقلك وجسمك ؟ فقال لهن : لو قَدَرْتُ على صَرَفِ الهوى عنها إلیكُنَّ لصرَفْتُهُ عنها وعن كل أحدٍ بعدها ، وعشت فى الناس سوياً مُسْتَرِجِحاً ، فقلن له : فما أعْجَبَكَ منها ؟ قال : كلُّ شىءٍ رَأَيْتُهُ وشاهدْتُهُ وسمِعْتُهُ منها أعْجَبَنِى ، والله ما رَأَيْتُ منها شيئاً قطُّ إلا كان فى عینى حسناً وَقَلْبِى عِلْقاً . ولقد جهدت أن يَقْبَحَ منها عندى شىءٌ أو یُسْمَحَ أو يُعَابَ لِأَسْلُو بِهِ عنها ، فلم أجد . فقلن فصِفْها لنا فقال :

بيضاء خالصة البياض كأنها قررتوسط جُنَحَ ليلٍ مُبَرَّدٍ
موسومة بالحسن ذات حواسد إنَّ الجمال مِظَنَّةٌ للحُسْنِ
وترى مدامها تَرَقُّقُ مُهَلِّلةٌ سوداء ترغبُ عن سواد الإثمِ

قال رجل من عَشيرة المجنون : إني أريدُ الإلَامَ بحى ليلى ، فهل تُودِعُنِي إليها شيئاً ؟ قال نعم : قف بحيث تَسْمَعُك ثم قل :

اللهُ يَعلَمُ أن النفسَ قد هَلَكَتْ باليأسِ منكِ ولكنى أُعْنِيها
مَنْيَتُكَ النفسَ حتى قد أَضَرَّ بها واستيقنت خُلُفاً مما أَمْنِيها
وساعةً منكِ أَلُوها وإن قَصُرْتُ أَشْهَى إلى من الدنيا وما فيها

فضى الرجلُ ولم يزل يرقبُ خلوةً حتى وجدها . فوقف عليها ثم قال ؟ يا ليلى لقد أحسنَ الذى يقول :

اللهُ يَعلَمُ أن النفسَ قد هَلَكَتْ باليأسِ منكِ ولكنى أَمْنِيها

وأنشدها الأبيات فبَكَتْ بكاءً طويلاً ثم قالت : أبلغه السلام وقل له :

نفسى فداؤك لو نفسى ملكتُ إذا ما كان غيرك يجزيها ويرضيها
صبراً على ما قضاه الله فيك على مرارة في اصطبارى عنك أخفيها
فأبلغه الفتى البيتين وأخبره بحالها ، فبكى حتى سقط على وجهه مغشياً [عليه]
ثم أفاق وهو يقول :

عَجِبْتُ لِمُرَّةِ الْعُذْرَى أَضْحَى أَحَادِثاً لِقُومٍ بِمَدَنٍ قُومِ
وعروة مات موتاً مستريحاً وها أنا مَيِّتٌ فِي كُلِّ يَوْمِ

سأل الملوّح أبو المجنون رجلاً قدِمَ من الطائف أن يمرّ بالمجنون ويجلس إليه
ويُخبره أنه لقي ليلي وجلس إليها ، ووصف له صفات منها ومن كلامها ، يعرفها
المجنون ، وقال له : حدّثه بها فإذا رأيتَه قد اشترأبَ لحديثك واشتباك فمرّفهُ أنك
ذَكَرْتَهُ لَهَا ووصفَتْ ما به فشتمته وسبته وقالت : إنه يكذبُ عليها ويُشهرُها
بِفعلِهِ ۝ وأنها ما اجتمعت معه قط كما يصف ، ففعل الرجلُ ذلك ، وجاءه وأخبره
بلقائِها ، فأقبل عليه يسأله عنها فأخبره ، وهو يزداد نشاطاً ويشوب إلى عقله إلى أن أخبره
بسببها إياه وشتمها له ، فقال وهو غيرُ مكترثٍ لما حكاها عنها :

تمر الصبا صفحاً بساكن ذى الغضى وَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهْبُ هُبُوبُهَا
إذا هبَّتِ الرِّيحُ الشَّمَالُ فَأَنَّمَا جَوَاىَ بِمَا يُهْدِي إِلَى جَنُوبُهَا
قريبةٌ عَمِدٍ بالحبيبِ وإنما هوى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ حَلَّ حَبِيبُهَا
وحسبُ اللّيلَى إِنْ طَرَحْنَاكَ مَطَرًا بدارِ قَلْبِي تُمْسِي وَأَنْتَ غَرِيبُهَا
حلالٌ لِلَّيْلِ شَتْمُنَا وَاتَّقَا صُنَا هَنِيئًا وَمَغْفُورًا لِلَّيْلِ ذُنُوبُهَا
وقال المجنون :

كأن لم تكن ليلي تزارُ بذى الأثل وبالسدر^(١) من أجزاع ودّان والنخل

(١) وبالجزع (أغاني) والجزع : منقطع الوادى .

صديق لنا فيما نرى غير أنها ترى أن حبي قد أحل لها قتلى
خرج رجل إلى ناحية الشام والحجاز وما بلى تيماء والسرّة وأرض نجد في طلب
بغية له ، وإذا هو بخيمة قد رفعت له ، وقد أصابه المطر ، فمدل إليها وتفتح
وإذا امرأة قد كلمته وقالت له : انزل فنزل وراحت إبلهم وغنمهم فإذا أمر عظيم
فقلت : سلوا هذا الرجل من أين أقبل ؟ قال : فقلت : من ناحية نجد وتيماء فقلت :
أدخل أيها الرجل ، فدخلت إلى ناحية من الخيمة فأرخت بيني وبينها سترا ،
ثم قالت لي : يا عبد الله أي بلاد نجد وطئت ؟ فقلت : كلها قالت : فبمن نزلت
هناك ؟ قلت : ببني عامر فتنفست الصعداء ثم قالت : فبأي بني عامر نزلت ؟ قلت :
ببني الحريش ، فاستعبرت ثم قالت : هل سمعت بذكر فتى منهم يقال له قيس بن الملوّح
ويلقب بالمجنون ؟ فقلت : بلى والله ، وعلى أبيه نزلت ، ولقد نظرت إليه يميم في تلك
الفيافي ، ويكون مع الوحش لا يعقل ولا يفهم إلا أن تذكر امرأة يقال لها إيلي .
فيمكي ، وينشد أشعارا فيها ، قال : فرفعت الستر بيني وبينها فإذا فلقة قر لم تر
عيني مثلها ، فبكت حتى ظفنت أن قلبها قد انصدع ، فقلت : أيتها المرأة أتتني الله
فما قلت بأسا ، فكنت طويلا على تلك الحال من البكاء ثم قالت :

ألا ليت شعري والخطوب كثيرة متى رحل قيس مستقلا فراجع

بنفسي من لا يستقل برحله ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع

ثم بكت حتى سقطت مفضيا عليها ، فقلت لها : من أنت يا أمة الله ؟ وما قصتك ؟
قالت أنا إيلي صاحبة المشثومة عليه ، غير المواسية له ، فما رأيت مثل حزنها
ووجدتها عليه .

روى أن شيخا من بني مرة قال : خرجت إلى أرض بني عامر لأنقي المجنون
فدلوني على فتى من الحى صديق المجنون وقالوا : إنه لا يأنس إلا به ، ولا يأخذ
أشماره عنه غيره فأتيت فسألته أن يدلني عليه ، فقال : إن كنت تريد شعره فكل

شِعْرٍ قَالَهُ إِلَى أَمْسٍ عِنْدِي « وَأَنَا ذَاهِبٌ عَلَيْهِ غَدًا » فَإِنْ كَانَ قَالَ شَيْئًا أَتَيْتُكَ بِهِ «
فَقُلْتُ : بَلْ تَدُلُّنِي عَلَيْهِ . فَقَالَ : أَطْلُبُهُ فِي هَذِهِ الصَّحَارَى « فَإِذَا رَأَيْتَهُ فَادْنِ مِنْهُ
مَسْتَأْنِسًا وَلَا تُرِهِ أَنْكَ تَهَابُهُ فَإِنَّهُ يَتَهَدَّدُكَ وَيَتَوَعَّدُكَ أَنَّهُ يَرْمِيكَ بِشَيْءٍ فَلَا يَرُوعَنَّكَ
وَاجْلِسْ صَارِفًا بَصَرَكَ عَنْهُ وَالْحَظُّهُ أَحْيَانًا فَإِذَا رَأَيْتَهُ قَدْ سَكَنَ مِنْ نِفَارِهِ « فَأَنْشَدَهُ
شِعْرًا غَزَلًا فَإِنْ كُنْتَ تَرَوِي شَيْئًا مِنْ شِعْرِ قَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ فَأَنْشُدْهُ إِيَّاهُ ، فَإِنَّهُ مُعْجَبٌ
بِهِ . فَطَلَبْتُهُ يَوْمِي إِلَى الْمَصْرِ فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا عَلَى رَمْلٍ ، قَدْ خَطَّ فِيهِ بِأَصْبَعِهِ خُطُوطًا ،
فَدَنَوْتُ مِنْهُ غَيْرَ مُتَقَبِّضٍ ، فَفَرَفَرْتُ مِنَ الْوَحْشِ مِنَ الْإِنْسِ وَإِلَى جَانِبِهِ أَحْجَارٌ
فَتَنَاوَلْتُ حَجَرًا وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ فَمَكَثَ سَاعَةً كَأَنَّهُ نَافِرٌ يَرِيدُ الْقِيَامَ « فَلَمَّا طَالَ جُلُوسِي
سَكَنَ وَأَقْبَلَ يَخْطُ بِأَصْبَعِهِ « فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : أَحْسَنُ قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ حَيْثُ
يَقُولُ :

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ وَيَحَاكَ نَبْنِي بِمَلِكٍ فِي ابْنِي فَأَنْتَ خَبِيرُ
فَإِنْ كُنْتُ لَمْ تُخْبِرْ بِشَيْءٍ عَلِمْتَهُ فَلَا طِرْتَ إِلَّا وَالْجَنَاحُ كَسِيرُ
وَدُرْتُ بِأَعْدَاءِ حَبِيبِكَ فِيهِمْ كَمَا قَدْ تَرَانِي بِالْحَبِيبِ أَذُورُ

فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَهُوَ يَسْكِي وَقَالَ : أَحْسَنَ وَاللَّهِ ، وَأَنَا أَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلًا حَيْثُ أَقُولُ :

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى بِلَيْلِي الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ
فَلَا بِاللَّيْلِ نَالَتْ مَا تَمَنَّتْ وَلَا فِي الصَّبْحِ كَانَ لَهَا بَرَاحُ

قَالَ : فَأَمْسَكَتُ عَنْهُ هُنَيْهَةً ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : أَحْسَنُ قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ

حَيْثُ يَقُولُ :

وَإِنِّي لَمُنْعٍ دَمَعٍ عَيْنِي بِالْبَسَا حِذَارًا لِمَا قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنُ
وَقَالُوا غَدًا أَوْ بَعْدَ ذَاكَ بَلِيلَةٌ فَرَاقُ حَبِيبٍ لَمْ يَبِينْ وَهُوَ بَائِنُ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيتِي بِكَفِّكَ إِلَّا أَنْ مَا حَانَ حَائِنُ

قال : فبكى حتى ظننت أن نفسه فاضت ورأيت دموعه قد بليت الرمل الذي بين يديه ثم قال : أحسن لعمرُ الله ، وأنا أشعر منه حيث أقول :

وَأَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي يَقُولُ يُجِلُّ الْمُصَمَّ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ
تَنَاءَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ وَخَلَفْتَ مَا خَلَفْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ

ثم سَنَحَتْ لَهُ ظَهِيَّةٌ فَوُتِبَ يَمْدُو خَلْفَهَا ۝ حَتَّى غَابَ عَنِّي ۝ وَانصرفتُ وَعُدْتُ مِنْ غَدٍ فَطَلَبْتُهُ فَلَمْ أَجِدْهُ ، وَجَاءَتْ امْرَأَةٌ كَانَتْ تَضَعُ لَهُ الطَّعَامَ فَنَظَرْتُ إِلَى الطَّعَامِ فَوَجَدْتُهُ بِحَالِهِ ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ غَدَوْتُ وَجَاءَ أَهْلُهُ مَعِيَ فَطَلَبْنَاهُ يَوْمَنَا فَلَمْ نَجِدْهُ وَغَدَوْنَا فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ نَسْتَقْرَى أَثَرَهُ ۝ فَوَجَدْنَاهُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْحِجَارَةِ خَشِنٍ وَهُوَ مَيِّتٌ بَيْنَ تِلْكَ الْحِجَارَةِ ، فَاحْتَمَلَهُ أَهْلُهُ فَنَسَّاهُ وَكَفَنُوهُ وَدَفَنُوهُ ۝ فَلَمْ تَبْقَ فِتَاةٌ فِي بَنِي جَمْدَةَ وَلَا بَنِي الْحَرِيشِ إِلَّا خَرَجَتْ حَاسِرَةً صَارِخَةً عَلَيْهِ تَنْدَبُهُ ۝ وَاجْتَمَعَ فَتَيَانُ الْحَيِّ يَبْكُونِ أَحَرَ بَكَاءٍ وَيَنْشِجُونَ أَشَدَّ نَشِيجٍ وَحَضَرَهُمْ حَتَّى لَيْلٍ مُعَزِّينَ وَأَبُوهَا مَعَهُمْ فَكَانَ أَشَدَّ الْقَوْمِ جَزَعًا وَبَكَاءً عَلَيْهِ ، وَجَمَلُ يَقُولُ : مَا عَلِمْتُ أَنْ الْأَمْرَ يَبْلُغُ كُلَّ هَذَا ، وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَأَةً عَرَبِيًّا أَخَافُ مِنَ الْعَارِ وَقُبْحِ الْأَحْدَوَةِ مَا بِخَافَهُ مِثْلِي وَزَوَّجْتُهَا وَخَرَجْتُ عَنْ يَدَيَّ ۝ وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَمْرَهُ يَجْرِي عَلَى مِثْلِ هَذَا مَا أَخْرَجْتُهَا عَنْ يَدِي وَلَا احْتَمَلْتُ مَا كَانَ عَلَىَّ فِي ذَلِكَ ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ بَاكِيًا وَبَاكِيةً عَلَى مَيِّتٍ مِنْهُ يَوْمُئِذٍ .

وروى أنهم بينا هم يُقَلِّبُونَهُ وَهُوَ مَيِّتٌ إِذْ وَجَدُوا خَرَقَةً فِيهَا مَكْتُوبٌ ۝
أَلَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الَّذِي مَا بَنَّا يَرْضَى شَقِيتَ وَلَا هُنَّيْتُ مِنْ عَيْشِكَ الْخَفِضَا (١)
شَقِيتَ كَمَا أَشَقَيْتَنِي وَتَرَكْتَنِي أَهْمٌ مَعَ الْهَلَاكِ لَا أَطْعَمُ النَّمْضَا
كَأَنَّ فَوَادِي فِي مَخَالِبٍ طَائِرٍ إِذَا ذُكِرَتْ لَبِي تَشْدُّ بِهِ قَبْضَا

(١) الغضا في رواية .

كَأَن فِجَاجَ الْأَرْضِ حَلْقَةٌ خَاتِمٌ عَلَى فَا تَرْدَادُ طُولًا وَلَا عَرَضًا
 قَالَ بَعْضُ الْقُشَيْرِيِّينَ : مَرَرْتُ بِالْمَجْنُونِ وَهُوَ مُشْرِفٌ عَلَى وَادٍ [فِي أَيَّامِ الرِّبْعِ وَذَلِكَ
 قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِطَ] ^(١) وَهُوَ يَتَغَنَّى بِشِعْرِ لَمْ أَفْهَمَهُ فَصَحْتُ بِهِ : يَا قَيْسُ أَمَا تَشْفُكَ لَيْلِي
 عَنِ الطَّرَبِ وَالْغَنَاءِ فَتَنْفَسُ نَفْسًا ظَنَنْتُ أَنَّ حَيَازِيمَهُ [قَدْ انْقَدَّتْ ثُمَّ قَالَ] ^(٢) :
 وَمَا أَثْرِفُ الْأَيْفَاعَ إِلَّا صَبَابَةً وَلَا أَنْشِدُ الْأَشْعَارَ إِلَّا تَدَاوِيَا
 وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّتِيتَيْنِ بَعْدَمَا يَظُنَّانِ كُلُّ الظَّنِّ إِلَّا تَلَاقِيَا
 لِحَى اللَّهِ أَقْوَامًا يَقُولُونَ إِنَّنِي وَجَدْتُ طَوَالَ الدَّهْرِ لِلْحَبِّ شَافِيَا
 اجْتَازَ قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ بِالْمَجْنُونِ « وَهُوَ جَالِسٌ وَحْدَهُ فِي نَادَى قَوْمِهِ » كَانَ كُلُّ
 وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُشْتَاقًا إِلَى لِقَاءِ الْآخَرِ ، وَكَانَ الْمَجْنُونُ قَبْلَ تَوَخُّشِهِ لَا يَجْلِسُ إِلَّا مُنْفَرِدًا ،
 وَلَا يُحَدِّثُ أَحَدًا ، وَلَا يَرُدُّ عَلَى مَقْلُومٍ جَوَابًا ، وَلَا عَلَى مُسَلِّمٍ سَلَامًا « فَسَلَّمَ عَلَيْهِ
 قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ « فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي أَنَا قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ فَوُثِّبَ
 إِلَيْهِ فَمَا نَقَهُ » وَقَالَ : مَرْحَبًا بِكَ يَا أَخِي أَنَا وَاللَّهِ مَذْهُوبٌ بِهِ مُشْتَرِكُ اللَّبِّ » فَلَا تَلْمِزْنِي
 فَيَحْدِثُنَا سَاعَةً وَتَشَاكِيَا وَبَكَايَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ الْمَجْنُونُ : يَا أَخِي إِنْ حَيَّ لَيْلِي مِنْ قَرِيبٍ
 فَهَلْ لَكَ أَنْ تَمْضِيَ إِلَيْهَا وَتُبَلِّغُنِي عَنْ السَّلَامِ ، فَقَالَ : أَفْعَلُ ، فَضَمَّى قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ حَتَّى
 أَتَى لَيْلِي ، فَسَلَّمَ وَانْتَسَبَ ، فَقَالَتْ لَهُ : حَيَّاكَ اللَّهُ ، أَلَاكَ حَاجَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِنْ ابْنَ
 عَمِّكَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ ، فَأَطْرَقَتْ ، وَقَالَتْ : مَا كَفْتَ أَهْلًا لِلتَّحِيَّةِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ جِئْتَ
 رَسُولَهُ قُلْ لَهُ : عَنِّي أَرَأَيْتَ قَوْلَكَ :

أَبْتَ لَيْلَةً بِالْفَيْلِ يَا أُمَّ مَالِكٍ لَكُمْ غَيْرَ خُبٍّ صَادِقٍ لَيْسَ يَكْذِبُ
 إِلَّا إِنْمَا أَبْقَيْتَ يَا أُمَّ مَالِكٍ صَدَّقِي أَيْنَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ
 أَخْبَرَنِي عَنْ لَيْلَةِ الْفَيْلِ « أَى لَيْلَةٍ هِيَ ؟ وَهَلْ خَلُوتَ مَعَكَ قَطُّ فِي الْفَيْلِ أَوْ

(١) مَا بَيْنَ الْأَقْوَاسِ غَيْرُ ظَاهِرٍ بِالْأَصْلِ وَهُوَ عَنِ الْأَغَانِي .

غيره ليلاً أو نهاراً ؟ فقال لها قيس : يا بنة عمّ إن الناس تأولوا قوله على غير ما أراد
فلا تكوني منهم ، إنما أخبر أنه رأى ليلة الغيل ، فذهبت بقلبه لا أنه عنا السوء ،
قال : فأطرفت طويلاً ودموعها تجري ، وهي تكفكفها ثم انتحبت حتى قلت :
تَقَطَّعتُ حيازيمها ، ثم قالت : اقرأ ابن عمي السلام ، وقل له : بنفسِي أنت والله إن
وَجَدِي بك لفوق ما تجدُ ، ولكن لا حيلة لي فيك ، فانصرف قيسُ إليه ليخبره
فلم يجده .

مر المجنونُ بعد اختلاطه بليلى تمشي في ظاهري البيوتِ بعد فقدِ لها طویل فلما رآها
بكي حتى سقط على وجهه مغشياً عليه ، فانصرفت خوفاً من أهلها أن يلقوها عنده ،
فكثرت ملها فلما أفاق قال :

بكي فرحاً بليلى إذ رآها محبٌ لا يرى حسناً سواها
لقد ظفرتُ بداء ونال مُلكاً لأن كانت تراه كما يراها

قيس بن الخطيم^(١)

هو قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عمرو بن سُودِ بْنِ ظَفَرٍ ، وكنيته أبو يزيد .
 أنشد ابنُ أبي عَتِيْقٍ قولَ قيس بن الخطيم :
 بين سُكُولِ النساءِ خَلَقَتْهُمَا حَدَوَا^(٢) فَلَ جَثْلَةٌ^(٣) وَلَا قَصَفٌ^(٤)
 فقال : لولا أن أبا يزيد قال : حَدَوَا ما درى الناسُ كيفَ يَحْشُونُ هذا الموضع .
 حدّث أبو عبيدةَ محمدُ بنُ عَمَّارٍ بنِ يَاسِرٍ ، وكان عالماً بحديث الأنصارِ قال :
 كان من حديثِ قيس بن الخطيم أن جدّه عدى بن عمرو قتلَه رجلٌ من بني عمرو
 ابنِ عامرٍ بنِ ربيعةَ بنِ عامر بنِ صَمْعَمَةَ . يقالُ له : مالكُ ، وقتل أباه الخطيم بنَ
 عدى رجلٌ من بني حارثةَ بنِ الحارثِ بنِ الخزرج يقال له : مالكُ اغتاله فقتله
 وقيل : إن الخطيم قتلَه رجلٌ من عبدِ القيسِ ممن يَسْكُنُ هَجَرَ ، وكان قيسُ يوم
 قُتِلَ ، صغيراً ، وقُتِلَ الخطيمُ قبل أن يَثْأَرَ بأبيه عدى فخشيتُ أمُّ قيسٍ على ابنها
 أن يخرجَ فيطالبَ ثأرَ أبيه وجده فيمهلك ، فعمدت إلى كومٍ ترابٍ عند باب دارهم
 فوضعتُ عليها أحجاراً وقالت لقيس : هذا قبرُ أبيك وجدك ، فكان قَيْسٌ لا يشكُّ
 في ذلك ، ونشأ أَيْدِياً ، شديدَ الساعدين ، فنازع يوماً فتى من فتيانِ بني ظَفَرٍ فقال
 له ذلك الفتى : لو جعلتَ شدةَ ساعديك على قاتلِ أبيك وجدك لكان خيراً من
 أن تُخْرِجَهُما على . قال : ومن قاتلُ أبي وجدى : قال : سَلِ أَمَّكَ تُخْبِرُكَ .
 فأخذ السيفَ فوضعَ قائمه على الأرض وذُبابَه بينَ ثَدْيَيْهِ وقال : لأمه : أخبريني من

(١) أغاني دار الكتب ٣ : ١ - تجريد ٣٠٧ - المذهب ١/١٢٠

(٢) الحدو : التقدير .

(٣) جَثْلَةٌ (أغاني) والجبلّة : الغليظة . وأما الجثلة فهي الضخمة .

(٤) القصف : دقة اللحم .

قَتَلَ أَبِي وَجَدَى قَالَتْ : مَا تَا كَمَا يَمُوتُ النَّاسُ ، وَهَذَا نَ قَبْرَاهَا بِالْفِنَاءِ . قَالَ : وَاللَّهِ
لَتُخْبِرَنِي مَنْ قَتَلَهُمَا أَوْ لَأَتَحَامِلَنَّ عَلَى السِّيفِ حَتَّى يَخْرُجُ مِنْ ظَهْرِي . قَالَتْ :
أَمَّا جَدُّكَ فَقَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ بْنِ رَبِيعَةَ ، يُقَالُ لَهُ : مَالِكُ . وَأَمَّا أَبُوكَ
فَقَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ مِمَّنْ يَسْكُنُ هَجَرَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَنْتَهَى حَتَّى أَقْتَلَ
قَاتِلَ أَبِي وَجَدَى . فَقَالَتْ : يَا بَنِيَّ إِنَّ مَالِكًا قَاتَلَ جَدُّكَ مِنْ قَوْمِ خِدَاشِ بْنِ
زُهَيْرٍ ، وَلَأَيُّكَ عِنْدَ خِدَاشٍ نَعْمَةٌ هُوَ لَهَا شَاكِرٌ فَأَنَّهُ فَاسْتَشِرَّهُ فِي أَمْرِكَ وَاسْتَمَعْنَاهُ
يُعِينُكَ ، فَخَرَجَ قَيْسٌ مِنْ سَاعَتِهِ حَتَّى أَتَى نَاضِحَةً ، وَهُوَ يَسْقِي نَحْلَهُ ، فَضَرَبَ
الْجَرِيرَ بِالسِّيفِ فَقَطَعَهُ ، فَسَقَطَ الدَّلُوءُ فِي الْبَيْرِ وَأَخَذَ بِرَأْسِ الْجَمَلِ فَحَمَلَ عَلَيْهِ
غِرَارَتَيْنِ مِنْ تَمَرٍ وَقَالَ : مَنْ يَكْفِينِي هَذِهِ الْمَجُوزُ ؟ يَعْنِي أُمَّهُ ، فَإِنْ مِتُّ أَتَقَقَّ عَلَيْهَا
مِنْ هَذَا الْحَائِطِ ^(١) حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ هُوَ لَهُ ، وَإِنْ عَشْتُ فَمَالِي عَائِدٌ إِلَيَّ ، وَلَهُ مِنْهُ مَا شَاءَ
أَنْ يَأْكُلَ مِنْ تَمْرِهِ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ : أَنَا لَهَا ، وَمَاتَ فِي مَنْزِلَتِهِ فَدَفَنَاهُ هُنَاكَ
وَقَبْرَهُ مَمْرُوفٌ .

(١) الحائط : البستان .

مرّة بن محكان^(١)

أحدُ بني سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ « شاعرٌ إسلاميٌّ مُقِلٌّ مِنْ شعراءِ الدولة الأمويةِ فِي عصرِ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ فَأَخْمَلًا ذِكْرُهُ لِنَبَاهَتِهِمَا ، كَانَ مُرَّةٌ شَرِيفًا جَوَادًا وَهُوَ أَحَدُ مَنْ حُبِسَ فِي الْعَجْرِ وَالْإِطْعَامِ » وَكَانَ أَبُو النُّكْرَاءِ يُوَائِمُهُ فِي الشَّرَفِ وَهَاجِمِيهَا مِنْ بَنِي الرِّبِيعِ ، فَأَنْهَبَ مُرَّةٌ بْنُ مُحْكَانَ مَالَهُ النَّاسَ فُجِسَهُ زِيَادٌ « فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ :

حَبَسْتَ كَرِيمًا أَنْ يَجُودَ بِمَالِهِ سَعَى فِي ثَنَائِي مِنْ قَوْمِهِ مُتَفَاخِرٍ

كَأَنَّ دِمَاءَ الْقَوْمِ إِذَا عُلِقُوا بِهِ عَلَى مُكَفَّهِرٍ مِنْ ثَنَائِيَا الْمُخَارِمِ

فَإِنْ أَنْتَ عَاقِبْتَ ابْنَ مُحْكَانَ فِي النَّدَى فَمَا قَبْ نَجَاكَ اللَّهُ أَعْظَمَ حَاتِمِ

فَأُطْلِقَهُ زِيَادٌ فَذَبَحَ أَبُو النُّكْرَاءِ مَائَةَ شَاةٍ فَنَحَرَ مُرَّةٌ بْنُ مُحْكَانَ مَائَةَ بَعِيرٍ ،

فَقَالَ بَعْضُ شُعْرَاءِ بَنِي تَمِيمٍ بِمَدْحِ مُرَّةٍ :

شَرَى مَائَةً فَانْهَبَهَا جَوَادٌ وَأَنْتَ تَنْهَبُ الْخُذْفَ الْقِهَادَا

الْخُذْفُ : صَفَارُ الْغَنَمِ « وَالْقِهَادُ : الْبَيْضُ .

كَانَ الضَّيْفُ إِذَا نَزَلَ بِالْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ضَمُّوا إِلَيْهِمْ رَحْلَهُ « وَتَرَكُوا سِلَاحَهُ

مَعَهُ خَوْفًا مِنَ الْبَيَاتِ وَالْغَارَةِ ، فَقَالَ مُرَّةٌ بْنُ مُحْكَانَ يُخَاطَبُ امْرَأَتَهُ ، وَيَعْرِضُ أَنْ

ضَيْفَانَهُ عِنْدَهُ فِي أَمْنٍ مِنَ الْبَيَاتِ وَالْغَارَةِ وَفِي عِزٍّ ، فَلَيْسُوا مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَبِيتَ

سِلَاحُهُمْ مَعَهُمْ فَقَالَ :

يَارَبَّةَ الْقَوْمِ قَوْمِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضَمَّنِي إِلَيْكَ رَحَالَ الْقَوْمِ وَالْقِرْبَا

فِي لَيْلَةٍ مِنْ مُجَادِي ذَاتِ أُنْدِيَةٍ لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ مِنْ ظُلَامِهَا الطَّنْبَا

لَا يَنْبِجُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ حَتَّى يَلْفَ عَلَى خَيْشُومِهِ الدَّنْبَا

وَكَانَ مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْرِ قَدْ حَبَسَهُ وَدَسَّ إِلَيْهِ مِنْ قَتَلَةٍ .

محمد بن عبد الملك الزيات

هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن أبي حمزة الزيات ، وكنيته أبو جعفر ، وأصله من جبل جبيل^(٢) . وكان أبوه تاجراً من تجار السكرخ الميسير ، وكان يحثه على التجارة وملازمته فيأبى إلا الكتابة ، وطلبها ، وقصد العالي حتى بلغ منها إلى أن وزر ثلاث دفعات ، وهو أول من تولى ذلك وتم له ، وكان شاعراً مجيداً ، لا يقاس به أحد من الكتاب ، وإن كان إبراهيم بن العباس مثله في ذلك ، فإن إبراهيم مقل وصاحب قصار ومقطعات ، وكان محمد يطيل فيجيد ويأتي القصار فيجيد ، وكان بليفا حسن اللفظ إذا تسكلم وإذا كتب .

قال عمر بن محمد بن عبد الملك : كان جدى موسراً من تجار السكرخ ، وكان يريد من أبى أن يتملك بالتجارة ويتشغل بها ، فيمتنع من ذلك ويلزم الأدب وطلبه ويخالط الكتاب ويلزم الدواوين ، فقال له ذات يوم : والله ما أرى ما أنت ملازمه ينفعك وليضررك لأنك تدع عاجل النفعة ، وما أنت فيه مسكني . ولك ولأبيك فيه جاه ومال . وتطلب الأجل الذي لا تدرى كيف تكون فيه ، فقال له محمد : والله لتعلمن أننا نفتتح بما هو فيه أنا أم أنت . ثم شخص إلى الحسن بن سهل فامتدحه بقصيدته التي منها :

كأنها حين تنامى شخصها	أخس موسى الشوى يرى القائل
إلى الأمير الحسن استخذتها	أى مرار ومناخ ومحل
سيف أمير المؤمنين المنتفى	وحصن ذى الرياستين المعتقل

(١) الأغاني أمري ٤٦: ٢٠ - تاريخ بغداد ٣٤٢/٢ - وفيات الأعيان ١٨٢/٤

(٢) جبل : بليدة على جانب دجلة من الجانب الشرقى بين النعمانية وواسط (مراصد الاطلاع) .

أَبَاؤُكَ الْغُرُّ الْأَلَى جَدُّهُمْ كَسَرَى أَنْوَشِرَوَانَ وَالنَّاسُ هَمَلٌ
 مِنْ كُلِّ ذِي تَاجٍ إِذَا قَالَ مَضَى كُلُّ الَّذِي قَالَ وَإِنْ هَمٌّ فَمَلٌ
 فَأَيْنَ لَا أَيْنَ وَأَنْتَ مِثْلُكُمْ وَأَنْتُمْ الْأَمْلَاقُ وَالنَّاسُ خَوْلٌ

فَأَمَرَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ فَمَادَ بِهَا إِلَى أَبِيهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : لَا أَلُوْمُكَ بَعْدَ هَذَا
 عَلَى مَا أَنْتَ فِيهِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا مَدَحَهُ وَأَجَازَهُ مَثَلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ لَهُ :

لَمْ أُمْتَـدِّحْكَ رَجَاءَ الْمَالِ أَطْلُبُهُ لَكِنْ لَتُبْلِسَنِي التَّعْجِيلَ وَالْغُرَّارَا
 وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي رَجُلٌ لَا أَطْلُبُ الْوَرْدَ حَتَّى أَغْرِفَ الصَّدْرَا

مرض الوراق مرضاً شديداً خيفَ عليه منه ، ودخل إليه الناس على طبقاتهم ،
 فدخل إليه الحسنُ بن سهل عائداً ، ومحمدُ بن عبد الملك الزيات وزيرُهُ يومئذ ،
 والحسنُ بنُ سهلٍ مُتَمَطِّلٌ لِحَمْلِ الحسنِ بن سهل يتكلم في المِلةِ وعلاجِها وما يصلحُ
 للوراق من الأدوية والملاجِ والفِداء أحسنَ كلام ، فحسده محمدُ بن عبد الملك الزيات ،
 وقال له : مَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْعِلْمُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ؟ فقال : إِنِّي كُنْتُ اسْتَصْحَبْتُ مِنْ أَهْلِ
 كُلِّ صِنَاعَةٍ رُؤَسَاءَ أَهْلِهَا ، وَأَتَمَلَّمُ مِنْهُمْ ، ثُمَّ لَا أَرْضَى إِلَّا بِبُلُوغِ الْغَايَةِ فقال له محمد
 ابن عبد الملك ، وكان حسوداً : وَمَتَى كَانَ ذَلِكَ ؟ فقال له في زمان قلت في :

فَأَيْنَ لَا أَيْنَ وَأَنْتَ مِثْلُكُمْ وَأَنْتُمْ الْأَمْلَاقُ وَالنَّاسُ خَوْلٌ
 فَأُطْرَقُ مُحَمَّدٌ وَخَجِلَ وَعَدَلَ عَنِ الْجَوَابِ .

قال هارونُ بن محمد بن عبد الملك : جلس أبي يوماً للعِظَامِ فلما انقَضَ المجلس رأى
 رجلاً جالساً فقال : أَلَيْكَ حَاجَةٌ ؟ قال : نَعَمْ تُدْرِنِي إِلَيْكَ فَإِنِّي مَظْلُومٌ ، فَأَدِنَاهُ ،
 فقال : إِنِّي مَظْلُومٌ وَقَدْ أَعُوَزَنِي الْإِنْصَافُ قال : وَمَنْ ظَلَمَكَ ؟ قال : أَنْتَ وَلَسْتُ
 أَصِلُ إِلَيْكَ فَأَذْكَرُ حَاجَتِي قال : وَمَنْ يَحْجُبُكَ عَنِّي وَقَدْ تَرَى مَجْلِسِي مَبْذُولاً ؟ قال :
 حَجَبَنِي عَنْكَ هَيْبَتُكَ وَطَوْلُ لِسَانِكَ وَفَصَاحَتُكَ وَاطْرَادُ حُجَّتِكَ . قال : ففيم

ظلمتك ؟ قال : ضيعتني الفلانية أخذها وكيك غصبا بلا ثمن ، فإذا وجب عليك خراج أدّى باسمي لثلاث يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي ، فوكيلك يأخذ فلتمها وأنا أودى خراجها ، وهذا ما لا يسمع في الظلم بمثله ، فقال له محمد هذا قول تحتاج عليه إلى بينة وشهود وأشياء . فقال له يومئذني الوزير من غصبه حتى أجيب ، قال : قد أمنتك . قال : البينة إذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى شيء ، فما قولك بينة وشهود ، وأما أشياء فإيش هذه الأشياء إلا المي والثمن طرش فضحك . وقال : صدقت : والبلاء موكّل بالمنطق وإني لا أرى فيك مضطعا ثم وقع له برد ضيقه وصيره من أصحابه واصطنعه .

لما وثب إبراهيم بن المهدي على الخلافة اقترض من مياسير الكرخ التجار مالا وأخذ من عبد الملك الزيات عشرة آلاف دينار وقال : أنا أردّها إليك إذا جاءني مال ولم يتم أمره فاستخفي ، ثم ظهر ورضى عنه المأمون ، وطالبه الناس بأموالهم فقال : إنما أخذتها للمسلمين وأردت قضاءها من فيئهم ، والأمر فيها الآن إلى غيري ، فعمل ولده محمد بن عبد الملك قصيدة يخاطب فيها المأمون ، ومضى بها إلى إبراهيم ابن المهدي فأراه إياها ، وقال : والله لئن لم تُعطينا المال الذي اقترضته من أبي لأوصلن هذه القصيدة إلى المأمون ، نخاف أن يقرأها المأمون فيقدّر ما قاله فيوقع به فقال : خذ مني بعض المال ونجّم على بمضه ، ففعل ذلك بعد أن أخلفه إبراهيم بأوكيد الأيمان ألا يظهر هذه القصيدة في حياة المأمون ، ووفى له بذلك ووفاه إبراهيم المال . والقصيدة طويلة منها :

ألم تر أن الشيء للشيء علة	يكون له كالنار تقدح بالزند
كذلك جربت الأمور وإنما	يدلّك ما قد كان قبل على البعد
وظنّي بإبراهيم أن مكانه	سيبعث يوما مثل أيامه النكد
رايت حسينا حين صار محمدا	بغير أمان في يديه ولا عقد

يصير لها بالقاع مُنْعَفَرٍ أَخْدُ
فقد كان ماخُبرَتْ من خَبَرِ الْجُنْدِ
ثلاثين ألفاً من كهولٍ ومن مُردٍ
وما قَتَلُوهُ يومَ ذاكِ على حِفْدٍ
وم وبعْدُ الرَّأْيِ عن سَنَنِ الْقَصْدِ
سَيَبِقُ بقاءُ الْوَحْيِ في الْحَجَرِ الصَّنْدِ
بأبْعَدَ في الْمَكْرُوهِ من يَوْمِهِ عِنْدِي
وَأَيْمَانِهِ في الْهَزْلِ مِنْهُ وفي الْجَدِّ
تَغْنَى بِلَبْنِي أوِ بِمَيَّةٍ أوِ هِنْدِ

ولو كان أَمْضَى السِّيفِ فِيهِ بَضْرَبَةٌ
إِذَا لم تَكُنْ لِلْجُنْدِ فِيهِ بَقِيَّةٌ
هم قَتَلُوهُ بِمَدِّ أَنْ قَتَلُوا بِهِ
وما نَصَرُوهُ مِنْ يَدٍ سَلَفَتْ لَهُ
وليكِنَّ الْغَدْرُ الصُّرَاحُ وَخِفَّةُ الْحُدِّ
فذلك يَوْمٌ كَانَ لِلنَّاسِ عِزَّةٌ
وما يَوْمٌ إِبْرَاهِيمَ إِنْ طَالَ عُمُرُهُ
تَذَكَّرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَقَامَهُ
إِذَا هَزَّ أَعْوَادَ الْمَنَارِ بِاسْتِثْمِهِ
منهَا :

إِلَيْكَ وَلَا مِثْلَ إِلَيْكَ وَلَا وَدَّ
إِلَى اللَّهِ زُلْفَى لَا تَخِيبُ وَلَا تُكْذِبُ
عَلَى رَغْمِهِ وَاسْتِثْنَاءِ اللَّهِ بِالْحَمْدِ
فَأَنْتَ كَمُحْزَى بِحَسْبِ الَّذِي تُسَدِّى
وَمَنْ لَيْسَ لِلْمَنْصُورِ بَابٌ وَلَا الْمَهْدَى
بِيَمِينِهِ الرِّكْبَانُ غَوْرًا إِلَى نَجْدِ
يُنَادِي بِهِ بَيْنَ السَّمَاوَاتَيْنِ مَنْ بُعِدَ
فَفَارَقَهَا حَتَّى يُغَيِّبَ فِي الْإِحْدِ
إِمَامٌ لَهَا فِيمَا تُسِرُّ وَمَا تُبْدِي
تَقُومُ بِحَيَوْنِ اللَّوْنِ صَعْدَ الْقَفَاجِدِ
زُهْمًا لَهُ بِالْيَمْنِ وَالْكَوْكَبِ السَّعْدِ
يَحْنُونُ تَحْنَانًا إِلَى ذَلِكَ الْعَقْدِ

وَوَاللَّهِ مَا مِنْ تَوْبَةٍ نَزَعَتْ بِهِ
وَلَكِنْ إِخْلَاصَ الضَّمِيرِ مُقَرَّبُ
أَنْتَ بِهِ طَوَّعًا إِلَيْكَ بِأَنْفِهِ
فَلَا تَتْرَكَنَّ لِلنَّاسِ مَوْضِعَ شُبُهَةٍ
فَقَدْ غَلِطُوا لِلنَّاسِ فِي نَصَبِ مِثْلِهِ
فَكَيْفَ بَعْنُ قَدْ بَايَعَ النَّاسَ وَالتَّقَتِ
وَمَنْ صَكَ تَسْلِيمُ الْخِلَافَةِ سَمْعَهُ
وَأَيَّ أَمْرٍ سَمَّى بِهَا قَطُّ نَفْسَهُ
وَتَزَعَّمُ هَذِي النَّابِئِيَّةُ أَنَّهُ
يَقُولُونَ سُنِّيٌّ وَأَيَّةُ سُنَّةٍ
وَقَدْ جَعَلُوا رَخَصَ الطَّعَامِ بَعْدَهُ
إِذَا مَا رَأَوْا يَوْمًا غَلَاءَ رَأَيْتَهُمْ

وإقباله في الجرد يوجب حوله
ورجالة يشون بالببيض قبله
فإن قلت قد رام الخلافة غيره
فلم أجزه إذ خيب الله سميه
ولم أرض بعد العفو حتى رفعت
فليس سواء خارجي رى به
تماوت له من كل أوب عصابة
ومن هو في بيت الخلافة تلتقى
فولاك مولاه وجدك جد
وقد رابى من أهل بيتك أنسى
يقولون لا تبع من ابن مله
فدانا وهانت نفسه دون ملكنا
على حين أعطى الناس صفوا أكفهم
فما كان فينا من أبي الضيم غيره
وجرد إبراهيم للموت نفسه
وأبى ومن يتلغ من الأمر جهده
فهذى أمور قد يخاف ذوو النهى

وجيف الجياد واسطكاك القنا الجرد
وقد تبعوه بالقضيب والبرد
فلم يوت فيما كان حاول من جد
على خطأ إذ كان منه ولا عمد
وللم أولى بالغمم والرفد
إليك سفاه الرأي والرأى قد يردى
متى يوردوا لا يصدروه عن الورد
به وبك الآباء في ذروة الجدد
وهل يجمع القين الحسامين في غمد
رأيت لهم وجدا به أيما وجد
صبرت عليها النفس ذى مرة جلد
عليه لذى الحال التى قل من يفدى
على بن موسى بالولاية والعهد
كريم كفى ما فى القبول وفى الرد
وأبدى سلاحا فوق ذى منة نهد
فليس بدموم وإن كان لم يجد
مفتها والله يهديك للرشد

كان محمد بن عبد الملك يقول عن يحيى بن خاقان : هو مهزول الأنفاظ عليل
المعانى « سخيض العقل ضعيف العقدة واهى الزم مأفون رأى . ولما ولى محمد
ابن عبد الملك الوزارة اشترط ألا يلبس القباء وأن يلبس الدراعة وبتقلد عليها
سيفا بجائل « فأجيب إلى ذلك . وكان محمد بن عبد الملك يقول : الرحمة خور في
الطبيعة وضف في المنة ومارحمت شيئا قط فكانوا يطعنون عليه في دينه بهذا

القول فلما وُضِعَ في التَّنُورِ الحديدِ قال : ارحموني فقالوا له : وهل رَحِمْتَ شيئاً قطْ
فترحم ؟ هذه شهادتك على نفسك وحُكْمُك عليها وما رَضِيتَ لها ، ألسْتَ القائل :
الرحمةُ خورٌ في الطبيعةِ وَضَعْتُ في المنة ؟

جاء ابن دقش الحاجب برسالة من المعتصم إلى محمد بن عبد الملك ليخضّر فدخل
ليلبس قمّاشه ورأى ابن دقش الحاجب غلماناً له فقال : وهو يظن أنه لا يسمع :
وعلى اللواطِ فلا تلوّمن كاتباً إن اللواطَ سَجِيَّةُ الكُتّابِ
فقال له محمد :

وكما اللواطُ سَجِيَّةُ الكُتّابِ فكذا الخلاقُ سَجِيَّةُ الحُجّابِ
فاستحميا ابن دقش واعتذر إليه ، فقال : إنما يقعُ المُذْرُ لو لم يقعَ الاقتصاصُ
فأما الآن وقد كافأناكَ فلا .

كان الحسن بن وهبٍ تَمَجَّبَ من جَوْدَةِ قول محمد بن عبد الملك يرثي سَكْرَانَةَ
أم ابنه عمر :

يقولُ لي الخِلَّانُ لو زرتَ قبرها فقلت وهل غيرُ الفؤادِ لها قَبْرُ
على حين لم أأحدثُ فأجهلُ فَقَدَها ولم أبلغِ السنَّ التي معها الصَّبْرُ
استبطأ عبدُ الله بنُ طاهرٍ محمدَ بن عبد الملك في بعضِ أموره ، وآتاهمه بعدُوله
عن شيءٍ أَرَادَهُ إلى سواءٍ فكتب إليه محمد يعتذر عن ذلك وكتب في آخر كتابه :
أزعم أننى أهوى خليلاً سواك على التداني والبمادِ
جججتُ إذا موالاتي عَلِيّاً وقلت بأننى مولى زيادِ

كان عبدُ الله بنُ الحسن الأصبهاني يخلفُ عمرو بن مَسْعُودَةَ على ديوانِ الرسائلِ
فكتب إلى خالد بن يزيد بن مزيد أن المعتصمَ أميرَ المؤمنين يَنْفُخُ مِنْكَ في غيرِ فَحْمٍ
ويخاطبُ أمراً غيرَ ذى فهمٍ فقال محمد بن عبد الملك : هذا كلامٌ سخيفٌ ساقطٌ

جملَ أمير المؤمنين ينفخُ بالزقِّ كأنه حدّادٌ ، فأبطلَ الكتاب ، ثم كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر : وأنت تُجْزِي أَمْرَكَ على الأَرْبَحِ فلا أَرْبَحِ والأَرْجَحِ فلا أَرْجَحِ فلا تَسْعَى بِنُقْصَانٍ ولا تَمِيلُ بِرُجْحَانٍ . فقال عبد الله الأصهباني : الحمد لله الذي أظهرَ من سخافةِ اللفظِ مادل على رُجوعِهِ إلى صناعَتِهِ من التجارة . بذِكرِ ربحِ السِّلَعِ ورُجْحَانِ الأوزانِ ونُقْصَانِ الكيلِ والخسرانِ من رأسِ المالِ . فضحك الممتصمُ وقال : ما أسرع ما انتصفَ الأصهبانيُّ من محمد فحقدَها عليه ابنُ الزيات حتى نكبه .

قال المبرد : نظرَ رجلٌ كان يماذِي يونسَ النحوى إليه يتهدّأ بين اثنين من الكِبَرِ فقال له : يا أبا عبد الرحمن أبلغتَ ما أرى ؟ فلم يونس أنه إنما قال ذلك شامتاً فقال : هذا الذي كنتُ أرجو فلا بلغته فأخذه محمد بن عبد الملك فجمله في شعره فقال :

وعائب عابني بشيبٍ لم يَعدْ لما أَلَمَ وَقَتُهُ
فقلت إذ عابني بشيبي يا عائب الشيب لا بَلَغْتُهُ

لما شخص أبو الحسين بن أبي البغّل إلى بغداد للوزارة وصدرَ عنها وبطل ذلك قال : لله درُّ محمد بن عبد الملك الزيات حيث يقول :

ما أعجَبَ الشيءَ ترجوه فتُخرِمَه قد كنتُ أحسبُ أني قد مَلَأْتُ يَدِي
والبيت الأول :

مالي إذا غِبتُ لم أَذْكَرْ بصالحَةٍ وإن مرضت وطال السُّقْمُ لم أَعُدْ
قال عبد الله بن العباس بن الفضل الربيعي : وصفني محمد بن عبد الملك الزيات للممتصم فقال : ليس له نظير في ملاحَةِ الشَّعْرِ والغناء والعِلْمِ بأمور المُلْكِ فليقمته فشكرته ، وقلت له : جعلتُ فداءك أَتَصِفُ شعري وتُقرِّظُه وأنت القائل :

ألم تعجبَ لمكتئِبٍ حزينٍ [خديم صباية وحليف صبر]
[يقول إذا سألت به بخير وكيف يكون مهجور بخير] (١)

(١) غير واضحة بالأصل وما بين القوسين عن الأغاني .

قال : فأين هذا من قولك :

يقول لي كيف أصبَحَ تَ كيف يُصْبِحُ مثلي
ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان .

لقى الـكـتـنجـي مـحـمـد بن عبد الملك فسلم عليه فلم يُجِبْهُ فقال :

هـذا وأنت ابنُ زِيَّاتٍ تُصَفِّرُنا فكيف لو كنتَ يا هذا ابنَ عَطَّارٍ
فبلغ ذلك محمدا فقال : كيف يُنْتَصَفُ من ساقطٍ أحقَّ ، وَضَعُهُ رَفَعُهُ وَعَقَابُهُ
ثَوَابُهُ !

قال محمد بن عبد الملك لبعض أصحابه : ما أحرَكَ عِنا ؟ قال : موتُ أخى . قال :
بأى عِلَّةٍ قال : عَضَتْ أَصْبَعَهُ فَأَرَّةٌ فَضَرَبَتْهُ الحُمْرَةُ . فقال محمد : ما يرد القيامةُ
شهيْدٌ أخسَ سببها ولا أنذلَ قاتلا ولا أضيعَ مِيتَةً ولا أظرفُ قِتْلَةً من أخيك .
كان محمد بن عبد الملك يمادى أحمد ابن أبي دؤاد ويهجوهُ ، وكان أحمدُ يجمع
الشعراء ويحرضهم على هجائه ويصلِّهم ، ثم قال فيه أحمدُ بيتين كانا أجود
ما هجَّبا به وما :

أَحْسَنُ من خمسين بيتا سُدِّي جَمْعُكَ إِيَّاهُنَّ في بَيْتِ
ما أَحوجَ الملكَ إلى مطرَةٍ تَفْسِلُ عَنْهُ وَضَرَ الزَيْتِ (١)

وكان ابن أبي دؤاد يقول : ليس أحدٌ من العرب إلا هو يَقْدِرُ على قولِ الشعرِ ،
طَبَعَ رُكْبَ فيهم قَلَّ قَوْلُهُ أو كَثُرَ .

لما أنشد أبو تمام محمد بن عبد الملك قصيدته :

* لَهَا نَ عَلَيْهَا أَنْ تَقُولَ وَتَقْعَلَا *

فَأَنَابَ عَلَيْهَا وَوَقَعَ إِلَيْهِ :

رَأَيْتَكَ سَهْلَ الْبَيْعِ سَمَحًا وَإِنَّمَا يُفَالِي إِذَا مَا ضَنَّ بِالشَّيْءِ بَائِمُهُ

(١) ما أحوج الناس . . . تفسل عنهم (أغاني) .

فأما الذى هانت بضائعُ بَيْعِهِ فيوشكُ أنْ تَبْقَى عليه بضائعُهُ
هو الماء إنْ أَجْمَمْتَهُ طابَ وَرْدُهُ ويفسدُ منه أنْ تُباحَ شرايِعُهُ
فأجابه أبو تمام :

أبا جعفرٍ إنْ كُنتُ أَصْبَحْتُ شاعراً أَسامحُ في بَيْعِي له مِنْ أبايَعِهِ
فقد كُنتَ قَبْلِي شاعراً تاجراً به تُساهِلُ مِنْ عَادَتِ عَلَيْكَ مَنافِعِهِ
فصرتَ وزيراً والوزارة مَكْرَعٌ يَفْصُ بِه بعد اللذائِةِ كَارِعُهُ
وكم من وزيرٍ قد راينا مُسَلِّطٍ فعاد وقد سُدَّتْ عَلَيْهِ مَطالِعُهُ
ولله قوسٌ لا تَطِيشُ سِهامُها ولله سيفٌ لا تُفْلُ مَقاطِعُهُ

اجتاز بديعُ غلامُ عُمَرَ المأمونِ بِمُحَمَّدِ بنِ عبدِ الملكِ الزياتِ ، وكان أحسنَ
خَلْقِ اللَّهِ وَجْهاً ، وكان مُحَمَّدٌ يُحِبُّ به جنونا ، فقال فيه مُحَمَّدُ بنِ عبدِ الملكِ :

راحَ عَلَيْنَا رَاكِبا طَرَفَهُ أَغِيدُ مِثْلُ الرِّشْلِ الْآنَسِ
قد لَبِسَ الْقَرَطَقَ واسْتَمْسَكَتْ كَفَاءً مِنْ ذِي يَزَنِ يَابِسِ
وَقَلَدَ السِّيفَ عَلَى غُنَجِهِ كَأَنَّهُ فِي وَقْعَةِ الدَّاحِسِ
أَقُولُ لِمَا أَنْ بَدَأَ مُقْبِلًا يَا لَيْتَنِي فَارِسُ ذَا الْفَارِسِ

استسقى الحسنُ بنُ وهبٍ مِنْ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الملكِ نبيذاً بيلدِ الرومِ معِ المعصمِ
فسقاه وكتبَ إليه :

لَمْ تَلَقْ مِثْلِي صَاحِبًا أَنْدَى يَدَا وَأَعَمَّ جُودَا
يَسْقَى النَّدِيمَ بِقَفْرَةٍ لَمْ يَسْقَ فِيهَا الْمَاءَ عُودَا
صَفراءُ صَافِيَةٌ كَأَنَّ بَكَامِهَا دُرًّا نَضِيدَا
وَأَجُودُ حِينَ أَجُودُ لَا حَصِرًا بِذَاكَ وَلَا بَلِيدَا
فَإِذَا اسْتَقَلَّ بِشُرْبِهَا أَوْجِبْتُ بِالشُّكْرِ الْمَزِيدَا
خَذَهَا إِلَيْكَ كَأَنَّمَا كُسِيتَ زَجَاجَتُهَا عَقُودَا

واجمل عليك بأن تقو م بشكرها أبدا عهدا
دعا محمد بن عبد الملك الزيات قبل وزارته الحسن بن وهب في آخر أيام المأمون
فجاء ودخل خجأ له^(١) وأقاما على لهما ثم طلب الحسن بن وهب لعمل احتيج إليه
فضى فبطل يومهم فكتب إليه الحسن :

سقياً لنضِرَ الوجهَ بسامه	مُهَذَّبِ الْأَخْلَاقِ قَمَقَامَه ^(٢)
تَكْسِبُهُ الشُّكْرَ عَلَى أَنهَا	مُطَبَّقَةُ السَّنِّ لَوَامَه
زُرْنَاهُ فِي يَوْمٍ عَلا قَدْرُهُ	عَنْ سَائِرِ الْأَيَّامِ فِي عَامِهِ
أَسَمَدَهُ اللَّهُ وَأَخْطَى بِهِ	وَجَادَهُ الْغَيْثُ بِإِرْهَامِهِ ^(٣)
فَكَانَ مَسْرُورًا بِنَا بَاذِلًا	لِرَحْلِهِ الرَّحْبِ وَحَامِهِ
نَحْدَمُ وَهُوَ لَنَا خَادِمٌ	بِفَضْلِهِ مِنْ دُونِ خُدَامِهِ
ثُمَّ سَقَانَا قَهْوَةً لَمْ تَدْعُ	أَطِيبَ مِنْهَا لِقَرَى شَامِهِ
صَهْبَاءَ دَلْتَنَا عَلَى دِينِهِ	وَحَدَّثَتْ عَنْ ضَعْفِ إِسْلَامِهِ

فأجابه محمد بن عبد الملك :

بَاذِرًا لَدُنَّا يَوْمُهُ	لَوْ سَاعَدَ الدَّهْرُ بِإِتْمَامِهِ
مَاذَا لَقِينَا مِنْ دَوَائِينِهِ	وَحَطَّ فِيهَا بِأَقْلَامِهِ
أَسْرًا مَا كُنَّا مِنْ مَازَجِهِ	أَوْ شَارِبِ قَدْعَبٍ فِي جَامِهِ
فَارْقَنَّا وَالْعَيْنُ مَطْرُوفَةٌ	بِوَاكِفِ الدَّمْعِ وَتَسْجَامِهِ
وَجَادَ بِالْمَدْحِ لَنَا مُنْعِمًا	بِهِ إِلَى سَالِفِ إِنْعَامِهِ
يَشْكُرُ مَا نَالَ عَلَى أَنَّهُ	لَا يَشْكُرُ الْحَرَّ لِحَمَامِهِ

(١) الحم : الستان لا أشجار فيه ولا ثمار .

(٢) القمقام : السيد الجامع للسيادة العظيم الخير .

(٣) يقال أرهمت السماء : أمطرت مطرا خفيفا دائما .

ليت وأتى لي بها مُنيّةً لو كنت فيه بعضُ قوامه
أمسحه فيه وأذنو له من خلفه طوراً وقدامه
جعلت تقسى جنة للصبا وبعت إسلامي بإسلامه
فصار ما يشرب حلاً له وصرت مأخوذاً بآثامه
قال محمدُ الأحولُ : لما قبضَ على محمد بن عبد الملك الزياتِ تَلَطَّفْتُ في الوصول
إليه فرأيتُه في حديد مُثقل . فقلت أعزز عليّ بما أرى فقال :

سل ديارَ الحَيِّ ما غيرها ومحاها ومحا مَنظرها
وهي الدنيا إذا ما انقلبت صيرت معروفها مُنكرها
إنما الدنيا كظل زائل نحمد الله كذا قدرها

كان الواثقُ قد أصلحَ بين محمد بن عبد الملك الزيات وبين أحمد بن أبي دؤاد .
وجعل ابنُ أبي دؤاد يخلو بالواثق ويُغريه به حتى قبضَ عليه . وكان فيما بَلَغَه عنه
أنه يريد الفَتْكَ به والتدبير عليه فقبضَ عليه الواثقُ ثم أطلقَه بعد مدة . ثم وَرَدَ
المتوكل وكان محمد بن عبد الملك أشادَ بابن الواثق وأشاد ابن أبي دؤاد بالمتوكل .
وقام وقعد في أمره حتى وَلِيَ وممَّمَه بيده وألبسه البُرْدَةَ وقَبَلَ بين عَيْنَيْهِ .
وكان المتوكل قبل ذلك يدخل إلى محمد بن عبد الملك في حياة الواثق فيشكو إليه جفاء
الواثق فيتجهمه (١) محمد ويغلظ له الرِّدَّ ، إلى أن قال له يوماً مواجهةً : ألا تعجبون
لهذا العاصِ كذا وكذا يماذي أميرَ المؤمنين ثم يسأَلُنِي أن أُصْلِحَ له قَلْبَهُ ،
أذهبَ وبلاك فاصْطَنَعَ نَفْسَكَ له حتى يُصْلِحَ ذلك قَلْبَهُ ، وكان موضع ذلك بحسن
عند الواثق ، ودخل عليه يوماً وقد كان محمدُ قال للواثق : إن جعفرًا يدخل إلى وله

(١) تجهمه مثل جهمه : استقبله بوجه كريمة .

شَعْرٌ وَطَرَّةٌ مِثْلُ النِّسَاءِ ۖ وَقَدْ فَضَحَكَ فَأَمْرُهُ أَنَّ يَخْلِقَهَا وَيَضْرِبَ بِشَعْرِهَا وَجْهَهُ ،
فلما دخل المتوكل على محمد بن عبد الملك فعل به ذلك فلما وَلِيَ الخِلافة خَشِيَ أَنْ يَكُنْ
عَاجِلاً أَنْ يَسْتَرِ أَسْبَابَهُ فَاسْتَوَزَرَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَدَخَلَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ يَغْرِيه بِهِ وَيَجِدُ
عِنْدَهُ لَذَلِكَ مَوْضِعاً وَاسْتَمَاعاً ۖ حَتَّى قَبِضَ عَلَيْهِ وَقَتْلَهُ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ مِنْ أَمْلَاكِهِ كَلِمَةً
مِنْ عَيْنٍ ^(١) وَوَرَقٍ وَأَثَاثٍ وَضِيعةٌ إِلَّا مَا قِيَمَتْهُ نَحْوُ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَندِمَ لَذَلِكَ وَلَمْ
يَجِدْ مِنْهُ عِوَضاً ۖ وَكَانَ أَمْرُهُ مِمَّا يَمْتَدُّ بِهِ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ . وَيَقُولُ : أَطْمَعْتَنِي
فِي بَاطِلٍ ۖ وَحَمَلْتَنِي عَلَى أَمْرٍ لَمْ أَخْذْ مِنْهُ عِوَضاً ۖ وَلَمَّا قَبِضَ عَلَيْهِ الْمُتَوَكِّلُ اسْتَعْمَلَ
لَهُ تَنْوِيرَ حَدِيدٍ ۖ وَجُمِلَ فِيهِ مَسَامِيرُ لَا يَقْدِرُ مَعَهَا أَنْ يَتَحَرَّكَ إِلَّا دَخَلَتْ فِي جَسَدِهِ ،
ثُمَّ أَحْمَاهُ لَهُ وَجَمَلَهُ فِيهِ فَكَانَ يَقُولُ : ارْحَمْنِي ، فَيَقَالُ لَهُ : أَنْتَ كُنْتَ تَقُولُ : مَا رَحِمْتُ
أَحَدًا قَطْ ، وَالرَّحْمَةُ خَوْرٌ فِي الطَّبِيعَةِ ، وَضَعْفٌ فِي الْمُنَقَرِّ ، فَاصْبِرْ عَلَى حُكْمِكَ ،
وَاطْلَعْ عَلَيْهِ عُبَادَةُ الْخَنَثِ ، فَقَالَ لَهُ : أَرَدْتَ أَنْ تَشْوِبَنِي فَشَوَوْتُكَ ۖ وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ
أَمَرَ عُبَادَةَ أَنْ يَدْخُلَ إِلَيْهِ وَيُكَادِيَهُ ۖ فَجَاءَهُ فَوْقَ بَازَائِهِ وَقَالَ : اسْمَعْ يَا مُحَمَّدُ ۖ
كَانَ فِي جِيرَانِنَا حَقَّارٌ يُحْفَرُ الْقُبُورَ فَمَرَضَتْ مُخْنَثَةٌ مِنْ جِيرَانِهِ ۖ وَكَانَتْ صَاحِبَتِي ،
فَبَادَرَ حُفْرَ قَبْرٍ طَمَعًا فِي الدَّرَاهِمِ فَبَرَأَتْ هِيَ وَمَرَضُ هُوَ ۖ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ صَاحِبَتِي
وَهُوَ فِي النَّزْعِ فَقَالَتْ : هَيْهَ يَا فَلَانُ ، حَفَرْتَ لِي قَبْرًا وَأَنَا فِي عَافِيَةٍ ، أَوْ مَا عَلِمْتَ
أَنْ لِمَنْ حَفَرَ بَرٌّ سُوءٌ وَقَعَ فِيهَا ۖ فَوَحْيَانِكَ يَا مُحَمَّدُ لَقَدْ دَفَنْتَنَاهُ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ ۖ وَالْمُقْبِي
لَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَمْ يَبْرَحْ يُؤْذِيهِ وَيُكَادِيهِ إِلَى أَنْ مَاتَ .

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ سُهَيْلٍ يَرِثِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ۖ وَكَانَ يَجْحَدُهَا فِي حَيَاتِهِ وَيَنْتَقِي مِنْهَا
ثُمَّ سَاعَتْ بَعْدَهُ وَوُجِدَتْ بِمَخْطَةِ :

يَسْكَادُ الْقَلْبُ مِنْ جَزَعٍ يَطِيرُ إِذَا مَا قِيلَ قَدْ قُتِلَ الْوَزِيرُ

(١) الْعَيْنُ : مَا ضُرِبَ نَقْدًا مِنَ الدَّنَانِيرِ - وَالْوَرَقُ : الْفُضَّةُ مَضْرُوبَةٌ كَانَتْ أَوْ غَيْرَ مَضْرُوبَةٍ .

أمير المؤمنين هَدَمْتَ رُكْنًا عليه رَحَاكُمْ كَانَتْ تَدُورُ
 سَيْبِكِي الْمَلِكِ مِنْ جَزَعٍ عَلَيْهِ وَيَحْزَنُ حِينَ تَضْطَرُّ الْأُمُورُ
 فَمَهْلًا يَا بَنِي الْعَبَّاسِ مَهْلًا فَقَدْ كَوَيْتُ بِفَعْلِكُمُ الصَّدُورُ
 إِلَى كَمْ نَفَكِبُونَ النَّاسَ ظُلْمًا لَكُمْ فِي كُلِّ مَلْحَمَةٍ عَقِيرُ
 جَزَيْتُمْ نَاصِرًا لَكُمْ الْمُنَابَا وَلَيْسَ كَذَلِكَ يُجْزَى النُّصَيْرُ
 قَتَلْتُمْ سَائِقَ الدُّنْيَا إِلَيْكُمْ وَذَلِكَ مِنْ فَعَالِكُمْ شَهِيرُ
 وَكَانَ صِلَاحُكُمْ لَوْ سَسْتَمُوهُ قَرِيبًا لَا يَحَارُ لَهُ الْبَصِيرُ
 كَأَنَّ اللَّهَ صِيرَكُمْ مَلُوكًا لَثَلَا تَعْدَلُوا وَلَآنَ تَجُورُوا^(١)

(١) يوجد هامش على جانب الصفحة يقع في سطرين مطبوسين لم نقيين منهما = يمكن معه الرجوع إلى أصلهما .

مَحَمَّدُ الْمَطْوِيُّ (١)

هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية ، مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة ، كنيته أبو عبد الرحمن ، بصري المولد والمنشأ .

كان شاعرا من شعراء الدولة العباسية ، واتصل بأحمد بن أبي دؤاد ، وتقرَّب إليه بمذهبه وتقدَّمه فيه بقوة جدَّ له عليه فلما توفِّي أحمدُ نقَّصت حاله ، وله فيه مدائحُ يسيرة ومراثٍ كثيرة منها ما روى عن كوثرة أخِي الْمَطْوِي :

أَحَنَّتْهُ يَا نَصْرُ بِالْكَافُورِ	وَرَفَقَتْهُ لِلْمَنْزِلِ الْمَهْجُورِ
هَلَا يَبْعُضُ خِصَالِهِ حَنَظَّتُهُ	فِيضُوعُ أَفْقِ مَنَازِلِ وَقُبُورِ
تَاللَّهِ لَوْ بَشْرِيْف أَخْلَاقٍ لَهُ	تُعْزَى إِلَى التَّقْدِيسِ وَالتَّطْهِيرِ
حَنَظَّتْ مِنْ سَكَنِ الثَّرَى وَعِلَا الرَّبَا	لِتَزَوَّدَوه عِدَّةً لِنُشُورِ
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الْوَفَاءُ فَإِنَّهُ	ذَهَبَتْ بِهِ رِيحًا صَبَاً وَدُجُورِ
وَإِذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الشَّبَابُ فَإِنَّهُ	قَدْ كَانَ خَيْرَ مُصَاحِبٍ وَعَشِيرِ
وَاللَّهِ مَا أَبْنَتْهُ لِأَزِيدِهِ	شَرَفًا وَلَكِنْ نَفْثَةُ الْمَصْدُورِ

ومن مراثيه فيه :

وليس صريرُ النَّعْشِ مَا تَسْمَعُونَهُ ولكنه أصْلَابُ قَوْمٍ تَقْصِفُ
وليس نَسِيمُ الْمَسْكِ رِيًّا حَسُوطُهُ ولكنه ذَاكَ الثَّنَاءُ الْخَلْفُ

ذكر محمد بن داود في كتاب الشعراء فقال : كان له فنٌّ من الشَّعْرِ لم يُسْبِقْ فيه ذهب فيه إلى مذهبِ أصحاب الكلامِ ففاق جميعَ نظرائه « وخفَّ شعرُهُ على كلِّ لسانٍ ورؤي واستعمله الكتابُ واحتدوا معانيه وجملوه إماما .

سمع العَطْوِي رجلاً يُحَدِّثُ أَنَّ رجلاً قَالَ لعمرَ بن الخطاب رضى الله عنه :
 أَن فلاناً قد جَمَعَ مَالاً ، فقال عمر : فهل جَمَعَ لَهُ أَياماً ؟ فأخذ العَطْوِي المعنى فقال :
 أَرَفَهُ بِعَيْنِ الْفَتَى يَغْدُو عَلَى ثِقَةٍ إِنَّ الذى قَسَمَ الْأَرْزَاقَ يَرْزُقُهُ
 فَالْعَرَضُ مِنْهُ مَصُونٌ لَا يَدْنُسُهُ وَالوجه منه حديدٌ ليس يُخْلَقُهُ
 جَمَعَ مَالاً فَفَكَّرَ هل جَمَعَ لَهُ يَا جَامِعَ الْمَالِ أَياماً تَفَرِّقُهُ
 الْمَالُ عِنْدَكَ مَخْزُونٌ لَوَارِثِهِ مَا الْمَالُ مَالُكَ إِلَّا حِينَ تَنْفِقُهُ
 ومن شعره :

وَكَمْ قَالُوا تَمَنَّ فَكَلْتُ كَأْسًا يَطُوفُ بِهَا قَضِيبٌ فِي كَثِيبِ
 وَنَدْمَانًا تُسَاقِطُنِي حَدِيثًا كَلَحَظِ الْحَبِّ أَوْ غَضِّ الرَقِيبِ

قال إسحاقُ بنُ الضَّحَّاكِ بنِ الخَصِيبِ : جاءنى يوما أبو عبدِ الرحمنِ العَطْوِيُّ
 بعد وفاةِ عمى أحمدَ بنِ الخَصِيبِ بسنتين ، وكان صديقهُ وصنيعتُهُ ، فجلس عندى
 يحادثُنِي حديثهُ ويبكى ساعةً طويلةً ثم تَفَيَّمتُ السماءَ وَهَطَلَتْ فَسأَلْتُهُ أَن يُقِيمَ عندى ،
 فحلف ألا يفعل إلا بعد أَن أُخْضِرَهُ ما راجَ ^(١) من الطعام ، ولا أَتَكَلَّفَ لَهُ شيئاً
 ففعلتُ وجئتُهُ بما حضر . فقال لى : ما قَمَلْتُ عَقْدَ فقلتُ : باقيةٌ ، وهى فى يومنا
 هذا عندى . والساعةُ تسمعُ غِناءَها فقال لى : عَجَلٌ فَإِنَّ النِّهارَ قصيرٌ ثم أنشأ يقول :

أَدِرِ الْكَأْسَ قَدْ تَمَالَى النَّهَارُ مَا عَيِمْتُ الْهَمُومَ إِلَّا الْمُعْتَارُ
 صَاحَ هَذَا الشِّتَاءُ فَاغْدُ عَلَيْنَا إِنَّ أَيامَهُ لَدَاذٌ قِصَارُ
 أَيْ شَيْءٍ أَلَدَ مِنْ يَوْمٍ دَجَنٍ فِيهِ كَأْسٌ عَلَى الدَّامَى تُدَارُ
 وَقِيَانٌ كَأَنَّهُنَّ ظَبَاءٌ وَإِذَا قُلْنَ قَالَتِ الْأَوْتَارُ

ومن شعره :

الراح والنَّدْمَانُ أَحْسَنُ مَنَظَرَا مِنْ كُلِّ مُلْتَفٍّ الْحَدَائِقِ رَائِقِ
 فَإِذَا جَمَعَتْ صَفَاءَهُ وَصَفَاءَهَا فَارْجُمْ بِكُلِّ مُلَمَّةٍ مِنْ خَالِقِ

(١) ما راج من الطعام : ما تيسر وتها .

مانى الموسوس (١)

هو محمد بن القاسم ، وكُنِيَّتُهُ أَبُو الْحُسَيْنِ « ومانى لقب غلب عليه « قدم مدينة السلام ، شاعرٌ لَيْنُ الشعرِ رقيقه ليس له إلا الغزل وكان يُنشدُ الشيءَ ثم يخالطُ فيَقْطَعُه .

عزم محمد بن عبد الله بن طاهر على الصُّبُوحِ وعنده الحسن بن محمد بن طلوت فقال له محمد : كنا محتاجُ إلى أن يكون معنا ثالثٌ نَأْسُ به ونَلْدُ بمجادبته فن ترى أن يكون ؟ فقال ابن طلوت : قد خطرَ بيالى رجلٌ ليس علينا فى مجالستِهِ ثَقْلٌ ، قد خلا من إبرام المُجَالِسِينَ وبرى من ثَقْلِ المُوَاسِينِ « خفيفُ الوطأَةِ إذا أذِنْتَهُ « سريعُ الوَبْصَةِ إذا أَمَرْتَهُ ، فقال : من هو ؟ قال : مانى الموسوسُ فقال له محمد : ما أسأتَ الاختيارَ ثم تقدمَ إلى صاحب الشرطَةِ بطلبه وإحضاره ، فإِذَا كان بأسرع من أن قبضَ عليه صاحبُ رُبْعِ الكَرْخِ فوافى به بابُ محمد بن عبد الله فأَدْخَلَ ونُظِّفَ وأخذَ من شَعْرِهِ وَالْبَيْسَ ثِيَاباً نِظَافاً وأطعمَ شَيْئاً ، وأدخلَ على محمد ابن عبد الله « فلما مثلَ بين يديه سَلَّمَ فردَّ عليه وقال له ، أما آنَ لك أن تزورنا مع شوقنا إليك ؟ فقال له مانى : أعزَّ اللهُ الأميرَ « الشوقُ شديدٌ والودُّ عتيْدٌ « والحجابُ صَعْبٌ والبوابُ فَظٌ « ولو سَهَّلَ لنا الإذنُ لَسَهَّلْتُ الزِيَارَةَ عَلَيْنَا . فقال محمد : لقد لَطُفْتَ فى الاستئذانِ وأمرَه بالجلوسِ فجلسَ وأتى محمدٌ بجاريةٍ لإحدى بناتِ المَهْدِيِّ يقال لها منوسة كان يحبُّ السماعَ منها ، وكانت تُكثِرُ عنده فكان أوَّلَ ما غنَّته :

ولست بناسٍ إذ غَدَوَا فَتَحَمَلُوا دموعى على الخدين من شدةِ الوجَدِ

وقولى وقد زالتْ بِمَعْنَى مُحوْلُهُمْ بوا كَرَّ تُحْدَى لَا يَكُنْ آخِرَ الْعَهْدِ
فقال ماني : أياذنُ الأميرُ قال : فيأذا ؟ قال : في استحسن ما أسمعُ قال : نعم
قال : أحسنتِ والله ، فإن رأيت أن تریدی مع الشرِّ هذين البيتين :

وقتُ أنا جى القلبَ والدمعُ حارٌّ بمقلةٍ موقوفٍ على الضرِّ والجهدِ
ولم يُعْذِرْنِي هَذَا الأميرُ بَعْدَ لَهُ على ظالمٍ قد لَجَّ في الهجرِ والصدِّ
فقال له محمدٌ : من أى شىء استعديت يا ماني ؟ فاستحيا ، وقال : لا من ظالمٍ
أيها الأمير ولكنَّ الطربَ حركَ شوقاً كان كامناً فظهرَ ثم غنت :

حَجَبُوهَا عَنِ الرِّيحِ لِأَنِّي قاتُ يارِجُ بَلْفِيْهَا السَّلاما
لورضُوا بِالْحِجَابِ هَانَ وَلَكِنْ مَنَعُوهَا يَوْمَ الْوداعِ الْكَلَاما
فطربَ محمد ودعا بِرطلٍ فقال ماني : ما كان على قائلِ هذين البيتين لو أضاف
إليهما هذين البيتين :

فَتَنَفَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ لَطِيفِي وَبِكَ إِنْ زُرْتُ طَيْفِيهَا إِلَاما
حَيَّهَا بِالسَّلامِ سِرًّا وَإِلَا مَنَعُوهَا لَشِقْوَتِي أَنْ تَنَاما
فقال محمد أحسنت يا ماني ثم غنت :

يا خَلِيلِي سَاعَةً لَا تَرِيَا وَعَلَى ذِي صَبَابَةٍ فَأَقِيَا
مَا مَرَرْنَا بِقَصْرِ زَيْنَبِ إِلَّا فَضَحَ الدَّمْعُ سِرًّا لِمَا كَتُمَا

فقال ماني : لولا هيمَةُ الأميرِ لَأَضَفْتُ إِلَى هذين البيتين بيتين لا يردان على
سَمْعِ ذِي لُبٍّ فَيَصُدُّرَانِ إِلَّا عَنِ اسْتِحْسانِ . فقال محمد : الرغبةُ في حسن ما تأتي
به حائلةٌ عن كلِّ رَهْبَةٍ فَهَاتِ مَا عِنْدَكَ فقال :

ظَبِيَّةٌ كَالْهَلَالِ لَوْ تَلَحَّظُ الصَّخْ - بِطَرْفٍ لِفَاعِدَرْتَهُ هَشِيَا
وَإِذَا مَا تَبَسَّمَتْ خِلَتْ مَا يَدِ دُومِنِ الثَّمْرِ لَوَلُّوا مَنْظُومَا

فقال له محمد : إن أحسنَ الشعرِ « ما دام الإنسانِ يشرب ، ما كان مَكْسُورًا
لحنًا حسنًا تُفَنِّي فيه مَنُوسَةٌ وأشباهُها فإن كَسَتْ مَنُوسَةٌ شِعْرَكَ من الأَلحانِ مثلاً
غَنَّتْ قَبْلَهُ طابَ ، قال : ذلك إليها ، فقال له ابنُ طالوت : يا أبا الحسين كيف هي
عندك في حُسْنِها وَجَمالِها وَغنائِها وأدبِها » فقال : هي غايَةٌ يَنْتَهِي إليها الوَصْفُ
ثم يَقِفُ قال : قل في ذلك شعرا قال :

وكيف صَبَرُ النفسِ عن غادَةٍ تَظَلِّمُها إن قلتَ طاووسَه
وَجُرَّتَ إن شَبَّهْتِها بانَّةً في جَنَّةِ الفردوسِ مَغرُوسَه
وغيرُ عدلٍ إن عَدَلْنَا بها لؤلؤةٌ في البحرِ مَنفُوسَه
جَلَّتْ عن الوصفِ فما فِكرَةٌ تَلَحُّقُها بالوصفِ مَحسُوسَه

فقال له ابنُ طالوت : قد وجب شُكْرُكَ يا ماني فساَعَدَكَ دَهْرُكَ . وَعَظَفَ
عليك إلفُكَ ونِلْتَ سرُورَكَ وفارقتَ مَحذورَكَ ، والله يديمُ لنا ولكَ بقاءَ من
يُبْقائِهِ ، اجتمعَ شَمَلُنَا وطابَ يومُنَا فقال ماني وقد نَهَضَ للانصراف :
مُدْمِنُ التَّخْفِيفِ مَوْصُولُ وَمَطِيلُ اللَّبْثِ كَمَلُولُ

وأنا أَسْتودِعُكُمْ اللهَ . ثم قام وانصرف . فأمر له محمدُ بنُ عبدِ الله بِصِلَةٍ ثم
كان كثيراً ما يبعثُ بِطَلْبِهِ إذا شَرِبَ فَيَبْرَهُ وَيَصِلُهُ وَيَقِيمُهُ عنده .

قال بمضِ الكتابِ : كان ماني يَلْزَمُنِي ويكثرُ عندي . قال : فَلَقِيَنِي ماني يَوْمًا
بمدِ انقطاعِهِ عَنِّي ، فقال : ما قَطَمَنِي عنكَ إلا أُنِّي هائِمْ ، قلت : بمن ؟ قال : بمن
إن شِئْتَ أن تراه الساعةَ رَأَيْتَهُ وَعَدَرْتَنِي ، قلت : فأنا معكَ ، فضى معي حتى
وَأَتَى بابَ الطاقِ فأَرَانِي غُلَامًا جَمِيلَ الوجهِ بين يدي بَرَارٍ في حانوتِهِ فلما رآه الغلامُ
عدا فدَخَلَ الحانوتَ ووقفَ ماني طويلاً يَنْتَظِرُهُ فلم يَخْرُجْ فَأَنْشَأَ يقولُ :
ذَنبِي إِلَيْهِ خُضُوعِي حِينَ أَبْصِرَهُ وَطُولُ شَوْقِي إِلَيْهِ حِينَ أَذْكَرُهُ

وَمَا جَرَحْتُ بِلَحْظِ الْإِيمَنِ وَجَنَّتَهُ إِلَّا وَمِنْ كِبْدِي يَقْتَصُّ مَحْجَرُهُ
نَفْسِي عَلَى مُبْخَلِهِ تَقْدِيهِ مِنْ قَمَرٍ وَإِنْ رَمَانِي بِذَنْبٍ لَيْسَ يَغْفِرُهُ
وَعَاذِلِي بِاصْطِبَارِ الْقَلْبِ يَا مَرْنَى فَقُلْتُ مِنْ أَيْنَ لِي صَبْرٌ فَأَهْجُرُهُ
وَمَضَى يَمْدُو وَيَصِيحُ: الْمَوْتُ مُخْبِئٌ فِي الْبَيْتِ .

مُحَمَّدُ أَبُو الْعَبْرِ (٢)

هو أبو العباس محمد بن أحمد ، وَيُلَقَّبُ حَمْدُونُ الحامضُ بن عبد الله بن عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، صالحُ الشعرِ مطبوعٌ يقول الشعرَ الجيدَ في أولِ عُمرِهِ ، منذُ أيامِ الأُمَيْنِ وهو غلامٌ إلى أن وَلِيَ المَتَوَكِّلُ الخلافةَ ، وَتَرَكَ الْجَيْدَ الْمُسْتَوَى ، وعدلَ إلى الحُفَاقِ ، وقد نيفَ على الحُسَيْنِ ، ورأى أن شعرَهُ مع تَوَسُّطِهِ لا يَتَّفِقُ مع مُشَاهَدَتِهِ أبا تمامٍ والبَحْتَرِيِّ وابنَ أَبِي حَفْصَةَ ونظرائِهِمْ . وَغَيَّرَ كُنْيَتَهُ بعدَ أَبِي العباسِ فجعلَهَا أبا الْعَبْرِ ، ثم كان يَزِيدُ فِيهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ حَرْفًا فَمَاتَ وَهِيَ أبا العبرِ طردَ طبلَ طَلَبْرِى يَكْ يَكْ يَكْ قالَ حَمْدُونُ الحامضُ ابنُ ابْنِهِ أبا العبرِ وَلِدَ بعدَ خَمْسِ سِنِينَ خَلَتْ مِنْ خِلافةِ الرَّشِيدِ ، وَعُمِّرَ إلى خِلافةِ المَتَوَكِّلِ ، فَكَسَبَ بِالْحَقِّ أَضْعَافَ مَا كَسَبَهُ كُلُّ شَاعِرٍ كانَ فِي عَصْرِهِ بِالْجَيْدِ الجَدِّ وَنَفَقَ نَفَاقًا عَظِيمًا ، وَلَهُ فِي المَتَوَكِّلِ مَدَائِحُ مَدَحَها وَوَصَفَ قَصْرَهُ وَبُرْجَ حَمَامٍ وَهِيَ كَثِيرَةٌ المُحَالِ مُفْرَطَةُ السَّقُوطِ لا مَعْنَى لَهَا (٢) بَيْنَ مَشْهُورِهِ . قالَ الزَّيْبِيُّ بنُ بَسْكَارٍ : قالَ لى عَمِي : أَلَا يَأْنِفُ الخَلِيفَةُ لابْنَ عَمِّهِ هَذَا الجاهِلِ مِمَّا قَدْ شَهَرَ بِهِ نَفْسَهُ وَفَضَّحَ عَشِيرَتَهُ ، وَاللَّهُ إِنَّهُ لَيَمُرُّ بَنى آدَمَ جَمِيعًا فَضلاً عَنْ أَهْلِ الأَدْنَيْنِ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُ لَيْسَ بِجاهِلٍ كما تَقْدِرُ وَإِنَّمَا يَتَجاهَلُ ، وَإِنْ لَهُ لأَدَبًا صالِحًا وشِعْرًا طَيِّبًا ثُمَّ أُنشَدَتَهُ قَوْلُهُ :

لا أقول اللهُ يَظْلِمُنِي كيفَ أَشْكُو غيرَ مُتَّهِمٍ
وَإِذَا ما الدَّهْرُ ضَمَّضَعَنِي لَمْ تَجِدْنِي كَافِرَ النِّعَمِ

(١) الأغانى أميرى ٢٠ : ٨٩

(٢) لا معنى لذكرها سبباً وقد شهرت بين الناس (أغانى) ٢٠ / ٩٠ .

قَنِيتَ رُوحِي بِمَا رُزِقْتَ وَتَنَاهَيْتَ فِي الْمَلَاهِمِي
لَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى كَرَمِي وَبِهِ أُمْنِي مِنَ الْعَدَمِ

فقال لي : ويحك ! ولم لا يلزم هذا وشبهه ؟ فقلت : لو رأيت ما يصل إليه من هذه الحماقات لعذرتَه . وإن ما استملحتَه له لم ينفق به . فقال ، وقد غَضِبَ : أنا لا أعذره في هذا . ولو حاز به الدنيا بأسرها ، لا عذرتني الله إن عذرتَه .

قال أبو العنيس الصِّيمَرِيّ : قلت لأبي العبر ، ونحن في دارِ المتوكل : ويحك ما حملَكَ على هذا السُّخْفِ الذي قد ملأت به الأرضَ شعراً وقِصصاً وخُطباً . وأنت أديبٌ ظريفٌ مليحُ الشعرِ فقال لي : يا كُشْخَانُ أريد أن أكُسدَ أنا وتنفقَ أنت ، أنت أيضاً شاعرٌ فهِمُ متكلمٌ قد تركت العلمَ وصنعتَ في الرَّقَاعَةِ نيفاً وثلاثين كتاباً ، أحبُّ أن تجربني لو نفقَ العقلُ أَكُنْتَ تُقدِّمُ على البحريِّ . وقد قال في الخليفة بالأمس :

عَنْ أَيْ ثَغْرِ تَبْتَسِمِ وَبِأَيِّ طَرَفٍ تَحْكُمِ

فلما خرجت أنت عليه وقلت :

فِي أَيْ سَلَحٍ تَرْتَطِمِ وَبِأَيِّ كَفٍّ تَلْتَطِمِ

أدخلتَ رأسَكَ في الرِّحْمِ وَعَلِمْتَ أَنَّكَ تَنْهَزِمِ

فأعطيتَ الحائزةَ وحُرِمَ هو وقُرِبَتْ وأُبْمِدَ ، في حِرِّ أُمَّكَ وَحِرِّ أُمَّ كُلِّ عَاقِلٍ مَعَكَ فتركتَه وانصرفت .

قال مُدْرِكُ : قال لي أبو العنيس : قد بلغني أنك تقول الشعرَ فإن قَدَرْتَ أن تقولَ جيداً جيداً ، وإلا فليكنْ بارداً بارداً مثلَ شعرِ أبي العبر ، وإياك الفاتِرَ فإنه صَفْعٌ كُلُّهُ . قال أبو العِيناء : أنشدت أبا العبر قولَ المأمون :

مَا الْحُبُّ إِلَّا قُبْلَةٌ وَغَمْرُ كَفٍّ وَعَضْدٌ

أَوْ كَتَبٌ فِيهَا رُقَى أَنْفَذَ مِنْ نَفْسِ الْعَقْدِ

من لم يكن ذا حُبِّه فإِما يعني الولدَ
ما الحبُّ إلا هكذا إن نُكِّحَ الحبُّ فسَدَ

فقال: كذب المأمونُ وأكل من خَرايَ رطلَيْنِ ورُبُّما بالميزان، وقد أخطأ وأساء.
إلا قال كما قلت :

باضَ الحبُّ في قلبي فوا وَيْلِي إذا فَرَّخَ
وما يَنْفَعُنِي حُبِّي إذا لم أَكُنْسِ البرَّيغَ
وإن لم يَطْرَحِ الأَصْدُ عُ خُرْجِيهِ على المَطْبَخِ

ثم قال: كيف رأيتَ؟ قلت: عجبا من العَجَبِ: فقال: ظننتُ أنك تقولُ لا .
فأَبْلَ يَدِي وأُرفَعُها، ثم سَكَتَ فبادرتُ وانصرفتُ خوفا من شرِّه .

وكان يجلسُ بِسُرٍّ من رأى في مَجْلِسٍ له يجتمعُ إليه المُجَانُّ يكتبون عنه
وكان يَقْعُدُ على سُلَّمٍ . وبين يديه بَلَّاعَةٌ فيها ماءٌ وَحَمَاءَةٌ وقد سَدَّ مَجْرَاهَا وبِيده
قَصْبَةٌ طَوِيلَةٌ وعلى رأسه خُفٌّ وفي رِجْلَيْهِ قَلَنْسِيَتَانِ وَمُسْتَمْلِيَةٌ فِي جَوْفِ بَيْتٍ ،
وحوله ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ يَدْفُقُونَ بالهواوينِ حَتَّى تَكْثُرَ الجَلْبَةُ وَيَقْلَّ السَّاعُ ، وإن ضَحَكَ
أَحَدٌ مِنْ حَضَرٍ صَبَّوْا على رأسه من ماءِ البَلَّاعَةِ إن كان وَضِيعاً وإن كان ذا مَرُوءَةٍ
رُشَّ عَلَيْهِ بالقَصْبَةِ من مَائِهَا .

وكان أبوه شيخاً صالحاً ، وكان لا يُكَلِّمُهُ فقال له بعضُ إِخْوَانِهِ لِمَ هَجَرْتَ ابْنَكَ؟
قال: قد فَضَحَنِي كما تَعْلَمُونَ مِنْ أَمْرِهِ بما يَمْكُلُهُ بِنَفْسِهِ ، ثم لا يَرْضَى بِذَلِكَ حَتَّى
يُهَجِّجَنِي وَيُؤْذِنِي وَيُضْحِكُ النَّاسَ مِنِّي ، فقالوا له: بماذا هَجَّجَكَ؟ قال: اجتازَ عليَّ
مِنْذُ أَيَّامٍ ومَعَهُ سُلَّمٌ . فقلتُ له: « ما هذا مَمَكٌ؟ فقال: لا أَقولُ لك، فأَخْجَلَنِي وَأَضْحَكَ
بِي مِنْ كَانِ عِنْدِي » فلما كان بَعْدَ أَيَّامٍ اجتازَ ومَعَهُ سَمَكَةٌ . فقلتُ له ما تَصْنَعُ بِهِذِهِ
فقال أَنِيكُهَا، فَخَلَفْتُ لَا أَكَلَّمُهُ أَبَدًا .

سأل رجلُ أبا العبر عن المِخْلَاطِ التي يتكلمُ بها ، أيُّ شَيْءٍ أَصْلُهَا ؟ قال : أبْكُرُ
فأجلسُ على الجِسرِ ومعى دَوَاةٌ وَدَرَجٌ فَأَكْتُبُ كلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ من كلامِ المَلَّاحِينَ
والمُكَّارِينَ والذَّاهِبِ والجَائِي حتى أَمْلَأُ الدَّرَجَ من الوجْهِينِ ثم أَقْطَعُهُ عَرْضًا وَالصِّقَةَ
مُخَالَفًا فيجىءُ منه كلامٌ ليس في الدنيا أَحَقُّ منه .

قال أبو الفرج : قال عَمِّي رَأَيْتُ أبا العبر واقفا على بَعْضِ الآجَامِ بِسْرٌ من رَأى
وبيده اليُسْرَى قَوْسٌ جَلاهِقٌ ^(١) وعلى يده اليَمْنَى بَاشِقٌ وعلى رأسه قِطْعَةٌ رَثَّةٌ
في جِبلٍ مَشْدُودٍ بِأَنْشُوطَةٍ وهو عَرِيَانٌ وفي أَيْرِهِ شَعْرٌ مَفْقُولٌ مَشْدُودٌ فِيهِ شِصٌّ
قد أَلقاهُ في الماءِ لِلسَّمَكِ وعلى شَفَتَيْهِ دُوشَابٌ مُلَطَّخٌ فَقُلْتُ لَهُ : خَرَبَ اللَّهُ يَتَكَ «
ما هذا ؟ قال : أَصْطَادُ يَا كَشْخَانُ يَا أَحْمَقُ ، بِجَمِيعِ جَوَارِحِي « إِذَا مَرَّ بِي طَائِرٌ
رَمَيْتُهُ عَنِ الْقَوْسِ ، وَإِنْ سَقَطَ قَرِيبًا مِنِّي أَلْقَيْتُ عَلَيْهِ الْبَاشِقَ ، وَالرُّثَّةُ الَّتِي عَلَى رَأْسِي
تَجِيءُ الْحِدَا لَتَأْخُذَهَا فَتَقْعُ فِي الْوَهْقِ ^(٢) والدُوشَابُ أَصْطَادُ بِهِ الذَّبَابُ وَأَجْمَلُهُ
فِي الشِّصِّ فَيَطْلُبُهُ السَّمَكُ فَيَقْعُ فِيهِ ، وَالشِّصُّ فِي أَيْرِي فَإِذَا مَدَّتْهُ السَّمَكَةُ أَحْسَسْتُ
بِهَا فَأَخَذَهَا .

وكان التوكُّل يرمى به في المنجنيقِ إِلَى الماءِ ، وعليه قَيْصٌ حَرِيرٌ فَإِذَا عَلَا
فِي الْهَوَاءِ قَالَ : الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ ثُمَّ يَقَعُ فِي الْمَاءِ فَيُخْرِجُهُ السَّبَّاحُ ، وَكَانَ يَجْلِسُهُ
عَلَى زَلَّافَةٍ فَيَنْحَدِرُ بِهِ حَتَّى يَقَعُ فِي الْبِرْكَةِ ثُمَّ يَطْرَحُ الشَّبَكَةَ فَيُخْرِجُهُ كَمَا يُخْرِجُ
السَّمَكَ .

قدم أبو العبر بَنَدَادَ في أَيَّامِ الْمُسْتَعِينِ ، وَجَلَسَ لِلنَّاسِ فَبَعَثَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ
فَأَخَذَهُ وَحَبَسَهُ فِصَاحَ فِي السَّجَنِ : نَصِيحَةٌ فَأَخْرَجَ وَدَعَا بِهِ إِسْحَاقُ فَقَالَ : هَاتِ

(١) الجَلاهِقُ : جِسْمٌ صَغِيرٌ كَرُومٍ مِنْ طِينٍ أَوْ رِصَاصٍ يرمى به . وَقِيلَ هِيَ الْقَوْسُ الَّتِي يرمى

بِهَا الْبَنْدَقُ .

(٢) الْوَهْقُ : جِبلٌ فِي وَسْطِهِ أَنْشُوطَةٌ يَطْرَحُ فِي غَنَى الدَّابَّةِ حَتَّى تَتَوَخَّذَ .

نصيحته. فقال: علي أن تؤمنني؟ قال: قد أمنتك. قال: الكشكشة أصلحك الله لا تطيب إلا بالكشك، فضحك إسحاق وقال: هو فيها أرى مجنون. فقال: لا هو امتخط حوت فقال له: ما هو امتخط حوت؟ قال: زعمت أني مجبت نونا وما قطب فعلم ما قال. وتبسّم ثم قال: أظن أني فيك مأثوم فقال: لا ولكنك في ماء بصل: فقال أخرجوه عني إلى لعنة الله، ولا يقيم في بغداد فأردّه إلى الحبس فعاد إلى سرّ من رأى.

وكان أبو العبر شديد البُغض لعلّي بن أبي طالب عليه السلام. وله في العلويين هجاء قبيح.

وكان سبب موته أنه خرج إلى الكوفة ليرمي بالبندق مع رماة من أهلها في آجامهم فسمعه بعض الكوفيين يقول في علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قولاً قبيحاً استحلّ به دمه، فقتله في بعض الآجام وغرقه.

كان أبو العبر يقول: إذا حدثك إنسان بمحدث لا تشتهي أن تسمعه فاشتغل عنه بشتف إبطك حتى يكون هو في عمل وأنت في عمل.

ومن شعره .

أبكى إذا غضبت حتى إذا رصيت	بكيت عند الرضا خوفاً من الغضب
فالويل إن غضبت والمول إن رصيت	إن لم يتم الرضا فالقلب في تعب

نُصَيْبُ (١)

هو نُصَيْبُ بْنُ رَبَاحٍ مَوْلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ . وَكَانَ لِبَعْضِ الْعَرَبِ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ السَّاكِنِينَ بَوْدَانَ . فَاشْتَرَاهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ مِنْهُمْ . وَقِيلَ : بَلْ كَانُوا أَعْتَقُوهُ . فَاشْتَرَى عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَاءَهُ مِنْهُمْ . وَقِيلَ : بَلْ كَاتَبَ مَوَالِيَهُ فَأَدَّى عَنْهُ مَكَاتِبَتَهُ . وَقِيلَ : كَانَ مِنْ قَضَاعَةِ ثَمٍّ مِنْ بِلَالَى وَكَانَتْ أُمُّهُ أَمَةً سَوْدَاءَ . فَوَقَعَ عَلَيْهَا سَيْدُهَا فَجَاءَتْ بِنُصَيْبٍ . فَوُثِبَ عَلَيْهِ عَمُّهُ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِفَاعِهِ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ . وَقِيلَ : كَانَ أَبُوهُ مِنْ كِنَانَةَ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ ، وَكَانَ نُصَيْبُ شَاعِرًا فَخْلًا فَصِيحًا مُقَدِّمًا فِي النَّسِيبِ وَالْمَدْحِ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ حَظٌّ فِي الْمَهْجَاءِ . وَكَانَ عَفِيفًا . يُقَالُ : إِنَّهُ لَمْ يَنْسُبْ قَطُّ إِلَّا بِأَمْرَاتِهِ .

وَذَكَرَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ نُصَيْبٍ عَنْ عَمَّتِهِ عَوْصَةَ (٢) بَنَتْ نُصَيْبَ أَنْ نُصَيْبًا كَانَ ابْنُ نُورَيْيْنِ سَبْيَيْنِ كَانَا لَخْرَاعَةً ثُمَّ إِنَّ سَلَامَةَ أُمِّ نُصَيْبٍ اشْتَرَتْهَا امْرَأَةً مِنْ خُرَاعَةِ ضَمْرِيَّةٍ حَامِلًا بِنُصَيْبٍ فَأَعْتَقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا . وَقِيلَ : كَانَ نُصَيْبُ مِنْ أَهْلِ وَدَّانَ عَبْدًا لِرَجُلٍ مِنْ كِنَانَةَ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ . وَكَانَ أَهْلُ الْبَادِيَةِ يَدْعُوْنَهُ النُّصَيْبَ تَفْخِيمًا لَهُ . وَيَرْوُونُ شِعْرَهُ .

قَالَ نُصَيْبُ : قُلْتُ الشُّعْرَ وَأَنَا شَابٌّ ، فَأَعْجَبَنِي قَوْلِي كَجُمَلَتُ آتَى مَشِيخَةً مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ فَأَنْشِدُهُمُ الْقَصِيدَةَ مِنْ شِعْرِي ثُمَّ أَنْسَبُهَا إِلَى بَعْضِ شُعْرَائِهِمُ الْمَاضِي . فَيَقُولُونَ : أَحْسَنَ وَاللَّهِ ، هَكَذَا الْكَلَامُ . هَكَذَا الشُّعْرُ . فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْهُمْ

(١) أغاني دار الكتب ١ : ٣٢٤ - مهذب ٩٢/٧ تجريد ١٠٨

(٢) غرصة (أغاني : ٣٢٤) .

عَلِمْتُ أَيُّ مُحْسِنٍ ، فَاجْمَعُوا وَاجْمَعْتُ ^(١) الْخُرُوجَ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَهُوَ
يَوْمَئِذٍ بِمِصْرَ . فَقُلْتُ لِأُخْتِي أُمَامَةَ : وَكَانَتْ عَاقِلَةً جَلَدَةً : أَيُّ أُخِيَّةٍ إِنِّي قُلْتُ
الشَّعْرَ ، وَأَنَا أُرِيدُ بِهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَأَرْجُو أَنْ يُعْتَفِكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
بِهِ وَأُمَّكَ وَمَنْ كَانَ مَرْفُوعًا مِنْ أَهْلِ قَرَابَتِي قَالَتْ : إِنْ أَلَّ اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .
يَا بِنْتُ أُمِّ أَتَجْمَعُ عَلَيْكَ الْخَصْلَتَيْنِ السَّوَادَ وَأَنْ تَكُونِ ضُحْكَةً ^(٢) لِلنَّاسِ !! قُلْتُ :
فَاسْمِعِي ، فَأَنْشَدْتُهَا فَسَمِعَتْ ، فَقَالَتْ : يَا بِنْتُ أَنْتِ : أَحْسَنْتِ وَاللَّهِ فِي هَذَا ، وَاللَّهِ
رَجَاءٌ عَظِيمٌ ، فَأَخْرَجَ عَلَى بَرَكَاتِهِ اللَّهُ ، فَخَرَجْتُ عَلَى قُمُودٍ لِي ، حَتَّى قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ
فَوَجَدْتُ بِهَا الْفَرَزْدَقَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَرَجْتُ إِلَيْهِ ،
فَقُلْتُ : أَنْشِدْهُ وَأَسْتَنْشِدْهُ وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ شِعْرِي ، فَأَنْشَدْتُهُ . فَقَالَ لِي : وَيْلَكَ أَهَذَا
شِعْرُكَ الَّذِي تَطْلُبُ بِهِ الْمُلُوكَ !! قُلْتُ : نَعَمْ قَالَ : فَلَسْتُ فِي شَيْءٍ . إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ
تَكْتُمَ عَلَى نَفْسِكَ فَاغْمَلْ . قَالَ : فَاغْمَضْتُ عَرَفًا ^(٣) فَحَصَّبَنِي ^(٤) رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ
كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْفَرَزْدَقِ وَقَدْ سَمِعَ إِنْشَادِي وَسَمِعَ مَا قَالَ لِي الْفَرَزْدَقُ : فَأَوَمًّا
إِلَيَّ فَقُمْتُ إِلَيْهِ . فَقَالَ لِي : وَيْحَكَ أَهَذَا شِعْرُكَ الَّذِي أَنْشَدْتَهُ لِلْفَرَزْدَقِ ؟ قُلْتُ :
نَعَمْ . قَالَ : قَدْ وَاللَّهِ أَحْسَنْتَ ، لَنْ كَانَ الْفَرَزْدَقُ شَاعِرًا إِنَّا لَنَعْرِفُ مُحَاسِنَ الشَّعْرِ
وَقَدْ : وَاللَّهِ ، حَسَدُكَ فَاغْمِضْ لَوَجْهِكَ وَلَا يَكْسِرَنَّكَ قَالَ : فَسَرَّيْنِي قَوْلُهُ وَعَلِمْتُ
أَنَّهُ صَدَقَنِي فِيمَا قَالَ ، فَاهْتَرَمْتُ عَلَى الْمُضِيِّ . قَالَ : فَضِئْتُ فَقَدِمْتُ مِصْرَ عَلَى
عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَخَضِرَتْ بَابَهُ مَعَ النَّاسِ ، فَتَحَّيْتُ عَنْ مَجْلِسِ الْوُجُوهِ
فَكُنْتُ وَرَاءَهُمْ . وَرَأَيْتُ رَجُلًا عَلَى بَلَقٍ حَسَنٍ الْمَدْخَلِ ^(٥) يُؤَذِّنُ لَهُ إِذَا جَاءَ

(١) أَغَانِي : فَأَزْمَعُوا وَأَزْمَعْتُ ٣٢٥/١

(٢) الضُّحْكَةُ ، بَضْمٌ فَسُكُونٌ : مَنْ يَضْحَكُ مِنْهُ .

(٣) اغْمَضَ الرَّجُلُ عَرَفًا وَقَضَعَ : غَرَقَتْ أَصُولُ شَعْرِهِ وَلَمْ يَبْتَلِ .

(٤) حَصَّبَنِي : رَمَانِي بِالْحَصْبَاءِ .

(٥) حَسَنُ الْمَدَارَةِ : سَهْلُ الْمَدْخَلِ (أَغَانِي ١ : ٣٢٦) .

فانصرف إلى منزله وانصرفت معه أمانتي بفعلته ۝ فلما رأي قال : ألك حاجة ؟
قلت : نعم ۝ أنا رجل من أهل الحجاز شاعر ، وقد مدحت الأمير وخرجت راجياً
لمعروفه ، وقد ازدريت من الباب ونجيت ۝ قال : فأنشدني . فأنشدته وأعجبه
شعري فقال : ويحك ! ! أهذا شعرك ! إياك وأن تنتحل ، فإن الأمير راوية
عالم بالشعر ۝ وعنده رواة فلا تفصحني ونفesk ، فقلت : والله ما هو إلا شعري .
قال : ويحك ! ! قلل أبياتاً تذكر فيها خوف مصر وفضلها على غيرها وأقيني بها
غداً ، فغدوت عليه من غد فأنشدته قولي :

سرى الهم حتى يثني طلائمه^(١) بمصر وبالخوف اغترتني روائمه
وبأت وسادي ساعد قل لحمه عن العظم حتى كاد تبدؤ أشاجمه
وذكر فيها الغيث فقال :

وكم دون ذاك العارض البارقي الذي له اشتقت من وجه أسيل مداممه
تمشي به أكناف بكره ومدحج وأفناء عمرو وهو خصب مرابمه
فكل مسيل من تهامة طيب دميث الرثا تسقي النجاد دوافمه
أعني على برقي أربك وميضه تضي دجنات الظلام لواممه
إذا اكتملت عينا محب بضوته تجافت به حتى الصباح مضاجمه
هنيئاً لأم البختري الروي به وإن أنهج الحبل الذي أنا قاطمه
وما زلت حتى قلت إني لخالغ ولائي من مولى نمتني قوارعه
وما نوح قوم أنت منهم مودتي ومتخذ مولاك مولى فتابعه
فقال : أنت والله شاعر ! أحضر بالباب فأني ذا كرك . قال : جلست على

(١) سرى الهم تثني إليك طلائمه (أغاني ١ / ٣٢٧) .

الباب ودخل فما ظننت أنه أمكنه أن يذكركني حتى دُعيتُ بي فدخلتُ فسلمتُ على عبد العزيز بن مروان فصعدتُ في بصره وصوبه ثم قال : أشاعر ! ويلك ! ! قلت : نعم ، أيها الأمير . قال : فأنشدني فأنشدته فأعجبه . وجاء الحجاب فقال : أيها الأمير هذا أيمن بن خريم الأسديّ بالباب . قال : فأنذني له . فدخل وأطمأن . فقال له : يا أيمن كم ترى ثمن هذا العبد ، فنظرَ إلى وقال : والله لنعم الغادي في أثر الخاض . هذا أرى ثمنه مائة دينار ، قال : فإن له شعرًا وفصاحة فقال أيمن : أقول الشعر ؟ قلت : نعم ، قال : قيمته ثلاثون دينارًا ، قال : يا أيمن أرفعته وتخفّضه أنت ! ! فقال : نعم ، لكونه أحقّ أيها الأمير ، ما لهذا ولشعر ! ! أمثلُ هذا يقول الشعر ويُحسّنه ! ! ؟ فقال : أنشده يا نصيب فأنشدته . فقال له عبد العزيز : كيف تسمع يا أيمن ؟ قال : شعر أسود هو أشعر أهل جلدته . فقال : هو والله أشعر منك قال : أمي أيها الأمير ! ! قال : إي والله منك . قال : والله أيها الأمير إنك للمول طرف . قال : كذبت والله ما أنا كذلك ! ولو كنتُ كذلك ما صيرتُ عليك تنازعني التّجّية وتواكلني الطعام وتبكي على وسائدي وفرّسي ، وبك الذي بك ! ! يعني وضحا كان بأيمن . قال : أنذني لي أخرج إلى بشر بالعراق واحملني على البريد . قال : أذنتُ لك ، وأمر به لحمل على البريد إلى بشر بن مروان . فقال : أيمن بن خريم أبيتاه المذكورة في رحمته :

رَكِبْتُ مِنَ الْمُقَطَّمِ فِي مُجَادَى إِلَى بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ الْبَرِيدَا

فَاعْطَاهُ بَشْرٌ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمًا .

ولما توجهَ إلى بشر بن مروان جازَ في طريقه بعبد الملك بن مروان ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أريدُ أخاك بشر يا أمير المؤمنين : قال : أنتجوزني ! !

قال : إِي وَاللَّهِ أَجُوزُكَ إِلَى مَنْ قَدِمَ إِلَيَّ وَطَلَبَنِي قَالَ : فَلِمَ فَارَقْتَ صَاحِبَكُمْ ^(١) قَالَ :
أَرَأَيْكُمْ يَا بَنِي أُمَيَّةَ تَتَّخِذُونَ لِلْفَتَى مِنْ فِتْيَانِكُمْ مُوَدِّبًا وَشَيْخُكُمْ وَاللَّهُ مُحْتَاجٌ
إِلَى خَمْسَةِ مُوَدِّبِينَ ۖ فَسَرَّ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ ۖ وَكَانَ عَازِمًا عَلَى أَنْ يَخْلَعَهُ وَيَعْقِدَ
لَا بَنِيهِ الْوَلِيدَ .

وقيل : كَانَ نَصِيبُ حَبَشِيًّا يَرعى إِبِلًا لِمَوَالِيهِ فَأُضِلَّ مِنْهَا بَعِيرًا ، فَخَرَجَ فِي طَلَبِهِ
حَتَّى بَلَغَ الْفُسْطَاطَ وَبِهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ۖ وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدِ أَخِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ
فَقَالَ نَصِيبُ : مَا بَعْدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَحَدٌ اعْتَمَدُهُ لِحَاجَتِي !! فَأَتَى الْحَاجِبَ فَقَالَ :
اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى الْأَمِيرِ ، فَإِنِّي قَدْ هَيَّأْتُ لَهُ مَدِيحًا ۖ فَدَخَلَ الْحَاجِبُ فَقَالَ : أَصْلَحَ
اللَّهُ الْأَمِيرَ بِالْبَابِ رَجُلٌ أَسْوَدُ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ بِمَدِيحٍ قَدْ هَيَّأَ لَكَ ۖ وَظَنَّ عَبْدُ الْعَزِيزِ
أَنَّهُ يَهْزَأُ بِهِ وَيُضْحِكُهُمْ ، فَقَالَ : مُرْهُ بِالْحُضُورِ لِيَوْمِ حَاجَتِنَا إِلَيْهِ ، فَفَدَا نَصِيبُ
وَرَاحَ إِلَى بَابِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، فَأَتَاهَا آتٍ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بِمَا يَسْرُهُ فَأَمَرَ
بِالسَّرِيرِ فَأُبْرِزَ لِلنَّاسِ ، وَقَالَ : عَلَيَّ بِالْأَسْوَدِ ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يُضْحِكَ النَّاسَ مِنْهُ
فَدَخَلَ فَلَمَّا كَانَ حَيْثُ يَسْمَعُ كَلَامَهُ قَالَ :

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ	وغيرهم نعم غامرة
فبَابُكَ الْيَنُ أَبْوَابِهِمْ	ودارك مأهولة عامرة
وكلبك أنس بالمُعْتَفِينَ	من الأم بابتها الزائرة
وكفك حين ترى السائلية	ن أندى من الليلة الماطرة
فمنك المطاة ومنى الثناء	بكل محبرة سائرة

فَقَالَ : أَعْطَوْهُ أَلْفَ دِينَارٍ . قَالَ : إِنِّي مَمْلُوكٌ ۖ فَدَعَا الْحَاجِبَ فَقَالَ : اخْرُجْ
فَأَبْلِغْ فِي قِيمَتِهِ ۖ فَدَعَا الْمُقَوِّمِينَ ۖ فَقَالَ : قَوْمُوا غُلَامًا أَسْوَدَ لَيْسَ بِهِ عَيْبٌ .
فَقَالُوا : مَاتَهُ دِينَارٌ . فَقَالَ : إِنَّهُ رَاعٍ لِلْإِبِلِ ۖ يُحَسِّنُ الْقِيَامَ عَلَيْهَا . قَالُوا : مَا ثَمَّا

دينار . قال : إنه يَبْرِي الْقِسِيَّ وَيُقَفِّهَهَا وَيَرْمِي النَّبْلَ وَيَرِشُهَا قَالُوا : أَرْبَعُمِائَةٍ
دينار . قال : إنه رَاوِيَةٌ لِلشَّعْرِ بَصِيرٌ بِهِ قَالُوا : سِتْمِائَةُ دِينَار . قال : إنه شَاعِرٌ
لَا يَلْحَنُ حَرْفًا^(١) ، قَالُوا : أَلْفُ دِينَار . فقال عَبْدُ الْعَزِيزِ : اذْفَعُوهَا إِلَيْهِ . قال : أَصْلَحَ اللَّهُ
الْأَمِيرَ ، ثَمَّنُ بَعِيرِي الَّذِي أَضَلَّتْ : قال : وَكَمْ ثَمَنُهُ ؟ قال : خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ
دينارًا . قال : اذْفَعُوهَا إِلَيْهِ . قال : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، جَازَيْتَ لِنَفْسِي عَنْ مَدِيحِي
إِيَّاكَ . قال : اشْتَرِ نَفْسَكَ ثُمَّ عُدْ إِلَيْنَا ، فَأَتَى السَّكُوفَةَ ، وَبِهَا بَشْرُ بْنُ مَرْوَانَ
فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَاسْتَصْعَبَ الدُّخُولَ عَلَيْهِ ، وَخَرَجَ بِبَشْرُ بْنُ مَرْوَانَ . فَعَارَضَهُ فَلَمَّا
نَكَبَهُ^(٢) - أَيْ صَارَ حِذَاءَ مَنْكِبِهِ - نَادَاهُ :

يَا بَشْرُ يَا بَنَ الْجَعْفَرِيَّةِ مَا خَلَقَ الْإِلَهَ بِدَيْكَ لِلْبُخْلِ

جَاءَتْ بِهِ مُعْجَزٌ مَقَابَلَةٌ^(٣) مَا هُنَّ مِنْ جَرَمٍ وَلَا عُكْلٍ

قال : فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ . وَالْجَعْفَرِيَّةُ الَّتِي عَنَاهَا نُصِيبُ هِيَ أُمُّ بَشْرِ
ابْنِ مَرْوَانَ ، وَهِيَ قُطَيْبَةُ بِنْتُ بَشْرِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ مُلَاعِبِ الْأَسِنَّةِ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ
ابْنِ كِلَابٍ .

مر مروان بن الحكم ببادية بني جعفر فرأى قُطَيْبَةَ بِنْتَ بَشْرِ تَنْزِعُ بِدَلْوٍ
عَلَى إِبْلِ لَهَا وَتَقُولُ :

لَيْسَ بِنَا فَقَرُّ إِلَى التَّشَكِّي جَرَبَةٌ^(٤) كَحُمُرِ الْأَبَكِّ

* لَا ضَرَعَ فِيهَا وَلَا مَذَكَّى *

نَحْطَبُهَا مَرْوَانُ فَتَزَوَّجَهَا وَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ لَهُ بَشْرَ بْنَ مَرْوَانَ .

(١) لَا يَلْحَنُ حَرْفًا (أغاني ١ : ٤٣٣ .

(٢) نَاكَبَهُ (أغاني ٣٣٦ .

(٣) عَجَز : جَمْعُ عَجُوزٍ - وَالْمَقَابِلَةُ : السَّكْرِيْمَةُ النَّسَبُ مِنْ قَبْلِ أَبِيهَا .

(٤) الْجَرَبَةُ : الْجَمَاعَةُ الْغُلَاطُ الْأَشْدَاءُ مِنَ النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ .

روى العُصْبِيُّ قال : دعا النصيب مواليه أن يَسْتَعْلِحُوهُ فَأَبَى ، وقال : والله لأن
أَكُونَ مَوْلَى آبِقَا^(١) أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ دَعِيًّا لَاحِقًا ، ولقد علمتُ أنكم
إنما تريدون بذلك مالى ، والله لا أَكْسِبُ شيئا أبدا إلا كنتُ فيه أنا وأنتم سواء
كأحدكم لا أَسْتَأْذِرُ منه عليكم بشيء . وكان كذلك معهم حتى مات ، إذا أصاب
شيئا قَسَمَهُ بينه وبينهم ، وكان فيه كأحدكم .

دخل النصيبُ على سليمان بن عبد الملك ، وعنده الفرزدقُ ، وقد استنشدَه وهو
يرى أنه سيُنشِدُه مديحا قيل فيه ، فأنشده قوله يَفْتَخِرُ :

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ مِنْهُمْ لَهَا رَّةٌ مِنْ جَذْبِهَا بِالْمَصَابِ
سَرَوًا يَرْكَبُونَ الرِّيحَ وَهِيَ تَلْفَهُمْ عَلَى شُعْبِ الْأَكْوَارِ ذَاتِ الْحَقَائِبِ
إِذَا اسْتَوْضَحُوا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهَا وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارُ غَالِبِ

قال : وعمامته على رأسه مثل المنسف^(٢) ، ففاظَّ سليمان وكَلَحَ في وجهه وقال
لنصيب : قم فأنشِدْ مولاك ويلك ! فقام نصيب فأنشده قوله :

أَقُولُ لِرَكِيبٍ صَادِرِينَ لَقِيَتَهُمْ عَلَى ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبُ
قَفُوا خَبْرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ إِنِّي لِمَعْرُوفِهِ مِنْ آلِ وَدَّانَ طَالِبُ
فَاجِئُوا فَأَنْتَوْنَا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
وَقَالُوا عَهْدَنَاهُ وَكُلَّ عَشِيَّةٍ بِأَبْوَابِهِ مِنْ طَالِبِ الْعُرْفِ رَاكِبُ
هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ وَلَا تُشَبِّهُ الْبَدْرَ الْمَنِيرَ الْكَوَاكِبُ

فقال له سليمان : أحسنت يا نصيب ، وأمر له بجائزة ، ولم يصنع ذلك بالفرزدق
فقال الفرزدق [وقد خرج من عنده]^(٣) :

(١) لا ئقا (أغاني) .

(٢) المنسف : الغربال الكبير .

(٣) ما بين القوسين عن الأغاني (١ : ٣٣٨) .

وَحَيْرُ الشَّعْرِ أَكْرَمُهُ رَجَالًا وَشَرُّ الشَّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ
 حمل عبدُ العزيز بن مروان النسيبَ بِمُقَطَّمٍ مَصْرَ عَلَى بُحْتِيٍّ قَدْ رَحَلَهُ بِنَبِيْطٍ
 فَوْقَهُ وَالْبَسَهُ مُقَطَّعَاتٍ وَشَيْءٌ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يُنْشَدَ فَاجْتَمَعَ حَوْلَهُ السُّودَانُ وَفَرَحُوا
 بِهِ فَقَالَ : أَسَرَرْتُكُمْ ؟ قَالُوا : إِي وَاللَّهِ ، قَالَ : وَاللَّهِ لِمَا يَسُوءُكُمْ مِنْ أَهْلِ
 جِلْدَتِكُمْ أَكْثَرُ .

مر جريرٌ بِنُصَيْبٍ وَهُوَ يُنْشَدُ فَقَالَ لَهُ : اذْهَبْ فَأَنْتَ أَشَدُّ أَهْلَ جِلْدَتِكَ
 فَقَالَ : وَجِلْدَتِكَ يَا أَبَا حَزْرَةَ .

كَانَ النَّصِيبُ إِذَا قَدِمَ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخْلَى مَجْلِسَهُ لَهُ ، وَاسْتَنْشَدَهُ
 مَرَاتِي بَنِي أُمِيَّةٍ ، فَإِذَا أُنْشِدَهُ بَكَى وَبَكَى مَعَهُ ، فَانْشَدَهُ يَوْمًا قَصِيدَةً مَدَحَهُ بِهَا
 يَقُولُ فِيهَا :

إِذَا اسْتَبَقَ النَّاسُ الْعِلَاءَ سَبَقْتَهُمْ يَمِينُكَ عَفْوًا ثُمَّ صَلَّاتُ^(١) شِمَالِهَا

فَقَالَ لَهُ هِشَامُ : يَا أَسْوَدُ بَلَفْتَ غَايَةَ الْمَدِيحِ فَسَلِّنِي ، فَقَالَ لَهُ : يَدُكَ بِالْمَطِيَّةِ أَجْوَدُ
 وَأَبْسَطُ مِنْ لِسَانِي بِمَسَاءَلَتِكَ فَقَالَ : وَهَذَا وَاللَّهِ أَحْسَنُ مِنَ الشَّعْرِ وَجِبَاهٍ وَأَحْسَنَ
 جَائِزَتِهِ .

أَصَابَ نَصِيبٌ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ مَعْرُوفًا فَكَتَمَهُ وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي
 هَيْئَةٍ بَذَّةٍ^(٢) . فَقَالُوا : لَمْ يُصَبِّ بِمَدَحِهِ شَيْئًا فَكُتِمَ مَدَّةً ثُمَّ سَاوَمَ بِأَمِّهِ فَأَبْتَاعَهَا
 وَأَعْتَقَهَا وَجَاءَهُ ابْنُ خَالَتِهِ لَهُ اسْمُهُ سُحَيْمٌ فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْتَقَهُ فَقَالَ : مَا مِثْلِي ، وَلَكِنِّي
 إِذَا خَرَجْتُ أُخْرِجْتُكَ مَعِيَ وَلَعَلَّ اللَّهَ يُعْتَقِكَ فَلَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ دَفَعَ غُلَامًا لَهُ إِلَى
 مَوْلَى سُحَيْمٍ يَرْعَى إِبْلَهُ وَأَخْرَجَهُ مَعَهُ فَسَأَلَ فِي ثَمَنِهِ وَأَعْتَقَهُ ، فَرَّ بِهِ يَوْمًا يَزْفِنُ^(٣)

(١) صلت شمالها ، من قولهم : صلى الفرس : إذا جاء ثانيا في الحلبة فهو مصل . والقصود

تبعها شمالها .

(٢) البذة : الهيئة الرثة .

(٣) يزفن : يرقص .

وَيَزُومُرُ مع السودان فأنكر ذلك عليه وزجره فقال له سُحَيْمٌ : إن كنت أعتقتني
لتصل رحي وتَقْضِيَ حَقِّي فهذا الذي أفعله هو الذي أريده ، أَرْفِنُ وَأَزْمُرُ وأفعلُ
ما شئتُ فانصرف نصيب وهو يقول :

إني أراي لسُحَيْمٍ قائلًا إن سُحَيْمًا لم يُثْبِتْني طائلا
نَسِيتُ إِمَالِي لك الرواحلا وضرَبَني الأبوابَ فيك سائلا
عندَ الملوكِ أَسْتَتِيبُ النائلا حتى إذا آنستُ عِتَقًا باتلا (١)
ولمِيتني منك القفا والكاهلا أخْلَقًا شَكْسًا ولونا حائلا

قال إسحاق : وأبطأت جائزة النصيب عند عبد العزيز فقال :

وإن وراء ظهري يابن لَيْلَى أناسا يَنْظُرُونَ متى أَوْوَبُ
أَمَامَةُ منهم وَلِأَقِيَمِيهَا غداةَ البَيْنِ في أنرى غُرُوبُ (٢)
تركتُ بلادها ونأيتُ عنها فأشبههُ ما رأيتُ بها السَّلُوبُ (٣)
فَأَتَبِيعُ بَعْضَنَا بَعْضًا فَلَسْنَا نُشِيكُ لكن اللهُ المُشِيبُ
فمَجَّلَ جائزته وسرَّحه . قال ابن كُنَاسَةَ : ليلَ أم عبد العزيز كَلِيبِيَّةُ ، وبلغني
عنه أنه قال : لا أُعْطِي شاعراً شيئاً حتى يَذْكُرَها في مدحى لشرفِها فكان الشعراء
يَذْكُرُونَهَا باسمها في أشعارهم .

قال المدائني : دخل نصيبٌ على عبد الملك فتقدَّى معه ، ثم قال له : هل لك فيما نَتَنَادِمُ
عليه قال : تَأْمَنِي ففعل . وقال : قد فَعَلْتُ قال : لوني حائلٌ وشَعْرِي مُفْلَقٌ ،
وَخِلَقَتِي مُشَوَّهَةٌ ، ولم أَبْلُغْ ما بلغتُ من إكرامِك لي لشرفِ أبٍ أو أمٍّ

(١) بانلا : بانا - وفي رواية : عاجلا .

(٢) الغروب : الدموع حين تخرج من العين .

(٣) السلوب : التي فقدت ولدها .

ولا غيرها . وإنما بلغته بمَقْلِي ولساني فَأَنْشُدُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَحُولَ
بيني وبين ما بلغتُ به هذه المنزلة منك فَأَعْفَاء .

خطب ابنُ النُصَيْبِ بعد وفاة سَيِّدِهِ الَّذِي أَعْتَمَقَهُ ابْنَةُ لَهُ مِنْ أَخِيهِ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ،
وَعَرَفَ أَبَاهُ فَقَالَ : أَجْمَعُ وَجُوهَ هَذَا الْحَيِّ لَهُذِهِ الْحَالِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَزَوَّجْتَ ابْنِي
هَذَا مِنْ ابْنَةِ أَخِيكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ لِمَبِيدٍ لَهُ سُود : خُذُوا بِرَجُلِ ابْنِي فَجَرُّوهُ .
فَفَعَلُوا وَضَرَبُوهُ ضَرْبًا مُبَرِّحًا ، وَقَالَ لِأَخِي سَيِّدِهِ : لَوْلَا أَنِي أَكْرَهُ [أَذَاكَ] ^(١) لَأَخَفْتُكَ
بِهِ . ثُمَّ نَظَرَ إِلَى شَابٍ مِنْ أَشْرَافِ الْحَيِّ فَقَالَ لَهُ : زَوِّجْ هَذَا ابْنَةَ أَخِيكَ وَعَلَى
مَا يُضْلِحُهَا مِنْ مَالِي فَفَعَلَ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مَزِيدٍ : لَقِيتُ النُّصَيْبَ يَوْمًا بِبَابِ هِشَامٍ فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا مِخْجَنٍ
لَمْ سُمِّيتَ نُصَيْبًا ؟ أَلِقَوْلِكَ فِي شِعْرِكَ عَايِنَهَا النُّصَيْبُ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي وَلِدْتُ
عِنْدَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ وَدَّانٍ ، فَقَالَ سَيِّدِي : إِيْتُونَا بِمَوْلودِنَا هَذَا نَنْظُرُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا أَتَى بِي
قَالَ : إِنَّهُ لِمَنْصُوبٌ ^(٢) الْخَلْقُ قَالَ : فَسُمِّيتُ النُّصَيْبُ ، ثُمَّ اشْتَرَانِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ
فَأَعْتَقَنِي .

وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ : لَوْ رَلَيْتُ الْعِرَاقَ لَأَسْتَكْتَبْتُ
نُصَيْبًا لِفَصَاحَتِهِ وَتَخَلُّصِهِ إِلَى جَيْدِ السَّكَّامِ .

وَكَانَ نَصِيبُ أَسْوَدَ خَفِيفَ الْمَارِضِينَ نَاتِيَّ الْخَنْجَرَةِ .

قَالَ نَصِيبٌ دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَالَ لِي : أَنْشِدْنِي قَوْلَكَ :
إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْخَلِيلَيْنِ رِدَّةٌ ^(٣)

وَلَا ^(٤) ذِكْرُ شَيْءٍ قَدْ مَضَى دَرَسَ الذِّكْرِ

(١) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ عَنِ الْأَغَانِي ١ : ٣٤١ .

(٢) مَنْصَبُ الْخَلْقِ : مَسَافَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ .

(٣) الرَّدَّةُ : الْبَقِيَّةُ .

(٤) سَوَى ذِكْرِ (أغانى) .

فقلت: ليس هذا لي . هذا لأبي صخر الهذلي ولكني الذي أقول :
وَقَفْتُ بَذَى وَدَّانَ^(١) أَنشُدْ نَاقَتِي وَمَا إِنِّ بِهَا لِي مِنْ قُلُوصٍ وَلَا بَكْرٍ .
فقال عبد العزيز : لك جائزة على صدق حديثك وجائزة على شعرك . فأعطاني
على صدق ألف دينار وعلى شعري ألف دينار .

قال مُسْلِمٌ : رأيت رجلاً أسود ومعه امرأة بيضاء فجعلت أعجب من سواده
وبياضها فدنوت منه فقلت : من أنت ؟ فقال : الذي يقول :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي تَحْدِثِينَ بِي غَدَا غُرْبَةً النَّأْيُ الْمَفَرَّقِ وَالْبُعْدُ
لَدَى أُمِّ بَكْرٍ حِينَ تَقْتَرِبُ النُّوَى بِنَا نَمِ يَخْلُو الْكَاشِحُونَ بِهَا بَعْدِي
أَتَصْرِمُنِي عِنْدَ الْأَلَى هُمَ لَنَا الْمِدَا فَتُشْمِتُهُمْ بِي أَمْ تَدُومُ عَلَى الْعَهْدِ
قال : فصاحت : بل تدوم على العهد فمألت عنهما فقيل : هذا نصيبٌ وهذه
أُمُّ بَكْرٍ .

قال جوهرية : أتى النصيبُ عبد الله بن جعفر فحمله وأعطاه وكساه فقال له
قائل : يا أبا جعفر ، أعطيت لهذا العبد الأسود هذه المطايا فقال : والله لئن كان أسود
إن ثناءه لأبيض وإن شعره لأمرئى ولقد استحق بما قال أكثر مما نال ، ثم قال :
وما هي ؟ إنما هي رواحل تنضي^(٢) وثياب تبلى ودراهم تفتنى وثناء يبقى ومديح
يُروى .

قال المدائني : قيل لنصيب : إن هاهنا نسوة يرذن أن ينظرن إليك ويسمعن
شعرك قال : وما يصنعن بي ؟ يرين جلد أسوداء وشعراً أبيض ولكن ليسمعن
شعري وراء^(٣) وراء .

(١) دوران في رواية للأغاني ٣٤٢ .

(٢) تنضي : تبلى .

(٣) من وراء ستر (أغاني ١ : ٣٤٤) .

قال عثمان بن الضحَّال: خرجت على بعير لي أريدُ الحجَّ فنزلتُ في فناء خيمةٍ بالأبواء وإذا بجاريةٍ خرجتُ من الخيمةِ لم أرَ مثلَها حُسناً فتمَثَّلْتُ قولَ نصيبٍ :

* زَيْنَبُ أَلِيمٌ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرِّكْبُ *

فقلت: أنعرفُ قائلَ هذا الشعر؟ قلت: نعم، قالت: ذاك نصيب، ثم قالت: أنعرفُ زَيْنَبُ؟ قلت: لا. قالت: فأنا زَيْنَبُ، وهذا اليوم الذي وَعَدَنِي، ولذلك لا تَرَحَّلُ حتى تراه فوقتُ ساعةً وإذا براكب طَلَعَ فجاء حتى أناخ قريباً منها، فنزلَ وسَلَّمَ عليها وسَلَّمْتُ عليه. فقلت: عاشقانِ التَّقِيَا، ولا بد لهما من حاجةٍ فقمْتُ إلى راحلتي فشدَّدْتُها. فقال: على رِسْلِكَ، أنا معك، فلبثتُ ساعةً وقام معي وَرَحَلْنَا فقال: كأنك قلتُ في نَفْسِكَ كذا وكذا. فقلت: قد كان ذلك قال: لا وَرَبَّ السَّكْبَةِ المستورةِ ما جلستُ معها قط مجلساً أقربَ من هذا.

دخل نصيبٌ مسجدَ النبي، صلى الله عليه وسلم، وعمرُ بن عبد العزيز يومئذٍ أميرُ المدينة، وهو جالسٌ بينَ قَبْرِ النبي، صلى الله عليه وسلم، ومِنْبَرٍ فقال: أيها الأمير؛ ائذَنْ لِي أَتَشِدُّكَ مَرَّاتٍ عبدُ العزيزِ فقال: لا تفعل فتَحْزَنُنِي ولكن أَتَشِدُّنِي قولَكَ «فَمَا أَخَوَى». فإن شيطانَكَ كان لك فيها ناصحاً حين لَقَمَكَ إياها فأنشده:

فَمَا أَخَوَى إِنْ الدَّارَ لَيْسَتْ كَمَا كَانَتْ بِمَهْدِكَما تَكُونُ
فَمُوجاً فَانْظُرَا أَتَبِينُ عَمَّا سَأَلْنَاهَا بِهِ أَمْ لَا تَبِينُ
فَظُلًّا وَاقِفَيْنِ وَظِلٌّ دَمِي عَلَى خَدَّيْ تَجُودُ بِهِ الشُّثُونُ

كان نصيبٌ ينزل على عجوزٍ بالجحفةِ إذا قَدِمَ من الشام، وكان لها بُنْيَةٌ صفراءُ وكان يَسْتَحْلِيها، فلما قَدِمَ وهبَ لها دراهمَ وثياباً وغير ذلك، فقدم عليهما قَدَمَةً وبات بهما فلم يَشْمُرْ إلا بفتًى قد جاءها ليلاً فرَكَّضها برجله، فقامت معه وأَبْطَأَ ثم عادت وعاد إليها بعد ساعة فرَكَّلهما فقامت معه «فأَبْطَأَ»، ثم عادت فلما أصبح

نصيبُ رأى أثرَ مُعْتَرِكهما ومُعْتَسِلِهما فلما أراد أن يَرَحَلَ قالت له العجوزُ وبنَتْها :
بأبي أنتَ عادَتَكَ فقال لها :

أراكِ طموحَ العَيْنِ مِيَالَةَ الهَوَى لهذا وهذا منك وُدٌّ ملاطفُ
فإن تَحْمِلِي رِدْفَيْنِ لا أَكُ منهما فخيَ فَرَدُّ است ممن أرادِفُ
ولم يعطها شيئاً ورحل .

ودخل النصيبُ على عمرَ بن عبدِ العزيز بعد ما وَلِيَ الخِلافةَ فقال له : إيه
يا أسود ! أنتَ الذى تُشَهِّرُ النساءَ بِنَسِيبِكَ فقال : إني قد تركت ذلك
يا أميرَ المؤمنين وعاهدتُ الله عز وجل ألا أقول نَسِيباً . وشَهِدَ له بذلك
من حَضَرَ . واثنوا عليه خيراً ، فقال : أمّا إذا كان الأمرُ هكذا فَسَلْ حاجَتَكَ
فقال : بُنَيَاتٌ لِي نَفَضْتُ عليهن سَوَادِي فَكَسَوْنَ ، أرغبُ بهن عن السُّودَانِ
وَيَرَغَبُ عَنْهُنَّ البَيْضَانُ ، قال : فتريدُ ماذا ؟ قال : تَقْرِضُ لهنَّ . ففعل . قال :
ونفقةً لطريقي . فأعطاه حِلْيَةً سِيفِهِ وكساءَ ثَوْبِيهِ وكأنا يساويان ثلاثين درهما .
قال عبد الملك بن مروان للنصيب : أنشدني فأنشده قصيدته التى يقول فيها :
وذو رَوادِفَ لا يُلْفَى الإِزارُ بها يُلَوِّى ولو كان سَبْعاً حينَ يَأْتِزُرُ
فقال له عبد الملك : يا نصيبُ من هذا ؟ قال : بنتُ عمِّ لِي نُوبِيَّةٌ لو رأيتها
ما شربتَ من يدها الماء . فقال : لو قلتَ غيرَ هذا لضربتُ الذى فيه عيناك .
ومن شعره فى عبد العزيز :

يقولُ فيحسُنُ القولَ ابنُ ليلي ويفعلُ فوقَ أحسنِ مايقولُ
فَتَى لا يَرِزُ الخِلانَ إلّا مودَّتَهُمُ ويرِزُوهُ الخليلُ
فبشَرَ أهلَ مِصرَ فقد أتاهم مع النيلِ الذى فى مِصرَ نيلُ

وكان نصيبُ يَكْنَى أبا الحِجْناءِ فهجاه شاعر من أهل الحِجازِ فقال :
رأيتُ أبا الحِجْناءِ فى الناسِ حارّاً ولونُ أبى الحِجْناءِ لونُ البهائمِ

تراه على ما لآحاه من سواده وإن كان مظلوماً له وجهٌ ظالم
 فقيل لنصيب : ألا تجميه ؟ فقال : لا ، ولو كنت هاجياً أحداً لأجبتَه ولكن
 الله أوصَلَنِي بهذا الشعرِ إلى خيرٍ فجعلتُ على نفسي ألا أقوله في شرٍّ وما وصَفَنِي
 إلا بالسوادِ « وقد صدَقَ ، أفلا أنشدُكم ما وصفتُ به نفسي ؟ قالوا : بلى » فأنشدهم
 قوله :

ليس السوادُ بنا قِصِي ما دام لي هذا اللسانُ إلى فؤادٍ ثابتٍ
 من كان يرفعه منابتُ أهله فبيوتُ أشعاري جُعِلْنَ مفاقي
 كم بين أسودٍ ناطقٍ ببيانِه ماخِي الجنانِ وبين أبيضٍ صامتٍ
 إني ليحسُدُنِي الرفيعُ بناؤه من فضل ذاكَ وليس بي من شامتٍ
 ويروى بناؤه فضلُ البيانِ وهو أجود .

قال قائل لنصيب : أيها العبدُ مالك وللشعرِ ! فقال : أما قولك عبتُ فما ولدتُ
 إلا وأنا حرٌّ ولكن أهلي ظلموني فباعوني ، وأما السوادُ فإني الذي أقول :
 فإن أكُ حالكاً لَوْنِي فإني لَمَعْلٍ غير ذِي سَقَطٍ وعاءٍ
 وما نزلتُ بي الحاجاتُ إلا وقى عِرْضِي من الظَّمْعِ الحياءِ

قال محمد بن سلام : دخل نصيبٌ على يزيد بن عبد الملك فقال له : حَدِّثْنِي
 يَا نَصِيبُ ببيعِ مامرةَ عليك . قال : نعم يا أمير المؤمنين « عَلَّقْتُ جاريةً حمراءَ
 فكُتِّتْ زماناً تُمنِّئُنِي بِالْأَباطِيلِ ، فلما ألححتُ عليها قالت : إليك عني » فوالله
 لَكأنك من طوارق الليل ، فقلتُ لها : وأنتِ ، والله ، كَأَنَّكَ من طوارق النهار .
 فقالتُ : ما أظرفَكَ يا أسودُ !! فعاظني قولها ، فقلتُ لها : هل تدرين ما الظرفُ ؟
 إنما الظرفُ العقلُ ثم قالت لي : أنصرفُ حتى أنظرَ في أمرك ، فأرسلتُ إليها بهذه
 الأبيات :

فإن أكُ حالكاً فالسكُّ أخوَي ومالسوادِ جِلْدِي من دواءِ

ولى كَرَمٌ عن الفحشاء ناب^(١) كِبُعدِ الأرضِ من جَوْ السماء
ومثلى فى رجالكم قليلٌ ومثلك ليس يُعَدُّمُ فى النساءِ
فإن ترضى فرُدِّى قولَ راضٍ وإن تأبى فنحن على السَّوَاءِ
فلما قرأت الشعرَ قالت : المالُ والعقلُ^(٢) يأتیان على غيرهما وتزوَّجتنى .
كان الأصمعى يُنشد هذه الأبيات ويستعجدها ويقول : قاتل الله النصيبَ
ما أشعره :

وإن بك من لوى السوادِ فإننى لكالمسك لا يروى من المسك ذائقه
إذا المرء لم يَبْذُلْ من الودِّ مثل ما بذلتُ له فاعلمْ بأنى مُفارقة
وما ضُرَّ أنوابى سوادى وتحبها لباسٌ من العلياء يبيضُ بنائقه
جاء رجلٌ إلى أبى نعيمٍ : الفضل بن دُكَيْنٍ ، فقال : يا أبا نعيمٍ : الناسُ يزعمون
أنك رافِضِيٌّ ، قال : فأطرق ساعة ثم رَفَعَ رأسه وهو يَبْكِي وقال : يا هذا أصبحتُ
فيكم كما قال نصيب :

وما زال بى الكتمانُ حتى كأننى برَدَّ جواب السائلى عنك أعجمُ
لأسلمَ من قولِ الوشاةِ وتسلمى سلمتِ وهل حَىَّ من الناسِ يسلمُ
قال محمد بن عبدربه : دخلتُ مسجد الكوفة فرأيتُ رجلاً لم أر قطُّ أشدَّ سواداً
منه ، ولا أنقى ثياباً ، ولا أحسن زياً فسألت عنه فقيل لى : هذا نُصَيْبُ فدنوتُ منه
فخادثته ثم قلت له : أخبرنى عنك وعن أصحابك . فقال : جميلٌ إمامنا ۝ وعمرُ
ابن أبى ربيعة أوصفنا لرباتِ الحجالِ ، وكثيرٌ أبسكاناً على السدمنِ وأمدحنا
للملوك ۝ وأما أنا فقد قلتُ ما سمعتَ فقلت : إن الناسَ يزعمون أنك لا تحسنُ أن
تهجو فضحك ثم قال : أترام يقولون : إني لأحسنُ أن أمدح ؟ فقلت : لا . قال :

(١) ناء (أغاني) .

(٢) والشعر (أغاني) .

أفما تَرَانِي أَحْسَنُ أَنْ أَجْمَلَ مَكَانَ عَافَاكَ اللَّهُ خَزَاكَ اللَّهُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : بَلَى . قَالَ :
إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ رَجُلَيْنِ ، إِمَّا رَجُلٌ لَمْ أَسْأَلْهُ شَيْئًا فَلَا يَنْبَغِي أَنْ أَهْجُوهُ فَأُظْلِمَهُ ،
أَوْ رَجُلٌ سَأَلْتُهُ فَمَنْعَنِي فَنَفْسِي كَانَتْ أَحَقَّ بِالْهَجَاءِ إِذْ سَوَّاتُ لِي أَنْ أَسْأَلَهُ وَأَنْ
أَطْلُبَ مَا لَدَيْهِ .

قال إسماعيل بن المختار مولى آل طلحة : خرج النضيب أبو محجن وهو وكثير
والأحوص غيب يوم أمطرت فيه السماء ، قال : هل لكم أن نركب فنسير حتى
نأتي العقيق فَنَمْتَعَ فيه أبصارنا قالوا : نعم ، فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من
الدواب ، ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من الثياب . وتَنَكَّرُوا ثم ساروا إلى
العقيق . فَجَلُّوا يَتَصَفَّحُونَ ^(١) فيرون بعض ما يشتهون حتى رُفِعَ لهم سوادٌ عظيم
فأتوه فإذا وصائفٌ ورجالٌ من الموالى ونساء بارزات فسألنهم أن ينزلوا فاستحيوا
أن يُجِيبُوهم من أوَّل وهلة ، فقالوا : لا نستطيع حتى نَمْضِيَ في حاجةٍ لنا فخلفَنهم
أن يرجعوا إليهن ، ففعلوا وأتوهن ، فسألنهم النزول فنزلوا ، ودخلت امرأة من
النساء فاستأذنت لهم ، فلم تلبث أن جاءت فقالت : أدخلوا فدخلنا على امرأة جميلة
برزة على فرش لها فرحبت وحيَّت وإذا كرامى موضوعة . فجلسنا جميعا في صفٍ
واحد . كلُّ إنسان على كرسي فقالت : إن أحببتُم أن ندعو لنا بصبي فنصبيحه
ونفرك أذنيه فعلنا . وإن شئتم بدأنا بالغداء فقلنا : تدعين بالصبي ولن يفوتنا
الغداء فأومأت بيدها إلى بعض الخدم فلم يكن إلا كَلَّا ^(٢) ولا حتى جاءت جارية
جميلة قد سترت بمطرف فأمسكوه عليها حتى ذهب بُهرُها ثم كُشِفَ عنها فإذا جارية
ذات جمال قريبة من جمال مولاتها فرحبت بهم ثم حَيَّتَهُم فقالت لها مولاتها : خذى
ويحك . من قول النضيب عاقى الله أبا محجن :

(١) تصفح الشيء : نظر إليه ليعرفه .

(٢) تعبير يراد به تقليل مدة فعل الشيء أو ظهور شيء خفي .

ألا هل من البين المفرق من بُدَّ وهل مثل أيامٍ بمنقطع السعدِ
 تمنيت أياي أولئك والمعنى على عهد عادٍ ما تُعيدُ وما تُبدى
 ففنته فجاءت به كأحسن ما سمعته قط بأشجى صوتٍ وأحلى لفظٍ ثم قالت لها :
 خذى أيضا من قولِ أبي مخجن عافى الله أبا محجن :

أرق الحب وعاده مُهْدُه لطوارقِ الهمم التي تَرْدُه
 وذكرْتُ من رَقْتُ له كَيْدِي وَأَبَى فليس تَرَقُّ لى كَيْدُه
 لا قَوْمُه قَوْمِي ولا بَلَدِي - فنكونَ حِيناً جِيرَةً - بَلَدُه
 ووجدتُ وَجْدًا لم يَكُنْ أَحَدٌ قَبْلِي من أَجْلِ صَبَابَةٍ يَجِدُه
 إلا ابنُ^(١) عَجَلَانَ الَّذِي تَبَيَّنَتْ هُنْدٌ ففَاتَ بِنَفْسِهِ كَمْدُه

قال: فجاءت به أحسن من الأول وكدت أطيرو سرورا ، قالت لها : خذى من قول
 أبي مخجن أيضا عافى الله أبا محجن :

فيا لك من ليلٍ تَمَتَّعْتُ طَوْلَه وهل طائفٌ من نائمٍ مُتَمَتَّعٌ
 نعم إن ذا شجوة متى يَلْقُ شَجْوَهَ وهل نائمٌ^(٢) مستمتع مودع
 له حاجة قد طالما قد أَسْرَهَا من الناس في صدرٍ بها يَتَصَدَّعُ
 تحمّلها طولَ الزمانِ لعلها يكونُ لها يوما من الدهرِ مَنَزَعُ
 وقد قُرِعَتْ في أمِّ عمرٍ و لك المصا قديما كما كانت لذي الحلم تُقَرَّعُ

فجاءت بشيء حَيْرَنِي وأذهلَنِي طَرَبًا لحسن الغناء ، وسرورا باختيارها الغناء
 من شعري وما سمعتُ من حُسْنِ صَنَعَتِهِ وجَوْدَتِهَا وإِحْكَامِهَا ثم قالت لها : خذى
 ويحك أيضا من قولِ أبي مخجن ، عافى الله أبا محجن :

يا أيها الركبُ إِنِّي غيرُ تَائِبٍ بِكُمْ حتى تَلِمُوا وأنتمُ بى تَلِمُونَا

(١) يريد به عمرو بن العجلان أحد بني كاهل بن الحيان بن هذيل المعروف بعمر وذى الكلب .

(٢) ولو نائما مستمتع أو مودع (أغاني ١ : ٣٥٨) .

فأرى مثلكم ركباً كشلكم يدعوهم ذو هوّى إلا يهودونا^(١)

أم خبروني عن دأى بملكم وأعلم الناس بالداء الأبطونا^(٢)

قال نصيب: فوالله لقد زُهيت زهواً خيل إلى أن من قريش. وأن الخلافة لي. ثم قالت: حسبك يا بُنية هاتِ الطعام يا غلام، فوثب الأصوص وكثير وقال: والله لا نطعم لك طعاماً ولا نجلس لك في مجلس، فقد أسأتِ عِشرتنا واستخففت بنا. وقدمت شعر هذا على أشعارنا، واستتممت الفناء فيه وإن في أشعارنا لما يفضلُ شعره وفيها من الفناء ما هو أحسن من هذا، فقالت: على مَعْرِفَةٍ كل ما كان مني، فأى شعرٍ كما أفضل من شعره أقولك يا أصوص:

يَقْرُ بعيني ما يَقْرُ بعينها وأحسنُ شئ ما به العينُ قرَّت

أم قولك يا كثير في عزة:

وما حسبتُ ضميرِيَّةً عَدْوِيَّةً سوى التَّيسِ ذى القرنين أن لها بَعْلًا

أم قولك فيها:

إذا ضَمِيرِيَّةٌ عَطَسَتْ فَنِكَهَا فإن عَطَسَهَا طَرَفُ السَّفَادِ

قال: فخر جافضين واحتبستني وأمرت لي بثلاثمائة دينارٍ وخُلَّتَيْنِ وطِيبٍ ثم دفعتُ إلى مائة دينارٍ وقالت: ادفَعْها إلى صاحبِك فإن قَبَلَهَا وإلا فهي لك. فأَتِيَهُمَا منازلُهُما فأخبرتهما القصة فأما الأصوصُ فقَبِلَهَا وأما كثيرٌ فلم يَقْبَلْهَا، وقال: لعن الله صاحبَكَ وجازَئَتَهَا ولمَنك معها، فأخذتها وانصرفتُ وسألت نصيباً: مَنْ المرأة؟ فقال: امرأة من بَنِي أُمِيَّةَ ولا أذكرُ اسمها ما حِيتُ لأحد.

كان الطاعونُ قد وَقَعَ بمصر في زمن ولاية عبد العزيز بن مروان لها فخرَجَ هارباً منه فنزل بقرية من قرى الصعيد يقال لها سَكَّر^(٣) فقدم عليه حين نزلها رسولٌ

(١) يهودونا (أغانى ١: ٣٥٩).

(٢) الأطب: البارع في الطب.

(٣) موضع بشرية الصعيد بينه وبين مصر يوم كان يخرج إليه عبد العزيز بن مروان كئيباً.

لعبد الملك فقال له عبد العزيز : ما اسمك ؟ قال : طالبُ بنُ مُدْرِكٍ فقال : أوّه ما أَرَانِي راجعا إلى الفُسْطَاطِ أبداً « ومات في تلك القرية » فقال نصيب يرثيه :

أَصِبتُ يَوْمَ الصَّعِيدِ فِي سُكْرِ مَصِيبَةٍ لَيْسَ لَهَا بِهَا قَبْلُ
تَاللَّهِ أَنْسَى مُصِيبَتِي أَبَدًا مَا أَسْمَعَنِي حَيْنَهَا الْإِبِلُ
وَلَا التَّبَسُّكِي عَلَيْهِ أَعْوَلُهُ كُلُّ الْمَصِيبَاتِ بِمَدَّةِ جَلَلُ
لَمْ يَعْلَمْ النَّمَشُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْـ مُرْفٍ وَلَا الْحَامِلُونَ مَا حَمَلُوا
حَتَّى أَجَنُّوا فِي ضَرْحِهِمْ حِينَ انْتَهَى مِنْ خَلِيلِكَ الْأَمَلُ

دخل نصيبُ على عبد الملك بن مروان فقال له أنشدني بعض ما رثيت به أخي فأَنشده قوله :

عَرَفْتُ وَجَرَّتْ الْأُمُورَ فَمَا أَرَى كَأُضِ تِلَاةِ الْغَابِرِ الْمُتَأَخِّرُ
وَلَكِنْ أَهْلَ الْفَضْلِ مِنْ أَهْلِ نَعْمَتِي يَمْرُونَ أَسْلَافًا أُمَامِي وَأَغْبَرُ
فَإِنْ أَبْكَهْمُ أُعْذَرُ وَإِنْ أَغْلِبَ الْأَسَى بِصَبْرٍ فَمُثْلِي عِنْدَمَا اشْتَدَّ يَصْبِرُ
وَكُنْتُ رَكَابِي كُلَّمَا شِئْتُ تَنْتَحِي إِلَيْكَ فَتَقْضِي نَحْبَهَا وَهِيَ مُضْمَرُ
تَرَى الْوَرْدَ يُسْرًا وَالثَّوَاءَ غَنِيمَةً لَدَيْكَ وَتُشْنِي بِالرَّضَا حِينَ تَصْدُرُ
فَقَدْ عَرَيْتُ بَعْدَ ابْنِ لَيْلَى فَإِنَّمَا ذُرَاهَا لِمَنْ لَاقَتْ مِنَ النَّاسِ مَنَظَرُ
وَلَوْ كَانَتْ حَيًّا لَمْ يَزَلْ يَدْفُو فِيهَا مَرَادُ لِقَابِ الطَّرِيقِ وَمَنْقَرُ
فَإِنْ كُنْ قَدْ نَلَنْ ابْنَ لَيْلَى فَإِنَّهُ هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ أَهْلِ التَّخْيِيرِ
فَلَمَّا سَمِعَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَوْلَهُ :

* فَإِنْ أَبْكَهْمُ أُعْذَرُ وَإِنْ أَغْلِبَ الْأَسَى *

قال : ويحك أنا كنتُ أحقُّ منك بهذه الصفة في أخي فهَلَّا وَصَفْتَنِي بِهَا وَجَعَلْ

يُكَي .

قال عبدُ الله بنُ إسحاقَ البصري : لو وَلَّيتَ العراقَ لاسْتَكَتَبْتُ نصيباً فقيلاً
له : لماذا ؟ قال : لفصاحته وحسنِ تَخَلُّصِهِ إلى جِيدِ الكلام . ألم تسمع إلى قوله :
فلا النفسُ مَلَّتْهَا ولا العينُ تَنَّتْهُيَ إليها سوى ^(١) في الطَّرفِ عنها فترجُّعُ
رأتها فما تَرَدَّدَ عنها سامةٌ ترى بدلاً منها به النفسُ تقنع
قال ابن أبي عتيقٍ لنصيب : إني خارجٌ أفرسلُ إلى سَعْدَى بشيء قال : نعم
بيتي شعر قال : قل فقال :

أَنْصَبُ عَنْ سَعْدَى وَأَنْتَ صَبُورٌ وَأَنْتَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِنْكَ جَدِيرٌ
وَكَدْتُ وَلَمْ أُخْلَقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَا لَهَا ^(٢) بَارِقٌ نَحْوِ الْعِرَاقِ أَطِيرُ
فَأَنْشِدْ ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ لِسَعْدَى الْبَيْتَيْنِ فَتَنْفَسَتْ تَنْفَساً شَدِيداً : فقال ابن أبي عتيق :
أَوْهَ أَجَبْتَهُ وَاللَّهِ بِأَجُودَ مِنْ شِعْرِهِ ، وَلَوْ سَمِعْتُ لَنَعَى وَطَارَ إِلَيْكَ . وقيل إن ابن أبي عتيق
لما سمع قوله :

وَكَدْتُ وَلَمْ أُخْلَقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَا لَهَا بَارِقٌ نَحْوِ الْعِرَاقِ أَطِيرُ
قال له : يا ابن أمِّ قُلْ ! غايَ فإِنَّكَ تَطِيرُ ، يَعْنِي أَنَّهُ غَرَابٌ لِسَوَادِهِ .
دخل نصيبٌ على إبراهيمَ بنِ هشامٍ فَأَنْشَدَهُ مَدِيحاً فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ :
مَا هَذَا بِشَيْءٍ أَيْنَ هَذَا مِنْ قَوْلِ أَبِي دَهْبَلٍ لَصَاحِبِنَا ابْنِ الْأَزْرَقِ حَيْثُ يَقُولُ :
[إِنْ تَغْدُ مِنْ مَنَقَلَى نَجْرَانَ مَرْتَحِلاً يَرْحَلُ مِنَ الْبَيْنِ الْمَعْرُوفِ وَالْجُودِ]
قال : فَنَضِبُ نَضِيبٌ وَنَزَعُ عِمَامَتَهُ وَبَرَكَ عَلَيْهَا وَقَالَ : ائِنَّ تَأْتُونَا بِرِجَالٍ ^(٣)
مِثْلَ ابْنِ الْأَزْرَقِ نَأْتِكُمْ بِمَدْحٍ مِثْلَ مَدْحِ أَبِي دَهْبَلٍ أَوْ أَحْسَنَ ، وَالْمَدِيحُ وَاللَّهُ إِنَّمَا
يَكُونُ عَلَى قَدَرِ الرِّجَالِ ، فَأُطْرَقَ ابْنُ هِشَامٍ وَعَجِبُوا مِنْ إِنْدَامِ نَضِيبٍ عَلَيْهِ وَمِنْ حِلْمِ
ابْنِ هِشَامٍ عَنْهُ ، وَهُوَ غَيْرُ حَلِيمٍ .

(١) إليها سوام الطرف (أغاني) .

(٢) سنا (أغاني) .

(٣) غير ظاهرة في الأصل وما كتب عن الأغاني .

قال عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهري: كان نصيب ربما قَدِمَ من الشام فَيَطْرَحَ في حَجَرٍ أمَّ بَكْرٍ الخِزَاعِيَّةِ أَرْبَعًا دِينَارًا ، وأن عبدَ الملكَ ظَهَرَ على تَعَلُّقِهَا وتَشْيِيبِهَا فَنَهَاهَا عَنْهَا وتَوَعَّدَهُ حَتَّى كَفَّ عَنْ ذَلِكَ .

كان نصيبٌ قد أُجْدِبَتْ إِبِلٌ لَهُ وَحَالَتْ^(١) ، وكان لرجلٍ من أَسْلَمَ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ فوقف على عبد العزيز بن مروان ، فقال له : جعلتُ فِدَاءَكَ إِنِّي سَحَمْتُ دِينَارًا في إِبِلٍ ابْتِغَاءَ مُجْدِبَاتٍ حِيَالٍ^(٢) وقد قلت فيها شِعْرًا :

فَلَمَّا سَحَمْتُ الدِّينَ فِيهَا وَأَصْبَحْتُ حِيَالًا مُسِنَّاتٍ الْهَوَى كِدْتُ أُنْدَمُ
عَلَى حَبْنٍ أَنْ رَأَيْتُ^(٣) الرَّمِيعُ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا بِصَمِيدٍ مِنْ تِهَامَةٍ مَقْضَمُ
ثَمَانِيَةُ لِلْأَسْلَمِيِّ وَمَا دَنَا لِفُحْشٍ وَمَا يَدْنُو إِلَى الْفُحْشِ أَسْلَمُ

فقال له عبد العزيز : فما دَيْنُكَ ؟ قال : ثَمَانِيَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ . قال : قد أَمَرْنَاكَ بِثَمَانِيَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ لِلْأَسْلَمِيِّ وَثَمَانِيَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ لَكَ . فَلَمَّا رَجَعَ أُنْشِدَ الْأَسْلَمِيُّ الشَّعْرَ فَتَرَكَ مَالَهُ عَلَيْهِ ، وقال : الثَّمَانِيَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ لَكَ .

قال أبو النجم : أَتَيْتُ الْحَكَمَ بْنَ الْمُطَّلِبِ فَمَدَحْتُهُ وَخَرَجَ إِلَى السَّعَايَةِ فَنَجَرْنَا مَعَهُ ، وَمَعْنَا عِدَّةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، فَبَيْنَا هُوَ مَعَ أَصْحَابِهِ يَوْمًا وَقَفَ إِذَا هُوَ بِرَأْسِ بَوَاضِعٍ فِي السَّرَابِ ، وَإِذَا هُوَ نَصِيبٌ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فَمَدَحَهُ فَأَمَرَ بِإِزَالِهِ ، وَمَكَثَ أَيَّامًا ثُمَّ أَنَاهُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ خَلَفْتُ صَبِيَّةً صَغِيرًا وَعِيَالًا ضَعِيفًا ، فَقَالَ : ادْخُلِ الْحَظِيرَةَ نَخُذْ مِنْهَا سَبْعِينَ فَرِيضَةً فَقَالَ لَهُ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَدْ أَحْسَنْتَ وَمَعِيَ ابْنُ أَخٍ لِي أَخَافُ أَنْ يُلْهِمَهَا عَلَيَّ قَالَ : فَادْخُلِ لِلْحَظِيرَةِ نَخُذْ مِنْهَا سَبْعِينَ فَرِيضَةً أُخْرَى فَانصَرَفَ بِمِائَةِ وَأَرْبَعِينَ فَرِيضَةً^(٤) :

(١) حالت . الحائل : الناقة التي حمل عليها ولم تلحق أو التي لم تلحق سنة أو سنتين أو سنوات .

(٢) جمع حائل .

(٣) راث : أبطأ .

(٤) الفريضة : القلوص التي تكون بنت سنة .

قيل لنُصَيْبٍ : هَرِمَ شِعْرُكَ . قال : لا والله ما هَرِمَ ولكنَّ المطاءَ هَرِمَ ، ومن يُعْطِينِي كما أعطاني الحكمُ بنُ المُطَّلِبِ ، خرجتُ إليه وهو ساعٍ على بعضِ صدقاتِ المدينة فلما رأيته قلت :

أبا مروانَ لستَ بخارجيٍّ وليس قديمُ مجدِكَ بانهِحالِ
أغرُّ إذا الرِّواقُ أنجبَ عنه بدا مثلَ الهلالِ على المِثالِ
تراهُ العيونُ كما تراءى عَشِيَّةَ فِطْرِها وَضَحَ الهلالِ
قال : فأعطاني أربعمائة ضائنةٍ ومائة لَقَحَةٍ ، وقال : ارفع فراشي فرفمتهُ فأخذت مائتي دينار .

قال سميد بن بشر بن عبد الله بن عَقِيلٍ الخارجيُّ : إني لَمَعَ أبى عبيدة بن عبد الله بن زَمْعَةَ [في حواء له] ^(١) إذ جاءه كُثَيِّرٌ فحَيَّاه فاحتَفَى به ، ودعا بالغداء فشرعنا فيه ، وكثير معنا ، وجاء رجلٌ فسَلَّمَ فرددنا عليه السلام واستدنيناه ، فإذا هو نُصَيْبٌ في بَزَّةٍ جميلةٍ قد وافى الحَجَّ قادمًا من الشام ، فأكب على أبى عبيدةَ فماتته ، ثم دعاه إلى الغداء فأكل مع القوم . فجشع ^(٢) كثير وأقلع عن الطعام فأقبل عليه أبو عبيدة ، والقومُ جميعا يسألونه أن يأكلَ فأبى ، فتركوه فأقبل كثيرٌ على نُصَيْبٍ فقال : يا أبا محجن إن أترَ الشامَ عليك جميلٌ ، لقد رجعت هذه الكَرَّةَ ظاهرَ الكبرِ قليلَ الحياء ، فقال له نصيب : لكن أترَ الحجازَ عليك يا أبا صَخْرَ غير جميل وإنك لرائدُ النقصِ قليلُ الحياء كثيرُ الحماقة . فقال كثير : أنا أشعرُ العرب حيث أقول لمولاتك :

إذا أُمْسِيتُ بَطْنُ بَحَّاحِ دُونِي وَعَمَقُ دُونِ عَزَّةَ فالبقيعُ
فليس بلائِي أَحَدٌ يَصِلُّ إذا أخذتُ بحاريها الدموعُ

(١) ما بين القوسين عن الأغاني .

(٢) فرغ كثير يده (أغاني ١/٣٦٧) .

فقال له نصيبٌ : أنا أشعرُ منك حيث أقول لابنة عمك :

خليلي إن حلت كَلِمَةً بالرُّبَا فذا أَمَجٍ فالشَّعْبَ ذا الماءِ والحُمْضِ
فأصبح من حَوْرَانِ رَحَلِي بِمَنْزِلِ يُبْعِدُهُ مِنْ دُونِهَا نَازِحُ الْأَرْضِ
وَأَيَّاسْتُمَا أَنْ تَجْمَعَ الدَّارُ (١) بَيْنَنَا نَفْوَضَا بِي السَّمِّ الْمَضْرَجِ بِالْحُمْضِ
ففي ذاك من بعض الأمور سلامةٌ وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى غَمَضِ
قال : فاقنعهم إليه كثيرٌ ، وثبت له النصيبُ ، فلما نالته رَجُلَاهُ رَمَحَهُ نصيبٌ
بساقه رَمَحَةً طاح منها بعيداً عنه فما زال راقداً حتى أيقظناه عشيّاً لرى الجمار .

دخل نصيب على إبراهيم بن هشام ، وهو والٍ على المدينة ، فأنشده مديحاً له فقال
له إبراهيم : قم إلى تلك الراحلةِ المَرْحُولةِ تُخْذُهَا رَحْلُهَا ، فقام إليها نصيبٌ متباطئاً ،
والناس يقولون : ما رأينا عطيةً أهناً من هذه ، ولا أكرم ولا أجزل ، فسمع نصيبٌ
فأقبل عليهم وقال : إنكم والله قل ما صاحبتمُ السكرامَ وما راحلةٌ ورَحْلٌ حتى
ترفعوها فوق قدرهما .

أتى نصيبٌ مكةَ فقصد المسجدَ الحرامَ ليلاً ، فبينما هو كذلك إذ طلع عليه ثلاثُ
نسوةٍ ، جلسن قريباً منه ، وجعلن يتحدثن ويتذاكرن الشعرَ والشعراء ، وإذا هن
من أفصح النساء ، فقالت إحداهن : قاتل الله جميلاً حيث يقول :

وبين الصفا والمرؤتين ذكركم بمختلفٍ من بين ساعٍ ومُوجِفِ
وعند طوافي قد ذكرك ذُكْرَةً هي الموت بل كادت على الموتِ تضعف

فقات الأخرى : قاتل الله كثيرَ عزةٍ حيث يقول :

طلعن علينا بين مروة والصفا يمرن على البطحاء مَوْرَ السحابِ
وكذن لعمرك الله يُخْذِنُ فتنَةً مُحْتَشِعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَائِبِ

فَقَالَتِ الْآخَرَى : بَلْ قَاتَلَ اللَّهُ ابْنَ الزَّانِيَةِ نُصَيْبًا حَيْثُ يَقُولُ :
أَلَا مُ عَلَى لَيْلَى وَلَوْ اسْتَطَعْتُهَا وَحُرْمَةً مَا بَيْنَ الْبَيْتَةِ وَالسُّتْرِ
لَمَلْتُ عَلَى لَيْلَى بِنَفْسِي مَيْلَةً وَلَوْ كَانَ فِي يَوْمِ التَّحَاقُّ وَالنَّحْرِ
فَقَامَ نُصَيْبٌ إِلَيْهِنَّ فَسَلَّمَ عَلَيْهِنَ فَرَدَدْنَ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقَالَ لَهُنَّ : اسْمَعْنَ فَأُنْشِدْهُنَّ
قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلَهَا :

وَيَوْمَ ذِي سَلَمٍ شَاقَّتْكَ نَائِحَةٌ وَرُقَاءٌ فِي فَنَنِ وَالرَّيْحُ تَضْطَرِبُ
فَقُلْنَ لَهُ : نَسْأَلُكَ اللَّهُ ، وَبِحَقِّ هَذَا الْبَيْتِ مِنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا ابْنُ الْمَظْلُومَةِ
الْمَقْدُوفَةِ بِغَيْرِ جُرْمٍ ، نُصَيْبٌ . فَقَمْنَ إِلَيْهِ وَسَلَّمْنَ عَلَيْهِ وَاعْتَذَرَتِ الْقَائِلَةُ إِلَيْهِ وَقَالَتْ :
وَاللَّهِ مَا أُرَدْتُ سُوءًا ، وَإِنَّمَا حَمَلَنِي الْإِسْتِحْسَانُ لِقَوْلِكَ عَلَى مَا سَمِعْتَ فَضَحِكَ وَجَلَسَ
إِلَيْهِنَّ يَحَادِثُهُنَّ إِلَى أَنْ انْصَرَفْنَ .

فهرست تراجم الكتاب

١٦١-١٥٦	٢٣- مالك بن أسماء
١٦٣، ١٦٢	٢٤- مُسَاوِرُ الْوَرَّاقِ
١٧٩-١٦٤	٢٥- محمد بن مُنَازِر
١٨١-١٨٠	٢٦- محمد الْعُمَانِيّ
١٩٥-١٨٢	٢٧- مُخَارِق
٢١١-١٩٦	٢٨- مسلم
٢٢٠-٢١٢	٣٩- محمد بن وَهَيْب
٢٢٩-٢٢١	٣٠- مُصْعَب بن الزبير
٢٣١-٢٣٠	٣١- صَرَج رَاهِط
٢٣٧-٢٣٢	٣٢- مسكين أبو صدقة
٢٤٠-٢٣٨	٣٣- محمد بن أبي محمد اليزيديّ
٢٤٣-٢٤١	٣٤- النّخْلُ الْيَشْكُرِيّ
٢٤٦-٢٤٤	٣٥- محبوبَة الشاعرة
٢٥٠-٢٤٧	٣٦- المؤمّل بن أميل
٢٥٧-٢٥١	٣٧- مالك بن الرّيب
	٣٨- أخبار مجنون بن عامر ونسبه
٢٧٥-٢٥٨	
٢٧٧، ٢٧٦	٣٩- قيس بن الخطيم
٢٧٨	٤٠- مُرّة بن محكان
٢٩١-٢٧٩	٤١- محمد بن عبد الملك الزيات
٢٩٣، ٢٩٢	٤٢- محمد الْعَطَوِيّ
٢٩٧-٢٩٤	٤٣- ماني الموسوس
٣٠٢-٢٩٨	٤٤- محمد أبو العبر
٣٢٦-٣٠٣	٤٥- نُصَيْب

(حرف الميم)

١٢- ٣	١- مغيرة الأَقْدِسِر
١٦- ١٣	٢- محمد بن الحارث
١٩- ١٧	٣- مَعْن بن أوس
٢٢- ٢٠	٤- محمد بن أمية
٢٤، ٢٣	٥- المتوكل اللبثيّ
٣٥- ٢٥	٦- المغيرة بن حبناء
٤٣- ٣٦	٧- النصور النمريّ
٤٥، ٤٤	٨- مَسْعُودَة بن البختريّ
٧٠- ٤٦	٩- مطيع بن إلياس
٧٤- ٧١	١٠- محمد بن كُفَاسَة
٨١- ٧٥	١١- محمد بن يسير الرّياشيّ
٩١- ٨٢	١٢- محمد بن حازم الباهليّ
٩٥- ٩٢	١٣- معبد اليقطينيّ
١٠٤- ٩٦	١٤- مُضاض الجُرهميّ
١١٢- ١٠٥	١٥- مالك ومتمّم ابنا نُورَة
١٢٧- ١١٣	١٦- المغيرة بن شعبه
١٣٥- ١٢٨	١٧- محمد بن بشير الخارجيّ
١٣٩- ١٣٦	١٨- المهاجر بن خالد بن الوليد
١٤٠	١٩- مَعْقِل بن عيسى
١٤٨- ١٤١	٢٠- محمد بن صالح
١٥٣- ١٤٩	٢١- محمد أبو الشّيص
١٥٥، ١٥٤	٢٢- المقنّع الكِنْدِيّ